

العلاقات السياسية

بين الدولة الأيوبية
والإمبراطورية الرومانية المقدسة
زمن الحروب الصليبية

د. عادل عبدالحافظ حمزة



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة:

د. سمير سرسوك

رئيس التحرير:

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير:

محمود الجزار

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب



949.5
H232iA
c.1

العلاقات السياسية

بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة
زمن الحروب الصليبية

د. عادل عبد الحافظ حمزة



مكتبة مصر العامة للكتاب

٢٠٠١

تقديم

يسرني أن أقدم للقارئ العزيز هذه الدراسة عن « العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الاسلامي » من ١١٥٢ - ١٢٥٠ م . وهي في الاصل رسالة علمية حصل بها صاحبها الدكتور عادل عبد الحافظ حمزة على درجة الماجستير في تاريخ العصور الوسطى من جامعة المنيا تحت اشراف الدكتورة زبيدة عطا .

والدراسة تنقسم الى خمسة فصول ، تحدث الفصل الأول عن الوحدة الاسلامية في الشرق وأثرها على الامبراطورية الرومانية المقدسة . فتعرض لدور الامبراطورية الرومانية المقدسة في الحملة الصليبية الثانية ، وموقف الشرق الاسلامي منها . وتناول دور نور الدين محمود في الوحدة الاسلامية ، ودور صلاح الدين ، وصدى وحدة الشرق الاسلامي في الامبراطورية الرومانية المقدسة . ثم تناول الوضع السياسي في بلاد الشام قبيل الحملة الصليبية الالمانية .

أما الفصل الثاني ، فقد تناول سياسة الامبراطورية الرومانية المقدسة تجاه الشرق الاسلامي فتحدث أولا عن استغاثة صليبي الشرق بأوروبا ، واتصالات الامبراطور فردريك الدبلوماسية ، والترتيبات العسكرية للحملة ، « حتى تحرك الحملة الالمانية بقيادة فردريك الأول » كما تحدث عن علاقة الامبراطور البيزنطي بالمسلمين ، ووفاة الامبراطور فردريك وتولية ابنه فردريك السوابي قيادة الحملة ، وموقف المسلمين من الحملة الالمانية .

أما الفصل الثالث ، فقد تناول تأثير الأوضاع السياسية في الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وفي الشرق الاسلامي على العلاقات بينهما . فتحدث عن العادل الأيوبي والوحدة الاسلامية بعد صلاح الدين ، ومحاولات الامبراطور هنري السادس ضم الشرق

الاشراف الفني

محمود الجزار

الى امبراطورية ، ودور الامبراطورية الرومانية المقدسة في الحملة الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤ م ، والوضع السياسى فيها حتى سنة ١٢٠٨ .

أما الفصل الرابع ، فقد تحدث عن سياسة الامبراطور فردريك تجاه الشرق الاسلامى (٦٠٦ - ٦٢٥ م) فتناول أولا الوضع السياسى فى المانيا بعد وفاة الملك فيليب السوابى ، وتعهد فردريك الثانى بالقيام بحملة على الشرق ، كما تناول الوضع السياسى فى الشرق الاسلامى ، وأثره على علاقات السلطان الكامل بفردريك الثانى .

أما الفصل الخامس ، فقد تحدث عن الحملة الصليبية السادسة ، وأثرها على العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الاسلامى (٦٢٥ - ٦٤٨) فتناول محاولات البابوية الضغط على الامبراطور فردريك الثانى للقيام بحملة على الشرق ، ونجاحها فى محاولاتها بتجهيز الامبراطور حملة زحفت على الشرق .

كما تعرض للمفاوضات التى دارت بين الامبراطور فردريك الثانى والملك الكامل محمد وانتهت باتفاقية يافا التى سلمت القدس للامبراطور فردريك بعد أن استردها صلاح الدين . وتحدث عن ظروف ابرام هذه الاتفاقية التى أغضبت المسلمين ، كما أنها أغضبت الصليبيين أيضا لأنها أبقت المسجد الأقصى وقبة الصخرة بيد المسلمين أمام قبر المسيح . وموقف الامبراطور فردريك من الحملة الصليبية السابعة .

وقد استندت الدراسة على المصادر الأساسية والرسائل المتبادلة ، والوثائق المهمة . والدراسة على هذا النحو تستحق القراءة .

والله الموفق . . .

رئيس التحرير

د . عبد العظيم رمضان

المقدمة

من المعروف لدى الدارسين أن اللقب الأساسى لهذه الامبراطورية هو « الرومانية » فقط ، أما صفة « المقدسة » فقد ظهرت لأول مرة على عهد الامبراطور فردريك الأول حوالى سنة ١١٥٧ م ، وبعد ذلك أكثر الامبراطور هنرى السادس ثم الامبراطور فردريك الثانى من استعمال لقب « المقدسة » فى وصف الامبراطورية حتى غدا شائعا . على أن استعمال هذا اللقب فى وصف الامبراطورية لا يعنى أى تغيير فى وضعها السياسى ، لأن هذه الامبراطورية بمعناها العالمى الواسع وضع أساسها شارلمان ، وبمعناها الضيق - أى فى حدود المانيا وايطاليا - يرجع تأسيسها الى « أوتو العظيم » (١) .

وقد حكمت أسرة « الهوهنشتاوفن » الامبراطورية الرومانية المقدسة فى الفترة التى بين عامى ١١٣٨ م و ١٢٦٨ م ، وقد عرفت هذه الأسرة بهذا الاسم نسبة الى قلعة « شتاوفن » فى سوابيا .

أما الدولة الأيوبية هى التى سيطرت على ما يعرف « بالشرق الاسلامى » الذى ضم مصر وبلاد الشام وفلسطين وآسيا الصغرى ،

(١) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، الطبعة السابعة القاهرة ١٩٧٨ م هامش ص ٢٨٦ .

هذا ويعتبر موضوع « العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة » (١١٥٢ - ١٢٥٠ / ٥٤٧ هـ - ٦٤٨ هـ) من الموضوعات الهامة التي تجذب انتباه الدارسين في مجال العصور الوسطى .

وترجع أهمية هذه الدراسة الى أنها تدرس جانبا هاما من العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، وخاصة بين إحدى امبراطوريات أوروبا وبين الشرق الاسلامي . إذ أن هذه الامبراطورية قامت بدور هام في الصراع الصليبي الاسلامي ، يجدر ابرازه في تاريخ العلاقات ، لأن هذه العلاقة قامت على أساس رغبة الغرب الأوربي في انتزاع بيت المقدس من المسلمين الذي كان محور هذه العلاقة الحربية والسلمية .

كذلك تبرز أهمية هذا الموضوع في أنه يتناول فترة لم تدرس الدراسة التي تغنى الباحث عن الخوض فيها ، وهذا يضفي حيوية على موضوع البحث .

ومما يلفت النظر أن العلاقة السياسية في الفترة المعنية بالدراسة اتسمت بالتناقض ، إذ كانت في بدايتها حربية ثم تحولت في نهايتها الى علاقات سلم وصداقة ، ولعل هذا التناقض في تلك العلاقة من الدوافع الأساسية لدراسة هذا الموضوع إبان هذه الفترة ، لمعرفة حقيقة الظروف في الشرق الاسلامي ، التي كانت دائما وأبدا تتحكم في سياسة ملوك وأمراء المسلمين تجاه الغرب الأوربي سواء كانت عدائية أو سلمية .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون من خمسة فصول يسبقها تمهيد ويتلوها خاتمة ، على النحو التالي : -

أما الفصل الأول فقد تناول بالشرح والتوضيح ما يلي :

أولا : أثر سقوط الرها على الامبراطورية الرومانية المقدسة ، إذ استجابت للمشاركة في الحملة الصليبية الثانية تحت قيادة امبراطورها « كتراد الثالث » كما يعرض أهم أعمال الحملة بالشرق ، وكذلك موقف المسلمين منها ، وختمت هذه النقطة بعودة الامبراطور كتراد الثالث الى الامبراطورية وبصحبته ابن أخيه فردريك السوابي .

ثانيا : جهود نور الدين محمود من أجل الوحدة الاسلامية ، ونظرته السياسية تجاه مصر ، وخاصة عندما تسابق معه الصليبيون عليها من أجل الفوز بها .

ثالثا : جهود صلاح الدين الأيوبي في مصر والشام ، الى حد أن تركت آثارا على الامبراطورية الرومانية المقدسة والبابوية .

رابعا : الآثار الفعلية للوحدة في الشرق ، على الامبراطورية والبابوية إذ كان لتحسن العلاقة بين الأخيرتين ، عامل أساسي في المشاركة بجهودهما الدبلوماسية لحل مشاكل الصليبيين بالشرق . وذلك من خلال الرسائل المتبادلة بين الشرق الاسلامي والبابوية .

خامسا : أهم أعمال صلاح الدين بعد أن فشلت الوسائل الدبلوماسية مع البابوية والامبراطورية ، من أجل اتمام الوحدة السياسية بالشرق حتى يدخل مع الصليبيين في فصل ختامي ، لكي يحدد من الوجود الصليبي بالشرق . ومما تجدر الإشارة اليه أن صلاح الدين لما وجد نفسه قد أصبح قاب قوسين أو أدنى من تبعية المسلمين بالشرق له ، دخل مع الصليبيين معركة حطين التي استرد بعدها بيت المقدس .

أما الفصل الثاني : فقد عرضت فيه موقف الامبراطورية الرومانية المقدسة من استرداد المسلمين لبيت المقدس في الفترة من (١١٨٨ الى ١١٩٠ م / ٥٨٤ الى ٥٨٦ هـ) ، موضحا ما يلي :

أولا : استغاثة صليبي الشرق بأوربا وخاصة الامبراطورية الرومانية ، تلك الاستغاثة التي كانت قبل حطين وبعدها ، والتي أثرت بشكل مباشر على الامبراطور فردريك الأول الذي أعلن استعداداه للقيام بحملة على الشرق .

ثانيا : التمهيدات التي قام بها الامبراطور فردريك الأول من أجل حملته التي سيقودها . فأرسل الى السلطان صلاح الدين بالشرق يطلب منه ترك الأراضي التي استردها . ولكن صلاح الدين رد عليه بخطاب شديد اللهجة . مما ترتب عليه أن يسعى الامبراطور لعقد اتفاقيات لتسهيل المرور في الأراضي التي سيعبر خلالها بحملته الى الشرق مثل المجر والدولة البيزنطية والسلاجقة بآسيا الصغرى .

ثالثا : الاستعداد العسكري للحملة التي قام بها الامبراطور حيث وضع لوائح وقوانين تمنع من ليست لديه القدرة الحربية على القتال أو التدريب الكافي للاشتراك في الحملة ، كما أنه دعا كثيرا من أمراء وكونتات ألمانيا للمشاركة في الحملة .

رابعا : تحرك الحملة الألمانية ومرورها في أراضي المجر والصعوبات التي قابلتها ، فضلا عن موقف الدولة البيزنطية من الحملة ، وقد لزم لدراسة هذا الموقف معالجة علاقة الدولة البيزنطية بالمسلمين بالشرق وموقف السلاجقة من الحملة الألمانية وكذلك موقف أرمينية .

خامسا : ايضاح ما آل اليه وضع الحملة الألمانية ، بعد نكبتها ، اذ توفي الامبراطور فردريك الأول وولى الحملة ابنه فردريك السوابي الذي قاد الحملة من سء الى أسوأ حتى وصلت عكا ، فحاولت القيام بعمل عسكري ضد المسلمين ، الا أنه قوبل بهجوم مضاد .

أما الفصل الثالث : فقد عالج سياسة الامبراطورية الرومانية المقدسة تجاه الدولة الأيوبية في الفترة من (١١٩٠ - ١٢٠٨ م / ٥٨٦ - ٦٠٥ هـ) على النحو التالي :

أولا : إبراز دور العادل في إعادة الوئام بين أولاد صلاح الدين ، حتى لا تتفتت الوحدة التي قضى أخوه حياته في بنائها ، حيث وجد العادل صعوبة الحفاظ على الوحدة طالما أن أولاد أخيه يسيطرون على الدولة الأيوبية ، لذا اعتبر نفسه الناصح الأمين لهم جميعا حتى صار هو العمدة فيها .

ثانيا : محاولة الامبراطور هنري السادس امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة (١١٩٠ - ١١٩٧ م) لضم الشرق الى امبراطوريته وذلك من خلال ثلاثة محاور سياسية ، توجهها بمشروع حملة صليبية ألمانية على الشرق .

ثالثا : ايضاح دور الامبراطورية في الحملة الصليبية الرابعة ، اذ أن الملك فيليب شارك في هذه الحملة بمجهوداته وقد دفعه الى ذلك ، رغبته في إعادة صهره البيزنطي الى عرشه فقط ، ومن ثم توجهت الحملة الى الدولة البيزنطية .

رابعا : ذكر الأوضاع السياسية في ألمانيا حتى وفاة فيليب ، حيث كان هناك صراع مرير داخل ألمانيا بسبب العرش

الامبراطورى ، الذى ترك أثرا مباشرا على صقلية أيضا • وعلى أية حال فان الفترة التى تلت وفاة الامبراطور هنرى السادس ، اتسمت بالخمول السياسى نظرا للأوضاع التى كانت تمر بها الامبراطورية •

أما الفصل الرابع : فقد تناول بالدراسة سياسة الامبراطور فردريك الثانى تجاه الدولة الأيوبية ، (١٢٠٩ - ١٢٢٧ م / ٦٠٦ - ٦٢٥ هـ) : وقد تناول

أولا : تبيان الوضع السياسى فى ألمانيا بعد وفاة الملك فيليب السوابى حيث استطاع فردريك ابن الامبراطور هنرى السادس أن يتغلب على خصمه « أوتو الرابع » ويصبح امبراطورا ، وفى ضوء هذه الظروف لم تساهم الامبراطورية بما يحفظ ماء الوجه ، ناحية القضية ، ومن ثم فقد قام أطفال ألمانيا بحملة متجهين الى الشرق • لكنهم فشلوا فى ذلك •

ثانيا : تفصيل القول فى تعهد فردريك الثانى للقيام بحملة على الشرق ، كما ذكرت علاقته بالبابوية التى كانت على ما يرام فى هذه الآونة ، وكانت النتيجة أن طلبت منه البابوية أن يتزعم الحملة الخامسة على مصر الا أن الظروف لم تساعد ، واكتفى بإرسال الامدادات الى الحملة بدمياط •

ثالثا : دراسة الأوضاع السياسية فى الشرق بعد وفاة الملك العادل • ذلك أن الاخوة تنازعوا فيما بينهم ، ولم يكن هناك من يستمع الى نصائحه كما حدث مع العادل وأولاد صلاح الدين • فكانت النتيجة أن وصل النزاع الى حد الصدام المباشر بين الطرفين ، فاستعان المعظم عيسى بجلال الدين الخوارزمى ضد أخيه

الملك الكامل محمد ، ولم يكن أمام الأخير الا أن يستعين بقوة لا يستهان بها حينئذ ، وهى قوة الامبراطورية الرومانية المقدسة التى كان على رأسها الامبراطور فردريك الثانى •

أما الفصل الخامس والآخر : فكان عن استجابة الامبراطور فردريك الثانى لنداء الملك الكامل ونتائج ذلك على العلاقات بين الامبراطورية والشرق الاسلامى وذلك فى الفترة من (١٢٢٧ - ١٢٥٠ م / ٦٢٥ - ٦٤٨ هـ) على النحو التالى :

أولا : محاولات البابوية للضغط على الامبراطور للقيام بحملة على الشرق وقد كثفت جهودها من أجل ذلك العمل ، وشجعت الامبراطور كثيرا من أجل أن ينضوى تحت سلطتها ويخرج على رأس حملة ، ودعمت هذا التشجيع بأن أيدت زواج الامبراطور من « يولاند » وريثة بيت المقدس •

ثانيا : تجهز الامبراطور للحملة المزمع قيامها : فقد أغرى - كما أغرت البابوية - الكثير من الألمان للمشاركة فى هذه الحملة ، الا أنه حدث صدام بين البابوية والامبراطور انتهى بحرمان الامبراطور من رحمة الكنيسة ، وبالرغم من ذلك فقد خرج الامبراطور لعدة أسباب فصلت فى حينها من هذا الفصل •

ثالثا : وصول الامبراطور الى الشرق ، وأثر ذلك على موقف الصليبيين منه • وأيضا موقف المسلمين وخاصة الملك الكامل الذى دعاه للحضور الى الشرق ، كما ذكرت موقف البابوية من الامبراطور عندما وصل الى الشرق وهو محروم من الكنيسة •

رابعاً : المفاوضات التي جرت بين مندوبي الملك الكامل والامبراطور من أجل التوصل الى حل للوضع الذي أضحي فيه الامبراطور في بلاد الشام . لدرجة أنه استعد للقيام بعمل عسكري ضد مناطق نفوذ صديقه السلطان الكامل . الا أن الظروف لدى الطرفين دفعتهما الى عقد اتفاقية يافا ١٢٢٩ م / ٦٢٦ هـ .

خامساً : موقف المسلمين والصليبيين والبابوية من تلك الاتفاقية ، وصدى زيارة الامبراطور للقدس على تلك الفئات ، وعودة الامبراطور الى عكا ، ليتمكن من الرحيل الى الغرب الأوربي .

سادساً : صلات الامبراطور بعد عودته بالمملكة الصليبية حتى ١٢٤٣ م واهتمامه بتدعيم نوابه بالشرق .

سابعاً : العلاقات بين الامبراطور وملوك الشرق الاسلامي بعد عودته أيضاً حتى سنة ١٢٤٣ م / ٦٤١ هـ ، كعلاقته بالصالح نجم الدين أيوب وعلاقة البابوية بملوك الشرق الاسلامي ، وعلاقة الامبراطور بعلماء المسلمين في الشرق .

ثامناً : موقف الامبراطور من الحملة الصليبية السابعة ، اذ استطاع أن يخبر صديقه الصالح نجم الدين عن هذه الحملة وخط سيرها أولاً بأول ، حتى انتهت بالفشل ، وأسرقادتها ، الذين توسط لهم الامبراطور لدى ملوك الشرق في فك أسرهم .

وبعد فقد كانت تلك اشارة مجملة لما تضمنته فصول هذه الدراسة ، وقد اتبعتها بخاتمة أوضحت فيها أهم النتائج .

وحيث أن طبيعة هذه الدراسة تستوجب على الباحث الرجوع الى المصادر والمراجع ، التي عرضت لهذا الموضوع من قريب أو من بعيد فقد استعنت بمجموعة منها تيسر لي الاطلاع عليها ، لعل أهمها ما يلي :

« الريكي دي هيسستورين دي جول » Recueil des Historiens des Gaules et la France وقد قام بإخراجها وتقديمها « ميشيل جان » و « جوزيف بريل » Michel Jean et Joseph Brial وهي تقع في أربعة وعشرين جزءاً ، وقد تيسر الحصول منها على مجموعة من الخطابات المتبادلة بين البابا « لوكيوس الثالث » Lucio III وملوك الشرق وهذه الرسائل تلقى الضوء على المراسلات بين البابوية والعاذل في بعض الأمور التي تخص الصليبيين بالشرق . كما توجد بها رسالة من السلطان صلاح الدين الى البابا لوكيوس وهي أيضاً بشأن التفاوض في بعض الأمور الخاصة بالصليبيين في الشرق .

ومن بين مجموعة هذه الرسائل رسالة القدس الى الغرب الأوربي سنة ١١٨٤ م / ٥٧٩ هـ ، وهي تلقى الضوء على أعمال صلاح الدين ضد الصليبيين بالشرق اذ أن الصليبيين في هذه الرسالة . يشكون من هذه الأعمال ويطلبون الاستغاثة من الغرب .

وكذلك رسالة البابا « جريجوري الثامن » Gregorius VIII الى المسيحيين في أوربا يشرح لهم الوضع الذي آلت اليه المملكة الصليبية من جراء أعمال صلاح الدين بعد معركة حطين ، كما يطلب البابا فيها ضرورة المسارعة لاغاثة الصليبيين بالشرق .

ومن المصادر لحملة الامبراطور فردريك الأول ، ما كتبه « جيفرى فينزوف » Geoffrey de Vinsovs ، وقد نشر كتاباته مترجمة الى الانجليزية فى لندن سنة ١٨٤٨ م ، « ريتشارد ديفز » Richard of Devizes ضمن المصادر الموجودة فى المتحف البريطانى وقد نشرت هذه الترجمات أيضا باللغة الانجليزية فى نيويورك سنة ١٩٦٩ م .

ولعل أهمية كتابات « جيفرى فينزوف » ترجع الى أن صاحبها قد عاصر أحداث الحملة وعاش معها خطوة بخطوة منذ بداية استعدادات فردريك الأول ، حتى وفاة فردريك السوابى فى عكا يناير ١١٩٠ م ، وكذلك حملة ريتشارد قلب الأسد .

علاوة على ذلك فقد أورد هذا المصدر خطاب الامبراطور فردريك الأول الى السلطان صلاح الدين بتاريخ فبراير ١١٨٨ م/ ٥٨٤ هـ ، وهذا يلقى الضوء على نوع التقارب بين الطرفين . من خلال عبارات الرسالة . وقد أورد أيضا رد السلطان صلاح الدين على الامبراطور فردريك الأول .

وقد ذكر هذا المصدر بالتفصيل ، مساعى الامبراطور فردريك الأول لعقد اتفاقيات تسهيل مرور وخاصة مع الامبراطورية البيزنطية ، وقد أوضح العداء الصريح بين الامبراطوريتين .

وذكر أيضا الاتفاقيات التى تم عقدها مع بقية الأمراء والملوك الذين ستمر الحملة بأراضيهم ، وقد أورد بالتفصيل العناصر التى شاركت فى الحملة ، وكذلك النظام الذى اتبعه الامبراطور والضوابط التى وضعها ليتحكم فى قيادتها .

ويلاحظ على « جيفرى » أنه كثيرا ما كان ينتقد الامبراطور فردريك الأول فى بعض تصرفاته ، وخاصة عندما استقبل الامبراطور

سفارة من قلع ارسلان سلطان قونية فى نوفمبر ١١٨٩ م ليجدد معها اتفاقية المرور . اذ أن « جوفرى » كان يرى أنه لا فائدة من صداقة سلطان قونية . كما عرض أيضا رأى بعض المعارضين لفردريك وخاصة عندما فضل الأخير السلام - مع الامبراطور البيزنطى - عن الحرب .

ومجمل القول أن كتابات « جوفرى فينزوف » تعتبر من المصادر الأساسية لدراسة هذا الموضوع لتفصيلاته الدقيقة ولذكره الهزائم التى كانت تحمل بالجيش الألمانى كما حدث فى أراضى السلاجقة ، وكذلك الوضع السيئ الذى أضحت فيه الحملة ابان مرورهم فى هذه الأراضى ، وكذلك ما حل بالحملة بعد وفاة الامبراطور فردريك الأول .

ومن المصادر الأساسية التى استعنت بها فى دراسة هذا الموضوع أيضا ريجستا ريچنى هيرو سوليميتانى « Regesta Regni Hierosolymitani » والتى قام بنشرها « رينولد روهريت Reinhold Rohricht » فى برلين Berelini نوفمبر ١٨٩٢ وهى عبارة عن خطابات متبادلة بين الباسا والامبراطور من جانب وبينهما وبين ملوك الدولة الأيوبية من جانب آخر ، بالإضافة الى القرارات المالية التى قررها الامبراطور فردريك الثانى ، وعلى سبيل المثال رسالة السلطان صلاح الدين الى الامبراطور فردريك الأول فى سنة ١١٨٢ م/ ٥٧٧ هـ ، وكذلك رسائل العادل وصلاح الدين الى البابوية ، فى سنة ١١٨٣ م / ٥٧٨ هـ ، والتى سبق ذكرها فى مجموعة الـ Recueil .

كما تضمنت رسائل بطريرك القدس الى فردريك الأول في سنة ١١٨٥ م ، بخصوص استغاثة الأول بالثاني قبل حطين وبعدها ، كما ورد في هذه الوثائق المراسلات بين صلاح الدين والامبراطور فردريك الأول بعد حطين بشأن مطالب الأخير بتسليم القدس الى الصليبيين ، وكذلك المراسلات بين الامبراطور فردريك الأول وسلطان قونية بشأن اتفاقيات تسهيل العبور خلال الأراضي السلجوقية . وأيضا ألقت الضوء على الرسائل التي بعثها صليبيو الشرق ، الى الامبراطور فردريك الأول بشأن ابلاغ الأخير عن الاتفاقية التي عقدها الامبراطور البيزنطي مع صلاح الدين ، وكذلك المراسلات بين ملك أرمينية وصلاح الدين فيما يخص الامبراطور فردريك الأول .

كما أوردت هذه المجموعة من المراسلات ، خطابات لملك جورجيا التي أرسلها الى البابوية لعرض مساعدته للامبراطور فردريك الثاني بشأن حملته الصليبية . وأيضا ألقت الضوء بالتفصيل على الاقرارات والامتيازات التي أقرها فردريك الثاني لفرقة « التوتون » Theutonicorum

وقد تضمنت الى Regesta Regni ، خطابات من البابوية الى الصليبيين بالشرق والى الملك الكامل الأيوبي بعدم التعامل مع الامبراطور فردريك الثاني المحروم من الكنيسة ، كما ذكرت هذه الوثائق أيضا ، بعض بنود اتفاقية يافا والتي غالبا ما اتفقت مع ما ورد في المصادر الأخرى .

ولم تغفل هذه المجموعة ، خطابات صليبي الشرق الى البابوية بشأن أعمال الامبراطور فردريك الثاني في الشرق ، مثل زيارته للقدس . كما أوردت خطابات البابوية الى الملك الكامل في سنة

١٢٣١ م ، بشأن اطلاق سراح أسرى « تجار انكونا » وكذلك خطاباتها الى الملك الناصر داود . كما أشارت هذه الوثائق بصراحة عن سفارة الامبراطور فردريك الثاني الى الملك الصالح نجم الدين أيوب لتخبره عن حملة الملك لويس التاسع على مصر .

وصفوة القول ، ان هذه المجموعة من الوثائق قد ألقت الضوء على كثير من جوانب الدراسة والتي أغفلتها بعض المصادر الأخرى .

وبالإضافة الى هذه المجموعات السابقة الذكر ، فان هناك بعض الاتفاقيات والمراسلات بين الأباطرة والبابوات والمعاهدات التي عقدت قد جمعت تحت عنوان « مصدر التاريخ الوسيط »
A Source Book for Medieval History

وقد قام بإعداده « أوليفر تاتشر » و « ايدجار هولن مكنيل » Oliver Thatcher & Edgar Ho nes McNeal ، ونشر في أمريكا سنة ١٩٠٥ م . وأهم ما فيه بالنسبة لموضوع الدراسة :

١ - مجموعة الوثائق التي عالجت العلاقة بين الامبراطور فردريك الأول والبابا اسكندر الثالث ، ويتضح هذا في المفاوضات التمهيدية سنة ١١٧٧ م .

٢ - المعاهدة التي عقدت بين فيليب السوابي ملك المانيا و « فيليب الثاني أغسطس » ملك فرنسا في سنة ١١٩٨ م حتى يساعد الأخير الأول ضد منائيه في الحكم .

٣ - التعهد الذي أخذه الامبراطور فردريك الثاني على نفسه أمام البابوية سنة ١٢١٣ م ، بشأن قيامه بحملة الى الشرق والحفاظ على ممتلكات البابوية .

٤ - وثيقة تجديد العهد سنة ١٢١٦ م .

٥ - وثيقة صلح سان جرمانو San Germano ١٢٣٠ م بين البابوية والامبراطور فردريك الثانى والذى اعترفت فيه البابوية بنجاح الامبراطور فى الشرق . كما أنه تم وضع السياسة العامة للعلاقات بين الطرفين .

٦ - الوثيقة التى تشمل قرار الحرمان ضد الامبراطور والتى ترجع لسنة ١٢٣٩ م .

وفضلا عن هذه المجموعات فان هناك الـ « كوربس سكر بيتوريم هتسستوريا بيزنطين Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae لـ « نيكيتاس خونتييا » Nicetas Choniata ، طبعة « برلين Berelini ١٨٣٤ م ويهم موضوع الدراسة الجزء الخامس والثلاثون، اذ اقلت بعض صفحاته الضوء على مشروعات الامبراطور هنرى السادس الشرقية .

هذا وهناك أيضا مجموعة من الوثائق تحت عنوان « خمسين وثيقة فى التاريخ الوسيط » Fifty Documents in Medieval History ألفها سعيد عاشور وحسنين ربيع صدرت فى القاهرة ١٩٧١ م . منها وثيقة خاصة بتولية الامبراطور فردريك الأول .

ومما يتناول علاقات الامبراطور فردريك الأول بالبابوية ، مجموعة الوثائق الخاصة بتاريخ العصور الوسطى تحت عنوان Select Historical Documents of the Middle Ages وقد قام بترجمتها « ارنست هندرسون » Ernest F. Henderson ونشرها فى سنة ١٨٩٢ بلندن . وكذلك خطاب من هادريان الرابع

الى الامبراطور فردريك الأول بتاريخ ٢٠ سبتمبر ١١٥٧ م يحثه فيها على القيام بحملة على الشرق وخاصة ضد مصر .

كما تيسر لى الحصول على الوثيقة الخاصة بنود اتفاقية يافا ١٢٢٩ م ضمن مجموعة Select Documents The Crusades والتى أخذها المؤلف من كتاب تاريخ فردريك الثانى الدبلوماسى Historia diplomatica Frederice Secundi لـ « هيرلد برهول Huillard Breholles اذ لم يتيسر لى الحصول على هذا الكتاب .

ومن المصادر الهامة التى تلقى الضوء على علاقات الامبراطور فردريك الثانى بعلماء المسلمين عندما أتى الى الشرق وبعد عودته، مجموعة الاسئلة الفلسفية التى وجهها هذا الامبراطور الى علماء المسلمين ، وقد قدم هذه المجموعة « آمارى » Amarri فى الجزء الأول من « جورنال آستيك » طبعة باريس ١٨٥٣ م Journal Asiatique. Recueil aw Memoires Questions Philosophiques Adresses aux savants, Par l'Empereur Frederic II.

ومن المصادر المعاصرة التى غطت بعض الجوانب فى البحث كتاب « وليم الصورى » :

William Archbishop of tyre A history of Deeds Done Beyond The Sea

فى جزئين ، وقد ترجمه الى الانجليزية « ايملى والتر بايكوك » Emily Al water Babcock ، طبعة نيويورك ١٩٤٣ ، وهو يتناول أحداث الحملة الثانية كما يرويها شهود العيان ، وبذلك يعتبر مصدرا أصليا للفترة من ١١٤٤ - ١١٨٤ م ، وقد أظهر هذا المصدر معاملة الامبراطور « مانويل كومنين » لـ « كونراد الثالث » ملك الامبراطورية الرومانية المقدسة ابان

الحملة الصليبية الثانية • كما تناول النزاع بين الامبراطور
فردريك والبابا اسكندر الثالث •

ومن المصادر التي تناولت عهد الامبراطور فردريك
الثاني : كتاب « يسول ويجلر » الذي كتبه تحت عنوان
« الامبراطور الكافر » The Infidel Emperor طبعة لندن
١٩٣٠ م ، وواضح من عنوانه أنه كتب خصيصا ضد الامبراطور ،
ومؤلفه كان معاصرا للامبراطور ، وربما يكون من أتباع البابوية
أيضا ، أو من الناقمين على الامبراطور • وقد ألقى هذا المصدر
بعض الضوء على مشروع الامبراطور « هنري السادس » في
الشرق • وكذلك على امدادات الامبراطور فردريك الثاني
لصليبيين بدمياط زمن الحملة الخامسة •

ومما يجدر ذكره أن هذا المصدر تناول السفارات التي
تبدلت بين الامبراطور فردريك الثاني والملك الكامل محمد .
كذا مماطلات الامبراطور للبابوية في مسألة الخروج الى الشرق •
واستعدادات الامبراطور العسكرية وصراعه مع البابوية كذلك
تناول موقف البابوية من الامبراطور بعد خروجه الى الشرق •
كما أوضح تصرفات الامبراطور في الشرق ، وفصل مراحل
المفاوضات مع المسلمين وكذلك زيارته للقدس ، ومغادرته الشرق
الى أوروبا ، والمخ بعض الشيء على صلح « سان جرمانو » •

وبالرغم من أن المؤلف كان متجنيا على الامبراطور ، الا أن
المعلومات التي أوردها يتفق ومعظمها مع المصادر النظرية لها •

ومن المصادر المهمة أيضا كتاب « امبروا » Ambroise
الذي يتحدث عن حملة ريتشارد قلب الأسد The Crusade of
Richard Lion-heart وقد ترجمه من الفرنسية القديمة

الى الانجليزية «ميرتون جيروم هيبيرت» P. Merton Jerome Hubert
طبعة نيويورك ١٩٤١ وفد ألقى الضوء على بعض جوانب حملة
الامبراطور فردريك الأول •

ومن المصادر المترجمة الى العربية ، مذكرات « فلهاردوان
Villehardouin » حيث قام بترجمتها حسن حبشي ، ونشرها في
جده ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م • ويعتبر صاحب هذه المذكرات من كبار
زعماء الحملة الصليبية الرابعة ، وهو مارشال شمبانيا ثم عين
مارشالا رومانيا على الامبراطورية البيزنطية القديمة بعد سقوطها •
وأهمية مذكراته أنها تلقي الضوء على دور ألمانيا في تحويل مسار
الحملة الصليبية الرابعة عن مصر الى الامبراطورية البيزنطية ،
كما تعتبر مذكرات « روبرت كلاري » Robert Calri لفتح
القسطنطينية - القاهرة ١٩٦٤ م - من المصادر المكملة لفكرة
تغيير مسار الحملة من مصر الى بيزنطة ، وهذه المذكرات من ترجمة
حسن حبشي أيضا •

ومن ترجمات حسن حبشي أيضا والتي ألفت الضوء على دور
الامبراطور فردريك في فك أسرى الصليبيين في الحملة السابعة
بدمياط ، ترجمته لمذكرات « جوانفيل » Joinville الذي كان
من أسرى الحملة السابعة ، وهذه المذكرات طبعت في القاهرة
سنة ١٩٦٨ م •

أما عن مفاوضات الصلح بين الصليبيين والملك الكامل
بدمياط في الحملة الخامسة ، وخاصة مهمة « فرنسيس الاسيزي »
فاوردها مصدر نشرة « لوكا وادينج هيبيرنو Luca wadding Hibeno
تحت عنوان : Annales Minorum Seutrium Ordinum
وفي الجزء الأول منه الذي يتناول الفترة من (١٢٠٨ م - الى

١٢٢٠ م) بدير الآباء الفرنسيسكان ، نشر في Quaracchi ١٩٣١ م .
وهو باللغة اللاتينية .

بالإضافة الى هذه المجموعة من المصادر ، فان هناك مجموعة
أيضا من المراجع الأوربية الحديثة ، وترجع أهميتها الى أنها اعتمدت
في دراستها على المصادر العربية والأوربية وأفردت لها تحليلات
طريفة . ومن أمثلتها :

كتاب « ميشو » Michoud وهو باللغة الفرنسية ويقع في
ثلاثة أجزاء تحت عنوان Historia des croisades ، طبعة
باريس ، وكذلك مجموعة المقالات التي جمعها « سيتون »
Kenneth M. Setton في عدة أجزاء ، ونشرت في نيويورك سنة
١٩٥٥ م تحت عنوان History of The Crusades وارنست
كنتروفتش Ernest Kantorowicz باللغة الألمانية تحت عنوان
فردريك الثاني Frederick The Second وترجمه الى الانجليزية
« لوريمر » E. O. Lorimer ونشرت الطبعة الأولى منه في لندن
١٩٣١ م وتختلف الترجمة الانجليزية عن النسخة الألمانية
بأن المترجم زودها بخرائط ، وفهرس المحتويات والهامش وكذلك
ملخص للمصادر ، وهذا الكتاب يعتبر من الكتب القيمة عن الامبراطور
فردريك الثاني ، اذ انفرد بتحليلات طريفة وموضوعية في كثير من
المواقف الخاصة بالامبراطور ، وخاصة مع البابا ومع المسلمين .

ومن الكتب ذات المعلومات الواسعة التي تلقى الضوء على
كثير من جوانب الدراسة ، كتاب بيوري « J. B. Bury » وهو في
ثمانية أجزاء يتسع مجلدات طبعه كمبريدج ١٩٤٨ تحت عنوان :
Cambridge Medieval History

وهناك كتاب ، « جرتير دسلوتر » Gertrude Slaughter
تحت عنوان The Amazing Frederic ، وقد أورد هذا المؤلف
فصلا خاصا عن حملة الامبراطور فردريك الثاني على الشرق ،
وقد نشر في نيويورك سنة ١٩٣١ .

كما انه هناك كتاب E.J. King تحت عنوان
The Knights Hospitallers in the Holy land ، ونشر في لندن
سنة ١٩٣١ م ، وكذلك كتاب جيمس برايس James Bryce
بعنوان الامبراطورية الرومانية المقدسة The Holy Roman Empire
ونشر في لندن سنة ١٩٠٧ م ، وبالإضافة الى كتاب
W. B. Stevenson بعنوان The Crusaders in the East
من كتاب « كوندر » Conder عن المملكة اللاتينية في القدس
The Latin Kingdom of Jerusalem ونشر في لندن ١٨٩٧ م
وكذلك كتاب « توت » Tout الذي درس العلاقة بين الامبراطورية
والبابوية في الفترة من (٩١٨ - الى - ١٢٧٣ م) ، لندن ١٩٢٤ م
The Empire and the Papacy وأيضا كتاب خاص بدراسة مدن
آسيا وتطورها التاريخي Ramsay W.H. بعنوان The Historical
and Geography of the Asia Minor

بالإضافة الى هذه المراجع هناك مجموعة من المقالات
المتخصصة ، ألقت الضوء على نقاط كثيرة من موضوع الدراسة ،
وهذه نشرت ضمن المجلات العلمية الدورية مثل Speculum أعداد
رقم ٢٧ ، ٢٩ ، ٧٣ ، ٤٤ ، ٥١ . وكذلك Journal Asiatique

الجزء الخامس لسنة ١٨٢٤ م ، وكذلك الجزء الأول لسنة ١٨٥٣ م ، وأيضا الجزء الثاني عشر لسنة ١٩٣٧ م من الـ Byzantion

بالإضافة الى هذه المراجع هناك مجموعة أخرى سوف تثبت في قائمة المراجع وهي تلقى الضوء على كثير من الجوانب كما أفادت في توضيح وتدعيم بعض الآراء .

أما مجموعة المصادر العربية ، التي اعتمدت عليها في دراسة هذا الموضوع لعل أهمها : « ذيل تاريخ دمشق » لابن القلانسي المتوفى في ١٧ ربيع الأول سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ، وكان قد تولى رئاسة دمشق مرتين ، وصنف تاريخا للحوادث من بعد سنة أربعين وأربعمائة الى وفاته وقد ذكر هذا المصدر أعمال كونراد الثالث بالشرق ، كما تناول اتجاهات الصليبيين حتى انتهى رأيهم الى مهاجمة دمشق . كما ألقى هذا المصدر الضوء على موقف المسلمين ببلاد الشام من مهاجمة الصليبيين لدمشق ، ودور حاكم دمشق « مجير الدين » ضدهم .

ومن المصادر المهمة أيضا التي ألفت الضوء على سياسة صلاح الدين تجاه الأمراء الأيوبيين وخاصة تشاوره في بعض الأمور العسكرية مخطوط تحت عنوان « مضمار الحقائق وسر الخلائق » وهو بجامعة الدول العربية ومن تأليف « الملك المنصور محمد بن الملك المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب » الذي توفي سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م ، وقد حقق هذا المخطوط الأستاذ الدكتور حسن حبشي .

وصاحب هذا المصدر شارك في الحوادث وشاهدها ، والجزء الذي بين أيدينا من سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م الى سنة ٥٨٢ هـ /

١١٨٦ م وجميعه في تاريخ عصر السلطان « صلاح الدين يوسف ابن أيوب » في مصر والشام ، وفتوحاته وحروبه ضد الصليبيين . وهو في مائة ورقة ومسطر بخط نسخ قديم طبع في الأحمدية بتونس (١) .

ويعتبر كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وبخاصة جزئه الحادي عشر والثاني عشر من المصادر الأساسية في هذه الدراسة ، وذلك لأن ابن الأثير الجزري هذا (٥٥٥ هـ - ٦٣٠ هـ / ١١٦٠ م - ١٢٣٢ م) قد نشأ نشأة علمية في كنف البيت الزنكي زمن محاولات الوحدة الإسلامية ضد الصليبيين كما انه تنقل بين المدن الإسلامية الموصل وبغداد ودمشق والقدس ، طالبا وسقيرا ، وقد استعان بالمصادر التاريخية في تدوين تاريخه عاما بعد عام ، ويعيب البعض على ابن الأثير تطرقه في كتاباته للزنكيين (٢) .

وتعتبر كتابات ابن الأثير عن السلطان صلاح الدين من المصادر المهمة وخاصة في الحوادث التي حدثت ابان عهده .

وبالرغم من أن ابن الأثير توفي سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م الا أنه لم يتعرض من قريب أو من بعيد للمراسلات التي تمت بين البابوية والامبراطورية من جهة وبين حكام الشرق الاسلامي من جهة أخرى . وكان من بين المصادر العربية التي التزمت الصمت حيال هذا الموضوع .

- (١) مؤاد السيد : فهرس المخطوطات المصورة بجامعة الدول العربية ، ج ٢ ، القسم ٢ ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .
(٢) نظير حسان سعداوى : المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٧ - ١٣ .

ومن المصادر التي اعتبرت لسان حال صلاح الدين ، كتاب بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم شهر بابن شداد ، لأن شداد جده لأمه ، وقد توفي أبوه وهو طفل صغير فربى في كنف أخواله بنى شداد ، ولهذا نسب إليهم .

وقد ولد في الموصل سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٥ ، وتوفي بحلب سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ ، هذا وقد وصل لدى صلاح الدين بدمشق سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م وولاه قضاء العسكر والحكم بالقدس الشريف ، هذا وقد لزم ابن شداد السلطان صلاح الدين (١) ، حتى ألف كتابا باسم « السيرة الصلاحية » أو « النوادر السلطانية ، والمحاسن اليوسيفية » الذي حققه جمال الدين الشيال سنة ١٩٦٤ م . وعلى أية حال فقد أوضح هذا المصدر كثيرا من جوانب الدراسة هذه وخاصة فيما حدث من وصول صلاح الدين لأول مرة مصر ، وأيضا ضلّاته بنور الدين بعد إقامته في مصر على تخت الوزارة ، وقد تناول بشيء من التفصيل غزوات وخطط السلطان العسكرية واتفاقه مع المواصله حتى يستعد لمهاجمة الصليبيين ، كذا موقف السلطان والمسلمين من أخبار حملة الامبراطور فردريك الأول ، وخطط صلاح الدين لذلك كما ألقى الضوء على موقف السلاجقة من حملة الامبراطور فردريك الأول ومراسلات ملك أرمينية الى السلطان صلاح الدين وأخبار الحملة بعد وفاة الامبراطور فردريك ، حتى وفاة فردريك السوابي بعكا .

ومما يجدر ذكره أنه بالرغم من أن هذا المصدر يعتبر من المصادر التي ذكرت سيرة صلاح الدين ، الا انه لم يذكر شيئا عن مراسلات الامبراطور فردريك الأول للسلطان صلاح الدين .

(١) نظير حسان : المرجع السابق ، ص ١٤ - ١٩ .

ويعتبر تاريخ الأمم والملوك من المصادر المهمة لموضوع البحث ذلك لانه يتناول تاريخ الخلفاء والملوك الى سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٧٥ م ربما هي سنة وفاة مؤلفه اذ انه مجهول المؤلف وهو مخطوط بدار الكتب وقد أورد بعض وسائل الملك الكامل محمد في القضاء على الصعوبات التي واجهته .

أما عن « مرآة الزمان في تاريخ الأعيان » لـ « شمس الدين ابن المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي ، سبط الشيخ جمال الدين الجوزي ، والمعروف « بسبط ابن الجوزي » المتوفى سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م يعد من المصادر الأساسية لدراسة الموضوع فقد تعرض للمؤامرات التي دبرت ضد صلاح الدين في مصر ، زمن تبعيته لنور الدين كما ذكر حملات صلاح الدين في بلاد الشام ، واتفاقه مع المواصله سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م كما تعرض لنفور أولاد الملك العادل من بعضهما ، وكذلك سفارات المعظم عيسى الى جلال الدين الخوارزمي ، وسفارة الامبراطور فردريك الثاني الى المعظم ببلاد الشام ، كما تناول موقف المسلمين من اتفاقية يافا ، وزيارة الامبراطور فردريك الثاني الى القدس ، وربما يكون « بول ويجلر » المؤرخ الانجليزى المعاصر لابن الجوزي ، قد نقل مشاهد الامبراطور في الشرق من ابن الجوزي ، لأنهما يتفقان في روايتهما عن تصرفات الامبراطور في القدس ، هذا وقد تناولوا بعثة الامبراطور الى الشرق سنة ١٢٣٣ م / ٦٣١ هـ .

ولا شك ان « الروضتين في أخبار الدولتين » طبعة بيروت ١٨٧١ م الجزء الأول ، والثاني وكذلك تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، « الذيل على الروضتين » الطبعة الثانية ببلنات ١٩٧٤ م . لـ « شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المشهور بأبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م من المصادر

التي ألفت الضوء على كثير من جوانب فصول الدراسة ، وخاصة دور كتراد الثالث في الشرق إبان الحملة الصليبية الثانية . وموقف المسلمين منها ، وأيضا دور صلاح الدين في الاستقرار بمصر ، وقد تناول استعدادات الأخير لمواجهة حملة الامبراطور فردريك الأول ، والنزاع بين أولاد السلطان صلاح الدين ، ودور الملك العادل في الصلح بينهم ، كما تناول جانباً من نشاط حملة هنري السادس الألمانية في بلاد الشام ، وكذلك النزاع بين أولاد الملك العادل ، وخاصة محاولات الأشرف موسى في إبعاد المعظم عيسى عن جلال الدين الخوارزمي .

أما مخطوط « الروض المهضوب في حلى دولة بنى أيوب » الجزء الثانى منه ، لابن سعيد أبو الحسن على بن موسى المغربي المتوفى سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م ، فقد أورد محاولات المسلمين لصد هجمات الألمان للاستيلاء على عكا سنة ١١٩٠ م ، الذين اخترعوا أساليب جديدة لضرب الحصار حولها .

وكذلك كتاب « محمد بن على بن يوسف بن جلب » المعروف بابن الميسر ، المتوفى سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م ، والذي تحت عنوان « أخبار مصر » الجزء الثانى ، طبعة المعهد الفرنسى ١٩١٩م ، وقد ألقى الضوء على صلات الامبراطورية البيزنطية بمصر قبل عهد صلاح الدين .

أما « الفتح القسى في الفتح القدسى » لأبى عبد الله محمد ابن حامد الشهير بـ « عماد الدين الكاتب الأصفهاني » أو العماد الكاتب ، ٥١٩ - ٥٩٧ هـ / ١١٢٥ - ١٢٠٠ م فقد ولد مؤلفه بأصفهان ، وقابل صلاح الدين في حمص (مارس ١١٧٥ م) وفي

كتابه يتكلم باسم صلاح الدين ، وقد حضر معركة حطين ، ويؤرخ هذا الكتاب للفترة من ٥٨٣/٥٨٩ هـ حتى وفاة صلاح الدين (١) .

وقد حصلت منه على مادة علمية أفادتني عن موقف السلاجقة من حملة الامبراطور فردريك الأول أثناء عبوره أراضيهم ، وما حل بالحملة في الطريق من جيله الى اللاذقية .

وهناك مخطوط آخر للعماد يضيف مادة علمية من خلال الفترة التي تناولها وهو « البرق الشامى » ٥٦٢ - ٥٨٣ هـ / ١١٦٦ - ١١٨٧ م ، وقد اختصر « الفتح بن على البندارى » الجزء الأول منه تحت عنوان « سنا البرق الشامى » الذى حققته ونشرته فتحة النبراوى ، في القاهرة ١٩٧٩ م .

وقد أضاف كتاب « مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب » لجمال الدين محمد بن سالم بن واصل المتوفى (٦٧٩ هـ / ١٢٩٧ م) ، وخاصة الجزء الثالث الذى حققه جمال الدين الشيال والجزء الرابع الذى حققه حسنين ربيع وراجعه سعيد عاشور ، الكثير من المادة العلمية ، اذ تعرض للنزاع بين أولاد صلاح الدين وتطرق الى المؤامرات التى حيكّت ضد الملك الكامل ، ودور المعظم عيسى فى القضاء عليها ، وتعاونيه مع اخوته لصد الحملة الصليبية الخامسة ، وقد ألقى الضوء أيضا على أسباب النزاع بين أولاد الملك العادل واستعانة كل منهما بحليف خارجي ، كما أوضح الوضع السياسى بعد وفاة المعظم عيسى ، وعن نشاط الامبراطور

(١) الباز العرينى : مؤرخى الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٦٢ م ، ص ٢٤١ . وانظر نظير حسان : المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، ص ١٩ - ٢٥ .

فردريك الثانى فى بلاد الشام الى أن تم عقد اتفاقية يافا ، وقد ذكر موقف المسلمين من الاتفاقية ونظرا لمعاصرة ابن واصل لهذه الأحداث فقد أسهب زيارة الامبراطور الى بيت المقدس ، ولم ينس مراسلات الامبراطور الى المسلمين بالشرق بعد عودته فأورد رسالة الامبراطور الى الملك الصالح نجم الدين بشأن الحملة الصليبية السابعة .

ومن المصادر الأساسية أيضا « المختصر فى أخبار البشر » لـ « عماد الدين اسماعيل أبى الفدا صاحب حماء » المتوفى سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م ، وقد ألقى الضوء وبخاصة الجزء الثالث منه على جوانب عدة من موضوع البحث ، منها جهود صلاح الدين فى الوحدة والنزاع بين أولاد السلطان صلاح الدين وتدخل الملك العادل فيه والخلاف بين أولاد الملك العادل .

كما أن « تمة المختصر فى أخبار البشر » المعروف « بتاريخ ابن الوردي » لـ « زين الدين عمر بن الوردي » والذي حققه أحمد رفعت البدرأوى ، بيروت سنة ١٩٧٠ م ، وبخاصة الجزء الثانى منه ، ألقى الضوء على جوانب عدة منها مفاوضات الملك الكامل محمد مع الصليبيين أثناء الحملة الصليبية الخامسة واتفاقية يافا ، وقد نقل كثيرا من مادته عن المصادر السابقة له .

ويعتبر كتاب « أبو الفدا الحافظ بن كثير الدمشقي » المتوفى سنة ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م تحت عنوان « البداية والنهاية » من الكتابات المساعدة فى الموضوع ، إذ ألقى جزأه الثالث عشر والرابع عشر الضوء على جوانب كثيرة منه ، ولكن يؤخذ على ابن كثير أنه لم يتحرر الدقة فى ذكر بعض الحوادث التى نقلها من المصادر السابقة له كابن الأثير وأبى شامة وغيرهما .

أما كتاب « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان « المتوفى سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ، والذي حققه محمد محى الدين عبد الحميد ، فقد أفصح عن بعض الشخصيات التى تعرض لها موضوع الدراسة .

وكتاب « دول السلام » للحافظ شمس الدين الذهبي « المتوفى سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م والذي حققه فهم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم سنة ١٩٧٤ ، من المصادر الهامة إذ ذكر محاولات السلطان جلال الدين منكبرتي لمحاربة الخليفة العباسي .

ولا جدال فى أن « كنز الدرر وجامع الغرر » وبخاصة الجزء السابع منه الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب « لأبى بكر ابن عبد الله أيبك الدوادارى والذي حققه سعيد عاشور سنة ١٩٧٢ م / ١٣٩١ هـ ، قد أضاف مادة علمية وفيرة ، وبالذات عن الوضع فى مصر قبل صلاح الدين والوضع فى الشرق بعد وفاة صلاح الدين ، ومحاولات العادل فى إعادة الوثام فى الدولة كما تعرض للوضع السياسى بعد وفاة العادل من اتحاد وتفرقه .

ولقاضى القضاء أبو اليمن القاضى مجير الدين الحنبلى ، كتابان يعدان من المصادر الأساسية لدراسة هذا الموضوع ، أولهما : مخطوط بعنوان « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » ، وقد غالج بعض جوانب البحث وكذلك أعمال فردريك الثانى العسكرية بالشرق وأشار الى بعض بنود اتفاقية يافا ، وسياسة الامبراطور فردريك فى الشرق ، بعد الاتفاقية وثانيهما : بعنوان « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » الجزء الأول ، فقد ذود البحث بمادة علمية وخاصة فى الفصلين الثانى والثالث .

وكذلك يعتبر كتاب « صبح الاعشى فى صناعة الانشاء »
للقلقشندي من مصادر البحث اذ ذكر بعض الرسائل مثل رسالة
السلطان صلاح الدين الى ملك بيت المقدس ، وكذلك رسالة
فردريك الثانى الى الملك البعواد .

ومن مصادر البحث أيضا « عقد الجمان فى تاريخ اهل
الزمان » لـ « بدر الدين محمود العيني » المتوفى سنة ٨٥٥ هـ /
١٤٥١ م اذ اورد فى الجزء الثانى عشر القسم الاول ، الحوادث
فى سنة ٦٢١ - ٦٣٥ هـ / ١٢٢٤ - ١٢٣٧ م ، وفيها تعرض
لمحاولات المعظم عيسى لجذب أخيه الأشرف اليه ضد الكامل ، كما
أشار الى بعض بنود اتفاقية يافا ، وأظهر كذلك موقف أهل عكا
من الامبراطور فردريك الثانى ، وأيضا العلاقات بين الأخير
والشرق بعد عودته .

ويعتبر مخطوط « الاعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين
على بلاد المسلمين » لأحمد بن على الحريرى ، من مصادر الرسالة ،
اذ تعرض لدخول صلاح الدين القدس بعد حطين ، وهذا المخطوط
بجامعة الدول العربية ، ومصور بالفوتوغراف عن نسخة باريس
فى سنة ١٩٤٨ م / ١٣٦٨ هـ .

وهناك بعض المصادر التى أضفت مزيدا من المادة العلمية
على موضوع الدراسة ، ومن أمثلة هذه المصادر « خطط المقرئى »
ج ٢ ، ٣ ط بيروت ١٢٧٠ هـ وكذلك « السلوك لمعرفة دول
الملوك » الجزء الاول القسم الاول ، وقد نشره محمد مصطفى
زياده ، وأيضا « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ج ٥ ،
ج ٦ لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى .

وأيضا « المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ الممورى » ، تأليف
بدر الدين العيني ، تحقيق فهد شلتوت ، ومحمد مصطفى زيادة
ونشر فى القاهرة ٦٦ - ١٩٦٧ م .

« وشذرات الذهب فى أخبار من ذهب » الجزء الخامس لأبى
الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ ، وابن
خلعون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ فى « العبر وديوان المبتدأ والخبر »
الجزء الخامس ، وكذلك الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين ،
لابن دقماق : برهان الدين ابراهيم المتوفى سنة ٨٠٩ هـ ، وهو
مخطوط ، وكذلك « تاريخ مختصر الدول » ، لغريغوريوس الملقب
المعروف بابن العبرى المتوفى سنة ١٢٨٦ م / ٦٨٥ هـ .

ويعتبر « سيرة جلال الدين منكبرتى » لـ « محمد بن أحمد
النسوى » الذى حققه حافظ أحمد حملى ، القاهرة ١٩٥٣ م
المصادر التى أضافت معلومات للموقف السياسى بالشرق بعد وفاة
العادل خاصة النزاع بين المعظم عيسى والكامل محمد .

ولا شك أن المكتبة العربية الصقلية ، التى جمعها وحققها
المستشرق الايطالى ميخائيل آمارى بغداد ١٨٥٧ م ، قد أضافت
كثيرا الى الدراسة ، اذ أنها عبارة عن نصوص فى التاريخ والبلدان
والتراجم والمراجع .

بالإضافة الى هذه المجموعة من المصادر فإن هناك مجموعة من
المراجع العربية والعربية لا غنى عنها لدارس تاريخ العصور
الوسطى ، ذلك لأنها تشكل مكتبة فى تاريخ العصور الوسطى ،
باللغة العربية مثل كتاب « ستيفين ونسيان » عن الحروب
الصليبية الذى ترجمه السيد الباز العرينى وكذلك « الحروب

الصليبية » لارنست باركر وأيضا « الحركة الصليبية » لسعيد عاشور وغيرها من المراجع ، بالإضافة الى ذلك فان هناك مجموعة من المقالات صادرة في دوريات ومجلات عربية ، تهم موضوع البحث .

علاوة على هذا أو ذاك فان هناك مجموعة من الأبحاث قريبة الصلة بموضوع الدراسة ويأتى فى مقدمة هذه الأبحاث مقال للأستاذ الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور فى المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الحادى عشر لسنة ١٩٦٣ م ، بعنوان « الامبراطور فردريك الثانى والشرق العربى » وقد كشف هذا المقال النقاب عن جوانب عدة من هذه الدراسة ، فضلا عن ارشاده للمصادر الأساسية للموضوع .

وأیضا كتاب الأستاذ الدكتور : حامد زيان غانم بعنوان « الامبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة » ، القاهرة ١٩٧٧ ، وكذلك رسالة ماجستير بعنوان « حملة فردريك الثانى الصليبية على بلاد الشام » اعداد / محمد عبد العزيز عزيز ، بيروت ١٩٨٤ م .

وأخيرا ، اذا كنت قد وفقت فى معالجة هذا البحث ، فانما يرجع الفضل فى ذلك الى الله ثم الى أستاذتى الدكتور / زبيدة محمد عطا ، التى وجهتنى الى دراسة هذا الموضوع وتبنت البحث وصاحبه منذ أن قمت بتسجيل الموضوع ، وحتى لحظة اخراجه على هذا النحو ، فأدين لها بالكثير ، لما بذلته معى من جهد متواصل طوال فترة الدراسة فكانت دائما خلالها استفيضة من فيض علمها وتشجيعها فاشكرها جزيل الشكر ، على ما قدمت لى من ملاحظات قيمة وتوجيهات سديدة كان لها اكبر الأثر فى الإقالة من عثرات القلم ، واخراج هذا البحث المتواضع على هذا النحو الذى اعتبره ثمرة من غرس يدها .

كذلك لا يسعنى الا أن أشكر الدكتور / مصطفى محمد الحناوى على ما قدمه لى من مساعدات قيمة اذ انه قدم لى بعض الوثائق التى أحضرها معى من ايطاليا وقد أفدت منها كثيرا فى هذا البحث .

كما أتقدم بالشكر والعرفان الى كل من قدم لى العون وسهل لى الحصول على المصادر والمراجع الخاصة بهذا البحث . . . وأخص بالذكر العاملين فى مكتبة جامعة القاهرة ، المخزن الأفرنجى والعربى ومكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة ومكتبة آداب المنيا ومكتبة جامعة الاسكندرية ومكتبة المعهد الفرنسى بالقاهرة ومكتبة دير الآباء الفرنسيسكان وخاصة نيافة الأب منصور مستريح ومكتبة دير الآباء الدومنيكان ومكتبة جامعة عين شمس ، ودار الكتب المصرية والجمعية التاريخية المصرية ومكتبة دار العلوم فلهم منى جميعا جزيل الشكر والتقدير على ما أجزلوه لى من عطاء .

ولعللى آكون قد وفقت فى ذلك . .

وما التوفيق الا بالله . .

عادل عبد الحافظ حمزه

التمهيد

كان للعلاقات الدولية بين الشرق والغرب أهمية خاصة في تاريخ العصور الوسطى ، فهي تتعرض لدراسة متباينة ولفكر وحضارة عالمين مختلفين ، وفي دراستنا نتعرض للعلاقات السياسية بين واحدة من أشهر امبراطوريات العصور الوسطى وهي الامبراطورية الرومانية المقدسة والدولة الأيوبية .

وقد تم احياء الامبراطورية الرومانية بعد سقوطها سنة ٤٧٦ م على يد شارلمان في بداية القرن التاسع الميلادي ، وكانت تشمل آنذاك فرنسا وألمانيا وماركة أسبانيا وبرشلونة (١) .

وفي القرن العاشر الميلادي تم احياء الامبراطورية من جديد على يد « أوتو الأول » أو « أوتو العظيم » (٩٣٦ - ٩٧٣ م) الذي اختير بعد وفاة والده هنري الأول سنة ٩٣٦ م . إذ سيطر على إيطاليا وألمانيا ومن ثم فيعتبره بعض المؤرخين خليفة شارلمان (٢) .

وقد لجأ أوتو الأول ، الى الاعتماد على الكنيسة ورجالها ، ومنحهم الاقطاعات الكبيرة ، ونصب نفسه حاميا للكنيسة وأملاكها (٣) ، وتدخل في تعيين الأساقفة وعزلهم ، كخطوة

للتدخل في شئون البابوية في روما ، وقد ساعدت الظروف « أوتو » على ذلك ، اذ توفي « لوثر ملك إيطاليا » وفرت أرملته تستغيث بـ أوتو ضد « برنجار الثاني » ملك إيطاليا الجديد ، لذلك أسرع أوتو الى غزو لمبارديا سنة ٩٥١ م . واجبر برنجار على الاعتراف به (٤) ، وبالإضافة الى ذلك فانه تعاقب على كرسى البابوية في روما سلسلة من البابوات الضعاف كالبابا « حنا الثاني عشر » ٩٥٥ - ٩٦٤ م الذي استغاث بـ « أوتو الأول » ضد برنجار الثاني ملك إيطاليا ، ودخل روما سنة ٩٦٢ م ، حيث توجه البابا « حنا الثاني عشر » امبراطورا في فبراير من العام نفسه (٥) .

وقد رغب أوتو الأول في أن يقسم البابا يمين الولاء للامبراطور قبل ترسيمه لكن هذا ضايق البابا ، فترتب على ذلك ان عقد الامبراطور ، مجعما وقرر عزل البابا سنة ٩٦٣ م ، وعين أحد القساوسة في المنصب البابوي تحت اسم البابا « ليو الثامن » (٩٦٣ - ٩٦٥ م) مما أثار غضب شعب روما (٦) .

وهكذا استغل أوتو الأول الكنيسة والبابوية واللقب الامبراطوري الى أبعد مدى في تنفيذ مشروعاته الألمانية ، لأنه أدرك جيدا أن ألمانيا هي منبع قوته الحقيقية ، وأخيرا توفي أوتو الأول فجأة في سنة ٩٧٣ م ، بعد أن وضع أساس تطور جديد في تاريخ الغرب ما يقرب من ثلاثة قرون (٧) .

وفي عهد أوتو الثاني (٧٩٣ - ٩٨٣ م) زادت الصلات بين ألمانيا وإيطاليا ذلك لأنه تزوج من الأميرة « ثيوفانو » Theophano ابنة الامبراطور البيزنطي « روماتوس الثاني » على أن تقدم له الأميرة ممتلكات بيزنطة في إيطاليا (٨) .

توفي « أوتو الثاني » فتولى عرش الامبراطورية « أوتو الثالث » (٩٨٣ - ١٠٠٢ م) الذي عين جريجورى الخامس في

كرسى البابوية سنة ٩٩٥ م ، فتوجه الأخير امبراطورا وبذا حدث وتمام بين الامبراطورية والبابوية (٩) .

ثم تولى هنرى الثاني (١٠٠٢ - ١٠٢٤ م) وتوج في فبراير عام ١٠١٤ م ، بروما وزار البابا ألمانيا سنة ١٠٢٠ م (١٠) . توفي هنرى الثاني وتولى كتراد الثاني (١٠٢٤ - ١٠٣٩) وقد توج في نفس عام توليته ، كما توج في روما سنة ١٠٢٧ م واستطاع أن يضم برجنديا الى ممتلكاته (١١) . أما الامبراطور « هنرى الثالث » (١٠٣٩ - ١٠٥٦ م) فقد شهدت الامبراطورية في عهده ازدهار عصورها ، وقد ذهب الامبراطور الى روما سنة ١٠٤٦ م ، بسبب النزاع بين البابوات ، فعزلهم وعين بابا جديد باسم « كلمنت الثاني » (١٢) وتوجه البابا في اليوم التالي (١٣) .

وصفوة القول أن سيطرة الامبراطورية على البابوية ، ومحاولة الأخيرة التخلص من هذه السيطرة أدى الى النزاع الذي وضع بعد هنرى الثالث سنة ١٠٥٦ م .

بعد وفاة هنرى الثالث تولت زوجته الوصاية على ابنها « هنرى الرابع » ونظرا لحدوث بعض الاضطرابات ، بدأت إيطاليا تقلت تدريجيا من قبضة الامبراطورية (١٤) وبعد أن ماتت الأم أخذ هنرى يباشر سلطاته ، فحدث نزاع بينه وبين البابا « هلدبراند » . جريجورى السابع ١٠٧٣ - ١٠٨٥ م وأصدر الأخير قرارات بالحرمان والعزل ضد الامبراطور ، مما ترتب عليه أن ذهب هنرى الرابع الى البابا في سنة ١٠٧٧ م للمثول بين يديه قائلا له « اغفر لي أيها الأب المقدس » وذلك في قلعة كانوسا (١٥) . لكن حدث صدام آخر جعل الامبراطور يصدر قرارا بعدم صلاحية البابا جريجورى السابع ، وعين بابا باسم « كلمنت الثالث » ١٠٨٠ -

١١٠٠ م وذلك لأن البابا أيد « ردولف » دوق سوابيا في نزاعه ضد الامبراطور (١٦) .

ولما تنازل هنرى الرابع عن العرش الامبراطورى لابنه هنرى الخامس ١١٠٥ - ١١٢٥ م فى سنة ١١٠٥ م ، عمل على توحيد جبهة هذه البابا سنة ١١١٠ م . وخضع الأخير لمطالب الامبراطور (١٧) .

وقد أصدر البابا « كالستين الثانى » (١١١٩ م - ١١٢٤ م) قرار الحرمان ضد هنرى الخامس فى سنة ١١٢٠ م ، الا أن روح الاعتدال بدأت تظهر بين الطرفين من جديد (١٨) فزار « لوثير الثانى » ١١٢٥ - ١١٣٨ م ايطاليا بناء على رغبة البابوية ، وتوج امبراطورا سنة ١١٣٣ م - وبعد وفاة لوثير الثانى سنة ١١٣٨ م ، كان أقوى رجلين فى ألمانيا هما هنرى المتكبر دوق بافاريا وسكسونيا ، وعييد البيت الولفى وكونراد « هوهنشتاوفن » دوق سوابيا ، وقد ركن الجميع الى الأخير (١١٣٨ - ١١٥٢ م) (١٩) فتولى العرش الامبراطورى (٢٠) ، لكنه لم يكن يمتلك قوة مادية حتى يستطيع أن يقف بها ضد أعدائه فى الداخل والخارج ، اذ أنه أول ملك من ملوك ألمانيا لم يتوج امبراطورا منذ عهد أوتو الأول أو العظيم (٩٣٦ - ٩٧٣ م) (٢١) مما ترتب عليه أن فقد كنزاد الثالث هيئته فى ايطاليا ، ولم يكن مستعدا للقيام بحرب ضد البابوية ، وخاصة بعد أن أعلن البابا أنوسنت الثانى Innocent II ١١٣٠ - ١١٤٣ م فى مجمع سنة ١١٣٩ م ، أن البابا له السيادة العليا على جميع الحكام العلمانيين الذى لا يحق لهم التدخل فى شئون الكنيسة سواء منها ما يتعلق بأراضيها أو بتقليد رجالها ، لهذا فضل كنزاد الثالث العمل على توطيد نفوذه فى ألمانيا عن طريق الحد من نفوذ البيت الولفى (٢٢) ، الذى وقف ضده بقيادة « هنرى المتكبر » دوق بافاريا وسكسونيا وعميل الولفين Welf (٢٣) وفى النهاية اضطر كنزاد الثالث

الى الاعتراف بأن عدوه أقوى من أن يقهر ، وأن السبيل الى انقاذ البلاد من بلايا الفتنة الداخلية هو الصلح مع الجولفيين ، فأعاد اليهم سكسونيا ، بدون بافاريا سنة ١١٤٢ م ، وأن كانت الضغائن قد بقيت على حالها (٢٤) .

لكن حدث ما أخرج ألمانيا من الصراع الذى يعيشه أمرائها بسبب التنافس على العرش الامبراطورى ، ذلك هو مساهمتها فى الحرب الصليبية الثانية ، اذ أنه كما هو معروف أن القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين ، السادس والسابع الهجريين قد شهدا حركة قام بها الغرب الأوروبى على الشرق الاسلامى وتمثلت فى حملات أرسلتها أوروبا تحت ستار دينى ، الا أن المؤرخين أضافوا نتيجة لأبحاثهم الدوافع الأساسية لهذه الحملات ، فقد كانت هناك أسبابا اقتصادية وسياسية فضلا عن الأسباب الدينية .

وقد استغلت البابوية هذه الحملات فى محاولات منها لفرض سيطرتها على الأباطرة والأمراء بالغرب لتدعيم مركزها من ناحية ، والتخلص من الأباطرة الذين دخلوا معها فى الصراع من ناحية ثانية ولهذا أخذت تدعو لهذه الحملات وتزعمتها وحثت الشعوب الأوروبية على المشاركة فيها ، ونتيجة لذلك أتت الحملة لصليبية الأولى الى الشرق الاسلامى ، وقد غلب عليها الطابع الفرنسى ، وكان قوادها من الأمراء ، وما يجدر ذكره أن ألمانيا لم تساهم فى هذه الحملة اسهاما واضحا ، بسبب النزاع بينها وبين البابوية ابان عهده الامبراطورين هنرى الرابع وهنرى الخامس (٢٥) .

وقد ترتب على وصول الحملة الصليبية الأولى الى الشرق تأسيس أربع امارات صليبية هى ، الرها (٢٦) وانطاكية (٢٧) وبيت المقدس (٢٨) وطرابلس (٢٩) .

ولا شك أن الأوضاع السياسية في الشرق الإسلامي كانت من الأسباب التي ساعدت الصليبيين على نجاحهم في إقامة أمارات لهم بالشرق ، حيث أن الخلافة العباسية في بغداد ، وقتئذ كانت في أخريات عصرها ، وكانت الخلافة الفاطمية في مصر تمر بأوضاع سياسية سيئة ، حتى أصبحت لا تحمي أملاكها في بلاد الشام وفلسطين فاستولى السلاجقة على كثير منها (٣٠) كما أن قوة السلاجقة في بلاد الشام بدأت تتدهور ولم تصمد غير قوة الموصل (٣١) بالإضافة إلى سلاجقة آسيا الصغرى (٣٢) .

وقد استطاع عماد الدين زنكي بالموصل أن يصمد أمام هذه الأوضاع السياسية وأيقن أن توحيد قوة المسلمين في بلاد الشام (٣٣) هي الخطوة الأولى التي يجب أن تسبق أية محاولة للقضاء على الإمارات الصليبية بالشام ، فكانت محاولته ضم دمشق سنة ١١٣٨ م (٣٤) لكنه فشل في ذلك إلى حين ولذلك سعى عماد الدين زنكي إلى الاستيلاء على ما يمكن الاستيلاء عليه من الإمارات الصليبية . فوجه جهوده ناحية الرها ، إذ كان أميرها الصليبي « جوسلين الثاني » Joscelin II على نزاع مع أمير أنطاكية « ريموند دي بواتية » كما أن القوات الإسلامية كانت تحيط بالامارة ذاتها من كل ناحية ، بالإضافة إلى أن نهر الفرات كان يفصلها عن بقية الممتلكات الصليبية (٣٥) .

بدأ زنكي يهاجم الرها بسبب تحالفها مع بني أرئق في ديار بكر ضده ، فاستولى عليها في جمادى الآخرة ٥٣٩ هـ / ٢٣ ديسمبر عام ١١٤٤ م ، رغم حصانتها (٣٦) ولم يكن من الصعب على عماد الدين زنكي بعد سقوط الرها أن يستولى على بقية المعاقل الصليبية شرقي الفرات فاستولى على سروج في يناير عام ١١٤٥ م . بحيث لم يبق لجوسلين في تلك المنطقة غير « البيرة » (٣٧) .

قتل عماد الدين زنكي في منتصف سبتمبر عام ١١٤٦ م / ٥٤١ هـ ، وهو على حصار جعبر ، وبعد موته استمر ولديه نور الدين محمود في حلب ، وسيف الدين غازي في الموصل ، إلا أن جوسلين الثاني استطاع أن يستغل هذه الظروف ، فاسترد الرها ثانية من المسلمين ، لكن نور الدين محمود - ابن عماد الدين زنكي - خفا على رأس جيش كبير وحاصر المدينة وهذا وجد جوسلين الثاني نفسه معه أعوانه من الصليبيين والأرمن ، قد وقعوا بين شقي الرحى ، فالسلاجقة داخل الرها محتمين بفعلتها ، ونور الدين محمود يحاصر المدينة من الخارج ، فهرب جوسلين وفرسانه وبدا استولى المسلمون عليها نهائيا من الصليبيين ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م (٣٨) .

وقد كان لهذا رد فعل شديد في الغرب الأوربي ، ذلك لأن حكومة القدس أرسلت رسالة إلى البابا « يوجين الثالث » (١١٤٥ - ١١٥٣ م) Eugenius III في سنة ١١٤٥ م تخبره عن سقوط الرها ، كما نقل حجاج أوربا إلى البابا هذه الأنباء أيضا (٣٩) بعد السقوط الأول مباشرة . وعمل القديس « برنارد » St. Bernard وبتكليف من البابا الدعوة ملوك أوربا هذه المرة لا أمرائها للقيام بحملة إلى الشرق (٤٠) . هذا وقد مكث القديس برنارد في ألمانيا عام ١١٤٦ م ، كاملا ، ورأى ضرورة اشتراك ألمانيا في هذه الحرب ، ومما يجدر ذكره أنه حتى هذه اللحظة لم يكن لألمانيا دور يذكر في الحرب الصليبية عدا بعض القوات التي اشتركت منها في حملة جود فري بوايون سنة ١٠٩٦ لذلك لم يقبل الألمان هذه الدعوة في البداية (٤١) وحاول « كنراد الثالث » الاعتذار عن الاستجابة لهذه الدعوة ، نظرا لظروفه الاقتصادية السيئة ولاشغاله بحرب الأمراء المنشقين عليه ، ولكن القديس برنارد استطاع أن يقنعه - في مجلس الأمراء الإمبراطوري المنعقد آنذاك في كندراثة شبيرز Spiers ، في أسبوع عيد الميلاد

سنة ١١٤٦ م (٤٢) - بأن الحرب هي الوسيلة الوحيدة التي
يستطيع بها كثراد الثالث ، توحيد الجلف والهوهندشتاوفن
Hohenstaufen (٤٣) ، والقضاء على النزاع بينهما الذي
حدث بسبب التنافس على حكم ألمانيا (٤٤) .

وأيما كان الأمر فقد اقتنع كونراد الثالث بفكرة الحملة الى
الشرق للتخلص من مشاكله السياسية الداخلية والوضع
الاقتصادى المنهار .

الهوامش

- (١) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، الطبعة السابعة
القاهرة ١٩٧٨ ، ص ١٩١ . وانظر (ديفز (هـ . و) : شارلمان ، ترجمة السيد
الباز العرينى ، القاهرة ١٩٥٩ م ، ص ١٢٤ ، وأيضا : إبراهيم على طرخان :
المسلمون فى أوربا العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .
- (٢) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .
- (٣) نفس المرجع والصفحة .
- Cf : Stephenson (C.) : Medieval History, New York, London
1935, 1934, p. 280.
- (٤) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٨٨ .
- Cf. Ibid., p. 280.
- Cf : Thompson (J.W.) : History of the Middle Ages, Vol. 1,
London, 1931, p. 169.
- (٥) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .
- وانظر : رافت عبد الحميد : المشكلة الإيطالية فى السياسة الألمانية فى
العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٣٠/٢١/١٩٨٤ ، ص ٢٦٥ .
- Cf : Hayes (T.H.) : History of Europe, New York, 1959, p. 188.
- Cf : Thompson (J.W.) : Op. Cit., Vol. 1., p. 169.
- (٦) سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ .
- Cf : Ibid., p. 170.
- (٧) نفس المرجع : ص ٢٩٢ - ٢٩٤ .
- (٨) سعيد عاشور : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .
- (٩) نفس المرجع : ج ١ ، ص ٢٩٨ .
- Cf : Stephenson (C.) : Op. Cit., p. 282.
- (١٠) سعيد عاشور : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ .
- Cf : Thompson (J.B.) : Op. Cit., Vol. 1., p. 173.
- (١١) نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٣٠٦ .
- (١٢) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣١٢ .
- Cf : Ibid., p. 175.
- (١٣) سعيد عاشور : نفس المرجع ، ص ٣١٢ .
- Cf : Stephenson (C.) Op. Cit., pp. 286-287 F.
- (١٤) نفس المرجع ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(١٥) نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(١٦) نفس المرجع ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ . Cf : Ibid., pp. 290-291 F.

(١٧) نفس المرجع ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(١٨) نفس المرجع ، ص ٣٥٥ .

(١٩) نفس المرجع : ج ١ ، ص ٣٥٨ .

Cf : Painter (S.) : A history of the Middle Ages, New York, 1954, p. 276.

(٢٠) Painter (S.) : A history of the Middle Ages, p. 276.

Cf : Archer (T.W.) : The Crusades, p. 207.

(٢١) Duggan (A.) : The Story of the Crusades, (1097 - 1291), London, 1963, p. 108.

(٢٢) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٥٩ - ٣٦٠ .

(٢٣) تعريف الجولفيين والجيليين :

يملا هذان الاسمان تاريخ ألمانيا وإيطاليا في العصور الوسطى ، وهما صفتان إيطاليتان Guelfs-Chilbellines لاسمين ألمانيين Welf-Gailbinyen وأولهما اسم دوق من دوقات سكسونيا بشمال ألمانيا ، وأواسط القرن الثاني عشر الميلادي ، ثم أضحي علما على دوقات هذا الاقليم كائنه ما كانت اسماؤهم الشخصية ، وثانيهما اسم معقل من المعازل القطاعية التابعة لأسرة الهونشتافن دوقات سوابيا بالجنوب الغربي من ألمانيا ، منذ أوائل القرن الثاني عشر الميلادي ، ثم أضحي كذلك علما على دوقات هذه الأسرة ، فضلا عن أسمهم العائلي ، أي الهونشتافن ، واقتصر استعمال اسمي الجولفيين والجيليين وبصيفتهما الألمانية الكبرى حتى إذا كان عهد الامبراطورية فردريك الاول وهو الجيليني الهونشتافن ومن الذي جرى في عروقه دم الجولفيين ، واصطدمت سياسة فردريك الامبراطورية في إيطاليا بمصالح البابوية وسياستها ، انتقل اسم الجيليين إلى إيطاليا حتى صار مرادفا للامبراطوريين أعداء البابوية كما صار اسم الجولفيين مرادفا للبابوية أعداء الامبراطورية ، ثم انتهت النزاع والتخاصم فيما بين البابوية والامبراطورية من ألمانيا ، باعدام آخر الهونشتافن سنة ١٣٦٨ م . انظر : هـ - ١ - فيشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، القسم الاول ، ترجمة

محمد مصطفى زيادة ، والسيد البار العريني ، ط ٦ ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

ص ١٩٦ .

(٢٤) نفس المرجع والصفحة .

(٢٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، الطبعة الثالثة ، القاهرة

١٩٧٨ ، ص ١٢٦ .

(٢٦) انظر سعيد عاشور : نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١٦٦ - ١٨١ .

(٢٧) انظر نفس المرجع ، ص ١٩٥ - ١٩٩ .

(٢٨) انظر نفس المرجع : ص ٢٢٠ - ٢٢٩ .

(٢٩) انظر نفس المرجع ، ص ٢٢٢ - ٢٤١ .

(٣٠) ستيفن رنسيمن : الحروب الصليبية - ترجمة السيد البار العريني ،

بيروت ١٩٦٧ - ج ١ ، ص ١١٦ .

وانظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

(٣١) نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١١٢ .

وانظر : ستيفن رنسيمن : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١٧ .

(٣٢) عبد الحفيظ محمد علي : المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط

القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ١٢٨ ، وما بعدها .

(٣٣) نفس المرجع ، ص ١٠٨ وما بعدها .

(٣٤) ستيفن رنسيمن : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ - ٣٦٤ .

(٣٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٥٩٠ - ٥٩١ .

(٣٦) ستيفن رنسيمن : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ - ٢٨١ .

انظر : اسحق عبيد : روما وبيزنطة ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٨١ .

(٣٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٥٩٤ .

البيرة : بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية ، وهي قلعة حصينة

ولها رستاق واسع .

انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ٥٢٦ .

(٣٨) أبو الفدا : المختصر في اخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٧ ، حوادث

٥٢٩ هـ .

وايضا ابن الاثير : الكامل في التاريخ : ج ١١ ، ص ٤٠ ، حوادث ٥٢٩ هـ .

٥٤١ هـ .

وانظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٥٩٩ .

وانظر : ستيفن رنسيمن : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .

(٣٩) Setton (K.M.) : A history of the Crusades, Vol. 1, New York, 1955, p. 466.

وانظر عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، بيروت ١٩٦٩ ،
ص ١١٢ .

وأيضاً حسن حبشي : نور الدين والصلبيين ، القاهرة ١٩٤٨ ،
ص ٥٠ .

(٤٠)
Cam-Med. Hist., Vol. 5., 1929, p. 353.
Cf : Archer (T.A.) : The Crusades, p. 207.

وانظر ج - م - هـ : العالم البيزنطي ، ترجمة وتعليق رافت عبد الحميد
القياهرة ١٩٧٧ ، تعليق المترجم ، ص ٥٠ .

وأيضاً : اسم رستم : الروم ، ج ٢ ، بيروت ١٩٥٦ م ، ص ١٤٧ .

وانظر : اسحق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٨٤ .

(٤١) ستيفن رنسيان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ترجمة السيد
العرينى ، ط ١ ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٤١٠ .

Cf : Archer (T.A.) : Op. Cit., pp. 210-211 F.
Cam. Med. Hist., Vol. 5., p. 353. (٤٢)

وانظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٦ ،
ص ٦٠٦ .

وأيضاً : أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العرينى ،
القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٩٢ وانظر اسحق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٨٤ .

(٤٣) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، ج ٤ ، مجلد ٤ ،
القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٣٦ .

(٤٤) سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٣٥٨ .

الفصل الأول

الوحدة الإسلامية في الشرق

وأثرها على الامبراطورية الرومانية المقدسة والبابوية

(٥٤٧ - ٥٨٤ هـ / ١١٥٢ - ١١٨٩ م)

— دور الامبراطورية الرومانية المقدسة في الحملة الصليبية
الثانية وموقف الشرق الاسلامي منها .

— دور نور الدين محمود في الوحدة الاسلامية

— صلاح الدين والوحدة الاسلامية .

— مدى وحدة الشرق الاسلامي على الامبراطورية الرومانية
المقدسة والبابوية .

— الوضع السياسي في بلاد الشام قبيل الحملة الصليبية
الالمانية .

في هذا الفصل سوف نستعرض الدور الذي قامت به
الامبراطورية الرومانية المقدسة في الحملة الصليبية الثانية ،
وكذلك موقف الشرق الاسلامي ، اذ استطاع نور الدين محمود
أن يوحد الجبهة الاسلامية بالشرق ، الى أن قضى نحبه فحمل
المستولية من بعده صلاح الدين ، الذي استطاع أن يتم ما بدأه
نور الدين ومن ثم ، أصبحت البايوية تخشى قوة صلاح الدين
فحاولت بالمساعدة مع الامبراطور فردريك الاول ، لايجاد حل
لمشاكل الصليبيين بالشرق عن طريق المراسلات ، وقد فشلت هذه
الوسيلة مما دفع صلاح الدين أن يستعد لاسترداد ما سلبه
الصليبيون . وقد حدث هذا في حطين وفيما يلي تفصيل لذلك .

دور الامبراطورية الرومانية المقدسة في الحملة الصليبية الثانية وموقف الشرق الاسلامي منها :

سبق القول بأن الامبراطورية الرومانية المقدسة استجابت ،
للخروج في الحملة الصليبية الثانية ، ويشير المؤرخ « برنهارد »
Bernhardi الى أن الحماس قد عم المانيا ، وخاصة الفقراء بسبب
المجاعة التي انتشرت في تلك السنة (١) وانضوى كثير من النبلاء ،
تحت قيادة فردريك السوابي Frederik of Swabia ، الذي تزعم
النبلاء (٢) وكثراد الثالث وكذا اثنان من أتباعه هما : « فلاديسلاف »
ملك بوهيميا و « بوليسلاف الرابع » ملك بولنده ، كذلك استطاع
القديس « برنارد » أن يضم « لويس السابع » Louis VII ملك
فرنسا (٣) ومن ثم يمكن القول بأن اثنين من أكبر قادة أوروبا أصبح
لديهما الاستعداد بشعوبهما للتوجه الى الشرق ويصور برنارد في

رسالة كتبها - ، مدى استجابة الغرب الأوربي لهذه الحملة ، إذ أقفرت المدن والقرى من ساكنيها حتى أنه « كان من النادر أن يعثر كل سبع نساء على رجل واحد يتزوجن به » (٤) .

وصفوة القول أنه أعلن نهائيا في سنة ١١٤٧ م القيام بالحملة الصليبية الثانية نتيجة لسقوط الرها مركز الدفاع الشمالى الشرقى للمملكة اللاتينية (٥) وقد أرسل البابا « يوجين الثالث » الى الامبراطور البيزنطى مانويل (١١٤٣ - ١١٨٠ م) لكى يساعد الحملة ويسهل لها الاجتياز ، وكان رد مانويل انه سوف يقوم بالاستعدادات اللازمة مثل المؤن والمراكب بالاضافة الى المعونة العسكرية ، ولكن اشترط ، أنه لن يقوم بهذا الا اذا سمحت له الظروف (٦)

ولما كان كتراد الثالث على صلة مصاهرة مع الامبراطور مانويل (٧) ، فقد أيد الرأي القائل باتخاذ الطريق البرى الى الشرق لكى يتمكن أكثر من الجنود ويتحكم فى الاشراف على الحملة الصليبية (٨) وفى نهاية شهر مايو عام ١١٤٧ (٩) - تحركت القوات من ألمانيا - وكان هناك جموع من « فلاندرز » Flanders وفريزيا Frisia « ونومانديا » Nomandy « وكولسون » Cologne (١٠) قبل الجيش الفرنسى حتى لا يحدث صعوبة فى التموين ، إذ كان عدد الفرنسيين كثيرا وأتوا بأموالهم وذخائرهم فيقال ان « عدتهم ألف ألف عنان من الرجالة والفرسان وقيل أكثر من ذلك » (١١) ومع ان هذا العدد مبالغ فيه الا انه يدل على مدى كثرتهم ولم يترك قرية ولا مدينة الا خربها ودمرها ، حتى كاد جيش الفرنسيين يموت جوعا لأنهم ساروا فى نفس الطريق الذى سار فيه الألمان (١٢) .

وثمة تساؤل يفرض نفسه على بساط البحث وهو : ان الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين Manuel I كان على صلة طيبة بالملك كتراد الثالث ، إذ أنه تزوج سنة ١١٤٦ م ، من أميرة ألمانية اسمها « برتا » Bertha يقال انها أخت زوجة كتراد الثالث ، بالاضافة الى أن والده كان قد وطد العلاقات مع الألمان (١٣) وقد توج مانويل هذه العلاقة بتعهده بالامدادات العسكرية للحملة ، ولكن اذا ساعدته الظروف ، فهل من السهولة بمكان أن يستقبل هذا الجيش ؟

لا شك أن هذا الجيش الكبير من الألمان بقيادة كتراد الثالث قد أزعج الامبراطور البيزنطى (١٤) ، وقد رأى بأنه يجب نقل هذا الجيش بسرعة قبل الجيش الفرنسى (١٥) ، فأرسل الى كتراد الثالث سفيرين هما : « ديمتريوس ماركمبوليتيس » و « اسكندر من جرافينا » يطلبان منه الافصاح عن نيته ان كان قد قدم ورجاله أعداء أم أصدقاء (١٦) كما أنهما ذكرا له انه لن يسمح لهم بدخول القسطنطينية ، الا بعد أن يقسم للبيزنطيين بأنه لن يقوم بأى عمل من شأنه الاضرار بالامبراطورية البيزنطية أثناء مروره فى أراضيها (١٧) .

زحف الألمان الى بلغراد حتى وصلوا الى بلدة « برانشيفوا » ولم يحدث خلالها أى احتكاك بين البيزنطيين والألمان (١٨) .

ويمكن القول بأن نوايا البيزنطيين لم تكن خالصة تماما إذ أنهم لم يملأهم بكثير من المرشدين (١٩) ذلك لأن البيزنطيين رفضوا مبدأ التعاون مع الصليبيين منه أن حث هؤلاء بوعودهم للامبراطور الكسيس الأول كومنين فى الحملة الأولى . وعلى أية حال شكك الطرفان فى بعضهما (٢٠) مما دفع الألمان أن ينهبوا ويستولوا على

ما قابلهم أثناء مرورهم في الامبراطورية البيزنطية ، وتقدموا الى القسطنطينية (٢١) . ومما زاد الطين بلة ما قام به الامبراطور البيزنطي من تقوية حصون القسطنطينية للتصدي لهذه الأخطار (٢٢) . واستعد بنفسه لقيادة حملة ضد الألمان (٢٣) .

وهكذا ساءت الأحوال بين البيزنطيين والألمان ، فتبادلا الهجمات ، وأصاب الأضرار الجيش الألماني ، اذ حدثت فيضانات على خيام الألمان ، عدا سرية فردريك السوابي ، الذي كانت خيمته على ربوة عالية ، حتى وصلوا القسطنطينية في العاشر من سبتمبر ١١٤٧ م (٢٤) .

ويذكر البعض ان البيزنطيين سلكوا طرقا ليقتضوا بها على الألمان ، اذ أنهم خلطوا الدقيق بالكلس الأبيض لبيعوه للصليبيين ، وضربوا نقوشا مغشوشة لهم (٢٥) .

ونتيجة لأعمال الألمان زادت الأضرار بالامبراطورية البيزنطية ، ومن ثم فقد سارع الامبراطور البيزنطي بالتخلص من تلك الجيوش ، فطلب من كتراد الثالث أن يعبر بجنوده الدردنيل والبسفور الى آسيا الصغرى ، حتى يتمكن من السير الى الأراضي المقدسة (٢٦) ، وهنا أخذ معه كتراد الثالث بعض المرشدين البيزنطيين ليرشدوه الى الطرق السليمة ، وقد أمدهم الامبراطور البيزنطي بأسلحة لتوزيعها على فقراء الحملة العزل (٢٧) .

وقد سبق القول بأن الشك قد ساور الجانب الألماني والبيزنطي كل منهما في الآخر ، وبالرغم من ذلك ، فقد نصح البيزنطيون ، الألمان بضرورة تنقية الجيش الألماني من الجنود غير القادرين على القتال بالاضافة الى عدم السير في طريق الحملة

الصليبية الأولى ، وأيضا عدم التوغل في الأناضول ، وانه من الأفضل للجيش الألماني السير بمحاذاة الساحل الغربي الى ايطاليا ، والذي يخضع لسلطان بيزنطة ، ونظراً لشك الألمان في نوايا البيزنطيين فانهم لم يأخذوا بتلك النصائح وأثروا الاتجاه في خط سير الحملة الصليبية الأولى (٢٨) ، ومما يؤيد وجهة نظر الألمان ما حدث من الادلاء البيزنطيين ، اذ خانوا الألمان وأوقعوهم في مأزق ، لأن الطرق التي دلوهم عليها ، جبليّة ، وعرة ، وليس بها زاد ولا ماء ، كما أن المرشدين قد فروا وتركوا الألمان عند جبل طاووس ، وأصبح كتراد الثالث وجيشه في وضع لا يحسدوا عليه (٢٩) فانهم لم يستطيعوا الرجوع ، كما ان خبرتهم قليلة في هذه الطرق وأصبح من الصعب عليهم الاستمرار في السير .

وبعد عناء وصل الألمان في ٢٥ أكتوبر عام ١١٤٧ م ، عند نهر « باتيس » قرب دور يليوم Dorylaeum (٣٠) ، وقربها وفي أكتوبر أيضا من نفس العام انقض السلاجقة على الجيش الألماني وحدثت له مذبحة ، ويذكر بعض المعاصرين أن السلاجقة قصدوا منافذهم وطرق معابرهم حتى لا يصلوا الى بلاد المسلمين ، مما أدى في النهاية الى قتل معظمهم وموت كثير منهم جوعاً ومرضاً (٣١) . ولعل من الأسباب التي أدت الى خسارة الجيش الألماني في هذه المعركة ، عدم التنظيم ووجود الكثير بينهم ليس عندهم القدرة على الحرب كالحجاج المسلمين .

والواقع أنها كانت هزيمة لجيش الألمان ، وبدأ كتراد الثالث يجمع شتات جيشه الذي فر معظمه الى ثقيفة ، ويقدر البعض ما فقده كتراد من الجيش بحوالي تسعة أعشاره وكذلك كثير من الامدادات ، وما وقع في أيدي السلاجقة باعوه في أسواق الشرق الاسلامي حتى فارس (٣٢) . هذا وقد التقى الملك لويس السابع

Louis VII بفلول الجيش الألماني في مدينة نيقية وخرج الجيشان منها ، الا ان كثراد ظهر عليه المرض عندما وصل مدينة « أنسوس » (٣٣) قرب مدينة أزمير الحالية « وأبحر منها عائدا الى القسطنطينية » ، وقد ظل بها حتى أول مارس ١١٤٨ (٣٤) . وخلال مدة اقامته عاملة الامبراطور البيزنطي معاملة طيبة ، كأمر عظيم ، وعندما قرر كثراد الثالث مغادرة القسطنطينية ، منحه الامبراطور البيزنطي هدايا كثيرة وفاخرة ، ومعه مجموعة من النبلاء ، وأرسل معه أسطولاً امبراطوريا الى عكا في منتصف أبريل سنة ١١٤٨ م . ويذكر بعض المعاصرين أن كونراد الثالث قد توجه من عكا الى بيت المقدس ، التي وصلها في النصف الثاني من شهر أبريل ١١٤٨ م ، وكان معه « بلدوين » و « فولشر » Fulcher البطريق ، ورجال الدين وقد استقبل الناس كثراد خارج المدينة وهم يغنون ويترنمون بالتسابيح (٣٥) واستقبلته الملكة هيسليند وابنها بكل مظاهر المودة والتشريف في بيت الملك .

ثم عاد الجميع الى عكا في عام ١١٤٨ م / ٥٤٤ هـ ، بعد أن أصبح عدد الجيش على حد تقدير البعض ثمانمائة ألف رجل . وقد وجد هناك ، الفونس كونت طولوز Toulouse ، الا انه استقبل القادة بفتور واضح (٣٦) .

وقد عقد في يونية سنة ١١٤٨ م / ٥٤٤ هـ ، مؤتمرا صليبيا في عكا حضره ، لويس السابع ملك فرنسا وكونراد الثالث ملك المانيا ، والملك القاصر بلدوين الثالث ، ومعه أمراء مملكة بيت المقدس (٣٧) ، وقد اختلفت الآراء بين المجتمعين الى أى البلاد الاسلامية يوجهون جهودهم ، وفي النهاية استقرت الحال بينهم على مهاجمة دمشق (٣٨) .

ونتيجة لهذا المؤتمر فانه قد اتجهت سياسة كونراد الثالث ، وكذلك لويس السابع الى جانب آخر ، اذ اتفقا انيا الى الشرق من أجل الاستيلاء على الرها ثانية من المسلمين . في الوقت الذي أضحت فيه قوة نور الدين محمود عظيمة في الرها ، بالإضافة الى حلب مركزه الأساسي ، ومن ثم فان الصليبيين الألمان والفرنسيين ، شعروا بقوة نور الدين محمود وخاصة بعد ان استولى على الرها . وانه من الصعب تخليصها منه ، لذلك اتجهت أنظارهم الى دمشق وظنوا انه يسهل الاستيلاء عليها ، نظرا لما لها من أهمية ، ذلك لأنها نقطة تمويل كبيرة غنية ، للمسلمين في مصر والشام ولأنها حلقة وصل بينهم (٣٩) . وبالتالي ان أمكن الاستيلاء عليها فقد ييسر لهم القضاء على المسلمين ببلاد الشام .

ومما يجدر ذكره أن دمشق في هذه الفترة كانت تابعة لمجير الدين ابق بن محمد بن بوري بن طغتكين ، ويحكمها معين الدين أنر مملوك جده طغتكين وعندما علم الأخير بتأهب الصليبيين بدأ يستعد هو الآخر ، فأخذ يحصن الجهات الضيقة ، ويضع الرجال في المعرات والمنافذ ، ويقطع قنوات المياه الى منازلهم وودم الآبار وعفى المناهل (٤٠) .

وتوجه الصليبيون لمحاصرة دمشق في السبت ٢٤ يوليو ١١٤٨ م / ٦ ربيع الأول ٥٤٤ هـ ، ومعهم كثراد الثالث في عدد كبير جدا ، ووجه الصليبيون بمنزل العساكر - الماء معدوما . ثم اتجهوا الى « المزة » لقربها من الماء ، وخيموا عليها وتوجه اليهم المسلمون بأعداد كثيرة ، ذكر المؤرخون أنها نحو مائة وثلاثين ألفا ، وذلك في يوم السبت ٦ ربيع الأول ٥٤٤ هـ / ٢٤ يوليو .

١١٤٨ م (٤١) • واقتتلوا قتالا شديدا ، بعد أن توجه الألمان الى الميدان الأخضر ، وجاءت النجدة الاسلامية الى معين الدين والتي استغاث بها أرتق ، من سيف الدين غازي صاحب الموصل وكذلك نور الدين محمود - أبناء عماد الدين زنكي ، في حوالي سبعين ألف ، ونزلوا على حمص ولعل ذلك أدى الى ضعف الفرنج (٤٢) ، وقد انتشر الفرنج في مرج الزنبقة (٤٣) واشتد القتال بين أحداث البلد المطوعة والغزاة • وانتشروا في البسراتين في مكان استراتيجي ، وقتل من الطرفين الكثير ، اذ قتل من الصليبيين قسيس يدعى « الياسا » ويذكر انه هو الذي أغراهم بالهجوم على دمشق ، وقتل من أهل دمشق الكثير (٤٤) ، وقد أظهر « معين الدين أنر » في حربهم قدرة على الوقوف ضدهم •

وقد كان للامدادات التي جاءت الى معين الدين أنر ، أكبر الأثر في توجيه هجوم مضاد على الصليبيين • اذ أنه وصلت الامدادات من كافة النواحي ، فقد جاء الى دمشق الشريف الأمير شمس الدين ناصح الاسلام أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبيد الله الحسيني النقيب (٤٥) من ناحية سيف الدين غازي لأنه كان قد ندب رسولا من الخلافة الى سائر الولاة وطوائف التركمان لحثهم على نصره المسلمين ، ذلك لأنهم خشوا أن يكثُر عدد الصليبيين وعتادهم (٤٦) • ويمكن القول أن سياسة أنر في هذا الموقف ذات جانبين :

الجانب الأول : أن يستثير عطف العالم الاسلامي بجانبه ضد الصليبيين ، وهو بذلك يصبح تحت يده قوة اسلامية عسكرية يمكن لها أن تقف في وجه الصليبيين وبذا يأمن جانبهم •

والجانب الثاني : أنه اتبع الاسلوب الدبلوماسي ، اذ انه أرسل الى الصليبيين بالشام يعرض عليهم قلعة بانياس مقابل

تخليهم عن مشاركة الألمان في حصار دمشق (٤٧) • وقد وافق فرنج الشام فعلا على هذا العرض ، واستطاع بارونات فلسطين ان يؤثرنا على كتراد الثالث ولويس السابع ، وأفهموهما انه من الصعوبة بمكان الاستيلاء على دمشق ، لما اكتشف من خيانة الصليبيين واتصالاتهم بأنر وفعلا خاف الألمان ورحلوا عن دمشق (٤٨) وسلم « أنر » قلعة بانياس الى الفرنج طبقا للشرط الذي شرطه على نفسه •

ولكن الذي يدعو الى التساؤل هو ، ما قام به « أنر » من اتصالاته بالصليبيين برغم وجود الجيوش الاسلامية ، أغلب الظن ، انه خشي من قوة نور الدين وسيف الدين بعد انصراف الفرنج (القوات الألمانية والفرنسية) فكان من السهولة ان يطالباه بنصيبهما في دمشق لأنهما أنقذاه من احتلال محقق ، ولذا فضل أنر تسليم بانياس للصليبيين عن مقاسمة المسلمين معه لدمشق •

وقد قرر الملكان : كونراد الثالث ولويس السابع فك الحصار عن دمشق وفعلا بدأ الجميع يرحل في فجر الأربعاء ٢٨ يوليو ١١٤٨ م / ١٠ ربيع الأول ٥٤٤ هـ وتعقبهم رجال أنر في الطريق (٤٩) ، وقد كتب كونراد الثالث يصف الهجوم على المدينة بما يدل على مدى التغافل والتفرقة والخيانة بين الأمراء الصليبيين وأنفسهم ، هذا وقد حاول البعض بالاشارة على الصليبيين بحصار عسقلان ، الا انهم لم يتجحوا لضعفهم (٥٠) •

وقرر كونراد الثالث العودة ، فخرج في ٨ سبتمبر ١١٤٨ م ، من عكا حيث نزل في ضيافة الامبراطور البيزنطي مانويل ، الذي زوج ابنة اخيه لـ « هنري » أخ كونراد الثالث (٥١) • وأخيرا

غادر كونراد الشرق على سفينة يونانية إلى سالونيك ثم إلى ألمانيا (٥٢) .

ويشور تساؤل : على من تقع مسؤولية فشل الحملة الألمانية وبجانبها الفرنسية ، لقد كلفت الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، نفسها الكثير من الأموال والعتياد والجنود وترك كونراد الثالث إمبراطوريته لكي يقوم بحملة جرارة استغرقت ما يزيد عن عام كامل ، لتأتي إلى الشرق ، وتحاصر دمشق أربعة أيام ثم ترفع الحصار وتعود أدراجها ، لعدم سلوك الحملة الطريق السليم وخاصة بعد مؤتمر عكا .

لقد تركت الحملة الألمانية أسرى بالشرق منهم ، « براتراندي التولوزي » الذي فك أسره الإمبراطور مانويل البيزنطي من يد نور الدين محمود ، كما أنها تركت الأحقاد في قلب فردريك الشاب قائد النبلاء (٥٣) وخاصة من البيزنطيين بسبب الخسائر التي أصابت الألمان أثناء اجتيازهم الأناضول .

وفي النهاية يذكر بعض المؤرخين أن لويس السابع ملك فرنسا كونراد الثالث ملك ألمانيا ، من الصعب توجيه الاتهام إليهما بعدم الاخلاص لقد ارتكب كل من هذين الزعيمين أخطاء نكراء ، ولكنهما كانا من الاخلاص للقضية التي أقبلتا من أجلها إلى حد البراء من تقضيه (٥٤) .

وبعد فقد اتضح لأمرء الإمارات الإسلامية بالشرق بعد مغادرة الألمان بلاد الشام سنة ١١٤٨ م / ٥٤٤ هـ أنه لابد من الوحدة لصمد الأخطار الصليبية عن بلادهم وقد تزعم هذه الفكرة عماد الدين زنكي ، كما سبق القول . إذ أنه كما رأينا ، كان لوجود القوات الإسلامية حول دمشق فتت من عضد الصليبيين وأتى بهزيمتهم .

دور نور الدين محمود زنكي في الوحدة الإسلامية :

في سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م ، فتح نور الدين محمود مدينة ارتاج (٥٥) ، وحاصر « مابلولة » و « بصرموت » و « كفرلانا » (٥٦) ، وفي العام التالي استولى على « حصن العزيمة » وفي سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م ، قتل البرنس صاحب انطاكية (٥٧) ، وبالإضافة إلى هذا فقد كان يحاول الاستيلاء على الإمارات الإسلامية التي يمكن أن تساعد في مهاجمة الصليبيين فحاول الاستيلاء على « سنجار » (٥٨) . بعد موت أخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل ، لكن أخاه قطب الدين مودود بن زنكي رده عنها (٥٩) .

كذلك استولى نور الدين محمود في سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م على حصن « افاميه » (٦٠) . وفي العام التالي تمكن من أسر « جوسلين » Joselin ، صاحب الرها الأسبق كما استولى على قلعة وهي « تل باشر » (٦١) و « عين تاب » (٦٢) و « تل خالد » (٦٣) و « قورس » (٦٤) و « الراوندان » و « برج الرصاص » (٦٥) و « حصن البار » و « كفر لانا » (٦٦) و « دلوك » و « مرعش » (٦٧) و « نهر الجوز » ولم تنجح محاولات الصليبيين في الوقوف في وجه نور الدين (٦٨) ، لأنه كان يحصن المدن والقلع التي كان يفتحها بالرجال والذخائر لمدة تكفيها عشر سنوات (٦٩) .

وبالرغم من نشاط نور الدين محمود المنقطع النظير في بلاد الشام ، فإن الصليبيين تمكنوا من الاستيلاء على عسقلان سنة ١١٥٣ م / ٥٤٨ هـ (٧٠) . بهدف تخفيف نشاط نور الدين العسكري ببلاد الشام من ناحية ومنع تقدم المصريين إلى بيت المقدس من ناحية أخرى . وبذلك تحقق لهم نوع من النصر إذ أنهم بذلك فصلوا بين مصر والشام .

وكان على نور الدين محمود أن يرد على الصليبيين بعمل عسكري ، حتى يضمن الوحدة السياسية لبلاد الشام ، فاتجه الى الاستيلاء على دمشق من حاكمها المسلم « مجير الدين اثر » خشية أن يستولى الصليبيون عليها بعد أن استولوا على عسقلان ، وقد اتبع نور الدين محمود في ذلك الأسلوب السلمي لعدم اراقة الدماء فراسل حاكمها بالهدايا ، وشككه فيمن حوله ، وراسل نور الدين الأحداث بدمشق فسلموه اياها في صفر ٥٤٩ هـ / ٨ ابريل ١١٥٤ م (٧١) .

وتذكر بعض المصادر أن أسد الدين شيركوه لعب دورا كبيرا في فتح دمشق ، ومن ثم ولاء نور الدين محمود امرها (٧٢) ، وقد توسط أسد الدين لدى نور الدين ، في أمر أخيه نجم الدين أيوب ، فاقطعه نور الدين أقطاعا ورد النظر في دمشق اليه سنة ٥٥٠ هـ ، وولى ابن نجم الدين شحنة دمشق (٧٣) التي تولاهما بعده أخوه الآخر صلاح الدين أيوب (٧٤) .

ويذكر بعض المؤرخين ، أن استيلاء المسلمين على دمشق فاق استيلاء الصليبيين على عسقلان ، إذ أصبحت أملاك نور الدين تمتد من الرها الى شرقي الأردن ازاء الطرف الشرقي لامارات الفرنج ، ولم يبق في سوريا الاسلامية ، سوى بضعة امارات صغيرة حافظت على استقلالها مثل شيزر (٧٥) .

وفي سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م توجه نور الدين محمود الى حارم التي تقع شرقي أنطاكية ، وصالح الصليبيين على أن يعطوه ضعف أعمالها (٧٦) . وفي سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م استولى على حصن شيزر وبعلبك (٧٧) .

ولم تكن سياسة نور الدين محمود تتجه الى بلاد الشام فحسب ولكنه وضع في خطته ضرورة الاتفاق مع السلاجقة ، ومن

هذا المنطلق ، صالح ابن السلطان مسعود صاحب قونية في سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ / ١١٥٧ م وكذلك عقد هدنة مع الصليبيين لمدة سنة ابتداء من شوال ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م (٧٨) ، وعقد معاهدة مع الامبراطور البيزنطي مانويل في سنة ١١٥٩ م / ٥٥٤ هـ (٧٩) .

وهكذا أصبح تحت سلطة نور الدين معظم الامارات في الشام ، فهو يصالح الصليبيين عاما ، ويقاثلهم آخر ، ويلطف الامارات الاسلامية المجاورة كالسلاجقة ويعقد اتفاقيات صلح مع البيزنطيين حتى يكفيه شرهم ، ويذكر البعض بأن الصليبيين أنفسهم كانوا يمدحون سياسة نور الدين هذه ويعجبون بشجاعته ، اذ كان يومية يزيد من ملكه (٨٠) .

لم يكن من السهل على نور الدين أن يترك مصر بمنأى عن نشاطه العسكري ، ذلك لأنها مطمح الصليبيين بالاضافة الى مكانتها التي يمكن أن يستفيد بها في الوحدة الشاملة .

فمصر كانت تمر في هذه الآونة بظروف سياسية سيئة ، اذ لم يتول وزير كفاء الوزارة بها ، منذ مصرع الأفضل ، فقد قتل الخليفة الأمر في سنة ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م ، ومات الحافظ سنة ١١٤٩ م / ٥٤٤ هـ - وتولى الظاهر ، وتولى ابن السلار (٨١) - الوزارة ، حتى لقي مصرعه هو الآخر بعد ثلاث سنوات (٨٢) ، وبرغم هذه الظروف السيئة فان مصر ساهمت في صد الأخطار الصليبية عن أطرافها ، مثلما حدث سنة ٥٤٦ هـ / ١١٥١ م عندما توجهت المراكب الحربية المصرية الى يافا ، ردا على اعتداء الفرنج على القرم سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م ، وكذلك هاجم المصريون عكا بحرا وتوجهوا الى صيدا وبيروت وطرابلس ، وقتلوا بعض الصليبيين (٨٣) بالاضافة الى ذلك فان مصر كانت ترسل تجريدة

عسكرية الى عسقلان كل ستة شهور ، لمقاومة الصليبيين ، كما حدث سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م (٨٤) . ونتيجة لسوء الوضع السياسى فى مصر سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م ، فان مصر لم تتمكن من ارسال المساعدة الى عسقلان ، اذ تركها عباس الذى تولى الوزارة بعد قتل العادل بن السلار ، الذى كان يحكم فى دولة الظافر بأمر الله (٨٥) مما ترتب عليه أن سقطت فى ايدي الصليبيين - كما سبق القول .

وقد ازداد الوضع السياسى فى مصر سوءا ، فقتل الوزير عباس الخليفة الظافر سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م (٨٦) . فهاجم حاكم الصعيد « طلائع بن رزيك » (٨٧) الوزير عباس ، ففر الأخير الى الشام وأصبح طلائع وزيرا ، وولى الفائز بن الظافر الخلافة واستبد طلائع بالوزارة (٥٤٩ - ٥٥٧ هـ / ١١٥٤ - ١١٦١ م) . فلما مات الفائز ، عين طلائع ، العاضد فى الخلافة (٨٨) .

وبالرغم من هذه الاوضاع فان مصر لم تكف عن مهاجمة الصليبيين ، ففي سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م أرسلت سرية الى غزة ، وقامت المراكب الحربية المصرية بمهاجمة الصليبيين فى بيروت ، وكذلك الشوبك (٨٩) ، والطفيل وعادوا بفنائم ، كما أسروا بعض الصليبيين بعد هجومهم على عكا .

وفى سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م ، أرسل طلائع بن رزيك حملة عسكرية برية للاغارة على الصليبيين « بتل العجول » وعلى العريش ، فضلا عما ذكرته بعض المصادر ، عن تحركات الأسطول الحربى المصرى فى موانئ مصر متجها الى موانئ الصليبيين على بلاد الشام (٩٠) .

كما عمل طلائع بن رزيك على التعاون المشترك بين مصر والشام فكان يحث نور الدين على مهاجمة الصليبيين ببلاد الشام ، ويطلب منه أن يرسل اليه الأخبار العسكرية أولا بأول (٩١) ، وكان نور الدين يرد عليه ويرسل له السلاح والأموال ، لينفقها طلائع بن رزيك من أجل الاستعداد ضد الصليبيين (٩٢) .

ويمكن القول بأن أسلوب طلائع بن رزيك فى الهجوم الخاطف على الصليبيين هو أنسب وضع بالنسبة لحالة مصر ، لأنها لا يمكنها اللجوء فى صدام مباشر مع الصليبيين .

وأيا كان الأمراء فقد زاد نفوذ طلائع بن رزيك ومن ثم دبرت عمه الخليفة العاضد لقتله فى سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م ، وتولى ابنه العادل الوزارة سنة ٥٥٨ هـ ، الذى كتب الى شاور السعدى (٩٣) ، والى قوص بالعزل ، فترتب على ذلك أن هاجم شاور ، العادل بن طلائع ، حتى قبض عليه فى أطميح (٩٤) وقتله سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م ، فانقرضت دولة بنى رزيك (٩٥) . وما ان استقر شاور فى الوزارة ، حتى خرج عليه الضرغام اللخمى (٩٦) ، قائد فرقة البرقية (٩٧) وهزم شاور ، الذى فر الى نور الدين بدمشق فى ٦ من ربيع الأول سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م ، يستغيث به ضد ضرغام (٩٨) وبذا خلا الجو لضرغام من المتاعب ولكن الى حين .

وعرض شاور قضيته على نور الدين (٩٩) الذى استجاب لطلب شاور ، ليس لاعادة تخت الوزارة الى شاور فحسب ، ولكن لاعادة الأمن الى مصر خشية أن يطمع فيها الصليبيون بسبب الفوضى ، التى نجمت عن الصراع على الوزارة . وعلى أية حال كلف

نور الدين أسد الدين شيركوه بالتوجه الى مصر في سنة ٥٥٩ هـ /
 ١١٦٤ م وخرج نور الدين بنفسه يحمي أسيد الدين من
 الصليبيين (١٠٠) . ووصل أسد الدين شيركوه في ابريل عام
 ١١٦٤ م / ٥٥٩ هـ ، ومعه جيشه وبصحبه شاور الى القاهرة ،
 فاستنجد الضرغام بالصليبيين ضد شاور ، الا أن الأول قتل (١٠١) ،
 وعاد شاور وزيرا مرة أخرى (١٠٢) في شهر مايو عام ١١٦٤ م /
 ٥٥٩ هـ ، لكنه حثت بوعوده ، التي وعد بها نور الدين من قبل
 بالشام ، مقابل مساعدته ضد غريمه ضرغام (١٠٣) . كما طلب من
 أسد الدين شيركوه أن يرجع الى الشام ، وراسل الصليبيين (١٠٤) .
 يطلب منهم مساعدته ضد أسد الدين ، ولم يكن لدى الصليبيين
 أدنى تردد للتقدم الى مصر ، لا من أجل مساعدة شاور لذاته ولكن
 من أجل محاربة جيش نور الدين في مصر والاستيلاء على الأخيرة
 ان أمكن .

ومما يجدر ذكره ان بلدوين الثالث (١١٤٤ - ١١٦٢ م)
 ملك الصليبيين هدد بغزو مصر سنة ١١٦٠ م / ٥٥٥ هـ (١٠٥)
 كما قام عموري الأول (١١٦٢ - ١١٧٤ م) ملك بيت المقدس بغزو
 مصر سنة ١١٦٣ م / ٥٥٨ هـ ، فوصل بلبيس وحاصرها الا ان
 ضرغام أرغمه على الانسحاب في الوقت الذي لجأ فيه شاور لنور
 الدين بالشام (١٠٦) .

وعندما علم أسد الدين شيركوه ، بمراسلة شاور للصليبيين ،
 خرج الى بلبيس (١٠٧) فحاصره الصليبيون هناك ثلاثة شهور
 ١١٦٤ م / ٥٥٩ هـ ، كتب خلالها أسد الدين رسالة الى « عموري »
 ملك بيت المقدس ، يهدده تارة ويطلب منه رفع الحصار نظير مبلغ
 من المال ، تارة أخرى (١٠٨) ، الا أن ضغط نور الدين على الصليبيين
 ببلاد الشام في سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م (١٠٩) ، دفعهم الى رفع
 الحصار عن أسد الدين ، بشرط خروج الجيش الصليبي والاسلامي

من مصر في طريقين متوازيين ، عبر شبه جزيرة سيناء تاركين شاور
 مسيطرا على مقاليد الأمور في مصر (١١٠) .

ولما رجع أسد الدين الى بلاد الشام وجد نور الدين قد فتح
 باتياس والمنيطرة (١١١) ، فساعده في بعض الأعمال العسكرية
 ضد الداوية (١١٢) ، الا أن أسد الدين كان حائقا على شاور ، وصمم
 على الرجوع ثانية ليؤديه (١١٣) ، كما رأى انه من الأهمية بمكان
 وجود قوات من جيش نور الدين بمصر ، حتى لا يطمع فيها
 الصليبيون ، ومن ثم فقد أنهى الترتيبات اللازمة مع نور الدين بشأن
 عودته الى مصر ، وخرج فعلا في شهر ربيع الأول ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م ،
 وبصحبه ابن أخيه (صلاح الدين) (١١٤) حتى وصل أطفح وعبر
 منها الى الجانب الغربي المنيل ، وتقابل مع شاور والصليبيين عند
 « الباب » بالمنيا ، فانتصر عليهم ، ثم توجه الى الاسكندرية ، فترك
 بها صلاح الدين ، وتوجه الى الصعيد ، مما دفع شاور وحلفائه
 لمحاصرة صلاح الدين بالاسكندرية طيلة أربعة أشهر (١١٥)
 فاستعمل أسد الدين شيركون أسلوب المفاوضات فأرسل الى
 الصليبيين أسيرا منهم ، يعرض عليهم رفع الحصار مقابل ان يجلو
 الفريقان من مصر ، فوافق عموري على ذلك (١١٦) . لما سمع عن
 أعمال نور الدين بالشام (١١٧) .

رجع أسد الدين الى الشام ، وقبل أن يخرج الصليبيون من
 مصر عقدوا مع شاور معاهدة ، قرر لهم فيها شاور مبلغا من المال
 سنويا وأن يكون لهم شحنة بالقاهرة (١١٨) ، لكن الصليبيين
 نقضوا المعاهدة ، وتوجهوا من عسقلان الى مصر في أكتوبر عام
 ١١٦٨ م / ٥٦٤ هـ ، ورفضوا الخروج الا بعد أن يدفع شاور لهم
 مبلغا من المال (١١٩) مما ترتب عليه ان حرق شاور القاهرة ،
 وعلم عموري ، بأن أسد الدين شيركوه في طريقه الى مصر نتيجة
 لاستغاثة الخليفة الفاطمي العاضد بهم (١٢٠) . وكذلك
 شاور (١٢١) .

توجه أسد الدين هذه المرة الى مصر ، ومعه أيضا صلاح الدين ، وهو مزود ، من قبل نور الدين بالجنود والسلاح والأموال والنصائح (١٢٢) . لأنه سيستقر بمصر تلبية لطلب الخليفة الفاطمي من ناحية ، وربما رأى نور الدين ، أنه من الأهمية بمكان إقامة تجريدة من جيشه بمصر ، إقامة دائمة من ناحية أخرى .

وصل أسد الدين بجيشه القاهرة ، في ربيع الآخر ٥٦٤ هـ / (١٢٢) ١٧ ديسمبر ١١٦٨ م فانضم شاور اليه ، ومن ثم لم يبق للصليبيين مقام ، بعد أن اتحد الجيش المصري والشامي ، فقررُوا العودة الى فلسطين في يناير ١١٦٩ م / ٥٦٤ هـ (١٢٤) وبذا أصبح المصريون والسوريون يدا واحدة (١٢٥) .

وبعد ذلك فرر أسد الدين التخلص من شاور لأنه سبب فساد العباد والبلاد (١٢٦) وقد قام بمهمة التخلص منه ابن أخيه صلاح الدين وعز الدين جرديك (١٢٧) ، وكان ذلك في ١٧ ربيع الآخر ٥٦٤ هـ (١٢٨) ويرى البعض أن قتله كان بأمر الخليفة العاضد . (١٢٩) على أية حال تولى أسد الدين شيركوه الوزارة ، ولقب بالملك المنصور أمير الجيوش (١٣٠) ثم توفي في ٢٢ جمادى الآخرة ٥٦٤ هـ / ٢٣ مارس ١١٦٩ (١٣١) ، فعين الخليفة العاضد مكانه أقرب الأمراء النورية اليه ، وهو صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر ، وهو عندئذ ابن واحد وثلاثين عام (١٣٢) ، وكان نور الدين يكتبه بالأمير الاسفهلار ، إذ أنه يستعظم أن يذكر اسم صلاح الدين على الخطاب (١٣٣) .

وهكذا بدأ الوضع السياسي في مصر يستقر الى حد ما ، فأرسل صلاح الدين الى نور الدين يطلب منه أن يرسل اليه والده ستة ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، فاستجاب نور الدين له (١٣٤) .

وبدأ صلاح الدين يقوم بأعمال عسكرية ضد الصليبيين لا تقل أهمية عن أعمال نور الدين بالشام ، فحاول الملك عموري كسب ود صلاح الدين ضد نور الدين ، الا أنه فشل (١٣٥) وهاجم صلاح الدين « أيله » برا وبحرا وفتحها في سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧١ م . كما هاجم الصليبيين في عسقلان والرملة (١٣٦) . وكذلك صد الحملة البيزنطية الصليبية ، البحرية والبرية على مصر ودمياط (١٣٧) . فضلا عن أنه قضى على كثير من المؤامرات في الداخل (١٣٨) .

وبالرغم من هذه الأعمال التي كان يقوم بها صلاح الدين في مصر ، فإن الخليفة الفاطمي طلب من نور الدين أن يخفف من الجيش الشامي بمصر ، الا أن نور الدين رد عليه بأن وجوده ربما يكون خطوة على طريق فتح القدس (١٣٩) .

هذا وقد كانت الجهود الحربية تقوم في الشام ومصر على قدم وساق بالإضافة الى جهود صلاح الدين في مصر كان نور الدين يتابع فتوحاته في الشام (١٤٠) .

وقد رأى نور الدين ، أن وحدة الشرق الاسلامي سياسيا ، لابد أن يسبقه وحدة مذهبية ، ومن ثم أرسل الى صلاح الدين بمصر ، ليقطع الخطبة للخليفة الفاطمي الشيعي ، وقيمها للخليفة العباسي السني ، لكن صلاح الدين ، طلب من نور الدين تأجيل هذه الخطوة (١٤١) ، وبدأ يمهدها بحذف عبارات الشيعة من الأذان ، سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧١ م (١٤٢) . ثم اتبع ذلك بالخطبة لبني العباس في الجمعة الأولى من المحرم لسنة ٥٦٧ هـ سبتمبر ١١٧١ م ، وتوفي الخليفة العاضد يوم عاشوراء ٥٦٧ هـ / ١١٧١ ، وبذا انتهت الدولة الفاطمية (١٤٣) .

وأرسل نور الدين إلى الخليفة العباسي بذلك (١٤٤). ويره الأخير بإرساله الخلع والتقاليد لنور الدين وصلاح الدين (١٤٥). وكان لهذا العمل رد فعل على الصليبيين إذ أرسلوا إلى ألمانيا وانجلترا وفرنسا وصقلية يستغيثون بهم (١٤٦).

وبانتهاء الخلافة الفاطمية في مصر أصبح صلاح الدين هو السيد فيها . إلا أن نور الدين شك في ولاء صلاح الدين ، فخشي أن يستقل بمصر ، لما ظهر من مواقف لصلاح الدين ، اعتبرها نور الدين مناوئة له (١٤٧) ، وعزم على دخول مصر ، وأخذها من صلاح الدين ، إلا أن الأخير كتب إليه يطمئنه (١٤٨) وترتب على ذلك أن أرسل نور الدين « ابن القيسرائي » (١٤٩) إلى صلاح الدين ، ليطلبه بحساب ما حصل عليه صلاح الدين من مصر عقبه موت الخليفة الفاطمي ، وبالرغم من أن هذا أغضب صلاح الدين إلا أنه نفذها (١٥٠) ، واتجه إلى تطهير الجبهة الداخلية من المناوئين له (١٥١) .

لكن الذي لا شك فيه ، أن الشكوك التي سببها الجانيين (١٥٢) (نور الدين وصلاح الدين) كانت يمكن أن تكون عقبة كؤودا في سبيل الوحدة ، ولكن وفاة نور الدين في ١١ شوال ٥٦٩ هـ / ١٥ مايو ١١٧٤ م (١٥٣) جعلت صلاح الدين سيدا بلا منازع في مصر والشام .

صلاح الدين والوحدة الإسلامية :

رأى صلاح الدين أن الجهاد يتطلب توحيد التركمان والأكراد والعرب ، وإن وحدة القاهرة ، ودمشق وبغداد هامة في إعادة القدس (١٥٤) .

وبدأ بنفسه في ذلك ، إذ أظهر طاعته للصلاح اسماعيل ابن نور الدين ، كما يتضح ذلك من كتاباته إلى الأمراء بالشام (١٥٥) لكن بعض الأمراء في دمشق كانوا يفضلوا مصالح الصليبيين ، على حضور صلاح الدين إليهم (١٥٦) ، وفي كل الأحوال فإن صلاح الدين عزم على دخول بلاد الشام ، لكن الذي منعه عن ذلك تلك المؤامرة التي اشترك فيها الصليبيون ، والحشيشية والاسماعيلية ، ووليم النورماني ، وعناصر داخلية أخرى (١٥٧) .

لكن الظروف في بلاد الشام دفعت أمراء دمشق إلى الاستغاثة بصلاح الدين ليؤلوله عليهم ، فاستجاب لهم وجرّد قوة قوامها سبعمائة فارس ، توجه بها إلى دمشق في آخر ربيع الأول ٥٧٠ هـ / ٢٦ نوفمبر ١١٧٤ م ، - تاركا في مصر أخاه العادل سيف الدين - حيث لاقاه أهلها بترحاب ، ونزل في دار والده المعروفة بهاز العقيقي (١٥٨) وخطب للصلاح اسماعيل ، وحُزب له السكة وأظهر طاعته (١٥٩) . ثم ترك في دمشق أخاه طفتكين بن أيوب ، وتوجه إلى حماه (١٦٠) فملكها وحاصر حلب واستولى على حمص وبعلبك في عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م (١٦١) .

لكن سيف الدين غازي صاحب الموصل ، وقف ضد صلاح الدين في بلاد الشام وجهز جيشا لمهاجمته ، وقد عرض صلاح الدين عليه الصلح حقنا للدماء ، إلا أن سيف الدين رفض ، وصمم على عودة صلاح الدين إلى مصر (١٦٢) لكن صلاح الدين انتصر عليه عند قرون حماء سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م (١٦٣) ، واتبع ذلك بقطع الخطبة للصلاح اسماعيل ورجع إلى دمشق في نهاية ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م (١٦٤) ، واعترف به الخليفة العباسي سلطانا على مصر والشام (١٦٥) وأرسل إليه الخلع (١٦٦) .

انتصر صلاح الدين مرة أخرى على سيف الدين غازي عند قل السلطان ، في شوال ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م (١٦٧) . كما هاجم الصليبيين والباطنية ، في يولية ١١٧٦ م / ٥٧٢ هـ (١٦٨) ثم تحرك الى القاهرة ليدافع عنها في نفس العام عندما علم بأن هناك حملة تتجه الى مصر (١٦٩) ، ثم تحرك من مصر سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م ، الى الشام ، وترك بعض جنوده لمحاصرة عسقلان ، وقصد هو القدس ، الا أن الجيش الصليبي انقض على جنوب شرق الرملة فهزم صلاح الدين بجيشه في جمادى الآخرة ٥٧٣ هـ / نوفمبر ١١٧٧ م (١٧٠) . ثم رجع الى مصر ليعيد تنظيم جيشه لمنازلة الصليبيين ، ويعود ثانية الى بلاد الشام في شعبان ٥٧٣ هـ / ١١٧٨ م (١٧١) ، وأغار في سنة ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م على حصن بيت الأحزان (١٧٢) وهزم الصليبيين في مرج العيون ، وطلب منهم هدم حصن بيت الأحزان ، الا أنهم رفضوا الا اذا دفع تكاليفه ، فاستشار ابن أخيه المظفر هجر بحماه في ذلك فأشار عليه بمحاربتهم (١٧٣) ، وفي ١٩ ربيع الأول ٥٧٥ هـ / يونية ١١٧٩ ، هاجم صلاح الدين الحصن وخربه (١٧٤) .

أما فيما يخص موقف صلاح الدين من السلاجقة والأرمن ، فإنه أقر الوضع السياسي مع السلطان قلق أرسلان بعد محاربته ، سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م (١٧٥) وهاجم حصن « ابن ليون » الأرمني ، ترتب على ذلك ان عقد « ابن ليون » صلحا مع الشرقيين بأسرهم في جمادى الأول سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م ، ودخل في الصلح المواصله والسلاجقة وأهل ديار بكر (١٧٦) ، ثم توجه صلاح الدين الى مصر (١٧٧) فأخذ نصف جيشها (١٧٨) ورجع الى بلاد الشام ، ٥٧٧ هـ فاستولى على بلاد الجزيرة (١٧٩) ، وعقد مجلسا من أمراء الأرائقه ورس السلطان قلق أرسلان وسيف الدين اتابك الموصل و « روبين » صاحب أرمينية ، وعقد صلحا مع الصليبيين

ابتداء مع سنة ١١٨٠ م / ٥٧٦ هـ ، وهدنة منفردة مع « ريموند » كونت طرابلس (١٨٠) .

ثم رجع صلاح الدين الى مصر سنة ٥٧٧ هـ (١٨١) ، وسمع عن اعتداءات رينالد « أرناط » صاحب الكرك على القوافل الاسلامية (١٨٢) ، فقرر الخروج من مصر ، وخاصة عندما علم بوفاة الصالح اسماعيل في ديسمبر ١١٨١ م / رجب ٥٧٧ هـ (١٨٣) ففضل أن يكون في دمشق بين الأمراء (١٨٤) ، فوصلها في صفر ٥٧٨ هـ / يونية ١١٨٢ م (١٨٥) .

وهكذا استمر صلاح الدين في تحقيق سياسة نور الدين محمود (١٨٦) ومن قبله عماد الدين زنكي الرامية الى الوحدة ، وقد ساعدته ، الظروف على ذلك - كما رأينا - اذ لم يكن يجلس على تخت الوزارة في مصر حتى مات الخليفة الفاطمي العاضد ، ولم يكذ يفكر نور الدين في نقله من مصر ، حتى توفي وما كادت غارات الصليبيين تشتد ويقوى عودهم . حتى مات ملكهم عموري الأول ، وبذا أصبح صلاح الدين سلطان مصر والشام (١٨٧) .

ومما يجدر ذكره أن السلطان صلاح الدين في الفترة السابقة هذه لم يشأ أن يدخل في حرب شاملة مع الصليبيين ، ذلك لأن بنيان الوحدة لم يكتمل بعد ، فضلا عن أن هناك امارات اسلامية ، لم تكن قد خضعت بعد لسلطانه ، في ذات الوقت الذي كانت فيه الامبراطورية الرومانية المقدسة في دور من أدوار صراعها مع البابوية ولم تستقر العلاقة بينهما بعد . ومن ثم فقد سعى الشرق الاسلامي والبابوية والامبراطورية الى الوصول الى حل بالوسائل السلمية للصليبيين بالشرق وعليه فقد تبادل الطرفان الرسائل في هذا الشأن .

صلى وحدت الشرق الاسلامى على الامبراطورية الرومانية المقدسة والبابوية

لا شك أن الأعمال التى قام بها صلاح الدين الأيوبي فى مصر والشام قد أزعجت الصليبيين بالشرق ، كما أقلقّت بال البابوية فى روما وأيضاً الامبراطورية الرومانية المقدسة ، مما دفعهم الى الاستعانة بالطرق الدبلوماسية فى محاولات منهم لحل المشاكل التى تخص المملكة الصليبية ببيت المقدس .

ومما يجدر الاشارة اليه أن المصادر العربية المعاصرة وغير المعاصرة التى أمكن الاطلاع عليها ، لم تذكر شيئاً من هذه المحاولات الدبلوماسية ، فى حين نجد المصادر اللاتينية ، تبرز هذه الاتصالات الدبلوماسية ، ومحاولات الامبراطورية الرومانية المقدسة والبابوية فى هذا الشأن .

وعلى أية حال عندما رجع الامبراطور كنراد الثالث من الحملة الصليبية الثانية الى ألمانيا فوجدها فى حالات من الفوضى ، فأيد حقوق ابن أخيه فردريك دوق سوابيا فى العرش الامبراطورى (١١٨٨) وفى ١٥ فبراير ١١٥٢ م مات كنراد الثالث (١١٨٩) .

الامبراطور فردريك الأول وعلاقته بالبابوية :

نفاضى الأمراء فى ألمانيا عمداً عن ابن الامبراطور كنراد الثالث وتحولوا الى اختيار ابن أخيه فردريك دوق سوابيا ، إذ أن الأمراء كانوا يدركون تماماً أن البديل لذلك هو الوقوع تحت سطوة زعيم البيت الولفى ، الشخصية القومية الصارمة ، هنرى الاسد ، يضاف الى ذلك ان الأمراء رأوا فى فردريك شخصية قد توقف نزيف الحرب الأهلية ، والصراعات الداخلية ، فقد كان فردريك ودوداً مع الولفين . كما ان أمه « جوديث » Judith

كانت أخت « هنرى المتكبر » (١١٩٠) ، ومن ثم فقد اختير فردريك امبراطوراً فى ٤ مارس ١١٥٢م ، اذ هو رأس بيت «هوهنشتاوفن» Hahenshtufen وابن عم البيت « الولفى » Wlf وهنرى الاسد دوق سكسونيا وبافاريا (١١٩١) ومن هنا توج فردريك الأول امبراطوراً (١١٩٢) وفى اليوم التالى لتتويجه سافر بالسفينة من « ماين » و « الرين » بعيداً عن « سينزينج » Sinzing ثم الى آكس لاشابل ، وفى ٩ مارس ١١٥٢ م ، توج بواسطة ارنولد Arnold رئيس أساقفة فى « كولون » Cologne ، وكان فردريك فى العقد الرابع من عمره (١١٩٣) . وأصبح بذلك فردريك الأول Frederick I امبراطوراً على الامبراطورية الرومانية المقدسة (١١٩٤) ، وبعد أن وضع يده على زمام الأمور فى الامبراطورية ، عقد معاهدة مع البابا « ايوجينيوس الثالث Eugenus III سنة ١١٥٣ م ، التى تعهد فيها بمساعدة البابوية ضد أعدائها (١١٩٥) .

هذا وقد تلقى فردريك الأول التاج من البابا « هادريان الرابع Adrian IV » (١١٥٤ - ١١٥٩ م) فى ١٨ يونيه ١١٥٦ م وأعلن نفسه امبراطوراً ايطاليا بقوله « أنا خليفة شارلمان والفاتح ، أنا ملك روما شرعاً » (١١٩٦) ثم طلبت منه البابوية فى هذه السنة مساعدتها ضد المدن اللمباردية ، الا أن الظروف فى ألمانيا كانت تستدعى وجوده بها ، لذلك رجع اليها وتخلّى عن مساعدة البابوية ومن هنا بدأ الشقاق بين الامبراطورية والبابوية ، وبالتحديد فى نهاية سنة ١١٥٦ (١١٩٧) مما دفع البابوية لعقد اتفاق مع بيزنطة ، وبذا اشتد التوتر بين البابا هادريان الرابع والامبراطور فردريك الأول (١١٩٨) وبالرغم من هذا فقد حثت البابوية الامبراطور فردريك الأول فى رسالتها اليه بتاريخ الثانى من سبتمبر عام ١١٥٧ م بضرورة توجيه الجهود ضد المصريين ، وتحرير الكنيسة الشرقية البيزنطية (١١٩٩) .

وفى سنة ١١٥٨ م ، تدخل الامبراطور فردريك الأول فى إيطاليا ، بسبب النزاع بين المدن اللمباردية (٢٠٠) وعقد فى نوفمبر من نفس العام مؤتمرا فى « رونساجليا » Roncaglia . وقد أعلن فيه فردريك الأول حقوقه بشأن تعيين الحكام الامبراطوريين فى المدن اللمباردية (٢٠١) .

وعلى كل فان البابا هادريان الرابع توفى فى أول سبتمبر عام ١١٥٩ م وتولى البابا اسكندر الثالث Alexander III (١١٥٩ - ١١٨١ م) والذي وقف ضد الامبراطور فردريك الأول (٢٠٢) فترتب على ذلك أن عين الأخير بابا جديدا ، تحت اسم « فيكتور الرابع » Victor IV ، ويرجع بعض المعاصرين سبب هذا الانشقاق الى ذنوبهم التى ارتكبوها « فناصر الامبراطور فردريك البابا فيكتور الرابع » (٢٠٣) الا أن البابا الامبراطورى عام ١١٥٩ م وتولى البابا اسكندر الثالث Paschal III وهاجم فردريك من جديد المدن اللمباردية ، حتى سقطت فى يده سنة ١١٦٧ م ، وفراسكندر الثالث (٢٠٤) ثم عاد الامبراطور مرة أخرى الى ألمانيا فى سنة ١١٦٨ م ، ورجع ثانية الى إيطاليا سنة ١١٧٤ م ، وهزم هذه المرة سنة ١١٧٦ م ، فى موقعة « ليجانو » Legnano ، وقد صرح الامبراطور قائلا « اسكندر المحظوظ ، لن يرى إيطاليا ، أنا سعيد ان اتقدم الى آسيا » (٢٠٥) وبعد أن أدرك فردريك الأول انه لابد من ضرورة تدارك الموقف ، وخاصة عندما لم يجد طائلا من عدائه للبابوية ، فقد عقد النية على مفاوضة البابا اسكندر الثالث ، ووقف الى جانب البابا ، وأعلن الوافق معه (٢٠٦) وقد أرسل الامبراطور سفاره الى البابا فى « أناجنى » Anagni لمناقشة بنود اتفاقية سلام ، ثم اتفقوا بعد ذلك على بنود وأدخلت البندقية Venice فى معاهدة الصلح (٢٠٧) وتمت المقابلة فى ٢٤ يوليه سنة ١١٧٧ م فى المدينة الأخيرة (٢٠٨) .

وعقدت معاهدة تمهيدية فى « أناجنى » بين اسكندر الثالث وفردريك الأول ، ودخل فيها الامبراطور وأولاده ، وتمهدوا بالمحافظة على السلام مع البابا اسكندر الثالث ، وحماية ممتلكاتهم ، وان يعيد الامبراطور الى البابا التحكم فى الطقوس ، وتعهد البابا بصدور قرار الحرمان ضد من يخالف هذا الاتفاق ، وتعهد الطرفان باستمراره ، بعد وفاة أى منهما (٢٠٩) ويذكر بعض المؤرخين انه كان من نتيجة ذلك ، أن فقدت الامبراطورية الرومانية المقدسة نفوذها فى إيطاليا ، مما مهد للانفصال بين ألمانيا وإيطاليا (٢١٠) . هذا وقد عقد المجلس اللايترانى فى سنة ١١٧٩ م ، واحتفل بعودة وحدة الكنيسة (٢١١) ، ولكن البابا اسكندر الثالث مات فى ٣٠ أغسطس ١١٨١ م ، وتم تعيين البابا « ليكوس الثالث » Lucius III (١١٨١ - ١١٨٥ م) الذى عقد معه الامبراطور فردريك الأول صلح كونستانس فى ٢٥ يناير عام ١١٨٣ م ، ودخل فى الصلح كل من الامبراطور والبابا والمدن اللمبارية ، كما اعترف البابا بالسيادة الامبراطورية على إيطاليا (٢١٢) .

ومما يجدر ذكره أن هذه الفترة ومنذ تولى البابا ليكيوس الثالث اعتبرت فترة وفاق ، اذ أن كلا من الامبراطور والبابا قد تعاونوا سويا فى سياستهما تجاه الشرق الاسلامى ، وسعيا سويا الى اتخاذ الطرق الدبلوماسية مع صلاح الدين والعاقل الأيوبي بشأن حل المشاكل الصليبية بالشرق .

كانت البابوية حريصة على سلامة الصليبيين المقيمين فى الشرق الاسلامى لذلك كانت ترسل الخطابات الى صلاح الدين بشأن الرأفة فى معاملة الصليبيين بالشرق ، كما أن صلاح الدين كان حريصا على أن يبلغ الامبراطور فردريك الأول (١١٥٢ -

١١٩٠ م) امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة ، بمجريات
الامور السياسية في الشرق ، وأيضا ابلاغه براسلات البابوية
بخصوص الصليبيين ، فقد أرسل صلاح الدين رسالة الى فردريك
الأول في منتصف ابريل ١١٨٢ م / ذي الحجة ٥٧٧ هـ ، يقول
له فيها انه أحسن استقبال المندوب البابوي «البيريكوس جانشيوم»
Albericum Jonuensem كما يذكر انه أكرمه ، وهو يعيده
الى البابوية (٢١٣) . بصحبة مندوبه أبو طاهر (٢١٤) .

هذا وفي نفس الوقت الذي كان فيه صلاح الدين يسعى
من أجل الصلح ، كان يتجه الى ضم بقية الامارات الاسلامية اليه ،
اذ أنه استطاع عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ، أن يضم اليه حصن
آمد وتل خالد ، كما سلمت اليه حلب ، وأرسل الى العادل طالبا
منه أن يحضر من مصر ليملكه حلب نظرا لأهميتها (٢١٥) .

وقبل أن يغادر العادل مصر استقبال رسالة من البابا
« لوكيوس الثالث » (١١٨١ - ١١٨٥ م) Lucio III من يد
المندوب البابوي « جان داندولوس ماتا » Jani Danduli Mata .
وأهم ما في هذه الرسالة أن البابا يعرض على العادل فك أسرى
الصليبيين ، الا أن العادل ، كتب الى البابا ردا في ٣١ مارس
١١٨٣ م / ٥٧٨ هـ استفتحه بعبارة الود والمجاملة اذ قال « الى
أعز صديق في المسيحية جمعا » الى لوكيوس Lucio « (٢١٦) ،
ثم ذكر العادل انه أكرم مندوبه وبعد ذلك تطرق الى مناقشة
الموضوع الرئيسي الذي جاء من أجله المندوب البابوي ، وهو
ما يخص الأسرى الصليبيين .

ويغلب على الظن أن البابوية قد أرسلت الى الصليبيين ،
بضرورة عقد معاهدة مع السلطان صلاح الدين ، كما حثتهم على

أهمية تبادل الأسرى من المسلمين والدليل على ذلك قول العادل في
الرد على الرسالة البابوية « وقد فهمنا من رسالتكم ان المسيحية
جمعا تطيعكم ولن يستطيع أحد أن يخالف لكم امرا وان ما تقرره
ينتقل على جميعهم » (٢١٧) لكن العادل لم يكن يقطع امرا الا بعد
عرضه ومناقشته مع أخيه السلطان صلاح الدين وخاصة ، في
مثل هذا الموضوع - موضوع الأسرى - ويذكر العادل له « واذ
علمت برغبتكم فعلى أن أعرض الأمر على أخينا الملك المنتصر المظفر
الحافظ لوعوده ومصدر العدالة صلاح الدين سيد الشريعة التي
تحكم الشرقيين Sarracenorum المسلمين) ، وذلك لكي أدرس
رغبتكم وأعمل على تنفيذها » (٢١٨) ومن المعروف ليس بوسع العادل
أن يبت في أمر الأسرى حال وصول الرسول البابوي دون الرجوع
الى صلاح الدين ، الذي كان يهاجم الصليبيين في الشام بالإضافة
الى جهوده في القضاء على الأمر المنشقين بالجزيرة ، والموصل ،
كما أن العادل لم ينس أن يذكر للبابا أن صلاح الدين تخضع له
شعوب كثيرة . وكان البابا قد ذكر له مثل هذا ولم يكن لأحد
مثل هذا السلطان قبل صلاح الدين « وفاق كل سلف في هذا
المضمار » (٢١٩) .

على أن العادل في بقية الرسالة يذكر أنه عرض مطالب
البابا بشأن تبادل الأسرى على صلاح الدين ، الا أن الأخير اشترط
لذلك شرطين :

أولهما : أن يفك أسرى الصليبيين بشرط أن يخضعوا لأوامر البابا
الخاصة بإقامة السلام .

ثانيهما : اخلاء أسرى المسلمين الذين تحت أيديهم :

وقد أضاف العادل وعندئذ يمكن أن يحل السلام بين الجميع .
وفي ختام الرسالة يذكر العادل أنه في حالة عدم اطاعة الصليبيين
لأوامر البابوية بخصوص السلام ، فإن ما سيحدث بعد ذلك ، يكون

السلطان غير مسئول عنه ، أى إذا حدث هجوم على الصليبيين يكون ذلك هو الطريق الوحيد من أجل السلام ، اذ يذكر العادل « أما اذا خالفكم الصليبيون ولم يطيعوا اوامركم فنحن أبرياء من أى اجراء نقوم به معهم لاحلال العدل ، وليعط الله كل منا حسب اعماله » (٢٢٠) .

ومن الملاحظ على سياسة البابوية فى هذه الحقبة انها لم تكن تكتفى بارسال خطابات الى العادل بشأن الأسرى فحسب ولكنها كانت ترسل أيضا الى صلاح الدين لتفاوضه فى مثل هذا الموضوع ، لذلك نجد رد صلاح الدين الى البابا والمؤرخ عام ١١٨٣ م ، ومنه يفهم أن البابا أرسل الى صلاح الدين رسالة ، وهى أغلب الظن - بعد الرسالة التى أرسلها البابا الى العادل مع مندوبه « جان داندولوماتا » والتى سبق ذكرها ، وفى بداية الرد يمجده صلاح الدين البابا ، ويستعمل معه الأسلوب الدبلوماسى فى كتابة الخطابات السياسية لحل المشاكل ، فهو يعظمه ، ويعلمه أن كل الصليبيين بالشرق يخضعون له ويتبعونه ، ومن هذا المنطلق ، فهو اذا توصل الى شىء مع البابا فعلى البابا أن يبذل قصارى جهده لمساعدته فى تنفيذه وخاصة فيما يخص الوجود الصليبي بالشرق ، فيقول صلاح الدين « ونعلم أيضا أن جميع المسيحيين يخضعون لكم مطيعين وأنهم يتبعونكم » (٢٢١) .

ثم يؤكد صلاح الدين للبابا أنه استلم رسالته التى أرسلها مع المندوب البابوى « اوليفريوس فيتاليس » Oliveris Vitalis وقد أكرمه ، على قدر شرف البابوية ، ووقارها الكبيرين ، كما استقبله ورحب به أيما ترحيب ، ومهما يكن من أمر فإن البابوية كانت ترسل المندوب برسالتين ، رسالة خطية ، وأخرى شفوية ، وأغلب الظن ان الرسالة الشفوية يغلب عليها السرية ، اذ يخشى

البابا أن يكتبها ، ربما لا تصل الى المرسل اليه ، اذ يقول صلاح الدين « ولقد استمعنا بعناية الى كل ما قاله من قبلكم » (٢٢٢) . ويذكر صلاح الدين أنه أعجب بكل ما جاء فى الرسالة البابوية التى تلقاها فى شغف وروح طيبة ، وهذا يدل على مدى اهتمام صلاح الدين بموضوع تبادل الأسرى ، كما يذكر له أن الصداقة وطيدة جدا مشيرا بذلك قوله « تأكدنا من عظم الصداقة التى تربط بيننا » (٢٢٣) كما أن صلاح الدين فى رده على البابا يذكر له أنه قد أنهج جدا عندما حديثه المندوب البابوى عن السلام مع جميع الصليبيين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، فإنه يبدى غيبته وسروره بالفكرة التى عرضها المندوب بشأن تبادل الأسرى بين الصليبيين والمسلمين .

وهنا تظهر عبقرية ودبلوماسية صلاح الدين فى مناقشاته موضوع تبادل الأسرى اذ أنه يعلم البابا أن الأسرى الموجودين طرفه من الصليبيين ، كلهم رجال من النبلاء وفى مستوى عال ورفيع ، أما الجنود المسلمين والذين فى الأسر تحت يد الصليبيين ، فانهم من العامة ، ويهدف صلاح الدين من ذلك أن الأسير الصليبي يقابله الكثير من الأسرى المسلمين عند تبادل الأسرى ، كما يريه بهذه العبارة بأن يثير اهتمام البابا بأمر الأسرى ، لكي يسترد نبلاء الصليبيين المأسورين فى نفس الوقت الذى يعيد فيه صلاح الدين العدد الكثير من أسرى المسلمين ، ولا يمكن القول بأى حال من الأحوال أن صلاح الدين بهذا يقلل من قدر الجنود المسلمين المأسورين لدى الصليبيين ، ولكنه أسلوب دبلوماسى لكي يدفعهم الى تبادل الأسرى ، ويظهر لهم فى النهاية أنه غير مهتم بموضوع الأسرى حتى تلج البابوية عليه .

كما أن صلاح الدين يترك أمر تبادل الأسرى باختيارهم وهذا أبلغ على أنه غير مهتم من ناحيته ، الأمر الذى يترتب عليه أن يتحرك البابا بنفسه ويتابع الموضوع ليصل الى حل ، فيذكر

صلاح الدين « فان طاب لكم ليقدر كل طرف اسرى الطرف الآخر
وان الطرف الذي لديه اسرى اقل قيمة يعوض الفرق للطرف
الآخر » (٢٢٤) .

وايا كان أمر رسالة صلاح الدين الخطية الى البابا ، فقد
أرسل مع المندوب البابوي رسالة شفوية غير مكتوبة وسرية
للفاية ، اذ انه يخشى أن يكتب في مثل هذه الأمور السرية خشية
أن لا تصل الى البابا ، ولا شك أن الرسالة الشفوية هامة جدا
وإنما تكون بشأن القدس أو غير ذلك من الأمور التي يجب
أن تحوطها السرية التامة ، لذلك فهو يذكر للبابا أن كل ما يقوله
المندوب أوليفريوس Oliveri Vitalis له فهو على لسان
صلاح الدين وبمحض إرادته . ولقد أودعنا أوليفريوس مندوبكم
الأمور الباقية الأكثر سرية ، اذ وثقنا فيه وتأكدنا في حسن
نواياه واستعداده بشأنها ولذا يمكننا اعتبار أن ما يقوله لكم
هو عن لساننا وملء إرادتنا » (٢٢٥) .

ومهما كان من أمر هذه الرسالة التي من صلاح الدين الى
فردريك الأول أو من البابوية الى العادل أو من البابوية الى
صلاح الدين أو من العادل وصلاح الدين الى البابوية ، فان هناك
بعض التساؤلات التي تطرح نفسها وهي ، لماذا أرسل صلاح الدين
رسائل الى فردريك الأول بالذات دون غيره من أباطرة الغرب
الأوربي ؟ أو لماذا أيضا أرسلت البابوية رسائل الى العادل
الأيوبي ؟ وهي تعلم أن السلطان بالشرق هو صلاح الدين ، ثم
لماذا ترسلها له في مصر بالذات دون بلاد الشام ؟ بالإضافة الى أن
البابوية لم تكتف بالرسائل الى العادل ولكنها أرسلت أيضا الى
صلاح الدين ، ثم أخيرا لماذا تضمنت المصادر العربية المعاصرة وغير
المعاصرة عن ذكر هذه المراسلات ؟ .

في الحقيقة أن صلاح الدين ، قد لجأ الى المراسلات مع
فردريك الأول امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة دون
أباطرة الغرب الأوربي وذلك لهدفين :

الهدف الأول : لكي يحيط فردريك الأول علما بمجريات
السياسة بالشرق ، وبذلك يكسب ود فردريك له ، لأن صلاح الدين
يعلم أنه يعد أقوى أباطرة الغرب الأوربي بالإضافة الى أنه يخشى
أن يقوم فردريك بالهجوم على صلاح الدين ، وخاصة وقد أرسل
الصلبيون بالشرق ، منذ أصبح صلاح الدين سلطانا ، يستغيثون
بألمانيا ، ومن ثم اتبع صلاح الدين هذا الأسلوب الدبلوماسي مع
فردريك الأول لكي يأمن جانبه .

أما الهدف الثاني : فصلاح الدين يود أن يخبر فردريك
بمجريات السياسة حتى لا يدس أنفه في أمور الشرق ، وأراد أن
يوضح له أن البابوية تحمل المشكلة على أعناقها وبذلك يأمن جانبه
أيضا .

أما عن سبب ارسال البابوية خطاباتها الى العادل الأيوبي بمصر
فلأنها تسعى الى حل مشكلة الأمر التي تعتبرها في مقدمة مشاكل
الصلبيين بالشرق ، وتعرف أن العادل الرجل الثاني في الدولة
الأيوبية ، وأن بوسعه أن ينهي مثل هذه الأمور لكن إرسالها هذه
الرسالة الى مصر بالذات دون بلاد الشام ، أغلب الظن أن البابوية
تعتبر أن بلاد الشام ليست تابعة لمصر وأن مركز القيادة الرئيسي
هو مصر اذ منها بدأ صلاح الدين الوحدة ، وقد أدرك الصليبيون
ذلك ، لذلك تفضل ارسال خطاباتها على مصر . وبطبيعة الحال
لم تكتف البابوية بقصر الرسائل على العادل الأيوبي وحده ولكنها
أرسلت أيضا الى صلاح الدين ، خصوصا بعد أن عرفت أن العادل

نابش موضوع الأسرى مع أخيه صلاح الدين ، لذلك أرسلت الى صلاح الدين ، الذى بيده الحل والعقد الذى استعمل الدبلوماسية الفائقة فى مناقشة هذا الموضوع .

ومما سبق يمكن القول بأن هناك علاقات دبلوماسية بين صلاح الدين الأيوبي سلطان الدولة الأيوبية ، وبين فردريك الأول امبراطور الامبراطورية المقدسة ، بالإضافة الى أن هناك علاقات ودية قوية بين البابوية من جهة وصلاح الدين والعادل الأيوبي من جهة أخرى . وواضح من رد العادل وصلاح الدين على البابوية أنه كان ردا دبلوماسيا واحدا واسلوبا متفقا عليه مما يدل على أن السياسة فى الشرق الاسلامي ، واحده ولا خلاف عليها بين الأخوين . علاوة على هذا وذاك ، فإن هناك علاقات بين البابوات السابقين والسلطان صلاح الدين الأيوبي . إذ أن البابا لوكيوس الثالث يصر على الاستمرار فى سياسة سلفه اسكندر الثالث (١١٥٩ - ١١٨١ م) والخاصة بالعلاقات السياسية مع المسلمين فى الشرق ، وقد لجأت البابوية الى هذا الأسلوب بعد أن أصبح واضحا لها أن الحملات الصليبية لاتجدى بالإضافة الى ازدياد قوة المسلمين بالشرق تحت زعامة صلاح الدين . الذى أدرك أن المفاوضات مع الغرب لاطائل منها ، فقرر قتالهم ، وبدأ بعد ذلك .

ومما يجدر ذكره أن المصادر لم تذكر جنسية حملة الرسائل التى كانت متبادلة بين البابوية والامبراطورية من جهة وبين صلاح الدين من جهة ثانية وأغلب الظن أنهم من التجار الذين كانوا يقومون بالتجارة بين مصر والمدن الايطالية (جنوه - بيزه - البندقية) . كما يلاحظ أن هناك مصادر غربية معاصرة لصلاح الدين لم تذكر شيئا عن هذه المراسلات ، فى حين تذكره المصادر اللاتينية ولهذا تفسيران :

أولا : ربما يكون قد امتنعت عن تسجيله بناء على رغبة صلاح الدين حتى لا يؤلب المسلمين ضده ، وخاصة بالعلاقات مع البابوية والامبراطورية اللذان وراء التحرك الصليبي .

ثانيا : ربما لم تعرف المصادر عن هذه المراسلات شيئا بالمرة . وعلى أية حال فإن عدم ذكر المصادر العربية هذه المراسلات لا ينفي وجودها أما عن ذكر المصادر اللاتينية لهذه المراسلات فهو فى صالح البابوية لأنها تريد أن تجعل العالم المسيحي يدرك اهتمامها بحل مشاكل الصليبيين وهى الذراع المحرك لكل ما يجرى بالشرق الصليبي بصفتها الأب الروحي لهم ، إذ أن السياسة لا تعرف الصداقة والود ، ولكنها تعرف المصالح .

ويمكن القول بأن السلطان صلاح الدين ، قد أدرك ، أن المفاوضات مع البابوية أو الامبراطورية لن تأت بباطل ، وأن استرداد الأراضى المقدسة لن يتم الا بقوة جيش الشرق الاسلامي ، فى نفس الوقت الذى بدأ يكتف جهوده لاستكمال الوحدة الاسلامية ، والتى كادت أن تكمل بالنجاح بعد أن يستولى على حلب والموصل .

الوضع السياسى فى بلاد الشام قبيل الحملة الالمانية :

استطاع صلاح الدين أن يستولى على بعض الامارات التابعة للزنكيين ، مثل سنجار وحلب (٢٢٦) فى صفر ٥٧٩ هـ / يونيه ١١٨٢ م ، حتى لا تستعين أى منها بالصليبيين ضده ، ورجع الى دمشق فى أغسطس ١١٨٢ م (٢٢٧) . غير أن تسليم حلب للمسلمين ، كان ضربة قوية للصليبيين ، لأنها أكدت الروابط الاستراتيجية العسكرية بين محور مصر وسوريا ، وأصبحت الممتلكات الصليبية بالشام محصورة داخل هذا المحور (٢٢٨) .

لقد سبق القول بأن رينالدى شاتيون « أرناط » قد قام بالهجوم على قوافل المسلمين ببلاد الشام فى سنة ١١٨٠ م. / ٥٧٥ - ٥٧٦ هـ ، وفى سنة ١١٨٢ م / ٥٧٧ - ٥٧٨ هـ قام بأسطول فى البحر الأحمر واستولى على أيله ، مما دفع العادل الأيوبي نائب السلطان بمصر ، اذ كان السلطان صلاح الدين وقتها بالشام ، بالهجوم على أرناط بأسطول كان قد أعده لذلك ، ولا شك ان عمل أرناط هذا أغضب صلاح الدين (٢٢٩) مما جعله يفكر فى محاصرة الكرك ، وفى سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م . أرسل الى العادل بمصر يطلب منه أن يقابله بقوات على الكرك لفتحها ، وبذا تجمعت مع السلطات القوات الأيوبية (٢٣٠) الا أنه علم بأن القوات الصليبية فى طريقها الى الكرك لذلك ترك السلطان الكرك الى حين ليكمل استعداداته وتجهيزاته ، ومن ثم رفع الحصار عنها فى ديسمبر ١١٨٣ م / ٥٧٩ هـ (٢٣١) .

ولما كان الكرك يمثل قلعا بالنسبة لصلاح الدين ، فلقد عاود الحصار عليه بقوات حلب ومصر والشام ، والجزيرة فى صيف ١١٨٤ م / ربيع الآخر ٥٨٠ هـ ، الا أن الكرك استعصت عليه لتحصيناتها القوية ، لذلك فضل صلاح الدين الاقلاع عنها أيضا تاركا سرية صغيرة تهاجم الجليل ، كما هاجم نابلس ، ورجع الى دمشق (٢٣٢) .

ولما كان من الأهمية بمكان وجود العادل بجانب صلاح الدين وخاصة فى هذه المرحلة فقد عينه على حلب ، بعد أن استدعاه من مصر وأرسل الى الأخيرة ابن أخيه المظفر نائبا عنه فيها (٢٣٣) .

ومهما يكن من أمر هذه الترتيبات وكذلك الامارات الاسلامية بالشام فان هناك خطوة أمام صلاح الدين لابد أن يقدم عليها ، اذ ظلت الموصل خارجة عن نطاق الوحدة ، لذلك بدأ التحرك

للسيطرة عليها ، وخاصة بعد أن وصله رسول قليج ارسلان على سبيل التهديد فى ربيع الاول ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م - وكان السلطان فى رأس العين - فأخبره « بأن ملوك الشرق بأسرهم اتفقت كلمتهم على قصد السلطان ان لم يرجع عن الموصل وماردين » (٢٣٤) .

اذ أن عز الدين صاحب الموصل (١١٧٦ - ١١٩٢ م. / ٥٧٢ - ٥٨٩ هـ) أرسل الى سلطان سلاجقة قونية والى شاه أرمن ، لمساندته ، لذلك توجه صلاح الدين الى حصار الموصل ، ورفض كل عروض للصلح (٢٣٥) ، ولما وجد صعوبة فى الاستيلاء عليها تركها واستولى على « ميفارقين » وهو فى طريقه من الموصل الى خلاط ، فى جمادى الأولى ٥٨١ هـ / ١١٨٥ (٢٣٦) .

ومما لا شك فيه أن خطوات صلاح الدين هذه فى سبيل الوحدة السياسية ، قد أزعجت الصليبيين ، والدليل على ذلك عقدهم هدنة مع صلاح الدين مدتها أربع سنوات تبدأ بسنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٥ م (٢٣٧) . اذ أن وضعهم أصبح سيئا جدا ، لا سيما بعد وفاة ملكهم بلدوين الرابع فى مارس ١١٨٥ م ، فى الرابعة والعشرين من عمره (٢٣٨) كذلك مات بلدوين الخامس فى التاسعة من عمره ، وتوالت أيزابيلا أخت بلدوين الرابع كملكة على بيت المقدس (٢٣٩) . هذا كله دفع بطريك اورشليم أن يرسل رسالة الى فردريك الأول فى أول يونيه ١١٨٥ م . يشرح له فيها الوضع السياسى بالشرق ، ويحثه على نجدة اورشليم بأسرع ما يمكن (٢٤٠) ، لادراكه أنه أقوى ملوك أوربا ، ويمكن أن يستجيب لهذه الدعوة .

ومما زاد من وضع صلاح الدين السياسى قوة ، توصيله الى صلح مع الموصل فى سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م ، بشرط أن يساعد

عز الدين مسعود صاحب الموصل ، صلاح الدين اذ ندبه لقتال الصليبيين ، كما سيضرب السكة باسم صلاح الدين ، ويخطب له (٢٤١) .

هذا وقد جلس السلطان صلاح الدين في دمشق مع اخيه العادل الذي استدعى من حلب سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ / ١١٨٧ م ، لمناقشة الامور السياسية الخاصة بالسلطنة ، وقد انتهى الاجتماع في جمادى الآخرة ٥٨٢ هـ باعادة العادل الى مصر مع ابن صلاح الدين (العزيز عثمان) ، وأخرج من مصر ولده الأفضل وأقطعه دمشق (٢٤٢) ، على أن هذه الخطوة أراد بها صلاح الدين أن يوطد أولاده وأخوته في الأماكن المناسبة ، ومن ثم وزعها توزيعا يتفق مع قدرة كل منهم على تحمل المسؤولية حتى يتفرغ للمرحلة المقبلة .

وصفوة القول أن السلطنة الأيوبية الاسلامية بالشرق أصبحت من النيل الى الفرات وأصبح الخليفة في بغداد يرسل له الخلع (٢٤٣) ، أما البلاد الواقعة على نهر دجلة الى الجنوب من الموصل ، والتي تشمل أربل وشهر زور ، فأصبحت بحوزة أمره من قبل صلاح الدين ، ويدنيون له مباشرة بالولاء (٢٤٤) .

ويمكن للقول أن ما ساعد على تماسك الجبهة الاسلامية ، تماسكا ما حدث في تصدع في الجبهة الصليبية اذ استولى « جاي دي لوزيجنان » Gauy de Lesugnan على العرش مما جعل ريموند Reymond كونت طرابلس لا يعترف به (٢٤٥) ، ومما زاد من غضب الأخير أن جاي لوزيجنان طالب ريموند بحساب الأموال مدة وصايته على الصبي بالملكة الصليبية ، مما ترتب عليه في النهاية ، أن لجأ ريموند الى صلاح الدين ليساعده ضد الصليبيين ،

كما أنه أدخل زوجته صاحبة طبرية في الاتفاقية ، بالإضافة الى أن صلاح الدين أطلق أسرى ريموند ، وهذا كما يذكر البعض من أسباب هزيمة صلاح الدين للصليبيين (٢٤٦) . وعلاوة على هذا فإن يوهيمند الثالث أمير أنطاكية قد جدد الصلح مع صلاح الدين (٢٤٧) ، وهذا بلاشك قد قوى الجبهة الاسلامية .

لقد سبق القول بأن الصليبيين عقدوا معاهدة مع صلاح الدين سنة ١١٨٥ / ٥٨٠ هـ ، ولمدة أربع سنوات ، لكن سرعان ، ما نقض الصليبيون هذه المعاهدة (٢٥٨) ، اذ زادت هجماتهم رينالد دي شاتيون (أرناط) على القوافل الاسلامية المتجهة من مصر الى الشام والعكس وخاصة ما قام به أرناط أخيرا في أواخر سنة ١١٨٦ م / ٥٨٢ هـ ، من هجومه على قافلة مصرية في طريقها من القاهرة الى دمشق (٢٤٩) الا أن صلاح الدين كان حريصا على عدم نقض الاتفاقية ، لذلك أرسل الى « أرناط » لكي يرد الأسرى ويدفع تعويضا عما سببه من خسائر بالقافلة المصرية ، الا أنه رفض ، مما جعل يرسل صلاح الدين يطلب من الملك جاي بيت المقدس ليتدخل ليردع أرناط ، - الا أن جاي لم يستطع أن ينفذ طلبات صلاح الدين على أرناط (٢٥٠) وهكذا أصبح الجو مليئا بالقيوم ينتظر هبوب الرياح .

ومهما يكن من أمر الهجمات الخاطفة التي اتبعتها أرناط على القوافل الاسلامية بالشرق ، فإن صلاح الدين كان بإمكانه ، أن يرد بالمثل على هذه الهجمات ، الا أنه كان يؤمن بحنكته السياسية بأمرين هامين : الأول : أنه لا جدوى من الاغارات الخاطفة بعد أن تأزم الموقف بهذه الصورة ، والثاني : كان يضع في اعتباره ضرورة القيام بهجوم اسلامي شامل على الوجود الصليبي بالشرق وباسترداد بيت المقدس ، وخاصة بعد أن أكمل الوحدة .

ومن هذا المنطلق أرسل صلاح الدين في سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٧ م ، الى جميع البلاد الاسلامية يحث الناس على الجهاد ، وخرج من دمشق أول المحرم وتوجه الى « رأس الماء » وترك ولده « الأفضل على » يقود القوات الشامية ، وتوجه الى بصرى ، وهاجم الكرك وخاصة عندما علم بأن أرناط سيهاجم قافلة الحج (٢٥١) ، وقد قام بقطع أشجار الكرك والشوبك في نفس الوقت الذي خرج الأسطول المصري بقيادة الحاجب حسام الدين لؤلؤ ، ليتجه الى الاسكندرية خشية هجوم صليبي بحري ، بالإضافة الى قيام العادل في أوائل المحرم من القاهرة الى الكرك لكي يشترك مع السلطان في التأمين على قافلة الحج والمشاركة في الهجوم الاسلامي على الكرك (٢٥٢) .

وهكذا يمكن القول - بعد وضع كل هذه التحركات الاسلامية في الاعتبار - بأنه كانت هناك خطة سياسية شاملة وكبيرة بالشرق الاسلامي ، عمادها الهجوم الشامل على الصليبيين ، ولاكمال هذه الخطة فقد أرسل صلاح الدين الى الملك المظفر في حلب بضرورة عقد صلح مع الصليبيين ، ليأمن جانبهم ، وحتى لا يحارب في أكثر من جبهة ، وذلك في ربيع الأول سنة ٥٨٣ هـ / يونيه ١١٨٧ م (٢٥٣) . كذلك أرسل صلاح الدين ابنه الأفضل على بفرقة للاغارة على عكا (٢٥٤) . ثم توجه صلاح الدين الى طبرية بعد مناقشة خط السير مع الأمراء في نهاية ربيع الآخر ٥٨٣ هـ واستولى على طبرية ما عدا القلعة (٢٥٥) .

وفي الجانب الآخر اجتمع الصليبيون ، واستدعى جاي لوزجنان المواليين له وتوجه ناحية الشمال لاختضاع الجليل قبل الدخول في حرب مع المسلمين ، وناقشوا ضرورة فسخ ريموند عهده مع صلاح الدين في الوقت الذي كانت فيه رسائل صلاح الدين تقوم بجولة استطلاعية في فلسطين عابرة أرض

ريموند ، إلا أن ريموند اقتنع أخيراً بضرورة انضمامه الى الجبهة الصليبية وخاصة بعد أن أقنعه « باليان » رئيس الأساقفة عقب كارثة الصليبيين بهزيمتهم في « عيوز كريسون » (٢٥٦) ، التي قتل فيها فرسان الداوية ، وقد نجا منها جندي ألماني من جنود الداوية ويدعى « جاكين دي ميلين » Jakeline de Maille (٢٥٧) .

على أية حال قرر الصليبيون نهائياً التحرك لمواجهة جيش صلاح الدين (٢٥٨) ويذكر بعض المؤرخين ، أنه في نهاية يونيه عام ١١٨٧ م كان جيش جاي لوزجنان يقدر بحوالى ١٢٠٠ ألف ومائتى فارس ، ١٥٠٠٠ خمسة عشر ألف جندي أمام عكا (٢٥٩) كما أن الجيش الاسلامي وتكتيكاته الحربية والأجناس التي اشتركت فيه لم تكن خافية على الصليبيين المعاصرين ، اذ يذكر بعضهم « الرجال باختلاف وتنوع أممهم ومللهم .. من البارتيين والبدو والعرب والميديين ، والمصريين و Parthians, Bedouins, Arabs, Medes, Egyptians and Cardians وقد نهضوا على هدف واحد هو « الأرض المقدسة » (٢٦٠) .

على أن استيلاء صلاح الدين على طبرية (٢٦١) ، ومهاجمة أياها ، مناورة عسكرية كان من ورائها أن يترك الصليبيون مكانهم ، ويقابلوه ، وقد عزم الصليبيون على التقدم من صفورية للاقادة صلاح الدين بجيشه (٢٦٢) ويذكر بعض المؤرخين ان سير الصليبيين قد أرهقهم كما حرمهم المسلمون من المياه ، وأشعلوا النيران في المناطق المجاورة لجيشهم ، بالإضافة الى حرارة الجو في الصيف ، واذا وضع كل هذا في الاعتبار ، أمكن تكوين فكرة عامة عن الوضع السيئ الذي أضحي فيه الصليبيون في الوقت الذي كان الجيش الاسلامي في أحسن حال ، وفي يوم السبت ٤ يوليو ١١٨٧ م / ٢٥ ربيع الآخر ٥٨٣ هـ ، كان اللقاء الفصل في قرون

حطين ، الملك الصليبي جاي ومعه ١٥٠ من النبلاء (٢٦٣) ومعهم صليب الصليبوت (٢٦٤) . على أن المعركة بدأت بهجوم ريموند كونت طرابلس على المسلمين ففتحوا له الطريق ، وفر مهزوما ، وسقط صليب الصليبوت في يد المسلمين ، وهذا يعتبر عندهم من أكبر الهزائم (٢٦٥) كما سقطت خيمة ملكهم .

وباجتماع المؤرخين المسلمين والغربيين المعاصرين وغير المعاصرين ، ان النتيجة النهائية للقاء بين المسلمين بقيادة صلاح الدين وبين الصليبيين بقيادة جاي لوزجان ، في حطين كانت في جانب المسلمين ، وقتل عدد كثير من الصليبيين وأسر اكثرهم وفر بعضهم ، وكان على رأس الأسرى الصليبيين ، الملك جاي نفسه ملك بيت المقدس (٢٦٦) وأخوة بالاضافة الى البرنس أرناط صاحب الكرك ، كما أسر صاحب جبيل وابن هنفرى ومقدم الداوية وجماعة من الاسبتارية (٢٦٧) الذين سيقوا الى خدمه صلاح الدين .

ويذكر بعض المؤرخين أن الجيش المصرى هو الذى هزم الصليبيين في حطين (٢٦٨) واذا كان هذا صحيحا فبماذا نفسر ارسال صلاح الدين رسالة الى الأمراء في الشرق الاسلامى لحثهم على الجهاد ، وقد استجابوا الى هذه النداءات ، واشتركوا بالفعل في حطين ، وساهموا في النصر على الصليبيين (٢٦٩) .

ومهما يكن من أمر حطين ، وما أصاب الصليبيين فيها ، فإن الذى لا شك فيه أن الصليبيين خسروا في هذه المعركة الكثير ، وليس أدل على ذلك من قول البعض « فأننا نفسى في اجتيازى في حقل هذه الحرب بعد سنة واحدة من حدوثها شاهدت عظام موتاهم أكواما ، وفي جهات أخرى من الحقل رأيت الجثث اليابسة عن اللحم مبددة في كل ناحية ، هذا ما عدا تلك الجثث والعظام التى سيجبتها الوحوش والحيوانات » (٢٧٠) .

ويوضح ذلك أيضا بعض المعاصرين الصليبيين فيقول :

« لقد ذبح الكثير وجرح الكثير ، وزج بالكثير في السجون ، وأن هزيمة شعبنا استحق الرحمة حتى من أعدائه ولم يحدث شيء يستحق الرثاء في كل العصور القديمة حتى ولا أسر تابوت الرب ، ولا ملوك جودا ، لا يمكن أن يقارن ذلك بكارثة أزماننا التى أهر فيها الملك والصليب المقدس معا » (٢٧١) .

وبعد أن انتهت المعركة جلس صلاح الدين في السراى الذى أعد لاستقبال الأسرى ، فقتل أرناط الذى هدد مكة والمدينة ، وأعتدى على قوافل المسلمين كما أن ريموند صاحب طرابلس والذى فر من المعركة قد مات كيدا مما حدث للصليبيين في حطين (٢٧٢) .

وبعد أن فرغ صلاح الدين من أمر المعركة ، بدأ يستغل الفرص من كل الاتجاهات وهذه لا تتوافر الا لكل قائد عظيم (٢٧٣) فاخذ يوجه جهوده ناحية فتح المملكة الصليبية ، ففتح طبرية ، ثم توجه الى عكا في نهاية ربيع الآخر ٥٨٣ هـ / يولييه ١١٨٧ م (٢٧٤) اذ وصلتها قوات صليبية بقيادة « مارجرىت Margaritus » بمساعدة ملك صقلية « رليم » Willimus وكانت معه سفن مزودة بالعتاد والرجال الأشداء . وذلك لنجدة الصليبيين ، وحاصر المنافذ البحرية حول عكا حتى لا يستطيع المسلمون المقيمون في عكا والقديس الخروج ، وقد تصدت قوات مرجريت ، بالفعل للامدادات التى حاول المسلمون توصيلها الى الأهالى داخل المدينة (٢٧٦) .

كما توجهت عساكر صلاح الدين الى بلاد الساحل فاستولت على نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرية ، وخرج العادل من مصر فاستولى على حصن « مجبل يابا » ومدينة يافا (٢٧٧) .

ومدن أخرى كبيرة وقلاع عظيمة تزيد عن خمسين قلعة ، وفي نهاية جمادى الأولى في نفس العام استولى على صيدا وبيروت ثم توجه صلاح الدين الى عسقلان ، فتسلمها مقابل إطلاق سراح ملك الصليبيين (٢٧٨) ومقدم الداوية ، في نهاية جمادى الآخرة ٥٨٣ هـ / سبتمبر ١١٨٧ (٢٧٩) ، كما تسلم أصحاب السلطان غزه وبيت جبريل ، وبيت الجليل والنطرون بغير قتال (٢٨٠) .

وخلال كل هذه الفتوحات ، وقع كثير من الصليبيين سواء قوات برية أو بحرية أسرى في يد المسلمين مثل رجال البحرية الصليبية في عكا بعد استيلاء صلاح الدين عليها ، إذ أنهم لم يكن قد عرفوا بعد هزيمة الصليبيين ، وقد جاء آنذاك الماركيز كونراد مونتفرات ، من القسطنطينية الى صور ، فسمع عما حدث للصليبيين ، لذا بدأ يهادن صلاح الدين ويتظاهر له بالطاعة حتى ينقذ من الأسر (٢٨١) .

وعلى أية حال فإن اتجاه صلاح الدين الى المدن الساحلية بعد حطين هو في نجد ذاته خطة سليمة لها هدفان : أولهما : أنه أراد أن يحرم الصليبيين من المدد البحري الذي يصلهم من غروب أوروبا . وثانيهما : أنه باستيلائه على المدن الساحلية سيسهل عليه الاتصال البحري - السريع بين شطرى دولته (٢٨٢) .

ومهما يكن من أمر الفتوحات الإسلامية بالساحل ، فقد رأى صلاح الدين أن الوقت قد حان للتوجه الى بيت المقدس ، وكان به الصليبيون الفارون من معركة حطين ، وعندما اقترب صلاح الدين من المدينة في الأحد ١٥ رجب ٥٨٣ هـ ، أرسلوا اليه الرسل في التفاوض (٢٨٣) ، فأخبرهم صلاح الدين أن القدس هي بيت الله ،

وأظهر لهم أنه لا يريد إراقة الدماء ، وطلب منهم ترك أسوارها ، إلا أن الرسل رفضوا ، وردوا عليه بقولهم : بأنها مدينة « توفي فيها ابن الاله » إلا أن صلاح الدين أقسم لهم بتحطيم أسوارها والثأر للمسلمين لما فعله بهم « جودفرى دى بوايون » في الحملة الأولى (٢٨٤) .

وهكذا رجع الرسل الى بيت المقدس ، وقام الصليبيون بتجهيز قوات للدفاع عن المدينة بقيادة باليان وقد تحرك صلاح الدين من شرق المدينة الى شمالها بعد أن حدثت مناوشات بينه وبين الصليبيين بها ، وفتح له مكان من الجانب الشمالى الشرقى من بوابة القديس ستيفن (٢٨٥) ، بعد تسعة أيام من الحصار ، فتحه له المهندسون المصريون (٢٨٦) . ولما رأى أهل مدينة القدس شدة القتال ، خرجوا الى صلاح الدين فى ٢٠ رجب عام ٥٨٣ هـ / نهاية سبتمبر ١١٨٧ م ، طالبين التسليم إلا أن صلاح الدين رفض ، وصمم على أن يتخذ أسلوب جودفرى (٢٨٧) فى حملته الأولى ، لكن باليان القائد العسكرى بالمدينة أرسل الى صلاح الدين خطابا يتضمن السياسة التى سيتخذها باليان فى المدينة ان لم يستجب صلاح الدين الى الصلح ، أما أهم ما تضمنه خطاب باليان فهو أنه سيهدم مسجد عمرو والصخرة ، وسيقتل أسرى المسلمين الموجودين لديهم ، وفى النهاية سيتخلص من أهل الصليبيين ثم يخرج لقتاله (٢٨٨) ولكن صلاح الدين استشار أصحابه ، فوافقوا على الأمان بشرط أن يخرج أهل المدينة بدون أى شئ ، ويدفع الرجل عشرة دنانير غنيا كان أو فقيرا وتدفع المرأة خمسا وكل طفل دينارين (٢٨٩) ، وقد حبرر العقد من نسختين ، وقع عليها الطرفان ، وعلى هذه الصورة دخل صلاح الدين بيت المقدس فى ٢ أكتوبر ١١٨٧ م / ٢٧ من رجب ٥٨٣ هـ ، وخرج المحاربون الصليبيون من القدس الى صور والى

طرابلس (٢٩٠) ، على ثلاث مراحل ، على مدة أربعين يوما ،
المرحلة الأولى بقيادة قائد المعبد والثانية بقيادة قائد الاستتارية ،
والثالثة بقيادة البطريك وباليان أف ابلين (٢٩١) .

هذا وقد كان هناك بعض الصليبيين رفضوا الخروج من
المدينة مثل « روبرت كودر » Robert of Coudre ، الذى كان
مع جودفرى منذ الفتح وآخر كان يسمى « فولك فيول »
Fulk Fiole ، فقد ولد فى بيت المقدس منذ الحملة الأولى ، وهذان
كانا من أقدم الناس ورفضوا الخروج وطلبيا من صلاح الدين أن
يتركهما يقيمان فى المدينة بقية حياتهما (٢٩٢) .

وهكذا استولى صلاح الدين على بيت المقدس ، بعد أن بقى
فى يد الصليبيين ثمانى وثمانين سنة (٢٩٣) ، وأصبحت صور
وطرابلس وأنطاكية خارجة عن سلطاته (٢٩٤) وتكشف المصادر
والمراجع الغربية عن معاملته الطيبة لأسرى الصليبيين (٢٩٥) إذ أنه
أطلق سراح خمسة عشر ألف أسير وكانت هذه منه لمحة كرم (٢٩٦) ،
وقد سمح للمسيحيين الشرقيين الأصليين بالإقامة فى المدينة (٢٩٧)
كما أجاز لليهود أن يعودوا الى السكنى فى بيت المقدس بشرط
أن لا يكون المسيحيون أو اليهود مسلحين (٢٩٨) .

وبهذا أوضح لنا أن هناك فرقا بين معاملة صلاح الدين
للصليبيين عند استرداده بيت المقدس ١١٧٨ م وبين معاملة الصليبيين
للمسلمين عند سلبهم بيت المقدس فى سنة ١٠٩٩ م (٢٩٩) .

وكان أمام صلاح الدين أن يكمل القضاء على الوجود
الصليبي ببلاد الشام فاتجه بعد فتح القدس بشهر لحصار صور
التي امتلات بالصليبيين الذين يتزعمهم الماركيز مونتفرات ، كما

حاصرها الأسطول المصري من ناحية البحر ، ولما استعصت عليه
اتخذ طريقه الى عكا (٣٠٠) . بعد هزيمة الأسطول المصري أمام
صور (٣٠١) ثم استطاع صلاح الدين أن يفتح هونين (٣٠٢) .

وكذلك تم لصلاح الدين الاستيلاء على البلاد الشمالية
جبله واللاذقية وصهيون ، وسمانية ، وحصن برزية ، ودرباسال
وبغراس وغيرهم (٣٠٣) .

وصفوة القول أنه لم تنته سنة ١١٨٩ م ، حتى لم يبق
للصليبيين فى مملكة بيت المقدس سوى مدينة طرابلس ، وفى
شمال المملكة سوى أنطاكية ، ومدينة صور وبعض المراكز الأخرى
الثانوية (٣٠٤) ، ومن الأهمية بمكان القول بأن الصراع الصليبي
الاسلامى فى الشرق وخاصة بعد معركة حطين حتى ١١٨٩ ، كان
قاصرا على الوجود الصليبي فى الشرق ، ان استثنينا الامدادات
الصغيرة التى كانت تصل من أوروبا الى شواطئ بلاد الشام (٣٠٥) .

وهكذا استطاع الشرق الاسلامى بسياسته الجديدة أن يغير
وجهة نظر الغرب الأوربي تجاهه ، وكان واضحا أن هذه السياسة
كانت تسعى دائما وأبدا الى ضرورة وجود وحده سياسية واحدة
متماسكة الأطراف موحدة الأهداف ، حتى تضع حدا للاتجاهات
السياسية فى أوروبا الغربية ، وليس أدل على ذلك من ان البابوية
والامبراطورية الرومانية المقدسة ، بدأت بالفعل - تبدل من
سياستها تجاه الشرق الاسلامى اذ أنهما اتخذتا كما سبق تفصيله
من الطرق الدبلوماسية ما يحل مشاكل الصليبيين بالشرق . وبعد
أن فشلت تلك المحاولات ، لم يجد السلطان صلاح الدين أمامه
سوى طريق القتال لاسترداد بيت المقدس . وهو ما حدث بالفعل .

وقد نتج عن الوحدة الإسلامية هزيمة الصليبيين في عطين .
هذه الهزيمة التي أدت إلى اضطعاف الوجود الصليبي بالشرق ،
وبلا شك كان من الأسباب التي حركت البابوية والامبراطورية
المقدسة لكي تنقذ وترمم ما بقي من البنيان الصليبي بالشرق فأخذت
تدعو البابوية من جديد لشن حرب جديدة ضد المسلمين بالشرق ،
ومن الذين استجابوا لهذه الدعوة الامبراطور فردريك الأول
امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة فضلا عن غيره ملوك
وأباطرة أوروبا .

الهوامش

- (١) عبد القادر اليوسفي : المرجع السابق ، ص ١١٣ .
- (٢) ول ديورانت : المرجع السابق ، والجزء ، ص ٢١ .
- وايضا حامد غانم زيان : الامبراطور فردريك بيريوسا والحملات الصليبية
الثالثة ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٢٠ .
- (٣) Cam. Med. Hist., Vol., 5, p. 353.
وانظر حسن حبشي : المرجع السابق ، ص ٥٠ .
- (٤) ح - م - هسي : المرجع السابق ، هامش ، ص ١٨٨ .
- (٥) ه ديفز : أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة : عبد الحميد حمدي
محمود ، ط ١ ، الاسكندرية ، ١٩٥٨ ، ص ١٩٢ .
- (٦) أسد رستم : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .
- (٧) اسحق عبيد : روما وبيزنطة ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٨١ .
- (٨) انظر : أرنست بازكر : المرجع السابق ، ص ٩٣ .
- وايضا سعيد غاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ .
- (٩) Anthony (S.c.) : The Crusades, Exeter, 1966, p. 44.
وانظر سعيد علي الحريري : الأخبار السنوية في الحروب الصليبية ، ط ١
مصر ١٨٩٩ ، ص ٦٤ .
- (١٠) Setton (K.M.) : Op. Cit., Vol. 1., p. 481.
Cf : Duggan (A.) : Op. Cit., p. 109.
- (١١) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ ، ص ٥٩٧ حوادث
٥٤٢ هـ .
- (١٢) ح - م - هسي : المرجع السابق ، حاشية المترجم ، ص ١١٨ .
- (١٣) Ostrogorsky (G.) : History of Byzantine State, Trans
from German by Jean Hussey Oxford, 1956, p. 338.
وانظر : أسد رستم : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .
- وايضا : عبد القادر اليوسفي : المرجع السابق ، ص ١١٦ .
- (١٤) عمر كمال توفيق : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، الاسكندرية ١٩٨٧ ، م
ص ٤٧ .
- (١٥) Ostrogorsky (G.) : Op. Cit., p. 339.
- (١٦) اسحق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٨٨ .

(١٧) Ostrogorsky (G.) : Op. Cit., p. 339.
Cf : Duggan (A.) Op. cit., p. 111.

وانظر : عبد القادر اليوسفي : المرجع السابق ، ص ١١٤ .
(١٨) اسحق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .
(١٩) زبيدة محمد عطا : الشرق الاسلامي والدولة البيزنطية زمن الايوبيين ،
ماجستير غير منشورة ، القاهرة ، ١٩٦٨ م - ص ٦٣ .
(٢٠) عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة فيليب
صابر يوسف الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٧٢ م ، ص ٥٩ .

(٢١) Dugan (A.) : Op. Cit., p. 112.

وانظر : ابن القلائس : المصدر السابق ، ص ٢٩٧ .
(٢٢) ج ٢ م ٢ : هـ : المرجع السابق ، حاشية المترجم ، ص ١٨٨ .
وانظر محمد كرد علي : خطط الشام ، ج ٢ ، ص ١٩ .
(٢٣) اسحق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٩٠ - ١٩١ .
(٢٤) ستيفين رنسيان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢١ .

وانظر : اسحق عبيد : المرجع السابق ، ص ١٩١
Cf : Anthony (S.C.) : Op. Cit., p. 441.

(٢٥) اسحق عبيد : نفس المرجع ، ص ١٩٣ ، وانظر : سيد الحريري :
المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٢٦) Ostrogorsky (G.) : Op. Cit., p. 339.

وانظر اسد رستم : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .
(٢٧) اسحق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٩٢ .
(٢٨) Ostrogorsky (G.) : Op. Cit., p. 339.
وانظر زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص ٦٣ .
وايضا اسد رستم : المرجع السابق والصفحة .
(٢٩) اسحق عبيد : المرجع السابق ١٩٢ ، وانظر : سيد الحريري : المرجع
السابق ص ٦٦ .

(٣٠) ستيفين رنسيان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢١ .
Cf : Duggan (A.) : Op. Cit., p. 113.

(٣١) ابن القلائس : المصدر السابق ، ص ٢٨٧ ، وانظر : اسحق عبيد .
المرجع السابق ، ص ١٩٢ . Cf : Ostrogorsky (G.) : Op. Cit., p. 339 .
وايضا : ستيفين رنسيان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢١ .
Cf : Hulme (E.M.) : The Middle Ages, New York, 1929, 1938,
p. 486.

وانظر عزيز سوريال عطية : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٠ .
(٣٢) ستيفين رنسيان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ، وانظر اسحق
عبيد : المرجع السابق ، ص ١٩٢ .
(٣٣) الهوسوس : بلد بثغور طرسوس ، يقال انها بلد اصحاب الكهف .
انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٣١ .

(٣٤) Archer (T.A.) : Op. Cit., p. 215.

وايضا ستيفين رنسيان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ .
وكذلك : عبد القادر اليوسفي : المرجع السابق ، ص ١١٨ .
وانظر : اسحق عبيد : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .
(٣٥) William of Tyre : A history of Deeds Dome Beyone The
Sea Trans and Annalated by Eimily Atwatey Babcock, Vol. 2.,
New York, 1943, p. 181.

وايضا : ابن القلائس : المصدر السابق ، ص ٢٩٧ ، وايضا أبو شامة ،
الروضتين ، ج ١ ، بيروت ١٨٧١ م ، ص ٥٢ .
(٣٦) William of Tyre : Op. Cit., p. 181.

(٣٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦١٥ .
Cf : Archer (T.A.) : Op. Cit., p. 217.

وانظر ستيفين رنسيان : المرجع السابق ، ص ٤٥٤ .
(٣٨) Archer (T.A.) : Op. Cit., p. 217.
Cf : Duggan (A.) : Op. Cit., p. 118.

وانظر ابن القلائس : المصدر السابق ، ص ٢٩٨ .
(٣٩) Duggan (A.) : Op. Cit., p. 118.
(٤٠) ابن القلائس : نفس المصدر ، ص ٢٩٨ .
وانظر أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٢ .

وايضا أبو الفدا : المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، طاولي القاهرة ١٢٢٥ هـ ،
ص ٢٠ .

(٤١) ابن القلائسي : المصدر السابق ، ص ٢٩٨ .
Cf : Duggan (A.) : Op. Cit., pp. 118-119.

وانظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٤٢) Arcner (T.A.) : Op. Cit., p. 218.

وانظر أبو الفدا : المعبر السابق ، والجزء ، ص ٢٠ .

(٤٣) محمود ياسين الحموي : دمشق في العصر الأيوبي ، دمشق ١٩٤٦

ص ١٢ .

(٤٤) ابن القلائسي : المصدر السابق ، ص ٢٩٨ ، وإنه كثير : المصدر

السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٢٤ .

وأيضا أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٤٥) الأمير شمس الدين ناصح الاسلام هو من بيت له شأن في الأدب
والشرف والفضل ، أخوه ضياء نقيب العلويين ببغداد ، وابن عمه نقيب خراسان ،
واقام بدمشق بعض الوقت ، وعاد إلى بغداد بجواب وصل فيه يوم الأربعاء
الحادي عشر من رجب سنة ٥٤٣ هـ ، انظر ابن القلائسي : نفس المصدر السابق ،
ص ٣٠١ .

(٤٦) نفس المصدر والصفحة .

(٤٧) أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

(٤٨) ستيفن رنسيمن : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٧ .

(٤٩) ستيفن رنسيمن : نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٤٥٧ .

Cf : Duggan (A.) : Op. cit., pp. 118-119 F.

(٥٠) ج - هـ : المرجع السابق ، ص ١١٨ ، انظر اسحق عبيد : المرجع
السابق ، ص ٢٠٤ .

(٥١) Duggan (A.) : Op. Cit., p. 119.

وأيضا : ستيفن رنسيمن : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

وانظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦١٩ .

(٥٢) حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٢١ .

(٥٣) ستيفن رنسيمن : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٧٤ ، ص ٤٥٩ .

وانظر : حامد زيان : الامبراطور فردريك بروسا والحملات الصليبية الثالثة

ص ٢١ .

٣٠٤

(٥٤) ديفز : أوربا في العصور الوسطى ، ترجمه عبد الحميد حمدي ،

ص ١٦٧ .

(٥٥) أرتاج : اسم حصن عظيم من أعمال حلب . انظر ياقوت الحموي .

معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٤٠ - ١٤١ بيروت ١٩٨٤ م .

(٥٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٥٠ ، حوادث سنة

سنة ٥٤٢ هـ .

وأيضا أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٩ ، حوادث

سنة ٥٤٢ هـ .

كفرلاشا : بلد في سفح جبل عامله من نواحي حلب بينهما يوم واحد ، انظر

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٧٠ .

(٥٧) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٢٥ ، حوادث ٥٤٤ هـ .

(٥٨) سنجار : مدينة في نواحي الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام .

وهي في لحف جبال عال ، وسطها نهر جاز ، انظر : ياقوت الحموي : معجم

البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٦٢ .

(٥٩) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٢٦ ، حوادث ٥٤٤ هـ .

(٦٠) ابن الوردي : تكملة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٧٨ ،

حوادث ٥٤٥ هـ .

اقاميه : مدينة حصينة من سواحل الشام ، وكوره من كور حمص ، انظر :

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .

(٦١) تل ياشر : قلعة حصينة وكوره واسعة في شمالي حلب ، بينها وبين

حلب يومان .

انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ .

(٦٢) عين تاب : قلعة حصينة وبستان حلب وانطاكية وكانت تعرف

بدلوك ، وهي الآن من أعمال حلب . انظر : ياقوت الحموي : معجم

البلدان ، ج ٤ ، ص ١٧٦ .

(٦٣) تل خالد : قلعة من نواحي حلب . انظر ياقوت الحموي : معجم

البلدان ، ج ٢ ، ص ٤١ .

(٦٤) قورس « قورش » مدينة أثرية بها آثار قديمة وكوره من نواحي حلب

وهي الآن خراب وبها آثار باقية . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ،

ج ٤ ، ص ٤١٧ .

(٦٥) برج الرصاص : قلعة لها وساتيق من أعمال حلب ، قرب انطاكية ، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

(٦٦) دلولك : بلدة من نواحي حلب بالعواصم . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٦١ .

(٦٧) مرعش : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم . انظر : ياقوت الحموي ، نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ١٠٧ .

(٦٨) ابن الاثير : نفس المصدر ، ج ١١ ، ص ٦٢ - ٦٣ ، حوادث ٥٤٦ هـ .

وايضا : أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٢٢ ، حوادث ٥٤٦ هـ .

وانظر : عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١١٢ .

(٦٩) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ١ ، ص ٧٢ .
ولزيد من التفاصيل عن أعمال نور الدين : انظر حسن حبشي : نور الدين والصليبيون .

(٧٠) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، ج ٨ ، القسم الاول ، الهند ١٩٥١ م ، ص ٢١٥ وايضا : مكسيموس مونوندي : تاريخ الحروب المقدسة في الشرق ، ج ١ ، صفحات ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ .

(٧١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٨٠ - ٨١ ، حوادث ٥٤٩ هـ .

وايضا أبو شامة ، المصدر السابق ، ج ١ ، صفحات ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ .

وايضا سبط بن الجوزي : المصدر السابق والجزء والقسم ، ص ٢٢١ .
وكذلك سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٤٥ .

(٧٢) أبو شامة : المصدر السابق والجزء ، ص ٢٣٧ .

وايضا ابن كثير : المصدر السابق ، والجزء ، ص ٢٣٢ .

وايضا سبط بن الجوزي : المصدر السابق والجزء والقسم ، ص ٢٢١ .
وكذلك عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٢٣ .

١٢٤

(٧٣) قد استخدم لفظ الشحنة للدلالة على موظف في الدولة الاسلامية في العصور الوسطى ، والشحنة لفظ عربية من شحن بمعنى ملا ، وقد استخدمت لفظ الشحنة في اول الامر للدلالة على الرابطة من الخيل في البلد لضبط

١٠٦

اهله ، ثم استخدمت للدلالة على وظيفة . وربما قيل للشحنة صاحب الشحنة ، وربما سميت الوظيفة نفسها خطا شحنة .

وكان الشحنة بمثابة مندوب للحاكم الاعلى يعين في المدن التابعة او التي يفتحها ، اى انه كان بمثابة حاكم عسكري يمثل صاحب الحكومة المركزية سواء كان خليفة او غير ذلك . وكان مهمته بطبيعة الحال موازنة القوى الاخرى والمعارضة ، ومنعها عن المدينة ويحافظ على الامن ، ويتدخل في تحصيل الضرائب والمكوس والاموال ليحصل على نصيب الحكومة المركزية منها ، وكان يرأس شرطة المدينة ، كما كان تحت يده عدد من الجند يتبعون العسكر العام لا الجند المحلي ، وربما صار الشحنة والى المدينة واميرها . انظر : حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٦٢٣ .

(٧٤) ويعرف ابن خلكان صلاح الدين واسرته فيذكر : ان اياه واهله من « دوين » وهي بلدة في آخر عمل انرييجان من جهة « اران » وبلاد « الكرج » وانهم اكراد ، رواديه ، والبطن من التهذانية ، وهذه قبيلة كبيرة من الاكراد وينكر ايضا ان مولد ايوب والد صلاح الدين بقرية « اجدا نقان » وهي قرية على باب « دوين » وقد أخذ شادي ولديه منها : اسد الدين شيروكه ونجم الدين ايوب ، وخرج بهما الى بغداد ، ومن هناك نزلوا تكريت .

ويتفق المؤرخون على ان مولد صلاح الدين سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة يتكريت ، ولما كان ايوه وعمه بها ، ويبدو انهم لم يمشوا بها بعد ولادة صلاح الدين الا فترة قصيرة وان نجم الدين واسد الدين لما خرجا من تكريت وصلا الى عماد الدين زنكي ، ولم يزل صلاح الدين تحت كنف ابيه حتى ترعرع وكبر . انظر :

ابن خلكان : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق محمد مجي الدين عبد الحميد ، ج ٦ ، ط ١ ، ١٩٤٨ م ، صفحات ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ .

ولقد كان صلاح الدين اكبر ابناء شادي ، كما ينكر البعض ، انظر :

أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

(٧٥) ستيفن رنسيان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥١ .

وايضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٤٦ .

شيرز : قلعة تشتمل على كوره بالشام قرب المعرة ، بينها وبين حماه يوم وفي وسطها نهر الأردن عليه قنطرة في وسط المدينة اول من جبل لبنان تعد في قورة حمص وهي قديمة . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .

١٠٧

(٧٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٨١ - ٨٤ وأيضا
 أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠١ وأيضا ابن خلدون : العبر وديوان
 ابتداء والخير ، ج ٥ بيروت ١٦٧٦ ، ص ٢٤٢ .
 (٧٧) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٨٨ ، ١٢ ، وأيضا
 أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٧ ، وكذلك ابن كثير : المصدر
 السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٣٦ .
 (٧٨) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٢ .
 وأيضا ستيفن رئيسمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥٦ .
 (٧٩) عن أسباب المعاهدة بين نور الدين والامبراطور البيزنطي مانويل
 انظر زبيدة عيلا : الشرق الاسلامي والدولة البيزنطية ، ماجستير غير منشورة
 القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٦٨ - ٧٠ .
 وانظر : ستيفن رئيسمان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥٧٢ -
 ٥٧٣ .
 (٨٠) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في الشرق ، المجلد
 الاول ، ترجمة مكسيموس مظلوم ، طبعة اورشليم ، ١٨٦٥ م ، ص ٦٥ - ٦٦ .
 (٨١) العادل بن السلار : هو أبو الحسن علي بن السلار ، المنعوت بالملك
 العادل سيف الدين ، وعرف بابن السلار ، وزير الظاهر العبيدي ، صاحب مصر ،
 وكان كرديا « زرزاريا » وكان تربية القصر بالقاهرة ، وقتل يوم الخميس سادس
 المحرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بدار الوزارة بالقاهرة .
 انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، المجلد ٣ ، ص ٤١٦ - ٤١٨ .
 (٨٢) ستيفن رئيسمان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٥٤٣ .
 (٨٣) ابن الميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، صححه هنري ماسيه ، العهد الفرنسي
 ١٩١٩ م ، ص ٩١ .
 (٨٤) نفس المصدر ، ص ٩٢ .
 (٨٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٧٧ ، وأيضا ، أبو الفدا
 المختصر ج ٣ ، ص ٢٧ .
 وانظر ابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٨٤ ، والمقريزي : خطط
 المقريزي ، ج ٢ ، ص ٣٣ .
 (٨٦) أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨ .
 (٨٧) طلائع بن رزيك : أبو الفارسات طلائع بن رزيك : الملقب بالملك الصالح
 وزير مصر كان واليا ، بمنية بنى خصيب من أعمال مصر ، انظر : ٩٦٣ .

ابن خلكان : وفيات الاعيان ، المجلد الثاني ، تحقيق الحسن عباس ، بيروت
 ١٩٦٩ ، ٥٢٦ .
 (٨٨) المقريزي : خطط المقريزي ، ج ٢ ، ص ٣٦ - ٣٧ .
 وكذلك : عبد العادر اليوسفي : المرجع السابق ، ص ١٢٤ ولزبد من التفاصيل .
 وأيضا : ابن الوردي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٧ ، وسعيد عاشور :
 الايوبيون والمماليك طبعه ثانية ، القاهرة ١٩٧٦ م ، ص ١٠ - ١١ .
 (٨٩) السويك : ملحة حصينة في اطراف الشام بين عمان وإيله والقتزم
 قرب الكرك .
 انظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .
 (٩٠) ابن الميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٩٦ ، ٩٨ ، حوادث ٥٥٢ .
 ٥٥٣ هـ .
 (٩١) أبو شامة ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٥ .
 (٩٢) ابن الميسر : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٧ .
 وأيضا ستيفن رئيسمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ .
 (٩٣) شاور : هو ابن مجير الدين بن نزار بن عشاير بن شاس بن مغيث .
 بن ذؤيب هو الحارث بن عبد الله بن شحنة بن جابر بن ناصر (وهو والد حليلة
 مرضعة الرسول صلعم) انظر : ابن أبيك الدواداري : كنز الدرر وجامع الفرر ،
 الدر المطلوب في أخبار بني أيوب ، ج ٧ ، تحقيق : سعيد عاشور سنة ١٩٧٢ ،
 القاهرة ، ص ١٨ - ١٩ .
 (٩٤) أطفح : قرية جنوب القاهرة ، على الشاطئ الشرقي للنيل ، وتبعد
 عن القاهرة حوالي ٨٠ كيلو متر ، وفي قبلته موسى بن عمران ، فيه موضع
 قدمه ، وينسب اليه بعض العلماء : انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ،
 ج ١ ، ص ٣١٨ ، وأيضا : على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٨ ، ص
 ٧٩ - ٨٠ .
 (٩٥) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٢٨ - ٤٠ ، حوادث
 ٥٥٦ - ٥٥٨ هـ وأيضا أبو شامة : نفس المصدر ج ١ ، ص ١٢٤ وكذلك المقريزي .
 الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٧ ، وكذلك : ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ،
 ص ٢٤٣ .
 وأيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٦٠ - ٦٦١ .
 وانظر : سعيد عاشور : الايوبيون والمماليك ، ص ١١ .

- (١٦) ضرب غام : ابن عامر بن سوار الملقب بفارس المسلمين الخمي المنذرى .
 انظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١٤٥ .
- (٩٧) عبد القادر اليوسفي : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .
- (٩٨) أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٠ .
- (٩٩) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١١٩ ، حوادث ٥٥٨ هـ .
- (١٠٠) ابراهيم الحنبلي : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، مخطوط ، ورقة ٥ ، بجامعة القاهرة .
 Cf : Samil (R.C.) : The Crusaders in Syria and the Holy Land, London, 1973, pp 20 FF.
- (١٠١) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ١٣ .
- (١٠٢) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٠ ، وانظر : المقرئ : خطط المقرئ ، ج ٢ ، ص ٣٧ .
- (١٠٣) أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤١ .
- وأيضا ستيفن رنسيمن : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٩٣ .
- (١٠٤) بدر الدين العيني : السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ الحمودي تحقيق : فهم شلتوت ، وراجع محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٦٧/٦٦ ، ص ١٩٠ .
- (١٠٥) ستيفن رنسيمن : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٩٢ .
- (١٠٦) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ١١ .
- (١٠٧) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٢١ .
- وانظر أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٢ ، وأيضا : سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .
- (١٠٨) ابن أبيك الدوادري : الدر المطلب في أخبار بني أيوب ، ج ٧ ، ص ٣٧ .
- (١٠٩) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٢١ ، وانظر : أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٢ .
- وأيضا : سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .
- وانظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٦٥ - ٦٦٦ .
- (١١٠) ستيفن رنسيمن : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٩٥ .
- وأيضا : عبد القادر اليوسفي : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .
- (١١١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٢٣ .
- (١١٢) ستيفن رنسيمن : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٠١ .

- (١١٣) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٢ .
- (١١٤) ابن شداد : التوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٣٧ .
- (١١٥) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٤ ، وأيضا : ابن أبيك الدوادري : المصدر السابق ، ص ٢٨ ، ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٣١ - ١٣٢ ، حوادث ٥٦٢ هـ ، وأيضا ابن الوردي : المصدر السابق ، ص ١١١ .
- وابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٥٢ ، وكذلك : ستيفن رنسيمن : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٠٦ .
- (١١٦) ستيفن رنسيمن : نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٦٠٦ .
- (١١٧) ابراهيم الحنبلي : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، ورقة ٧ .
- (١١٨) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٥٣ ، وابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١١١ ، وانظر عبد القادر اليوسفي : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٢٨ .
- (١١٩) ستيفن رنسيمن : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦١٧ .
- (١٢٠) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٥ ، وأيضا : ابن الوردي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٥ .
- (١٢١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٦ ، ص ١٤٨ .
- (١٢٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٣٥ ، وأيضا أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ، وانظر : ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٣٩ .
- (١٢٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٣٧ ، وأيضا : ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٦ ، ص ١٤٨ ، وأيضا ابن الوردي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٥ ، وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٦٨ .
- (١٢٤) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ١٩ ، وانظر عبد القادر اليوسفي : المرجع السابق ، ص ١٣٠ .
- (١٢٥) عطية القوصي : معركة حطين ووحدة الصف العربي ، ص ١٠ .
- (١٢٦) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ص ٢٧٦ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٦ ، ص ١٤٩ ، وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٧٨ .

(١٢٧) عن الدين جوديكي : عتيق نور الدين صاحب الشام ، انظر ابن خلكان

المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ٤٤٠ .

(١٢٨) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨١ ، ص ١٢٧ .

(١٢٩) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٥٦ .

(١٣٠) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٢٧ . أبو شامة

المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٨ ، وأيضا الحنبلي : الانس الجليل ، ج ١ ،

ص ٢١٢ .

أما تقليد شيركوه الوزارة فكان عبارة عن عهد أرسله له الخليفة وهذا نصه « هذا عهد لم يعهد لوزير بمثله ، فتأكد أمانة » وال أمير المؤمنين أهله لحملها والحجة عليك عند الله مما أوضحه لك من مرأشده سبله ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » .

انظر : إبراهيم الحنبلي : شفاء القلوب ٨ .

(١٣١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٢٧ .

(١٣٢) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٠ ، وأيضا سعيد عاشور

الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٨٣ .

(١٣٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٢٩ .

كتب نور الدين الى صلاح الدين يعفنه على قبول وزارة مصر بدون مرسومه

انظر ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٥٨ .

(١٣٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٤٢ .

(١٣٥) ستيفين رنسيما : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٢٤ - ٦٢٦ .

(١٣٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٤٧ ، وأيضا سبط

ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج ٨ ، قسم ١ ، ص ٢٨٢ .

وأيضا : ستيفين رنسيما : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٣٠ - ٦٣١ .

(١٣٧) سعيد عاشور : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٨٨ .

(١٣٨) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٥٨ .

(١٣٩) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨١ .

(١٤٠) نفس المصدر ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ، وانظر سعيد عاشور : الحركة

الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٩٦ .

(١٤١) أبو شامة : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(١٤٢) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٢ .

أما العبارة التي كان يرددتها الشيعة في الأذان فهي « حي على خير العمل » .

(١٤٣) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٢ ، وأيضا ، أبو الفدا :

المختصر ج ٣ ، ص ٥٠ . وأيضا سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ٢٧ .

وانظر : ستيفين رنسيما : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٣٦ .

(١٤٤) ابن تقي بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٦ ،

القاهرة ١٩٢٣ ، ص ٦٤ .

(١٤٥) الفتح بن علي البنداري : سنا البرق الشامي ، ج ١ ، تحقيق فتحية

النبراوي ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٦١ .

(١٤٦) حسن حبشي : نور الدين والصليبيون ، صفحات ١٢١ - ١٣٥ .

(١٤٧) انظر : أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

وأيضا : ابن شداد : التوادر السلطانية ، ص ٤٥ ، وكذلك ابن الوردي .

تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .

(١٤٨) وانظر ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٨ .

وأيضا : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ١٦٣ ، وكذلك أبو شامة :

نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

(١٤٩) ابن القيسراني : هو موفق الدين أبو اليقاء خالد بن محمد بن نصر

ابن جيفر المعروف بابن القيسراني . انظر : المقرئ : السلوك لمعرفة دول

الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٧٢ .

(١٥٠) أبو شامة : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢١٩ ، وأيضا : المقرئ :

السلوك ج ١ ق ١ ، ص ٧٣ .

(١٥١) حدثت بعض المؤامرات في مصر ضد صلاح الدين ، هدفها تقويض

حكمه ، ومن هذه المؤامرات ، مؤامرة كان أحد أقطابها ، عمارة اليماني وهو

من جبال اليمن ، ويدعى أبو الحسن أبو حمزة اليماني ، وكان شاعرا ، وهو

من قمطان ، جاء مصر سنة ٥٥٥ هـ ، وصاحب في مصر الفائز بين الطافر وطلائع

ابن رزيك .

انظر : سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٩٩ .

وأيضا : ميخائيل أماري : المكتبة العربية الصقلية ، ص ٣٠٩ .

(١٥٢) انظر :

ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية ، ص ٤٧ .
 وايضا : ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .
 (١٥٣) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٥٥ .
 (١٥٤) Lamb (H.) : Op. Cit., p. 43.
 (١٥٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٦٤ .
 وايضا : أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .
 (١٥٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٦٥ ، وايضا ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٨٥ .
 وانظر ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ٢١٦ . وايضا : حسن ابراهيم حسن واحمد طنطاوى : تاريخ العصور الوسطى في الشرق والغرب ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٣٣ ، ص ١٧٨ .
 (١٥٧) ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب من مناقب بنى ايوب ، ورقة ٢٢ .
 وانظر ابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٢٨ ، وايضا ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٦٥ .
 وكذلك ستيفين رسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٥٠ ، وايضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٠٥ - ٧٠٧ .
 (١٥٨) دار العقيقى : العرب تقول : لكل سيل ماء شقة السيل في الأرض ، فأنهره ووسع عقيق . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٢٢ .
 (١٥٩) انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ، أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ٥٦ ، الحنبلى : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٣١٥ ، وايضا ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ، ص ٢٥٥ . ولزيت من التفاصيل انظر سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ٢٧ - ٣٩ .
 (١٦٠) كانت حمص وحماء وقلعة بعين وسلمية وتل خالد والرها من بلد الجزيرة في قطاع الأمير بحر الدين مسعود الزعفرانى ، انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٦٩ .
 (١٦١) ابن الأثير : نفس المصدر ، ج ١١ ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، تذكر بعض المصادر انه تم فتح حمص قبل حماه . انظر : أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٧ ، وايضا : ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٨٩ ، لكن لم يملك صلاح الدين حمص قبل حماه وهاجمها فقط . انظر : ابن الوردي

تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٢٩ ، وايضا : سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ٤٠ - ٤١ .
 (١٦٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٧٤ .
 (١٦٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ١٧٤ .
 (١٦٤) ابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٢٩ ، وايضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧١٩ .
 (١٦٥) حسن ابراهيم حسن واحمد صانق طنطاوى : تاريخ العصور الوسطى ، ص ١٧٨ .
 (١٦٦) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ٤٢ ، وانظر الباز العرينى ، مصر في عصر الأيوبيين ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٤٥ - ٤٦ .
 (١٦٧) ابن الوردي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٩ - ١٣٢ .
 (١٦٨) ستيفين رسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦٠ .
 (١٦٩) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٩٥ .
 وانظر المقرئى : خطط المقرئى ، ج ٣ ، ص ٨٥ ، وايضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٢٩ .
 (١٧٠) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .
 وانظر ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٥٢ ، وايضا ستيفين رسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٧٢ .
 (١٧١) Reinoud (M.) : Notice sur la vie de Saladin, Sultan d'Egypte et Syria, Journal Asiatique, Tome 5, pp. 226-237.
 (١٧٢) ابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٢٥ ، وانظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٢٤ .
 (١٧٣) الملك المنصور محمد بن مظفر بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب مضمار الحقائق وسر الخلائق ، مخطوط ورقة ، ١٩ ، ٩ ب .
 (١٧٤) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١ ، وانظر ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣٠٢ .
 (١٧٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ١٨٧ .
 (١٧٦) نفس المصدر : ص ١٨٩ - ١٩٠ ، وايضا : أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧ ، ١٩ .
 (١٧٧) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .
 (١٧٨) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

Thompson (T.W.) : Middle Ages, Vol. 1, London, 1931, (١٩٧)
p. 490.

• سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٦٤
• وانظر : أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

Henderson (E.F.) : Select Historical Documents of the (١٩٩)
Middle Ages trans by : Henderson, London, 1892, Letter of
Adrian IV to Barbarossa, Sept., 20th. 1157.

Thompson (J.W.) : Op. cit., Vol. 1, p. 490. (٢٠٠)

• سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٦٧ .

• فيشر : أوربا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

William of Tyre : Op. cit., vol. 2, p. 281. (٢٠٣)

Cf : Hayes (J.H.) : History of Europe, New York, 1959, Vol 1,
p. 281.

• (٢٠٤) أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .

Cam. Med. Hist., Vol. 5., p. 409. (٢٠٥)

William of Tyre : Op. cit., Vol. 2., p. 281. (٢٠٦)

William of Tyre : Op. cit., vol. 2., p. 435. (٢٠٧)

Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 346. (٢٠٨)

• وانظر فيشر : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ .

Thatcher (O.J.) : & McNeal (E.H.) : A Source Book for (٢٠٩)
Medieval History, America, 1905, No. 108, pp. 197 F.

— The preliminary treaty ١ وانظر نص الوثيقة ملحق رقم
of Anagni between Alexander III and Frederick I, 1176.

• (٢١٠) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .

William of Tyre : Op. Cit., Vol. 2., p. 281. (٢١١)

• (٢١٢) وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٢ ، ص ٥٧٧ .

Cf : Thatcher (O.J.) : & McNeal (E.H.) : Op. Cit., No. 109.
pp. 199 FF, The Peace of Constance, January 1183

Rohricht (R.) : Regesta Regni Hierosolymitani (1097-(٢١٣)
1291), Berolini, 1892, No. 598, p. 158.

• (٢١٤) أبو طاهر مندوب صلاح الدين الى البابا هو :

محمد بن يثان الابنارى الكاتب ، من اهل مصر ، واهله من الانبار ، قرا

(١٧٩) ابن كثير : المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

• (١٨٠) ستيقن ونسيان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٧٩ - ٦٨٠ .

• (١٨١) القرينى : خطط القرينى ، ج ٢ ، ص ٨٥ .

• (١٨٢) ستيقن ونسيان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٩٦ - ٦٩٧ .

• (١٨٣) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٥٦ .

Cf : Stevenson (W.B.) : The Crusaders in the East , Camb, 1968,
p. 229.

• (١٨٤) سعيد عاشور ، الأيوبيون والمماليك ، ص ٥٩ - ٦٠ .

• (١٨٥) أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ٦٣ - ٦٤ ، وانظر ابن كثير :

المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢١٠ - ٢١١ . وأيضا : مكسيموس مونرون

تاريخ الحروب المقدسة في الشرق ، ج ١ ، ص ٧٩ .

Lawrence Nicolson (R.) : Josselyn III and the Fall of (١٨٦)
the Crusaders State (1131-1199), Speculum, Brill, 1973, Vol. 51,
p. 343.

Antheny (S.C.) : The crusaders, p. 47. (١٨٧)

(١٨٨) وليام لانجر : موسوعة تاريخ العلم ، ج ٢ ، ترجمة محمد مصطفى

زيادة ، القاهرة ١٩٥٩ م ، ص ٥٧٤ .

Cam. Med. Hist. vol. 5., Cam. 1948, p. 382. (١٨٩)

• وانظر ميتز : المرجع السابق والقسم ، ص ١٩٨ ، وأيضا سعيد عاشور :

أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٦٠ .

Cam. Med. Hist., Vol. 5., p. 831. (١٩٠)

• وانظر رافت عبيد الحميد : الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب في العصور

الوسطى ، ندوة التاريخ الاسلامي والوسيط ، المجلد الثاني ، القاهرة ١٩٨٣ ،

ص ١٨٤ .

Painter (S.) : A history of the Middle Ages, New (١٩١)
York, 1954, p. 277.

Stephenson, (C.) : Medieval History, p. 425. (١٩٢)

Cam. Med. Hist., Vol. 5., p. 382. (١٩٣)

Bryce (J.) : The Holy Roman Empire, London, 1907, (١٩٤)
p. 175.

• (١٩٥) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٦٠ .

Ashour, (S.) & Rabie (H.) : Fifty documents in Medieval (١٩٦)
history, Cairo, 1971, pp. 8٤ F.

Cf : Hayward (F.) : A history of the Popes, Paris, 1929,
p. 189.

الأدب ، وسمع الحديث ، وكان شيخا جليلا مهيبا عالما كاملا بليغا ، قدم بغداد رسول مع قافلة الحج من مكة ، من جهة سيف الاسلام طغتكين ، كما تولى ديوان النظر في الدولة المصرية ، وانتقلت به الخدم في الأيام الصلاحية بتتيسر والاسكندرية ، ولد سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ / ١١١٤ م - وتوفي سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ / ١٢٠٠ م . انظر :

بطرس البستاني : دائرة المعارف ، مجلد ٤ ، بيروت ١٨٨٠ ، ص ١٩٩ .

(٢١٥) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٦٦ .

وانظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣١٣ - ٣١٤ .

(٢١٦) Jean (M.) : & Brial (J.) : Recueil des Historiens des Gaules et de la France, Tome 17, Paris, MDCCCLXXXVIII. p. 623.

Ibid., p. 623. (٢١٧)

Ibid., p. 624. (٢١٨)

Lec-Cit. (٢١٩)

Jean (M.) : & Brial (J.) : recueil des Historiens, Tome 17, p. 624. (٢٢٠)

وانظر أيضا Cf : Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 626, p. 166. ونص رسالة العادل الى البابا لوكيوس الثالث ، انظر ملحق رقم ٢ .

Jean (M.) : & Brial (J.) Recueil, Tome 17, p. 623. (٢٢١)

Jean (M.) : & Brial (J.) : Op. cit., Tome 17, p. 623. (٢٢٢)

Lec. cit. (٢٢٣)

Jean (M.) & Brial (J.) : Op. cit., Tome 17, p. 623. (٢٢٤)

Cf : Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 635, p. 168.

Jean (M.) & Brial (J.) : Recueil, Tome 17, p. 623. (٢٢٥)

عن نص رسالة صلاح الدين الى البابا ، انظر ملحق رقم ٣ .

(٢٢٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٨ .

(٢٢٧) نفس المصدر ، ص ٢٠٢ ، وانظر سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان

ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٧٥ ، وأيضا ستيفين رنسيان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٠٤ .

(٢٢٨) نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٤٧ ، وأيضا سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ٤٧ .

(٢٢٩) ابن الوردي : تكملة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .

ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣١١ .

وانظر سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ٦٠ .

ومما يجدر ذكره أن الذي قاد الأسطول المصري هو حسام الدين لؤلؤ الحاجب متولى الأسطول بمصر . وعن هذه المهمة العسكرية التي قام بها انظر : محمد كرد علي : خطط الشام ج ٢ ، ص ٥٦ .

(٢٣٠) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٢٣١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣١٤ .

وانظر رنسيان : المرجع السابق ، ص ٧١١ .

(٢٣٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٠٦ .

وانظر رنسيان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧١٤ .

(٢٣٣) ابن الوردي : تكملة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

(٢٣٤) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٢٣٥) ستيفين رنسيان : المرجع السابق ، ص ٧١٩ .

(٢٣٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

أبو الفدا : المصدر السابق ، ص ٦٩ .

(٢٣٧) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ٦٠ .

(٢٣٨) مما يجدر ذكره أن صلاح الدين أرسل الى بلدوين الخامس - رسالة يعزيه في وثلته انظر ملحق رقم ٤ .

(٢٣٩) Antheny (S.C.) : The Crusades, p. 48. (٢٤٠)

Rohricht, (R.) : Regesta Regni, No. 646, p. 170. (٢٤١)

ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٧٠ ، وابن الأثير : المصدر

السابق ، ص ٢١٠ ، وانظر سبط الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ،

ج ٨ ، القسم الأول ، ص ٣٨٤ ، وأيضا ستيفين رنسيان : الحروب الصليبية

ج ٢ ، ص ٧٢٠ ، ونظير حسان سعداوى : الحرب والسلام زمن العدوان

الصليبي ، ص ١٥ ، القاهرة ١٩٦١ .

(٢٤٢) ابن الوردي : تكملة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .

أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٧٠ .

ينكر بعض المؤرخين ، ان هدف صلاح الدين باخراج العادل من الشام الى مصر حتى يملك الشام لاولاده ، نظرا لاهميتها ، انظر :

ابن خلكان : وفيات الاعيان ، وانباء ابناء الزمان ، ج ٦ ، ص ١٧٢ .

(٢٤٢) سعيد عاشور وعبد الرحمن الراغب : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، ص ٢١٣ ، طبعة أولى ، القاهرة ١٩٧٠ .

(٢٤٤) رنسيان : المرجع السابق ، ص ٧٢٠ .

(٢٤٥) عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٦٥ .

(٢٤٦) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢١٤ .

وانظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢١٩ .

(٢٤٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٦٩ .

Poole (L.) : History of Egypt in Middle Ages, pp. 207 F. (٢٤٨)

Vonsifs (G.) : Itinerary of Richard I and others to the holy Land, London, 1848, New York, 1969, p. 73. (٢٤٩)

وانظر سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ١ ، ص ٣٨٩ .

واختلفت المصادر العربية المعاصرة واللاتينية عن خط سير القافلة هذه فمنهم من ذكر أنها كانت قادمة من دمشق الى مصر ، انظر :

Cf : Vinsofs, p. 73.

وأغلب الظن انها قافلة مصرية قادمة من دمشق ، انظر : ابراهيم الحنبلي

شفاء القلوب في مناقب بني أيوب حوادث ٥٨٢ هـ - ومنهم من اكتفى بانها قافلة خاصة بالمسلمين ، انظر : ابن الوردي : تنمة المختصر في أخبار البشر

ج ٢ ، ص ١٤٥ .

(٢٥٠) ستيفين رنسيان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٢٨ .

(٢٥١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢١٥ .

(٢٥٢) المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ مجلد ٢ ، ص ١١٨ .

أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

وأيضاً الحنبلي : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ج ١ ، ص ٣١٨ .

وانظر سعيد عاشور : الايوبيون والمماليك ، ص ٦٢ .

(٢٥٣) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٧٥ .

(٢٥٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢١٦ .

(٢٥٥) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٧١ .

(٢٥٦) عيون كريسون ، تقع بين صفوريا وكفر كنه ، قرب حطين ، انظر

رنسيان : نفس المرجع ، ص ٧٢٢ .

(٢٥٧) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 70.

(٢٥٨) ابن الاثير : نفس المصدر ، ص ٢١٧ .

وانظر مكسيموس مونروث : تاريخ الحرب المقدسة في الشرق ، مجلد ٢ ، ص ٨٢ - ٨٣ .

وايضاً رنسيان : نفس المرجع ، ص ٧٣٠ . وكذلك الباز العريني : مصر في عصر الايوبيين ، ص ٨٣ .

(٢٥٩) Painter (S.) : A history of the Middle Ages, p. 214.

Cf : Setton (K. M.) : A history of the Crusades, Vol. 1., New York, 1955, p. 612.

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 74. (٢٦٠)

King (E.J.) : The Knights hospitallers in the holy Land, London, 1931, p. 125. (٢٦١)

(٢٦٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢١٧ .

Cf : Smail (R.C.) : Crusading warfare (1097-1193). Vol. 3, Cam., 1959, pp. 194 F.

Cf : Stevenson, (W.B.) : The Crusaders in the East, p. 246.

(٢٦٣) Poole (S.L.) : Saladin and the fall of the kingdom of Jerusalem, p. 212.

وانظر : رنسيان ، الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٢٨ - ٧٢٩ .

(٢٦٤) صليب الصلבות ، له قيمة عند الصليبيين وهو قطعة من الخشب انشأ صلب عليها السيد المسيح عليه السلام .

(٢٦٥) Archer (T.A.) : The Crusades, p. 276.

وانظر ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٢١٨ .

(٢٦٦) روبرت كلاري : فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ، ترجمة

حسن حبشي ، ص ٧٢ . Cf : Ostrogorsky (G.) : Op. Cit., p. 360.

(٢٦٧) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٧١ - ٧٢ .

Cf : Antheny (S.C.) : The Crusades, p. 49.

Cf : Lamb (H.) : The Crusades, pp. 68 F.

(٢٦٨) عبد المنعم ماجد : المصريون وحدهم ، هم الذين استردوا بيت المقدس ، مقال بالمجلة المصرية للتراسات التاريخية ، الموسم الثقافي ١٩٨٢/٧٨ .

(٣٦٩) مكسيموس مونروند : تاريخ الحرب المقدسة في الشرق ، المجلد ٢ ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

وانظر سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، القسم الاول ، ص ٢٨٩ .
(٢٧٠) مكسيموس مونروند : تاريخ الحرب المقدسة في الشرق ، المجلد ٢ ، ص ٨٦ .

Vinsofs (G.) : Op. cit., pp. 74 F (٢٧١)
Cf : Stevenson (W.B.) : The Crusaders in the east, p. 248.

(٢٧٢) Michoud : Historia de Croisades, Tome 2, Paris, 1816, p. 50.

وانظر : أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٩ .

وأيضا : ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢١٩ .

(٢٧٣) Stevenson (W.B.) : Op. Cit., p. 248.

(٢٧٤) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ٢ ، ص ٨٦ - ٨٨ .

(٢٧٥) مارجريت Margarit ، هو صقل ، وقد أطلق عليه كل من

« ريتشارد ديفز » Richard of Devizes

Roger of Hoveden لقب أدميرال The Admiral ، ويعتبر - أدميرال

كبير وخصوصا في البحار الشرقية وقد قام بفتح بعض الجزر مثل « كورف Corfu

و « أوتين » Ionion ، وبعض الموانئ الأخرى ، ولم يعد لاسم مارجريت

نكر في الشرق ، بعد سنة ١١٩٠ م ، وقد كان موجودا في إيطاليا سنة ١١٩٢ م ،

ويقرر البعض أن هنري السادس Henry VI أخذه أسيرا وأرسله إلى

ألمانيا ، ومات في روما سنة ١٢٠٠ م .

Cf : Ambroise : The crusade of richard Lion-Heart, translated from the Old Franch by Merton Hubert, with Notes and Documentatton by John L. Lambonte, New York, 1941, p. 54.

Jean (M.) & Brial (J.) : Recueil, Tome 17, p. 485. (٢٧٦)

وأيضا انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٨٢ -

٧٨٣

(٢٧٧) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ، ص ٨٦ - ٨٧ .

(٢٧٨) روبرت كلاري : المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٢٧٩) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، صفحات ٢١٩ - ٢٢٣ .

Cf : Poole (S.) : Saladin and fall of Jerusalem, p. 223.

(٢٨٠) ابراهيم الحنبلي : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، ص ٢٤ .

وأيضا ستيفن رنسيمن : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، صفحات ٧٤٢ -

٧٤٧

Vinsofs (G.) : Op. Cit., p. 77. (٢٨١)

كونراد مونتردرات وهو ابن الماركيز مونتردرات من أسرة إيطالية ، ويتصل بصلة قرابة بالامبراطور فردريك بربروسا وشقيق وليم مونتردرات الذي كان روج الأميرة « سبيل » ووريثة الملكة الصليبية ، وقد تزعم كونراد قيادة الصليبيين في صور ضد المسلمين ، انظر :

حامد زيان : الامبراطور فردريك الأول بربروسا والحملة الصليبية الثالثة

ص ٥ - ٦ ، القاهرة ١٩٧٧ .

(٢٨٢) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية

الاسلامية في حوض البحر المتوسط ، ج ١ ، ص ٢٨٠ ، بيروت ١٩٧١ ، وانظر

سعيد عاشور وعبد الرحمن الرفاعي : مصر في العصور الوسطى ، ص ٢٢٧ .

(٢٨٣) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٨١ .

وانظر ول ديورانت : قصة الحضارة ، ج ٤ ، مجلد ٤ ، ص ٢٧ ، ترجمة

محمد يدران .

Michoud : Op. cit., Tome 2, pp. 52 F. (٢٨٤)

لقد قام الصليبيون في الحملة الاولى بقتل حوالي مائة الف من المسلمين .

انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٢٢٣ .

وأيضا : أحمد بن علي الحريري : الأعلام والتبيين في خروج الفرنج

الملاحين على بلاد المسلمين ، مخطوط بجامعة القاهرة ، ورقة ١ - ٦ .

King (E.J.) : The Knights Hospitallers in the Holy Land, (٢٨٥) p. 130.

Duggan (A.) : The Story of the Crusades, London, (٢٨٦) 1963. p. 164.

(٢٨٧) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .

- (٢٨٨) مكسيموس مونروند : تاريخ الحرب المقدسة في الشرق ، مجلد ٢ ، ص ٩٢ - ٩٣ . وانظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٢٣ .
- (٢٨٩) ابن الاثير : نفس المصدر ، ص ٢٢٤ ، وابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ، ص ٢٢٣ .
- (٢٩٠) مكسيموس مونروند : المرجع السابق ، ص ٩٤ - ٩٥ .
- ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٣ .
- King, (E.J.) : Op. cit., p. 131. (٢٩١)
- Pornoud (R.) : The crusades, London, 1960, p. 173, & (٢٩٢)
- Cf : Ehrenkreutz, (A.S.) : Saladin, Speculum, Vol. 49 1972. p. 726, & cf : Vinsofs (G.) : Op. Cit., pp. 78 F.
- Hulme (E.M.) : The Middle Ages, New York, 1929, 1938, (٢٩٣) pp. 487 F.
- Stephenson (C.) : Medieval History, p. 418. (٢٩٤)
- Thompson (J.W.) : Middle Ages, Vol. 1, p. 582. (٢٩٥)
- (٢٩٦) عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٦٨ .
- Richard (J.) : An account of the Battle of Hattin (٢٩٧)
- Referring to the Frankish Mercenaries in Oriental Moslem State, Speculum, America, 1952, Vol. 27, p. 172.
- (٢٩٨) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ج ٤ ، مجلد ٤ ، ص ٢٨ .
- Poole (S.L.) : Saladin, p. 233. (٢٩٩)
- وانظر أيضا : عطية القوصي : معركة حطين ، ص ٢٩ .
- (٣٠٠) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .
- (٣٠١) ابراهيم الحنبلي : شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، ورقة ٤١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٢٧ .
- (٣٠٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .
- ابن الوردي : تنمة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .
- (٣٠٣) ابن ابيك الدوادري : الدر المطلوب في أخبار بني ايوب ، ج ٧ ، ص ٩٥ .
- وانظر ستيفين رنسيما : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، صفحات ٧٥٨ - ٧٦١ .
- Cf : Stevenson (W.B.) : Op. cit., pp. 256-260.

- (٣٠٤) أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة : السيد الباز العريني ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٠٥ .
- (٣٠٥) نظير حسان سعداوي : التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين ، ص ٢١٥ .

الفصل الثاني

سياسة الامبراطورية الرومانية المقدسة تجاه الدولة الأيوبية

(٥٨٤ - ٥٨٦ هـ / ١١٨٨ - ١١٩٠ م)

- استغاثة صليبي الشرق بأوروبا وخاصة بالامبراطورية الرومانية المقدسة .
- اتصالات الامبراطور فردريك الأول الدبلوماسية .
- الترتيبات العسكرية للحملة .
- تحرك الحملة الألمانية بقيادة الامبراطور فردريك الأول .
- وفاة الامبراطور فردريك الأول وتولية ابنه فردريك السوابي قيادة الحملة .

سبقته الإشارة الى أن البابا والامبراطور قد توصلا الى مرحلة وفاق ، بعد مرحلة الصراع العلماني الذي نشب ، وما تلا ذلك من توصلهما الى اتفاق ، بشأن المسألة الصليبية ، بالشرق الا انهما لم ينجحا في حل المشاكل التي قابلت الصليبيين ومن ثم فقد أصبحت الدولة الأيوبية تسعى الى أخرى لوضع حد للهجمات الصليبية على الامارات الاسلامية ، وانتهى الأمر بانتصار السلطان صلاح الدين على الصليبيين واسترداده المملكة منهم ، وأصبح بيت المقدس تحت يد المسلمين ، ومن هنا أخذت النداءات الصليبية تشق طريقها الى البابوية ، التي أخذت تدعو الى قيام حملة صليبية جديدة ، ومن الأباطرة الذين استجابوا ، لهذه الدعوة - الامبراطور فردريك الأول *

استغاثة الشرق الصليبي بالامبراطورية الرومانية المقدسة :

كانت العلاقات بين البابوية والامبراطورية قد بدت عنها ظلمات الخلاف واتسمت بالهدوء النسبي (١١٨١ - ١١٨٥) ، لكن الصراع بينهما كاد يتفجر من جديد عندما طلب الامبراطور فردريك الأول من البابا ليكوس الثالث Lucius III تنويع ابنه هنري السادس ، الا أن ليكوس الثالث ، مات في ٢٥ نوفمبر ١١٨٥ م فتجدد النزاع في عهد البابا اربان الثاني Urban II (١١٨٥ - ١١٨٧) (١) . وكاد البابا يصدر قرار الحرمان ضد الامبراطور ، بسبب سوء العلاقة بينهما ، وما أن جاءت الأنباء من الشرق بسقوط بيت المقدس في يد المسلمين حتى توفي البابا حزنا في ٢٠ أكتوبر ١١٨٧ م (٢) . وعين خلفا له جريجوري الثامن Gregory VIII (١١٨٧ - ١١٩١ م) الذي حرص أن يكون الامبراطور

Philippe Coniti Flandriae التي يذكر فيها أن صلاح الدين يحاصر صور بعد انتصاره عليهم في حطين (٨) .

ومن ثم أخذ البابا جريجورى الثامن على عاتقه مسئولية اثاره الروح الصليبية بين الغرب الأوربي ، فوجه رسالة الى جميع المسيحيين ، يناشدتهم فيها ضرورة ترك الخلافات والانقسامات حتى يتفرغ لرد بيت المقدس الذي استولى عليه صلاح الدين . واعتدى على الأماكن المقدسة وفرسان الداوية والاسبتارية وصليب الصلבות . وأسر الكثير وقتل من قتل ولم ينج الا القليل ، هذا وقد شرح البابا مآسى الصليبيين بالشرق باستفاضة ، وطلب من المسيحيين الرجوع الى الله والتوبة والنعم على ما أتموه في حق المسيح (٩) .

وفي أغسطس من عام ١١٨٧ م أرسل الاسبتارية الى « ارخمبالدو » Archumbaldo رئيس اسبتارية ايطاليا ، يذكر أن جيش صلاح الدين قهر جيش الملك ، الذي وقع في الأسر ومعه جماعة كبيرة من النبلاء ، وقد استولى صلاح الدين على مدن كثيرة تابعة للصليبيين (١٠) . وبطبيعة الحال ، كان لهذه الاستغاثات أثرها في اثاره الصليبيين من جهة ، ومن جهة أخرى فهي تدل على أن الصليبيين بالشرق كانوا ينقلون الى ايطاليا وألمانيا تطورات الوضع في بلاد الشام ، فضلا عن أن الغرب أصبح يعي جيدا مجريات السياسة في الشرق الاسلامي ، ومن هنا يستطيع أن يكثف جهوده السياسية ناحية الشرق .

وقد كان الاسبتارية من الذين سعوا الى نقل الأخبار الى أوروبا أولا بأول اذ أنهم أرسلوا الى ملك انجلترا في يناير ١١٨٨ م يشرحون فيه وضعهم وهزيمة صلاح الدين في ٣٠ ديسمبر ١١٨٧ م . أمام صور (١١) . كما أرسل أيضا « هيرمنجر » Hermenger

له حليفا وله من المكانة وعلو الشأن ، ما يسانه في الحركة الصليبية (٣) . وفي نفس الوقت الذي وصل فيه الى الغرب « جوسياس Josias أسقف « صور » قادما من الشرق في سفاره الى البابوية ، يدعوهم الى نجدة الصليبيين بالشرق وتخليصهم من المشاق والهزائم التي لاقوها على يد المسلمين (٤) كما حمل معه خطابات من الملك وكل القساوسة الى الامبراطور فردريك امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة ١١٥٢ - ١١٩٠ م ، وكذلك الى فيليب أغسطس ١١٨٠ - ١٢٢٣ م ملك فرنسا ، وهنرى الثانى ملك انجلترا ١١٥٤ - ١١٨٩ م وملك صقلية (٥) .

ولم تكن هذه الاستغاثة الاولى من نوعها التي طلبها الصليبيون بالشرق ، اذ حدث في سنة ١١٨٤ م ، أن أرسل كل من بطريك كنيسة القيامة المقدسة ، « أرنالد » Arnaldo مقدم الداوية و « روجر » Roger مقدم الاسبتارية ، و « بلدوين Balduinus ملك اورشليم ، الى الغرب الأوربي ، يذكر انتصارات صلاح الدين عليهم في شهر يوليو سنة ١١٨٤ م ، وهجومه على نابلس واشماله الحرائق واستسلام سبسطية Sabasten ووقوع أسرى في يد صلاح الدين (٦) . كذلك أرسل هؤلاء البطارقة يطلبون الاستغاثة من فردريك الأول سنة ١١٨٥ م .

وما أن انتصر جيش المسلمين بقيادة « صلاح الدين » على جيش الصليبيين بقيادة « جاي لوزجنان » في حطين ، حتى بدأت رسائل الصليبيين بالشرق تنهال أيضا على الغرب الأوربي يطلبون فيها المعونة ، من ذلك رسالتهم في أواخر شهر يولييه ١١٨٧ م ، شهر حطين ، الى فردريك الأول يطلعونه فيها على هزيمتهم البشعة على يد صلاح الدين (٧) . ورسالة « تريكوس » Terricus ، في أغسطس من نفس العام الى البابا « أوربان الثالث » Urbane III والى جميع المسيحيين ، كذا رسالة فيليب كونت فلاندريا

أحد وكلاء الاسبتارية الى « ليوبولد » Leopoldo دوق النمسا يعلمه أن صلاح الدين استولى على طرطوس، بالإضافة الى محاصرته مدن أخرى (١٢) . هذا فضلا عن الرسائل وطلبات الاستغاثة .

أما عن رحلة جوسياس ، فقد توجه الى ألمانيا لكي يطلب من الامبراطور فردريك الأول أن يأخذ الصليب (١٣) . وفي مجلس ستراسبورج Strasburg ، كان فردريك الأول يناقش المسائل الخاصة بالامبراطورية ، ولم يكن قد أثاروا موضوع الحرب المقدسة ، ولم يكن أسقف مدينة ستراسبورج قد تكلم عن استيلاء المسلمين على القدس ، لكن ما قاله جوسياس بعد هذا المؤتمر أثار حيوية الحرب المقدسة واستدعوا الامبراطور فردريك من مدينة « ماينز » Mayance حيث دعا الى اجتماع حضره كل الأمراء وأعيان البلد وكبار رجال الامبراطورية وكان هذا يعتبر بمثابة محكمة المسيحيين ، وفي هذا الاجتماع أطلق جودفري أسقف مدينة « ورتسبورج » كلمات أثارت حماس الحاضرين . وشجعتهم على الحرب ، وبدأت هذه الروح الحماسية تستشري في كنائس ألمانيا، وأرسلت البابوية مبعوثيها الى كل مكان يشكون ويستاعون من المصير الذي آل اليه حال الصليبيين بالشرق كما سبق القول .

وقد رأى الجميع أن الخروج بحملة صليبية هو الوسيلة الوحيدة لاسترجاع القدس الى سلطانهم وعاملا حيويا لجذب أكبر عدد من صليبي أوروبا . فقد قالوا « سعداء الذين سافروا الى القدس وسعداء أكثر الذين لا يرجعون » (١٤) .

وهكذا أصبحت فكرة حملة صليبية ضد الشرق الاسلامي هي المسيطرة على جميع العقول في أوروبا المسيحية ، وبعد أن تلقى الامبراطور فردريك رسل البابوية بشأن هذه الحملة ، أعلن

مشاركته فيها ، ويذكر بعض المؤرخين أنه صحب « جوسياس » للاجتماع بملكي إنجلترا وفرنسا (١٥) . بالإضافة الى أن الامبراطور فردريك تعهد بنفسه ليسترد بيت المقدس (١٦) ، وأخذ الصليب من الكاردينال الأسقف « البانو » Aabano في « ماينز » في السابع والعشرين من مارس ١١٨٨ م (١٧) .

وقبول الامبراطور فردريك الأول المشاركة في الحملة الصليبية ، يفرض على بساط البحث تساؤلات ، وهي لماذا خرج الامبراطور فردريك الأول وهو في سن الشيخوخة ؟ ألم يكن أول به أن يخرج قبل هذا الوقت وخاصة عندما جاءته نداءات من الشرق الصليبي ؟ فهل كان لصلاته الطيبة بصلاح الدين أثر في تأخره عن الخروج الى الشرق ؟ أم أن الوضع السياسي داخل الامبراطورية الرومانية المقدسة جعله يؤجل هذا الى حين ؟

في الواقع أن الفترة السابقة على حطين وهي (١١٥٢ - ١١٨٧ م) لم تكن الأحوال أثناءها في أوروبا تساعد فردريك على ترك امبراطوريته ، إذ أن مشاكله مع البابوية استمرت قرابة عشرين عاما (١١٥٢ - ١١٨٣ م) ، حتى عقد مع البابوية صلح كونستانس ١١٨٣ م ، لذلك فقد كان يخشى على الأوضاع السياسية في بلاده ، بالإضافة الى الثورات في إيطاليا ، هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية كان هناك نوع من الصلات الدبلوماسية بينه وبين صلاح الدين الأيوبي - كما سبق القول - لذلك لم يشأ أن يعكر صفو العلاقة . علاوة على ذلك ما كانت تقوم به البابوية من محاولات لمساع سلمية مع صلاح الدين ، من أجل حل مشاكل الصليبيين بالشرق .

وفوق كل هذا فإن الوضع السياسي الصليبي في الشرق - كان الى حد ما لا ينبئ بخطر ، كما أن الانشقاق الاسلامي ، وبخاصة

فى الموصل والجزيرة ، لم يكن يشجع على القول بانتهاء البنيان الصليبي فى الشرق ، علاوة على ذلك لا يمكن القول بأن فردريك كان متقاعسا عن الدفاع من أجل الصليب ، والدليل على ذلك اعلانه التوجه بحملة الى الشرق اثر معرفته هزيمة الصليبيين فى حطين واستيلاء المسلمين على بيت المقدس .

وتذكر بعض المصادر اللاتينية المعاصرة لفردريك الأول أن أولاده عرضوا عليه تعهدهم لانجاز هذه المهمة بدلا منه الا أنه لم يوافق على ذلك ، وترك ابنه الأكبر « هنرى السادس » Henry VI على رأس الامبراطورية ، أما الابن الأصغر « فردريك دوق سوابيا » Swabia فقد انضم الى الحملة (١٨) .

ومهما يكن من أمر تأخر فردريك الأول للقيام بالحملة فان هناك أسبابا دفعت الى التوجه بها فى هذه الفترة ، فيذكر البعض أن وجود كونراد مونتفات بـ « صور » وتزعمه الصليبيين ، وما كان بين كونراد وفردريك من صلة قرابة ، جعل فردريك لا يتردد فى القيام بالحملة ، بالاضافة الى الصلات الطيبة بين النورمان والامبراطور فردريك الأول ، وخاصة بعد زواج هنرى السادس من كونستانس ابنة وليم الثانى ملك صقلية - « الذى له دور فى الحروب الصليبية » - والوريثة الشرعية ، ولعل من أهم الأسباب التى دفعت الى التوجه الى الشرق ، ما حدث له أثناء الحملة الثانية بالشرق ١١٤٧ - ١١٤٨ م (١٩) ، وقد أصبح الآن فى السادسة والستين من عمره فربما يكون قد وهب نفسه من أجل الصليب بالمشاركة فى الحملة ، وليؤدى الحج فى بيت المقدس .

ويمكن القول وكما يذكر البعض أن البابا كليمنت الثالث (١١٨٧ - ١١٩١ م) استطاع أن يقنع فردريك الأول بضرورة الاقلاع عن محاربة أعدائه فى المانيا ، ابتغاء الانصراف الى المشاركة فى الحملة الصليبية المزمع قيامها (٢٠) . بالاضافة الى أن الوجود الالمانى بالشرق كان قليلا ، فقد كان هناك المستشفى الالمانى الذى كان يتمتع بنوع من الاستقلال الذاتى ، وكان له رئيسه الخاص ، الا أن نشاطه قد توقف بسقوط القدس فى يد المسلمين سنة ١١٨٧ م (٢١) . فربما قد أراد فردريك أن يقوى هذه المنظمات الالمانية ويدعمها ، بالاضافة الى فكرة ترك جنود المانيين بالشرق ، حتى يمكن لالمانيا أن يكون لها نصيب كبير فى المنطقة المقدسة (٢٢) ، كما أنه يمكن اضافة عامل آخر - من دوافع حملة فردريك - هو ما عاناه فردريك الأول من موقف الامبراطورية البيزنطية المناوئ للصليبيين عامة ، وللألمان خاصة فى الحملة الثانية ، فقد غادر الشرق وهو حائق على بيزنطة وأعمالها ، وعلى أية حال فقد قرر فردريك الأول القيام بحملة صليبية على الشرق الاسلامى وهو فى السادسة والستين من عمره هدفها فى المقام الأول استجابة لنداءات بيت المقدس المتكررة لاسترداده من المسلمين ومحو آثار حروب صلاح الدين بصفة عامة . ليقطع حجج البابوية الموروثة ويعيد أمجادا جديدة (٢٣) .

اتصالات الامبراطور فردريك الأول الدبلوماسية :

لقد كان للامبراطور فردريك الأول نظرة خاصة تجاه الشرق الاسلامى فقد كان يرى حل مشاكل الصليبيين دون قتال ، ولذلك فكر فى اتخاذ الطريق الدبلوماسى قبل أن يستخدم القوى العسكرية ، ومن المعروف أن هناك نوعا من الرسائل المألوفة فى العصور الوسطى لارهاب الأعداء - وهو ما يعترف بالحرب النفسية - قبل اتخاذ خطوات ايجابية . ومن ثم فقد ذكرت لنا

بعض المصادر اللاتينية نوعاً من هذه الصلوات والمراسلات
الدبلوماسية .

ففي فبراير سنة ١١٨٨ م/ ٥٨٤ هـ ، أرسل الامبراطور فردريك
الأولى خطاباً الى السلطان صلاح الدين مع مبعوثه هنري دي ستيتيز
Henricum de Zietz من ألمانيا (٢٤) والرسالة تزيد عن عشرين
سطراً - من الأسطر العادية ، يذكر في بدايتها ألقابه ثم يخاطب
صلاح الدين في الرسالة ، بصفته سلطان المسلمين في الشرق ،
ويبدأ في توجيه التهديد له ، ويحذره من المساس ببيت المقدس ،
وبطبيعة الحال لم يكن للتحذير معنى في الرسالة وخاصة بعد أن
استولى صلاح الدين على بيت المقدس ، وفردريك يعلم ذلك جيداً .
ثم لا ينسى فردريك ، أن يذكر صلاح الدين بالصلوات الطيبة السابقة
بينهما ، وخاصة في الخطابات التي تبادلها ، فيقول فردريك
« ان الخطابات التي أخلصت فيها لنا منذ وقت طويل بشأن المسائل
الهامة والعظيمة الشأن بيننا والتي أفادت بأن الثقة التي كانت
تحملها كلماتك إلينا قد اعتبرت وسيلة للاتصال بعظمتكم » (٢٥)
وقد سبق القول أن هناك صلوات ودية بين فردريك الأول ،
وصلاح الدين وأن هناك رسائل متبادلة بينهما منذ
أوائل العقد التاسع من القرن الثاني عشر الميلادي اذ كانت
عبارات الصداقة هي السمة الغالبة على هذه المراسلات ،
ويستبعد أن يكونا بينهما اتفاق ضد ثالث عدو مشترك لهما ،
ولا شك أن الثقة في المراسلات كانت سبباً في استمرار العلاقات
الدبلوماسية بينهما ، كما يوضح فردريك ذلك في رسالته الى
صلاح الدين .

الا أن الامبراطور فردريك بعد أن بدأ خطابه بداية طيبة
يغلب عليها الدبلوماسية نجده يعدل عن ذلك فيقول « الآن دنست
الأرض المقدسة » (٢٦) فهو يعتبر أن صلاح الدين ليس له حق

في القدس ، مما دفعه الى ذكر هذه العبارة كما أنه لا يعترف
باستيلاء صلاح الدين على القدس استيلاءً كاملاً ، اذ يعتبره كوصى
عليها أو حارس يشير الى ذلك قوله « التي توليت حكمها كأوصياء
(حراس) لكل من جودا (يهودا) udea والسامر وفلسطين » (٢٧)
وعلى ذلك يعتبر فردريك نفسه ، المدافع عن هذه الأرض ، ويطلب
من صلاح الدين أن يرد الأرض المقدسة ويعطي تعويضاً للبلاد التي
خربها ، كما تقتضيه القوانين المقدسة ، ثم يذكر الامبراطور
فردريك الأول أنه سيعطي مهلة مدتها اثنا عشر شهراً اعتباراً من
نوفمبر ١١٨٨ م ، لكي يتمكن صلاح الدين من الاستجابة لرغبات
فردريك الأول ، وإن لم يستجب خلال هذه المدة فسوف يهاجمه ،
يؤكد ذلك قوله : « الا هاجمناك في مصر لآحياء الصليب وباسم
يسوع » (٢٨) - كذلك يذكر فردريك لصلاح الدين أن هذه الأرض
أرض المسيح ، ويعلمه أنه يعرف أن صلاح الدين يدرك هذا الموضوع
تماماً « والتي تبررها كل الكتب القديمة » (٢٨) ثم يذكر له أن كل
المنطقة الشرقية ومصر كانت تابعة لهم فيقول « ولا تذكر أن كل من
ثيوثيا Scythia وبارثيا Parthis حيث لقي جنرالنا ماركوس
كراسوس الموت المفاجيء . » وكذلك مصر حيث كان أنطونيوس
وكلوباترا » (٢٩) .

ففردريك يذكر كل هذه المناطق لصلاح الدين حتى يقنعه
بأن البلاد التي استولى عليها لاحقاً له فيها وأن الرومان كانوا
أصحاب هذه البلاد قبل المسلمين وبالتالي فأوروبا أولى بها من
المسلمين ، ثم يضيف له أن أرمينية كانت تابعة له وأن الملوك
جميعهم يعلمون ذلك ، وبلا شك أن وجهة نظر فردريك خاطئة تماماً ،
لأنه إذا كان الرومان كانوا سادة العالم قبل سقوط روما ٤٧٦ م ،
فمن كان قبل الرومان ؟ ومن جاء أيضاً بعد الرومان ، على أية حال
ينتهي فردريك رسالته الى صلاح الدين بأن جميع الأمم الأوروبية ،
تابعة له وستساعده في اعداد الجيش الذي سيوجهه ضده (٣٠) .

وبطبيعة الحال ، وصلت هذه الرسالة الى صلاح الدين الأيوبي ، ولم يتردد في رفضها ، نظرا لما حملت من عبارات استفزازية ، وكلمات لم يقبلها صلاح الدين ولا أحد من المسلمين ، ومن ثم فهو لم يجلس للتشاور في أمرها مع أخيه العادل أو غيره من الأمراء المسلمين ، لذلك يرد على فردريك الأول برسالة تفوق رسالة فردريك في عدد سطورها وانتقاء كلماتها .

ورد صلاح الدين مؤرخ بعام ٥٨٤ هـ / ٢ مارس ١١٨٨ م - ١٨ فبراير ١١٨٩ م (٣١) . أى أن صلاح الدين رد عليه بسرعة ، ولم يترك الوقت يمر دون أن يوجه سهامه عبر سطور رسالته ولم ينتظر المهلة التي أعطاه فردريك للرد وهي عام ، فالموضوع ليس بحاجة الى انتظار .

وقد بدأ صلاح الدين رسالته الى فردريك الأول ، بتمجيده وتعظيمه ، ثم يذكر نعم الله على العالم أجمع ، ويذكره بأنه يؤمن بجميع الديانات وبخاصة الإسلام ، ثم يأتي صلاح الدين الى مضمون الرسالة فيذكر أنه تلقى رسالة على يد رسول اسمه هنرى ، الذى قال انه من طرف الامبراطور فردريك الأول .

واذا كان الامبراطور فردريك الأول قد أحصى عدد الأمم التابعة له في خطابه الى السلطان صلاح الدين ، فان الأخير في رده لا يقل عظمة عنه ، إذ يذكر له أن الذين سيحاربون تحت قيادته والذين اذا دعاهم سيلبون النداء ، قائمة لا يمكن تسجيلها وحصرها نظرا لكثرة عددها ، وفي هذا الصدد يقول صلاح الدين « واذا أردنا حصر أولئك الذين في خدمتنا والذين يجيبون أوامرنا ، والذين سوف يحاربون في صفوفنا فسوف تكون قائمة لا يمكن تسجيلها وحصرها » (٣٢) وكذلك يرد صلاح الدين على فردريك بأن المسلمين في الشرق أكثر من المسيحيين عددا وعدة . وهكذا يكونون على مر الأيام (٣٣) كما أن صلاح الدين يريد بهذه العبارات أن يضعف

ويقل من عزيمة فردريك ، إذ يشككه في اتباعه . بالإضافة الى أنه أوضح أن المسيحيين آنذاك في الشرق والغرب ليس بينهم رابطة ، إذ أن البحر يفصل بينهم ، على عكس المسلمين فإنه لا بحر يفصل بينهم بالشرق ، الذين لا حصر لهم وسوف يكونون رهن اشارته عند الحاجة (٣٤) . ثم يبدأ صلاح الدين في ذكر الشعوب المسلمة التابعة لقيادته ، فالبدو بمفردهم لديهم القدرة على رد العدو ومحاربته ، والأتراك عندهم نفس القدرة ، كما أن الفلاحين ليسوا بأقل قوة من السابقين ، إذ أن الجنود قد فتح بهم الممالك ، وطرد بهم الأعداء ، علاوة على ذلك فان صلاح الدين يذكر فردريك بأن التابعين له ليس المسلمين فحسب ، ولكن أيضا الوثنيين (الأرمن) . والذين سيكونون تحت تصرفهم اذا دعاهم يقول : « ملوك الأمم الوثنية سوف لا تتأخر عن دعوتنا اذا ما دعوناهم وسوف يكونون تحت تصرفنا » كما أن صلاح الدين يتوعده ويهدده بأنه سوف يلقاه بجيش وجند أكثر مما ذكره في خطابه ، ثم يذكر صلاح الدين له أنه لن يقنع بالأرض التي يملكها بساحل الشام ، ولن ينتظر حضور فردريك بجيشه الى الشرق ولكن سوف ينقل ميدان المعركة الى بلاد الامبراطور فردريك ويستولى عليها ، إذ يقول « ونحن لن نقنع بالأراضي التي تقع على ساحل البحر ، ولكن سوف نعبر بقدرة الله ونستولى على كل ما تملكه من أراضي » (٣٦) ويمكن القول بأن صلاح الدين الذى له أسلوب في التهديد والوعيد والذى يوجهه ضد خصمه ، لم ينس تحذير فردريك في الرسالة بأنه اذا أتى الى الشرق ، فإنه سيأتي بكل جيشه ، وبالتالي سوف تكون بلاده خالية من المدافعين عنها ، فيستطيع صلاح الدين أن يقضي على جيش فردريك الأول في الشرق ، ويرسل في نفس الوقت جيشا الى الامبراطورية المقدسة ، لكي يستولى عليها ، إذ يقول صلاح الدين في رسالته الى فردريك « واذا قدمت فانك تأتي بكل رجالك

وقواتك ، ونحن نعلم أنه لم يبق هناك أحد للدفاع عن أنفسهم
وبلادهم ، وسوف ننتصر عليكم بعون الله ، ولم يبق لنا شيء
إلا الاستيلاء على أراضيك بتوفيق الله » (٣٧) .

ويذكر صلاح الدين أن المسلمين قد ردوا المعتدين على مصر
مرتين ، مرة في دمياط والثانية في الاسكندرية ، كما لا يفوت
صلاح الدين أن يذكر له كيف أنه جمع شمل المسلمين فاستولوا
على بيت المقدس ، كما أنه ضم جميع ملوك الشرق تحت قيادته ،
يشير إلى ذلك قول صلاح الدين في رسالته « إذا دعونا الملوك
أصحاب الشهرة من المسلمين بالشرق فسوف يكونون في خدمتنا ،
وإذا دعونا الخليفة العباسي ، يحفظه الله ، لمساعدتنا فسوف يتنازل
عن عرشه ، ويأتي لمساعدتنا » (٣٨) .

كذلك يؤكد صلاح الدين لفردريك بأنه سوف يستولى على
صور وطرابلس وأنطاكية ، وهي المدن الباقية من البلاد التابعة
للسليبيين ، كما أن مطالب الامبراطور فردريك الأول ، والتي
بمقتضاها يتحقق السلام ، لم يرض بها صلاح الدين ، إلا إذا
استسلمت المدن الثلاث لصلاح الدين بأمر فردريك ، بالإضافة إلى
أن صلاح الدين عرض على فردريك ، بأنه إذا استسلمت المدن
الثلاث ، فسوف يعيد له الصليب المقدس ، ويطلق سراح الأسرى
وسيسمح للمسيحيين بقسيس واحد بالشرق ويعيد الأديرة التي
كانت تستخدم للديانة المسيحية ، وسوف يحسن اليهم (٣٩) ،
وفي النهاية يذكر صلاح الدين في رده ، أنه إذا كان الخطاب
الذي وصل صلاح الدين ، من طرف الامبراطور فردريك ، فإن
هذه الرسالة تكون ردا عليها وعلى الامبراطور فردريك الأول (٤٠) .
إذ لم يكن صلاح الدين يهتم كثيرا برسالة فردريك الأخيرة ، نظرا
لما بها من أساليب لم يتعود صلاح الدين على تلقيها من فردريك
الأول ، لذلك لم يرد ذكر كلمة « صديق » في الرسالة التي بعثها
صلاح الدين إلى فردريك .

وأيا كان أمر تبادل الرسائل بين السلطان صلاح الدين
والامبراطور فردريك الأول ، فإنها لم تأت بطائل ، إذ أصبحت
فكرة القيام بحملة إلى الشرق هي المسيطرة على عقول الألمان .
ومن ثم بدأ الامبراطور فردريك الأول يتخذ الأسلوب الدبلوماسي
لكي يكسب ود وعطف وصدقة الامبراطور البيزنطي بالإضافة إلى
الملوك والأمراء الذين سوف يسير الامبراطور فردريك الأول بحملته
في أراضيه (٤١) .

أما فيما يخص الامبراطورية البيزنطية ، فقد كان هناك عداوة
قديم بين الامبراطورية البيزنطية ، والامبراطورية الرومانية
المقدسة - حيث أن الامبراطور فردريك الأول دفع سلطان قونية إلى
الثورة ضد امبراطور الامبراطورية البيزنطية ، وكانت النتيجة
الطبيعية لذلك أن لقي الامبراطور مانويل ١١٤٣ - ١١٨٠ م هزيمته
في « ميريوكفالوم » (٤٢) Myriacephalum في آسيا الصغرى
سنة ١١٧٦ م . ووسط هذه التشوة من النصر أرسل الامبراطور
فردريك الأول رسالة إلى الامبراطور البيزنطي ، تقطع اختكارا
وتوهم إلى ضرورة خضوع ملك اليونان للامبراطور الروماني ،
وأعلن الامبراطور فردريك نفسه وريثا للأباطرة الرومان وأن ذلك
يتضمن السيطرة على المملكة اليونانية Regnum Grecia (٤٣)
(الامبراطورية البيزنطية) .

ويشير بعض المعاصرين اللاتين إلى العداوة بين الامبراطورية
البيزنطية والامبراطورية الرومانية المقدسة ، « ان اللاتين ازدهرت
لديهم الفنون وصناعة أدوات الحرب ، في نفس الوقت الذي كان
فيه اليونانيون جهلاء ، وغير مولعين بالحروب » (٤٤) ، وانهم على
قدر ما كانوا مشهورين بقدر ما تجردوا من شهرتهم هذه ، فقد
تحول عندهم الذهب إلى الخبث والقمح إلى تبن (قش) ، وطهارتهم
إلى دنس ، ومجدهم إلى فساد ، ولكن اليونان القدماء قد أنجزوا

وحققوا الكثير من الفنون وأدوات الحرب ، ولكن غيرتهم من اللاتين بقيت في أخلاقهم لدرجة أنهم أصبحوا جهلاء ، بعد أن كانوا مصدر المعارف وأن شئت فعل قناة جافة ، ولم تجد فضائلهم ورثة يرثونها . على عكس جرائمهم التي وجدت الكثير ، فهم لم يزلوا يحتفظون بخداع « سينيون » Simon و « يوليسيس » Ulysses ووحشية « أتروس » Atreus ، ولو سئلت بخصوص علمهم العسكري فإن هذا يوضح خدعهم الحربية وليسوا أهل معارك وكذلك بالنسبة لعقيدتهم » (٤٥) .

ولا شك قد بالغ جوفري - المعاصر لفردريك - الذي صحب الحملة الصليبية الثالثة الى الشرق في وصف السبب الذي دفع بيزنطة لكي تعادى الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وعلى أية حال فإن العداء كان متبادلا بين الطرفين وخاصة منذ أن وضع فردريك الأول أقدامه في الشرق أثناء الحملة الصليبية الثانية والتي كان فيها بصحبة عمه كتراد الثالث ، إذ غادر الشرق وهو حانق على بيزنطة نتيجة لموقفها السلبي تجاه الصليبيين ، ومما زاد الطين بلة . ما حدث من تقارب بيرنطي بابوي ، إذ باعد فردريك الأول عن الامبراطورية البيزنطية كثيرا ، بالإضافة الى ما حدث من مساعدة الامبراطور فردريك الأول للسلاجقة ضد البيزنطيين ، والتي كان من نتائجها هزيمة البيزنطيين - كما سبق القول في موقعة ميركيفا ليوم ، ومما زاد من حدة العداء ، ما حدث من اقامة علاقة واتصالات طيبة بين الامبراطور البيزنطي والمسلمين في الشرق ، فقد سمح باقامة الشعائر الاسلامية بالامبراطورية البيزنطية (٤٦) ، ومن هنا يمكن القول بأن هناك عداء له جذوره بين الطرفين ، الأمر الذي ترتب عليه أن أصبح على الامبراطور فردريك الأول أن يطمئن الى موقف الامبراطورية البيزنطية تجاه الحملة المزمع قيامها ، ومن ثم فبعد أن أرسل مبعوثيه الى صلاح الدين - كما سبق القول -

أرسل الى الامبراطور البيزنطي أسحق الثاني انجيليوس « ١١٨٥ - ١١٩٥ م » ، في نهاية سنة ١١٨٨ م أسقف مونستر « هيرمان » Herman of Munster (٤٧) وكونت روبرت أف ناسا Count Rupert of Nassau وكونت والرم وهنري أف دتزر Henry of Dietz وماركوارد أف نينبرج (٤٨) ، وفي أواخر سنة ١١٨٨ م قدمت سفارة بيزنطية الى نورمبرج Nuremberg لاعداد التدابير اللازمة للصليبيين لاجتياز بلاد الدولة البيزنطية (٤٩) . هذا وقد عقدت معاهدة مع السفراء البيزنطيين نصت على السماح للألمان بالمرور في الأراضي البيزنطية ، وأن يتكفلوا بايوائهم في مدنها ، وسوف ينعمون عليهم بفواكه الأشجار وخضار الحدائق ، وخشب للوقود وعلف للخيول ، أما إذا زاد احتياج القوات من المؤن - فسوف يشتري الألمان من البيزنطيين ما يحتاجون اليه بثمن معقول طبقا لأحوال البلاد . كما تعهد الألمان ألا يحدثوا أي اضطرابات أو خسائر أو أي فتنة (٥٠) .

وقد استلم دوق سوابيا Le duce of Swabe وقواد آخرون في الحملة الصليبية الألمانية ، تصريحاً بالمرور مجانيا ، وأخذوا على أنفسهم أن يحترموا المعاهدة وبنود السلام ، هذا فضلا عن أن فردريك الأول أرسل سفارة جديدة الى الامبراطور اسحق الثاني انجيليوس ، لكي يتأكد من الصداقة (٥١) .

كما استطاع الامبراطور فردريك الأول أن يطمئن الى موقف الامارات والبلاد الأخرى التي سيمر بها جيشه ، فقد اتصل بملك هنغاريا (٥٢) Hungary وأرسل سفيره الى « ستيفن نيماني » Stephen Nemanye حاكم الصرب « (٥٣) » كما أرسل فردريك سفراء الى السلطان قلع أرسلان في « قونية » وقد استقبل أرسلان السفراء ، وتعهد بإرسال جميع المساعدات الى الامبراطور فردريك

الأول (٥٤) . وأرسل له سفارة ، ودا على سفارة فردريك - ذكر البعض أن بها ألف رجل ومائة فارس (٥٥) .

والذى لا شك فيه أن هذه الاتصالات التى أجراها الامبراطور فردريك الأول مع هؤلاء الأمراء والملوك والذين هم أعداء الدولة البيزنطية (٥٦) ، كان من نتيجته أن أصبحت بيزنطة حاقدة أكثر على الامبراطور فردريك الأول وحملته الألمانية المزمع قيامها .

الترتيبات العسكرية للحملة :

وفى الوقت الذى كان فيه الامبراطور فردريك الأول يقوم باتصالاته الدبلوماسية بشأن تسهيل مروره فى الأراضى التى سيسير فيها بعد أن قرر التوجه برا الى الشرق ، كانت الترتيبات العسكرية للحملة تقوم على قدم وساق مع الترتيبات الدبلوماسية .

فقد أصدر الامبراطور فردريك مرسوما امبراطوريا ، بشأن الاستعداد للحملة ، فتذكر بعض المصادر المعاصرة ، أن الجميع ساروا فى هتاف موحد يأخذون على عاتقهم نذر الحج المقدس ، ولم تكن رغبة الأمراء الحصول على رشوة أو دعاء ، ولكن كانت رغبتهم فى المكافأة السماوية من الله ، وقد أبدى الجميع خدمتهم لله وللسمو الامبراطورى ، وقادتهم العناية الالهية ، وتجمعوا فى كل جانب ، وهدفهم واحد مؤمنين بأن مجد روما التليد لم يتلاش ، وقد ضم هذا الجيش كثيرا من النبلاء فكان منهم الحبر والدوف والايرك والماركيز (٥٧) .

وبعد أن تجمع حشد غفير من الراغبين ، فى الانضمام الى الحملة ، كان على الامبراطور فردريك الأول أن يضع نظاما لهذه الجحافل ، خاصة وقد استفاد من خروجه فى الحملة الصليبية الثانية ، لذلك فقد رأى الامبراطور فردريك ضرورة وضع ضوابط ونظام لجيش الحملة ، الذى سيتوجه الى الشرق ، خشية حدوث

اضطرابات ، مما يترتب عليه الاضرار بتنفيذ الخطة (٥٨) . ومن ثم فقد عقد مجلس عسكريا من ستة عشر رجلا لمناقشة هذه الموضوعات (٥٩) . وقرر بأن لا يذهب مع هذه الحملة ، إلا من يملك مؤنه تكفيه لمدة عام ، كما أعد الامبراطور فردريك ، عربات لمن يصيبهم المرض فى الطريق ، حتى لا يسببوا المتاعب لغيرهم . أو يتركوا فى الخلف ، فيموتوا من المرض (٦٠) ، بالإضافة الى أن الامبراطور فردريك الأول أصدر تعليمات ، بأن أى رجل ليس مدربا على السلاح ، لا يخرج للحرب ، حرصا على النظام ، لأنه لا يجب المغامرين ولا المتسكعين ولا المشعوذين ، الذين كانوا قد أساءوا الى الحملة الأولى ، وقد كان الامبراطور فردريك يحتاج الى جيوش كثيرة معه ، ولكن مدربة ، ومن ثم فقد أضاف اليه الحجاج الصليبيين ، لتحقيق أمنيته فى الحج ، وتكفل بالمال الذى كان ناقصا (٦١) .

وهكذا أصبح الجيش الألمانى معدا ومجهزا ، تحت قيادة الامبراطور فردريك الأول ، وقد استغرق هذا الاعداد العسكرى والدبلوماسى قرابة عام ، وبعد أن اطمأن الى الوضع النهائى ، حدد مكان التجمع العسكرى ، فى راتسبون Ratisbonne حتى يتجه الى الشرق ، ولم يكن هناك سفن لتحمل هذه الأعداد - على حد ذكر بعض المعاصرين - (٦٢) لذلك فقد قرر الامبراطور فردريك الاتجاه برا . وبدأت الجموع الألمانية من حجاج راكبين على خيولهم أو راجلين من بداية شهر أبريل ١١٨٩ م تتوافد على راتسبون (٦٣) .

تحرك الحملة الألمانية بقيادة الامبراطور فردريك الأول :

خرج الامبراطور فردريك الأول من الامبراطورية الرومانية المقدسة ومن راتسبون ، تاركا على رأس امبراطوريته ، ابنه هنرى السادس فى أوائل شهر مايو سنة ١١٨٩ م ، ومعه ثاني أبنائه ، فردريك دوق سوابيا (٦٤) . بالإضافة الى عدد كبير من الأفراد . وعند رحيله حياة الناس (٦٥) ، وسار الجيش لمدة خمسة أسابيع

في هنغاريا (المجر) ، وأرسل له بيللا الثالث Bella ، سفارة ليحيى الصليبيين ، ويرحب بهم في برسبورج Bressburg (٦٦) . وقد سر بيللا بمقدمهم ويذكر عنه جيوفري فنيروف أنه كان « رجلا ذا صفات حميدة ، وذا فضائل عديدة ، وقد استحق المملكة عن جدارة ، وإن لم يكن كذلك فبكرمة الذي عرف عنه » (٦٧) إذ استقبل الجيش الألماني بقيادة فردريك الأول « بحفاوة بالغة (٦٨) : وفي الرابع من يونية ١١٨٩ م اجتمع بيللا مع الامبراطور فردريك شخصيا في ضواحي « جران » Gran Esztergam ، وقد أهلت الملكة مارجريت Margaret ، وهي أخت فيليب أغطس خيمة فسيحة رائعة ، إلى الامبراطور فردريك الأول ، واستضافته يومين (٦٩) .

هذا وقد انضم الكثير من الشعب الذي يحكمه بيللا ، إلى الجيش الألماني ، ثم عبر الأخير نهر الدانوب ، ووصلوا إلى ممرات بلغاريا (٧٠) . وهنا بدأ يظهر على الصليبيين الفقر ، وقد انفصل عن الجيش الصليبي عناصر ، البلقان والصربيون ، والبلغاريون ، واليونانيون والبيزنطيون ، الهون Huns ، وأصبحوا أعداء للامبراطور (٧١) .

وقد انتهزت بعض القبائل ، هذه الانقسامات ، وأطلقوا سهامهم على الصليبيين الذين تفرقوا ، وكان من نتيجة ذلك أن فقد مجموعة من الصليبيين حياتهم ، وأصيب بعضهم ، مما دفع الامبراطور فردريك الأول ، إلى أن يطلق على هذه القبائل ، الحيوانات المفترسة وقال « الذين يقعون في أيدينا سنوف يعلقون على أشجار الطريق ، رؤوسهم إلى أسفل ، مثل الكلاب المسعورة أو الذئاب المفترسة » (٧٢) مما ترتب عليه أن بدأ البلغار يثأرون لأنفسهم من أعمال الصليبيين الألمان ، إذ كانوا يدفنون الصليبيين

الذين ماتوا من المرض ويعلموهم بأغصان من الأشجار حتى يعرفوهم ، بينما كان قطاع الطريق يختفون خلف أشجار الفلين ، والصنوبر ، ويضربوهم بسهامهم ، ويرموهم بحجارة كبيرة من أعالي الجبال (٧٣) وعندما وصل الألمان إلى بلاد مسكونة هرب جميعهم ، وحطموا المطاحن وخطفوا الأحياء (٧٤) .

ويذكر بعض المؤرخين أن الامبراطور فردريك الأول استعمل الدبلوماسية ، ضد أعدائه ، ورغم ذلك فقد سعى بعض حكام المنطقة إلى التودد للامبراطور فحينما وصل إلى مدينة « نيسسا » Nyssa (٧٥) في يولية ١١٨٩ م ، فقد تقدم لتحيته في ٢٧ يولية من نفس العام ، ستيفن نيمانيا Stephen Nemanya أمير الصرب Serbs (١١٦٧ - ١١٩٦ م) ، ومعه أخوه « سراسمير » ورحبوا بالامبراطور فردريك الأول ، وقدموا له الشعير والدقيق والأغنام والبقر ، و « فرس البحر وخنائير متوحشة ، وثلاثة غزلان حية متوحشة ، ووزعوا على كل أمير مجموعة من المؤن والخمر واللحم » (٧٦) . وقد فسر البعض هذا ، بأن أمير الصرب جاء إلى فردريك ليطلب منه المساعدة لمحاربة الامبراطورية البيزنطية (٧٧) .

ولم يقتصر أمر الترحيب بالامبراطور على أمير الصرب فقط ، حيث أرسل (ايفان وبطرس) قائدا الثورة البلغارية إلى الامبراطور فردريك الرسائل يعدهانه فيها بمساعدته . وبطبيعة الحال كانت اتصالات فردريك بهؤلاء الأمراء تثير حفيظة الامبراطور البيزنطي ، الذي شك في نوايا الامبراطور فردريك ، لذلك أرسل الأول ، السفيرين اللذين سبق أن أنفذهما إلى البلاط الألماني ، وهما « يوحنا دو كاس » و « قنسطنطين » كابنا نورثيوس « أرسلهما

من جديد لتحية الامبراطور فردريك الأول (٧٨) . كما يضيف البعض أن الامبراطور البيزنطي اسحق أرسل في ٢٥ أغسطس ١١٨٩ م . رسالة الى فردريك الأول ، يرفض فيها عبور الدردنيل Dardanelles ، حتى يرسل فردريك رهائن الى القسطنطينية ، وأن يتعهد باعطاء بيزنطة نصف ما سيفتحه في بلاد الشام ، ولكن الامبراطور فردريك لم يعر السفارة اهتماما ، وقرر دخول فيليبولس Philippolis (٧٩) ، وبدأ الجيش في احتلال المنطقة المحيطة بالقوات العسكرية (٨٠) .

هذا وكما يذكر المؤرخ ميشو ان البلغارين يتسمون بالبلادة ، ولم يكن لهم دور الا مهاجمة الصليبيين ، وبدأ قطاع الطرق منهم كل يوم يهجمون ببشاعة عليهم في أعماق الأودية . لكن الامبراطور الألماني لم يكن يرغب في الدخول في حروب جانبية ضد هؤلاء ، لأنه ركز جهوده من أجل الحرب المقدسة . اما الهنغاريون والبوهيميون ، فقد فتحوا طريقا وسط الغابات بالفؤوس والنار ، ووصلوا أخيرا الى أبواب « سان باسيل » Saint-Basile آخر مدن بلغاريا ، وفي هذه المنطقة ، التقى بعض البيزنطيين بهم . بهدف منع مرور الجيش الألماني ، ولكن عندما نظروا الى هذه الجيوش ، هربوا . وعلى أية حال تقدم الجيش الألماني نحو أسوار فيليبولس في شهر سبتمبر ١١٨٩ م (٨١) . وعندئذ أرسل الامبراطور فردريك الأول سفارة الى الامبراطور البيزنطي اسحق يطلب منه المساعدة في نقل الجيش الألماني الى آسيا ، الا أن الامبراطور البيزنطي ألقى بالسفراء الألمان في السجن ، وبذلك نقض المعاهدة التي عقدها مع الامبراطور فردريك الأول ، والتي سبق ذكرها ، وبالتالي أصبح البلد في حالة حرب لمدة شهور ، ولكنه عاد وأطلق سراح هؤلاء السفراء الألمان بعد أسابيع في ٢٠ أكتوبر ١١٨٩ م ، ورجعوا الى الجيش الألماني (٨٢) . ولعل السبب الذي دفع

الامبراطور البيزنطي الى اطلاق سراح السفراء ، أنه خشي من الألمان . فقد علم أنهم عزموا على مهاجمة بيزنطة ، ان لم يطلقوا سفراءهم (٨٣) . ولكن هذه التصرفات قد زادت من حماس الألمان (٨٤) . اذ استطاع الامبراطور فردريك أن يستولى على أديانوبل Adrianople ، اذ وجدها خالية من السكان الذين هجروها خوفا من الامبراطور فردريك (٨٥) .

هذا وفي نوفمبر من نفس العام ١١٨٩ م . أرسل عز الدين قلج أرسلان سلطان « قونية » الى الامبراطور فردريك الأول رسالة يتعهد فيها ، بأنه سيساعده ضد الأعداء ، وبإمداده بالمؤن الوافرة (٨٦) .

ومهما كان من أمر هذه الحملة والمشاكل التي قابلتها ، فان فردريك استطاع أن يستولى على أكبر عدد ممكن من المناطق ، فقد استولى على « بيرهوا » Berrhoea ، وتمكن جزء كبير من الجيش الاستفادة من الغنائم بها من لحوم ومواش وأغنام (٨٧) . كما استولى فردريك السوابي في ٢٤ نوفمبر ١١٨٩ م على ديموثيكا Demotica ، ومقدونية Macedoine (٨٨) وتراقية Thrace (٨٩) . ومدن أخرى حتى أسوار بيزنطة (٩٠) .

وبما ان الامبراطور البيزنطي قد رفض السماح للألمان بالمرور في أراضيهم ، فقد رأى الامبراطور فردريك الأول ، ضرورة ارسال رسالة الى ابنه هنري السادس في ١٦ نوفمبر ١١٨٩ م بألمانيا . ليرسل له السفن اللازمة لعبوره ، وعندما وصل الامبراطور الى أطراف القسطنطينية ، كتب الى ابنه « اننا نعانى من عدم وجود طعام ، وقتل رجالنا ، وهذا بلا شك بدافع من

الامبراطور البيزنطي ، (٩١) ثم اخذ فردريك يذكر لابنه المراحل التي مرت بها الحملة ، والصعوبات التي قابلته ، ثم أمره ان يذهب الى البندقية (فينيس) Venisa ، وانكونا Ancone ، وجنوا Genes ويطلب من الأمراء والأفصال Vassel ، الحضور الى القسطنطينية ، كما طالب البابوية بسرعة القيام بحرب صليبية ضد بيزنطة وخاصة الامبراطور اسحق (٩٢) ومن ثم فقد رأى الامبراطور فردريك انه ما لم يستول الالمان على البوغازين (الدردنيل والبسفور) لن تظهر الحركة الصليبية بالنجاح (٩٣) .

علاقة الامبراطور البيزنطي بالمسلمين :

ومما سبق يمكن القول بأن العداء أصبح سافرا بين الامبراطورية البيزنطية والحملة الألمانية التي يقودها الامبراطور فردريك الأول ، وكان هذا نتاجا طبيعيا للشكوك المتبادلة بين الطرفين رغم أن فردريك الأول كان يقصد بالفعل استرداد الأراضي المقدسة ، ولم يكن غرضه حثيئذ اصابة بيزنطة بسوء ، رغم حقده عليها ، كما سبق شرحه - أما ما هو الدافع وراء أعمال الامبراطور البيزنطي « اسحق » ضد الحملة فهو يرجع الى علاقته بصلاح الدين الأيوبي - سلطان المسلمين بالشرق - اذ كان - بلا شك - لها تأثير على علاقة البيزنطيين بالالمان الذين قصدوا استرداد الأراضي المقدسة من المسلمين بالشرق .

وفي الواقع كان لعلاقة الدولة البيزنطية بالمسلمين في الشرق عموما ، وبمصر خاصة طابع خاص ، وليس أدل على ذلك من أنه في سنة ١١٥٨ م / ٥٥٣ هـ ، طلب الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين مساعدة بحرية من مصر ضد صقلية (٩٤) . وبسقوط الدولة الفاطمية ، وقيام الدولة الأيوبية حرصت

بيزنطة على استمرار العلاقات الطيبة بالمسلمين في مصر والشام ، وخاصة عندما أصبحت قبضة صلاح الدين قوية في تلك المنطقة ؛ لذلك لم يتردد الامبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين في أن يخبر صلاح الدين بالمؤامرة التي اشتركت فيها صقلية وبيت المقدس ، وعناصر داخلية ، ضد صلاح الدين في عام ١١٧٤ م / ٥٧٠ هـ (٩٥) . وحتى الآن ربما لم يكن الامبراطور البيزنطي يكن حقدا للقضية الصليبية في الشرق ، ولكن ما قام به من احاطة صلاح الدين بأخبار الأسطول الصقلي ، ليس الا كرها لانفراد صقلية بالهجوم على مصر ولهزيمة البيزنطيين في موقعة ميركيفالوم ١١٧٦ ، كما سبق ذكره ، بالإضافة الى التقارب بين البابا اسكندر الثالث والامبراطور فردريك الأول ١١٧٧ م ، الأمر الذي ترتب عليه طرد الرعايا البيزنطيين من ايطاليا (٩٦) . وإذا وضعنا كل هذه الأمور في الاعتبار لأمكن القول ان ثمة أسبابا دفعت البيزنطيين والأيوبيين الى نوع من التقارب ، اذ أنه عندما اعتلى الكسيوس الثاني كومنين (١١٨٠ - ١١٨٣ م) عرش الامبراطورية البيزنطية ، سارع بإرسال سفرائه الى القاهرة في سنة ١١٨١ م . وعقدت معاهدة صلح بين الطرفين ، وتم اطلاق مائة وثمانين من أسرى المسلمين الذين كانوا لدى الامبراطورية البيزنطية ، كما تعهدت بيزنطة بعدم مشاركة أسطولها في أي حرب ضد صلاح الدين (٩٧) . وقامت بقتل بعض اللاتين بالقسطنطينية سنة ١١٨٢ م (٩٨) .

وبمصرع الكسيوس الثاني كومنين ، أصبح اندرو نيكوس الاول كومنين (١١٨٣ - ١١٨٥ م) Andronicus I ، امبراطورا على بيزنطة ، وقد وعد صلاح الدين بمساعدته ضد الصليبيين ، وقد استمرت العلاقات ودية بين الطرفين طيلة مدة حكمه (٩٩) .

وذكر بعض المؤرخين ان اندرنيكوس هذا ، ارسل رساله الى صلاح الدين واعتبره كصديق له ، واقترح عليه التحالف ، وتقسيم المناطق التي سيفتحها صلاح الدين في فلسطين ، ما عدا عسقلان ، واذا تم الاستيلاء على آسيا الصغرى ، فتضاف الى بيزنطة ، ومقابل ذلك يساعد اندرونيكوس صلاح الدين عسكريا في فتوحاته ، والتي ضد اللاتين . ولكن ليس معروفا مدى استجابة صلاح الدين ، لهذه الاقتراحات . فقد مات الامبراطور اندرنيكوس في ١٢ سبتمبر ١١٨٥ م (١٠٠) .

ومهما يكن من أمر الصلات بين صلاح الدين وابطاطرة الدولة البيزنطية ، فانه بقولية اسحق الثاني انجليوس *Isaas II Angelus* (١١٨٥ - ١١٩٥ م) بدأت العلاقات بين الطرفين تأخذ شكلا جديدا اكثر تفاهما واشد صداقة عما سبق ، اذ ان الامبراطور الجديد ، استقبل سفارة صلاح الدين ، والتي كان الأخير قد ارسلها لسلفه وبسرعة ايد الاتفاقية ، وساعد على تحقيقها ، ولا شك ان هذه الاتفاقية حررت صلاح الدين من خوفه من ناحية بيزنطة (١٠١) . وعلى أية حال فقد كتب اسحق الى صلاح الدين يلح عليه لاسترداد المدن الباقية من قبضة اللاتين . اذ كانت هناك اتصالات بين الدولة البيزنطية ، وقائد مسلم في الارض المقدسة عن طريق اثنين من مساعديهم ، احدهما يدعى « ميليكيتيس » *Melkites* ، والآخر « يوسف باتيث » *Joseph Batit* ، وزادت المراسلات بين صلاح الدين واسحق ، فقد ارسل الأول سفاره الى اسحق وارسل معها معدات عسكرية، وهدايا فاخرة ، من أسهم واقواس وسروج خيل ، ومائة أسير بيزنطي وعددا من الخيول التركية ، وكمية من العطور . وقد ابتهج اسحق بهذه الهدايا ، كما ابدى سروره لاستجابة صلاح الدين لفك أسر أخيه (١٠٢) .

وردا على سفارة صلاح الدين ارسل الامبراطور اسحق سفارة اليه ، وقد حوت هذه السفارة الكثير من الهدايا الحربية ، والملابس الامبراطورية للسلطان واخوته وأولاده . وارسل قسردا ، ورساله ذكر فيها ، « ارسل لك هذا لانك في رأيي ملك شرعى بمساعدتي ورعاية الرب » وقد وصلت الرسالة الى عكا في ٦ يناير ١١٨٨ ، ابان حصار صور ، وقد ملأ الرسل بلاطه ، والنبلاء والجنود ، وتقدم الرسل البيزنطيون بشكر من الامبراطور البيزنطي لصلاح الدين ، كما استفسر صلاح الدين عن الاحوال في الامبراطورية ، ووضع الغرباء *Valchs* بها ، على ان أهم ما جاء به الرسل هو ان هناك حملة صليبية جديدة مزعق قيامها (١٠٣) . ومما يجب الاشارة اليه ان هذه الاخبار تعتبر مبكرة ، حيث انه كانت الاستعدادات قد بدأت في المانيا بالفعل لتهيئة الجو للقيام بحمله الى الشرق .

ويمكن القول ان علاقات المصالح قو وثقت بين اسحق وصلاح الدين وقد ارسل الى اسحق الثاني بعد فتح بيت المقدس يخبره بالفتوحات ، وتسليم مائة وتسعين رجلا اليه من رعايا الدولة البيزنطية ، كان صلاح الدين قد أسره في حروبه ضد الصليبيين (١٠٤) . ويضيف بعض المؤرخين ، انه عندما بلغت القسطنطينية انباء انتصار صلاح الدين في حطين ، ارسل الامبراطور البيزنطي اسحق انجليوس سنة ١١٨٨ م ، سفاره الى صلاح الدين مهنئا ويطلب منه ضرورة ، اعادة الاماكن المقدسة المسيحية الى الكنيسة الارثوذكسية (١٠٥) .

ولما تأكد صلاح الدين من ان هناك حملة المانية في طريقها الى الشرق الاسلامي ، سارع بارسال سفاره الى اسحق الثاني انجليوس البيزنطي ، وكان أهم مهامها ، ضرورة

التفاوض على اتفاقية مع البيزنطيين بشأن المشاركة في صد حملة فردريك الأول الألماني ، كما أرسل له هدايا فخمة وعظيمة ، من مسك وجواهر ونعام وفيلة صغيرة وتوابل ، وغير ذلك من الأشياء الغالية الثمن ، كما أهدى إليه ، منبرا ، اذ اهتم صلاح الدين باقامة الشعائر في مسجد القسطنطينية ، الا أن المنبر لم يصل ، لأن الجنويين استولوا عليه ، وأحضروه الى صور ، واستغل كراد مونتفرات هذا للتشهير بالامبراطور البيزنطي في أوروبا . وكتب الى أوروبا في ٢٠ سبتمبر ١١٨٨ م مقررًا ، ان المنبر هو خير دليل على التعاون بين اسحق وصلاح الدين (١٠٦) غير أن هذا لم يمنع بيزنطة من التعاون مع الأيوبيين وأصبح البيزنطيون يحرصون على دوام الصداقة مع صلاح الدين ، لأن مصلحتهم قاصرة على الوضع في الشرق الاسلامي، فخطبوا ود صلاح الدين، ولم يعد الغرب الأوربي سواء البابوية في روما ولا الاباطرة في الغرب الأوربي ، يشكلون أي هائق في وجه الامبراطورية البيزنطية ، ومن هذا المنطلق اهتم البيزنطيون بالسفارات الأيوبية ، ورحبوا بها ، ولم يتم استقبال السفراء الأجانب بنفس الأسلوب الذي استقبلت به السفارات الاسلامية ، والتي كانت من قبل صلاح الدين . وبدا فتح اسحق على نفسه باب العداء من الغرب عليه .

وقد سبق القول ان الامبراطور فردريك الأول أرسل بعثة الى الامبراطور اسحق الأول لتسهيل عبور الحملة الألمانية الى الشرق ، الا أن السفارة سجنّت في شهر مايو ١١٨٩ م . اذ ربما كما يذكر بعض المؤرخين ، يكون ثمة دافس من سفراء صلاح الدين — الذين كانوا موجودين في البلاط البيزنطي وقت وصول السفارة الألمانية — وراء سجن السفارة الألمانية (١٠٧) . وأرسل اسحق سفاره الى صلاح الدين وصلته في أغسطس — سبتمبر ١١٨٩ م /

٥٨٥ هـ ، بمرج العيون ، وتضمنت الاتفاق على تدمير الجيش الألماني ، وعدم تمكينه من العبور ، كما طلب اسحق من صلاح الدين رجال دين للخطبة والدعوة للخليقة العباسي بالقسطنطينية، وقد أرسل صلاح الدين الى القسطنطينية اماما ومؤذنا ومنبرا وقراء لقراءة القرآن (١٠٨) . كما يشير بعض المؤرخين ، ان صلاح الدين وافق على وضع الاماكن المقدسة المسيحية في بلاد الشام تحت رعاية رجال الدين الارثوذكس . وقد وصلت سفارة من القسطنطينية ، تفيد وصول المنبر — غير المنبر الذي استولى عليه الجنوية — ورجال الدين واقامة الخطبة للخليفة العباسي بالقسطنطينية (١٠٩) .

ويعلل بعض المؤرخين مسلك اسحق الثاني هذا واستعمال الدبلوماسية مع صلاح الدين ، التي جزع لها الفرنجة في الشرق ، وليس بهدف ، أن يلحق الاذى والضرر بمصالح الصليبيين ، بل كان يقصد انتقاص قوة السلاجقة . غير أن ما حققه من عمل باهر ، بعودة الاماكن المقدسة الى رعاية الارثوذكس يعتبر في ذاته صدمة للغرب الأوربي (١١٠) .

بينما ذكر آخرون أن الامبراطورية البيزنطية قد اعتمدت على قوة صلاح الدين للوقوف في وجه أخطار النورمان والبيازنه والجنوية (١١١) . وامبراطور المانيا والبابا اكبر الأعداء وأمرهم (١١٢) .

ويمكن القول بأن ما قام به الامبراطور فردريك الأول من تعاون واتفاق ومفاوضات مع الصرب والبلفار ، وما أبدته الأخيرتان من تحمسهما لمحاربة بيزنطة (١١٣) ، جعلت اسحق الثاني لا يتردد في عقد معاهدة تحالف مع صلاح الدين اذ ظن أن الحملة موجهة ضده ، وربما يكون فردريك قد فكر فعلا في توجيه الحملة ضد بيزنطة ، وخاصة بعد اتفاقاتها مع

صلاح الدين (١١٤) . ويؤيد هذا القول ما حدث من مواقف بيزنطة ، لاختلاق المصاعب ضد الحملة الألمانية ، وقد كان لهذا صداه على الامبراطور فردريك الاول ، اذ أرسل الى ابنه هنري السادس ، لكي يحث البابوية على توجيه حملة ضد الامبراطورية البيزنطية ، كما أن الأمر لم يكن بخاف عن الصليبيين ، إذ أنه في صيف ١١٨٩ م ، أرسلت سيبيلا Sibylla ملكة بيت المقدس (سابقا) الى الامبراطور فردريك الاول تخبره أن صلاح الدين دخل في عهد أئيم مع امبراطور بيزنطة ، وتطلب منه الا يثق بمندوبي الامبراطور (١١٥) . بالإضافة الى أن الصليبيين قد عرفوا صراحة أن اتفاق اسحق مع صلاح الدين موجه ضد الامبراطور فردريك الاول ، ففي شهر نوفمبر ١١٨٩ م ، أرسل أحد الصليبيين بالشرق يذكر ذلك التحالف الأئيم بين امبراطور بيزنطة ، والسلطان صلاح الدين ضد اللاتين ، ولاسيما ضد الامبراطور فردريك الاول (١١٦) .

وهكذا ظل اسحق الثاني انجليوس يرسل صلاح الدين بشأن حملة فردريك الاول امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة ، ويكتب له التطورات ويطمئنه . ففي نهاية ديسمبر ١١٨٩ م ، أرسل له رساله يستفسر فيها عن السفراء الذين طرده وكذلك السفير الذي مات ، ويحث صلاح الدين على ضرورة الاستعداد للحملة الصليبية ، وذكر له أن الألمان لن يصلوا سالمين الى الشرق ، حيث قال « اذا وصلوا فانهم لن يستطيعوا القيام بأي شر لجلالتكم » (١١٧) .

وهكذا أصبح لدى الامبراطور فردريك الاول معلومات اكيدة من كل الأطراف بالتعاون البيزنطي الأيوبي ضده ، وقد ترتب على ذلك تأزم الموقف بين اسحق وفردريك ، اذ هدد الأخير بتدمير بيزنطة ، وتقدم واحتل أدرنة Adrianople ، ليقضى فيها الشتاء ،

اذ وجدها خالية من السكان ، وكانوا قد هجروها عندما عرفوا قدوم الامبراطور فردريك الاول (١١٨) . وقد خشي فردريك دوق سوابيا ابن الامبراطور فردريك أن تسبب فترة الراحة هذه ، الترف وكسل الجنود الألمان ، لذلك عمل على ايجاد عمل لهم خلال تلك الفترة ، ووضع خطة لمهاجمة منطقة لا تبعد كثيرا عن « إدرينوبل » ، ويضيف بعض المعاصرين ، أن البيزنطيين تجمعوا في هذه المنطقة وهم يثقون في حمايتها ويدافعون عن تحصيناتها ، ضد القوات الألمانية ، ولكن استطاع الألمان هزيمتهم ، وأسر بعضهم (١١٩) .

ولا شك أن الامبراطور البيزنطي أصبح في مأزق ، لأن صداقته لصلاح الدين لن تدفع عنه الجيش الألماني ، وخاصة بعد أن عرف الرسالة التي أرسلها الامبراطور فردريك الاول (١٢٠) الى ابنه هنري السادس ، فتوقع — اسحق — أن تأتيه جيوش لا قبل له بها ، بالإضافة الى أنه سمع بما قام به الألمان من أعمال ، وكذلك تقدمهم ، ومن ثم خشي على امبراطوريته من الهلاك والتدمير ، الأمر الذي ترتب عليه أن أرسل مبعوثيه للامبراطور فردريك الاول من أجل السلام ، ولقد رأى بعض الألمان التابعين لفردريك ، أنه من الخطر الدخول في سلام مع الامبراطور اسحق ، الا أن فردريك فضل المعاهدة والصلح مع اسحق خوفا من أن تتأخر الحملة الألمانية في الوصول الى الشرق الاسلامي (١٢١) . وقد تعهد سفراء الامبراطور اسحق بمساعدة الامبراطور فردريك وجيشه في العبور ، ووعد بأنه سيكون خادما مخلصا للمسيحيين ، وسوف يضع نفسه وكل ما يملك تحت تصرفهم وأنه سينظم لهم سوقا يشترون منه ما يلزمهم من المؤن ، وسيخصص لهم مساحة آمنة من أملاك الامبراطورية البيزنطية (١٢٢) . كما أن بيزنطة تعهدت بدفع تعويض للألمان عن خسائرهم ، وسوف تعد السفن لعبور الحملة الألمانية ، الى

الجانب الآسيوى (١٢٣) . ولم يكتف الامبراطور الألماني بذلك بل طالب برهائن بيزنطيين حتى يكفل تطبيق المعاهدة ، ووصل عدد الرهائن الى تسعمائة ، وفى الرابع من فبراير ١١٩٠ م ، اقسمت الشخصيات العظيمة والمرموقة فى الامبراطورية البيزنطية - فى كنيسة سان صوفيا Saint Sophia ، بأن يأخذوا فى الاعتبار هذه المعاهدة (١٢٤) . وفى المقابل تعهد الالمان بعدم الاعتداء على اى جزء من بيزنطة (١٢٥) . كما هدد الامبراطور فردريك بالعقاب على كل من يلجأ الى السب والنهب من أفراد الحملة الألمانية ، هذا وقد واجه الامبراطور فردريك النقد بسبب عقده هذه الاتفاقية ، مع البيزنطيين ، وخاصة من بعض تابعيه لانفراده بالرأى (١٢٦) .

ومما يجب ذكره أن هذه الاتفاقية التى عقدت تعتبر نصرا دبلوماسيا لفردريك الأول (١٢٧) . وذلك لما استطاع أن يحصل عليه من موثيق ، وتعهدات من الامبراطورية البيزنطية ، اذ أمن جانب البيزنطيين من الهجوم عليه اثناء الطريق ، كما أنهم نفذوا المعاهدة التى سبق أن عقدها سفراء بيزنطة فى المانيا فى صيف ١١٨٩ م ، بخصوص التسهيلات اللازمة للحملة الألمانية من مؤن وغير ذلك . وفى أول مارس سنة ١١٩٠ م ، تحركت الحملة الألمانية من أدرينوبل (١٣٨) . وقد التزمت بالنظام فى سيرها ، تجنباً للفوضى أو السخط بين الأفراد ، اذ قسم الجيش الى ثلاثة مجموعات الأولى يقودها دوق سوابيا ، والمؤخرة يقودها الامبراطور فردريك بنفسه ، أما القلب فمهمته الاهتمام بامتعة الجيش وفرسان الحملة وكانت كل مجموعة من هذه المجموعات الثلاث تنتظم مجموعات أخرى ، عليها عدد من الضباط وقائد عام ، وكان هذا هو الأفضل للمعسكر ، وظروف الحرب . فالجيش يتعرض للهلاك بدون قائد وحيث لا توجد المساواة (١٢٩) . وعلى أية حال وصل السوابيون والبافارزيون فى ٢١ مارس الى

غاليبولى الواقعة على الدردنيل (١٣٠) . وكان فى انتظار الالمان ، خمسمائة سفينة وستة وعشرون شونة بيزنطية (١٣١) . لنقلهم الى ساحل آسيا (١٣٢) . وعبر الجيش يوم الأحد الخامس والعشرين من مارس ١١٩٠ م ، اما الامبراطور فردريك فقد عبر بنفسه فى ٢٨ مارس ١١٩٠ م . ومعه مؤخرة الجيش وبعض اتباعه ، وبذلك تكون الحملة الألمانية قد عبرت من أدرينوبل الى آسيا (١٣٣) . وبعد أن عبر فردريك بحملته ، أجل تحرك الجيش حتى اعياد الفصح (١٣٤) ، وسط أصوات المزامر فى حضور جمع غفير من الناس على ضفتى نهر « لسان القديس جورج » اذ كان نهرا صغير (١٣٥) . ثم عبره ، ويذكر بعض المؤرخين أن الامبراطور فردريك اتخذ الطريق الذى يقع بين الطريق الشرقى الذى صارت فيه الحملة الأولى سنة ١٠٩٧ م . والطريق الغربى الذى سار فيه فردريك مع عمه كثراد الثالث فى الحملة الثانية سنة ١١٤٨ م (١٣٦) .

ومهما يكن من أمر فقد أتبع الامبراطور فردريك الأول الطريق الذى اتبعه الاسكندر المقدونى ، فقد انطلق فردريك الأول الى « لامباسك » Lampasque مارا على « لجرانيك » ، وتوجه نحو « لودكيا » Laodicee ، مخترقا مدن « برجام » Pergame و « سرددس » Sardes . ثم بلغوا ما بين جبلى « اوليمبوس » و « اريبنجو » (١٣٨) . وفى الطريق الى « فيلادلفيا » Philadelphia (١٣٩) ليحتلها ، حلت كثير من المصائب على الجيش الألماني ، اذ توجهت جيوش « التيوتون » Teutons ، مدة احدى عشر ساعة وسط غابة مملؤة بالأخشاب الكبيرة من الشمال بجبال « بلنجى دو » Bellendji-dagh وكان الصليبيون قد تأثروا بالجوع على أسوار فيلادلفيا ، يريدون قطع الحصاد لدرجة أكل الأحياء ، وقد هدد فردريك الأول بهزيمة المكان ، ويذكر بعض المؤرخين أن النصحاء قد منعوه وأشاروا

عليه بأن هذه المدينة مملوءة بأشياء مقدسة ، التي يستشعرون فيها « المسيح الحي » وآخر معقل المسيح ضد الأتراك (١٤٠) . وبما يجدر الإشارة إليه أن فيلادلفيا كانت تابعة للسلطان السلجوقي ، وقد رفض أهلها تقديم المساعدات العسكرية إلى الألمان ، لذلك حدثت معارك بينهم (١٤١) . وعلى أية حال سار فردريك بجيشه تاركا وراءه قمم « سيوجس » Sages وغاباتهما ، ووصل الألمان إلى « ترابلي » (١٤٢) التي تحيط بها هضبة عندها من الشمال الشرقي ينبع نهر ، وتحيط بها أحجار صلبة ، وقد عسكر الألمان هناك بجوار أشجار التين ، قبل أن يتوجهوا إلى الضفة اليسرى من النهر ، وعبروا بعد ذلك نهر « ليكوس » Lycus (١٤٣) شمال ترابلي ، ووصلوا إلى « لادوكيا » Laadicee (١٤٤) ، بعد حوالي ساعتين من السير ، إذ استولوا عليها في ٢٧ أبريل ١١٩٠ م (١٤٥) . أي بعد شهر من عبورهم الدردنيل ، ووجدوا بها غنائم كثيرة .

ولكن الذي يدعو إلى التساؤل هو موقف السلاجقة من حملة الإمبراطور فردريك الأول ، إذ أن هناك اتفاقا بين الإمبراطور الألماني والسلاجقة (١٤٦) ، وخاصة منذ التعاون الذي حدث في موقعة ميركيفا ليوم ضد البيزنطيين ، وفي نفس الوقت الذي كان فيه الإمبراطور فردريك بالشرق قبل عبوره الدردنيل ، كانت المراسلات بينه وبين السلطان السلجوقي مستمرة (١٤٧) . ويذكر بعض المعاصرين ، أن سلطان قونية ، عز الدين قلع أرسلان الثاني بن مسعود سلطان سلاجقة الروم (١١٥١ - ١١٩٢ م) كان يتوق للنيل من الألمان ، فأعلن صداقته معهم تحت ستار مظل ، وهو يخفى في داخله الغل والحقدهم فيباغتهم فجأة حينما يكونون غير متيقظين (١٤٨) . ولم يكن الألمان يعتقدون في وقوف السلاجقة ضدهم ، وليس أدل على ذلك من أن الألمان تركوا غنائم السلطان السلجوقي ،

ولم يستولوا عليها عند عبورهم إلى أراضيهم ، كما أنهم لم يعملوا حسابا لمثل الهجوم السلجوقي عليهم . لكن الألمان استطاعوا أن يوحدوا أنفسهم ، وجمعوا أسلحتهم ، إذ كان عددهم ثلاثة آلاف فارس ، بالإضافة إلى ثمانين ألف راجل (١٤٩) . وقد كان موقف قلع أرسلان في موضع لا يحسد عليه ، فهو قد تعهد بالسماح للإمبراطور فردريك الأول وجيشه بعبور أراضيهم ، في نفس الوقت الذي أصبح أمام جيوش المانية كثيرة ، وهكذا إذا سمح لفردريك بالعبور فسوف ينقلب المسلمون جميعهم ضده ، ومن ثم أثر الصمت حتى يتبين له الموقف تماما ، الأمر الذي ترتب عليه أن ترك الجيش الألماني يتوغل في أقاليم السلاجقة . ويفسر بعض المعاصرين ذلك ، بأن السلطان السلجوقي أراد أن يوقع الألمان في مأزق الجوع وحاجتهم إلى المؤن من جهة ، وفي التعب الذي يلحق بالألمان من جهة أخرى (١٥٠) . ويذكر بعض المؤرخين أن السلطان السلجوقي لم يكن ينوي - برغم ما بذله من وعود - أن يسمح للصليبيين باجتياز بلاده في هدوء (١٥١) . لذلك بعد ستة أيام من الاستيلاء على « لادوكيا » أي في ٣ مايو ١١٩٠ م . اتبع السلاجقة أسلوب الهجوم الخاطف على الألمان وخامسة على مؤخرة الجيش ، ومقدمته بهدف فصل الجيش عن بعضه ، وقد حل الليل على الجيش الألماني ، مما جعله في حالة دفاع دائم ، إذ اخترقت رماح السلاجقة خيام الألمان ، فقتل منهم الكثير (١٥٢) . ويذكر أحد جنود الحملة الألمانية ، أنه « في الرابع من مايو ١١٩٠ م - كنا قرب « سوسوبولي » (١٥٣) ، ودخلت الجيوش إلى مغاور الجبال حيث اشتكت من البرد والفقر ، وبعد أن مشينا بعض الوقت في خوانق ضيقة ، غادرت الجيوش الطرق الملكية إلى قونية ، وتوجهت نحو اليسار في المناطق الجبلية والأقل تحوله » (١٥٤) .

ولم يكن أبناء السلطان السلجوقي يرغبون في مهادنة الألمان ، لذلك واجهوا الجيش وحاولوا صدّه في عيد العنصرة (١٥٥) ولم

يكن أمام الألمان الا محاربتهم ، في سهل « فيلومليوم » Philomelium (١٥٦) يوم الاثنين « عيد العنصره » والتقى الاتراك السلاجقة بالألمان وخاصة مع الفليق الأخير ، وهاجموهم بالرمح ، وعرف دوق سوابيا ذلك ، فأسرع الى ساحة المعركة بأسرع ما يكون ، وبينما كان يبحث عن أبيه — الإمبراطور فردريك — وهو على هذه الحال صائحا باسم والده ، أصيب بحجر في رأسه ، وكسرت أسنانه وبقى عاجزا عن الحركة (١٥٧) . ومن المحتمل أن الإمبراطور فردريك نفسه كان في المعركة ، اذ يذكر البعض أنه « كان سعيدا لمحاولته انقاذ أبيه ، وكما كان يبذل نفسه ويعرضها لهذه المخاطر التي لا تنتهي وعزاء له على ذلك الجرح الذي أصابه ، فشكل اللثة الخالية من الأسنان تشهد له بالنصر » (١٥٨) .

ويروى شاهد عيان واحد جنود الحملة تفاصيل هذه المعارك التي كانت لا تنتهي فيقول « وفقدنا كثيرا من دوابنا مع النقود والملابس والمتاع التي كانت تحملها الدواب وقتلنا كثيرا من البربر ، ولكنهم تكاثروا ، وبقدر ما كنا نقتل البربر بقدر ما كانوا يتكاثرون ، واضطرونا الى أن نحارب في نفس الوقت أمير « فيلومليوم » وأمير « فرما » Ferma مع جماعة من البلاد المجاورة ، وبعض أيام كنا نقاتل من الصباح حتى المساء » (١٥٩) .

ومهما يكن من أمر فقد اعترف الألمان بهزيمتهم أمام السلاجقة ، وقد تصوروا أن القديس جورج Saint George يحارب معهم ضد المسلمين ، ويذكر شاهد عيان أنه « قضى الليلة في صحراء رملية ، لا ماء فيها ولا حياة كمثل النعاج » (١٦٠) ويوجز أحد المعاصرين ، وضع الحملة الألمانية ، وهم في الطريق الى قونية بقوله « وأجهز العدو (السلاجقة) عليهم دون هوادة ولدة ستة أسابيع حتى أنهم كانوا يأكلون وينامون بأسلحتهم دون خلع دروعهم ، واشتد بهم

الجوع والعطش ، واضطروا لاكل لحوم الخيل التي ماتت في هذه الحرب ، فكانت بمثابة عزاء لهم ، كما اضطروا للشرب من دمائها ، وبذلك علمتهم الضرورة أن يجدوا استعمالا آخر للحيوانات التي يركبونها » (١٦١) وكان الألمان وسط هذه الأزمات المتلاحقة بهم ، قد خسروا الكثير ، فأصبح أهم شيء عندهم هو الوصول الى قونية Icoonium ، فقد وقع في أيدي الألمان جندي تركي ، وتعهد له فردريك الأول ، بأنه سيتركه على قيد الحياة ، اذ أخرج الجيش من هذه الصحاري ، فنصح الجندي التركي الألمان بأخذ الطرق المتوجة الى اليسار نحو « سوسوبولى » ، وكان يسير على رأس الجيش والسلسلة حول عنقه وعليه أن يسدل الصليبيين على المدن الغنية (١٦٢) .

ومما يجب الإشارة اليه ان الصليبيين قطعوا الطريق من لادوكيا الى قونية في خمسة وثلاثين يوما ، وكان بعد كل مسيرة ستة أيام ، يجدون مدينة وخلال الطريق الطويل لم يجدوا الا مدينتين ، وأما باقي الطريق فكان عبارة عن بقايا لذن بلا أسماء ، والجبال الجرداء والبحيرات المالحة ، بالإضافة الى الأعداد الكبيرة من الاتراك الذين يهاجمون الألمان ليل نهار ، وكان الآخرون يطاردونهم الى قمم الجبال (١٦٣) . وأزاء كل هذه المواقف دخل الألمان الى أرض قونية ، ووجدوا بها مصادر الماء وكلما اقتربوا من المدينة وجدوا العيون والجداول ، وفي اليوم السادس بعد عيد العنصره توجهوا الى قونية (١٦٤) . ووصلوا أسوارها في ١٧ مايو ١١٩٠ م (١٦٥) . فأرسل لهم السلطان السلجوقي بعض مساعديه ، لكي يعرض على فردريك ، السماح له بالمرور ، مقابل إعطائه ثلثائة قطعة ذهبية ، الا أن فردريك رفض وقال « ليس من عادتي أن اشتري طريقا بالذهب ، ولكن أفتحها بالحديد ونجدة نبينا عيسى المسيح ، الذي نحن جنده » (١٦٦) وكان المسلمون قد هددوا الإمبراطور فردريك بمهاجمته في اليوم التالي بجيش قوامه ثلثائة

ألف رجل ، بينما كان الجيش الألماني عندئذ ألف فارس ، مجهزين بأسلحتهم وفي حالة جيدة ، ويذكر البعض أن فردريك الأول قد تلقى نصيحة فحواها ، أن يكسب أراضي أرمينية ، بدلا من محاصرة قونية ، إلا أن الجيوش كانت قد تقدمت نحو مدينة قونية بناء على أمر الإمبراطور فردريك (١٦٧) .

ويصف بعض المعاصرين حال الحملة عند أسوار قونية ، بأن الجنود الألمان قد نصبوا خيامهم على مسافة قريبة ، وهم يشكون من محنة ، وقد عصفت بهم رياح شديدة داخل المعسكر ، وأن الجيش التركي يحيط بهم في كل مكان ، وأنه يزيد عددهم عن ثلثمائة ألف رجل ، بقيادة قطب الدين (١٦٨) بن السلطان السلجوقي ، في حين سعد السلطان قلعة شامخة ، حيث جلس يراقب الموقف الحربي ، إلا أن الإمبراطور فردريك استطاع أن ينتصر على قطب الدين بن السلطان ، واحتلت المدينة وملتت بالقتلى والدماء (١٦٩) . كما يرجع البعض هذا النصر إلى حسن تنظيم الجيش الألماني بالإضافة إلى خوفهم من الله ، وعلى أية حال فقد استقر السلطان السلجوقي في القلعة متحصنا بها (١٧٠) . وقد خشى على نفسه وعلى أملاكه ، الأمر الذي ترتب عليه أن أرسل إلى الإمبراطور فردريك الأول — وكان الأخير قد دخل المدينة ، وقابل ابنه فردريك السوابي الذي دخلها قبله (١٧١) — وألقى اللوم على ابنه قطب الدين وأعلن براءته شخصيا ، وعرض على الإمبراطور عقد اتفاقية بينهما ، على أن يأخذ الإمبراطور فردريك الذهب مقابل أن يطلق الأخير سراح الرهائن (١٧٢) ، والذي لا شك فيه أن فردريك قبل هذا العرض في مايو ١١٩٠ ، لأنه لا يريد أن يدخل في حروب جانبية من الممكن أن تثنيه عن هدفه الأهم وهو بيت المقدس ، ومن هذا المنطلق ، أرسل له السلطان السلجوقي من الذهب خمسين قنطارا ومن الفضة خمسين قنطارا ومن الثياب الطلس المعدنية ما بلغ الألوف (١٧٣) . وتم

إطلاق الرهائن من جانب الإمبراطور فردريك ، وقد وجه بعض القواد كالعادة اللوم للإمبراطور فردريك بسبب إطلاقه سراح الرهائن لأنهم لم يكونوا ليأمنوا جانب السلطان السلجوقي (١٧٤) . وبطبيعة الحال لم يكن الإمبراطور فردريك الأول ، يترك الأمر طبقا لما يشتهي السلطان السلجوقي ، فكان يستعين بمرشدين من السلاجقة حتى يمكن لهم الخروج من بلاد السلاجقة ، وليأمنوا عدم وقوع أي اعتداءات عليهم ، وتشير المصادر العربية واللاتينية المعاصرة ، إلى أن السلطان السلجوقي أعطى الإمبراطور فردريك رهائن من أولاد أكابر السلاجقة زاد عددهم على عشرين (١٧٥) . ويذكر البعض أن الإمبراطور فردريك لم يمكث طويلا داخل أسوار المدينة ، ولكنه أجاز لجيشه أن يخلد إلى الراحة فترة من الزمن في حدائق مرام بالأرض الجنوبية للمدينة (١٧٦) . ثم تحرك الإمبراطور فردريك وجيشه من المدينة . وبالرغم مما حدث من اتفاق فقد قابل الجيش الألماني أجناسا كثيرة اعترضت طريقهم ، وحاربتهم ، منهم التركمان والترك والتركستين (١٧٧) *Les turcomans, Les turcobares, Les turcogistes et lesturoscytes* وقد أتوا من ضفاف بحر قزوين ، حيث احتلوا « سرقسيا » *Circassie* (١٧٨) وعلى أية حال بعد النصر الألماني العسكري والدبلوماسية على قونية ، رأى الألمان أن أمامهم قوة معادية لابد من محاربتها ، إذ تحركوا إلى « لارند » *Laranda* (١٧٩) ووصلوا إليها بعد مسيرة ستة أيام أي في ٣٠ مايو (١٨٠) . في نفس الوقت كان التيوتون قد استطاعوا أن يسيطروا على كثير من الحدود المسيحية (١٨١) ، وهي لبلاد أرمينية ، وصاحبها ليون الأرمني *Lean II* ١١٧٨ — ١٢١٩ م (١٨٢) . إلا أن الأخير أرسل إلى الإمبراطور فردريك سفراء ليعت بالنجدة التي كان في حاجة إليها ، ونصحه بالا يمكث كثيرا في بلاده خوفا من الجوع والفوضى (١٨٣) . بالإضافة إلى أنه قد أبدى استعداداه لأن يقدم

للإمبراطور فردريك ، كل المعونة والمساعدات التي يحتاج إليها ،
وأظهر له الطاعة والأمان (١٨٤) .

وفاة الإمبراطور فردريك الأول وتولية ابنه فردريك السوابي

قاد الإمبراطور فردريك الجيش الألماني ، عبر دروب جبال
طوروس Tours في الطريق إلى أنطاكية ، وكان عليهم أن يظهروا
شجاعتهم ، وصبرهم ، وعلم الإمبراطور بأن الجيش عليه أن
يقطع طريقا صعبا ، نحو الساحل الجنوبي إلى سلوقية ، وكان
ميناء سلوقية ، (طرسوس) (١٨٥) وقتذاك بأيدي الأرمن ، والطريق
وعرا والطعام فيه شحيحا ، واشتدت حرارة الصيف ، واتفق
الجميع على عبور نهر سالف Salf (١٨٦) . أو نهر سيلوس
Salesius ، في قليقية Cilicia وقد بدأ سلاح الفرسان في
العبور ، إذ كان نهرا صغيرا ، وكان الإمبراطور يمشي في مؤخرة
الجيش (١٨٧) . وذلك في بداية شهر يونيو ١١٩٠ م . وقد أراد
الإمبراطور أن يسبق جنوده من الفرسان لعبور النهر ،
إلا أن عددا من خواصه ، حذروه ، وقد يكون الاختراق
بفرض الاستحمام والترطب بالمياه من حرارة الجوفى ١٠ يونيو
١١٩٠ م ، أو بفرض السباحة إلى الشط الآخر بعد أن خلع
ملابسه . وأما كان الأمر فقد نزل الإمبراطور النهر ، فأعترته
قشعرة شديدة ، وطلب الاغاثة ، فخطفه الخدام من النهر منزعا
منازعا ، إلا أنه مات بعد أيام (١٨٨) . إذ لم ينجح رجاله في
اغاثته (١٨٩) . وكما يذكر جيفرى فينزوف أن موت الإمبراطور ،
لم يكن هو الشيء المؤلم ، ولكن المؤلم حقا هو سبب الموت ،
ويضيف ، بأن هناك من يقول بأن هذا النهر قد عرف بالموت منذ
العصور القديمة ، وعلى الصخرة القريبة منه محفورا « هنا سيهلك
أعظم الرجال » (١٩٠) Here the Greatest men shall perish

ولا شك أن وفاة الإمبراطور فردريك الأول كان بداية
النهاية لهذه الحملة التي عانت الكثير خلال عبورها أراضي
السلجقة في آسيا الصغرى ، بالإضافة إلى أنه ترك ابنه فردريك
السوابي ، الذي كان أقل خبرة من والده في شئون
السياسة ، غير أنه يعتبر أعظم الأمراء في الحملة ،
فقد كان طبيعيا أن يصبح على رأس الحملة الألمانية ،
وقد رأى بعض الأمراء ، أن أخاه الأكبر هنري السادس (١٩١) .
هو أولى بقيادة الحملة ، ولكن من الصعوبة بمكان تولى هنري
السادس قيادة الحملة ، لأنه كان يراعى شئون الإمبراطورية
الرومانية المقدسة في الغرب ، أثناء فترة غياب والده في
الشرق (١٩٢) . وعلى أية حال فقد استقر رأى الجميع على تولي
فردريك السوابي قيادة الحملة ، خلفا لوالده (١٩٣) . وتشير
المصادر العربية المعاصرة إلى أن « ليون الثاني » أمير أرمينية ، كان
في طريقه ، إلى مقابلة الإمبراطور فردريك ، وعندما علم بما
حل بهم لم يرغب في أن يلقي بنفسه في وسط الألمان ، لذلك رجع
إلى قلاعه المنيع ، ولما عرف فردريك السوابي ذلك ، أرسل إلى
أمير أرمينية ، يستعطفه ويشرح له موقفه . إذ قال : « ان أبي
كان شيخا كبيرا ، وما قصدت هذه الديار إلا لأجل الحج إلى بيت
المقدس ، وأنا الذي دبرت الملك ، وعانيت المشاق في هذه الطريق ،
فمن لم يقدم لطاعتي ، قصدت دياره » (١٩٤) .

ولم يكن أمام ليو الأرمني إلا أن يستجيب لنداءات فردريك
السوابي ، وأغلب الظن ، فإن أمير أرمينية خشي على نفسه من
تقلب الرأي العام الصليبي ضده ، ويذكر أمير أرمينية حلال
الألمان ونظمهم ، في الرسالة التي بعث بها إلى صلاح الدين
حيث يقول : « ان عددهم كثير ، وبهم أجناس متفاوتة ،
ونظمهم فيما بينهم صارم ، فمن يرتكب منهم جناية

يذبح ، بحكم القساوسة ، وانهم حرموا انفسهم من المذبات ، وهجروا ثيابهم ، ولم يلبسوا الا الحديد » (١٩٥) . وقد وصلت هذه الرسالة الى صلاح الدين في يولييه / أغسطس ١١٩٠ م — ٥٨٦ هـ عن طريق قلعة الروم (١٩٦) . ويمكن القول بأن سياسة أمير أرمينية كانت ذات وجهين فهو مع الصليبيين الألمان طالما كانوا اقوياء ، واذا لم يصبح منهم رجاء فهو يخطب ود صلاح الدين خوفا منه .

ومهما يكن من أمر فردريك السوابي في أرمينية ، فإنه قرر أخيرا استكمال المسيرة بهدف تحقيق السياسة الشرقية لوالده ، لكن جيشه أصبح ضعيفا وقليلًا ، اذ تخطى كثير منهم عن الديانة المسيحية ، واعتنقوا ديانات أخرى ، نتيجة لما حل بهم في أرمينية ودعوا المسيح بقولهم : « لقد سقط التاج (الامبراطور فردريك) من فوق رؤسنا فسخطا لنا نحن الذين عصينا » (١٩٧) وقرر بعض الأمراء العودة باتباعهم الى المانيا (١٩٨) ، وفريق ثالث استقل سفينة من طرسوس الى صور (١٩٩) .

وهكذا لم يبق من الألمان الا أولئك الذين خجلوا من العودة فظلوا تحت قيادة فردريك السوابي ابن الامبراطور (٢٠٠) . للتوجه الى انطاكية ، فاجتازوا سهل قيليقية ، حيث مرض فردريك ، مرضا شديدا ، أعاقه عن السير على حين تقدم جيشه من غير قائد (٢٠١) . فسار بعضهم الى حلب فتخطفهم المسلمون ، ولم ينج منهم الا القليل (٢٠٢) . وسار بعضهم من تحت قلعة بغراس (٢٠٣) يقودهم كونت الماني ، وقد أسر عسكر بغراس منهم عددا كبيرا .

هذا وقد ذكر أمير أرمينية في رسالة أخرى لصلاح الدين ، ما بقي من حملة فردريك السوابي بقوله « ضعفاء قليلوا الخيل والعدة ، واكثرهم ثقلهم على حمير وخيل ضعيفة » وقال أيضا « لقد وقفت على جسر يعبرون عليه لاعتبرهم ، فعبر منهم جمع عظيم ، ما وجدت مع واحد منهم طارقه ، ولا رمحا الا النادر ، ذلك لأنهم حرقوا معظم ادواتهم الحربية لاحتياجهم الى النار (٢٠٤) .

وعلى أية حال وصلت هذه الحملة الى انطاكية Antioche في ٢١ يولييه ١١٩٠ م (٢٠٥) . وقد مات الكونت الذي كان على رأسهم ، ولما علم بوهيمند الثالث (١١٦٣ — ١٢٠١ م) أمير انطاكية ، بحالة فردريك السوابي ، ذهب اليه ، ليحضره الى انطاكية ، واستقبله استقبالا عظيما ، وادى بوهيمند يمين الولاء لفردريك السوابي (٢٠٦) . وسلم له المدينة بكل مقومات الدفاع عنها ، ولتقوية عملية الدفاع ، عرض عليه استعداداه لحماية المدينة من أجل حماية فردريك ورجاله ضد هجمات الأعداء (٢٠٧) .

بقى فردريك السوابي فترة في انطاكية ، ولم يستطع أن يقوم بعمل حربي أو سياسي يستحق الذكر ، سوى الهجمات الخاطفة التي كان يقوم بها أفراد حملته ، على بعض القلاع المجاورة مثل حلب وبغراس ، الا أن الحاميات الاسلامية كانت تصدهم وتأسرهم (٢٠٨) . وبالتالي أصبح عدد الجيش الألماني في انطاكية قليلا ، قدره البعض بحوالي خمسة آلاف فقط ، هذا الجيش الذي كان قد خرج من المانيا ما يزيد من مائتي ألف جندي (٢٠٩) . وأصبح من الضروري أن يأتي فردريك السوابي بعمل عسكري ضد المسلمين بالشرق الاسلامي ، ولما كانت حالة جيشه العسكرية لا تسمح بعمل يقابل فيه المسلمين وجها لوجه ، لذلك فكر في الاتجاه الى عكا (٢١٠) . وشجعه على هذه الفكرة ابن عمه كتراد مونفترات — الذي قام

بزيارة له من صور (٢١٢) فضلا عن تشجيع بوهيمند الثالث أمير انطاكية لهذه الفكرة (٢١١) .

خرج فردريك السوابى ومعه جيشه من انطاكية في الاربعاء ٢٨ اغسطس ١١٩٠ م / ٢٥ رجب ٥٨٦ هـ ، وهو قاصد عكا ، وفي الطريق من انطاكية الى اللاذقية ومن اللاذقية الى جبله واجهته مصاعب كثيرة في الطريق ، اذ خارت قوى كثير من الخيول التى كانت تحمل جنوده ومناعه ، كما لاقى الجيش متاعب جمة ، من هجوم اسلامى في الطريق من جبله الى طرابلس ، التى وصلها يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر ١١٩٠ م / ٨ شعبان ٥٨٦ هـ (٢١٣) .

ولما كان الجيش الالماني على طول المسافة من انطاكية حتى طرابلس قد لاقى الكثير من المتاعب ، أصبح لا يستطيع عمل شيء يذكر (٢١٤) . وقد مكث فردريك السوابى بعض الوقت في طرابلس ، وارسل الى عكا يخبرهم بأنه سيحضر اليهم ، وفي اواخر شعبان ٥٨٦ هـ / سبتمبر ١١٩٠ م ، توجه بحرا الى عكا (٢١٥) . على المراكب التى اعدت له ، وركب عليها ومعه جنوده ، الا انه قامت ريح شديدة أغرقت بعض سفنهم ، وأجبرتهم على العودة ثانية الى طرابلس ، ثم أقلعوا أخيرا الى صور (٢١٦) ، وارسل بقية الجند الالماني الى عكا ، وأقام بصور ليلة واحدة وتوجه بمفرده الى عكا في ٦ رمضان ٥٨٦ هـ / ٧ اكتوبر ١١٩٠ م (٢١٧) . ومجمل ما وصل من الجيش الالماني لم يتعد ألف رجل ، وقد فكروا في القيام بشن هجوم على عكا (٢١٨) . في نفس الوقت الذى غادرت سفن المانية عكا الى ألمانيا ، وخاصة كونت أدولف اف هولستين Adalf of Holstein . (٢١٩) .

ومهما يكن من أمر الحملة الألمانية التى وصلت بقاياها الى عكا ، فهناك عدة تساؤلات هى : هل اشتركت الحملة في تخليص

عكا من أيدي المسلمين ؟ أو هل كان للصليبيين دور في حصار عكا قبل وصول الالمان ؟ وإذا كان كذلك فما هو موقف الشرق الاسلامى من هذه الحملة الصليبية عامة ، ومن حملة فردريك السوابى خاصة .

في الواقع لم تكن حملة فردريك السوابى هى التى انتت السى عكا فقط ، ولكن جاءت قوات أخرى من ألمانيا قبله ، وخاصة « لاند جراف » Land grave (٢٢٠) من ثورنجيا Thuringia الذى استطاع أن يقنع المريكز كونراد مونتفرات Conarad of Montforrat ، بأن يأتى اليه في عكا وخاصة عندما كان كنراد على نزاع مع الملك « جاي لوز جنان » ، وقد وافق المريكز على الحضور الى عكا ، مع بقاء الخلاف بينه وبين الملك جاي (٢٢١) . بالإضافة الى ذلك فقد جاء من الغرب بعض الالمان في سبتمبر ١١٨٩م ، بطريق البحر ، من فريزيين وفلنك Frisian and Flaming تحت قيادة « جيمس أفنس » James of Avesnes ، فضلا عن جماعة من النبلاء السكسون تحت قيادة أوتو اف جلدر Otto of Guelders ، و « هنرى اليتنبرج » Henry of Altenburg وجنود مشاه من كلونى Cologne ، علاوة على ذلك أن الانجليز كانوا في الطريق (٢٢٢) .

وبعد زيادة عدد الجيش على عكا بهذه الصورة ، أصبح أكثر ملاءمة لدخول الحرب ومهاجمة المسلمين (٢٢٣) . فقد قاد الملك جاي لوز جنان الجيش في الرابع من اكتوبر ١١٨٩ م / ٥٨٥ هـ وترك اخاه « جفري » يراقب عكا ، ليأخذ معسكره الشرقى على بعد ميلين من هضبة « جودا » Agadieh ، وقد تشكل الجيش على النحو التالي : في القلب بارونات الارض المقدسة ، وايطاليين ، كانوا تحت قيادة كونراد ، أما الوسط الايسر فكان

من الألمان الذين أتوا تحت قيادة « لاندجرف » ، هذا ويراس الجانب الأيسر كله ، « جيرارد ريدفورت » Gerard de Ridfort واندفع الفرسان الألمان والإيطاليون إلى المسلمين ، الذين هزمهم عند الأردن (٢٢٤) .

وهكذا بدأت القوات الألمانية تباشر نشاطها العسكري ، فما هو الدور الذي لعبه السياسيون بالدولة الأيوبية لصد هذه الهجمات ؟

موقف المسلمين من الحملة الألمانية :

عرف السلطان صلاح الدين ، أخبار الحملة الألمانية هذه ، منذ أن بدأ الاستعداد لها في أوربا ، وذلك عن طريق الإمبراطور اسحق الثاني انجليوس إمبراطور الإمبراطورية البيزنطية . ويرى بعض الباحثين أن صلاح الدين عرف أخبار هذه الحملة من تجار الجمهوريات الإيطالية الثلاث (جنوا — بيزا — البندقية) إذ كانت هناك في ميناء الإسكندرية في شتاء سنة ١١٨٧ — ١١٨٨ م — ٥٨٣ هـ سبع وثلاثون سفينة تجارية قادمة من هذه الجمهوريات الثلاث ، وقد أخبر تجارها المقيمون في الإسكندرية عن حملة فردريك الأول (٢٢٥) . علاوة على هذا أنه في رمضان ٥٨٥ / ١١٨٩ م ، أرسل الظاهر غيات الدين بن صلاح الدين (٥٨٤ — ٦١٣ هـ) من حلب إلى والده يخبره ، أن ما تردد بشأن الحملة الألمانية صحيح (٢٢٦) .

والذي لا شك فيه أن هذه الحملة لم تكن مفاجأة لصلاح الدين ، نظرا لما كان قد حدث بينه وبين الإمبراطور فردريك الأول من مراسلات ، تنم عن تهديد ووعيد من ناحية الإمبراطور فردريك الأول ، ومن ثم فإن مجيء حملة من الغرب في وقت قريب جدا أمر

لم يكن مستبعدا بالنسبة لصلاح الدين ، لما جرت عليه عادات الصليبيين في الشرق من الاستغاثة بالغرب في ظروف الشدة الملحة بهم . كما أن هناك اتصالات تمت من جانب كبار الصليبيين المقيمين في الشرق ، وفي مقدمتهم البطريرك ، ومقدمي الجعاعات الدينية يستعجلون فيها رجال الغرب للمساعدة بإرسال حملة ، إذن لم يكن من الغريب القول أن صلاح الدين كان على علم بها . بالإضافة إلى أن الوقت الذي تقطعه الحملة من الغرب إلى الشرق والمصاعب التي قابلتها ، كان كافيا لأن يعد صلاح الدين العدة للتصدي لها ، وليس مجرد العلم بها .

وقد ظهرت دبلوماسية صلاح الدين في مقابلة هذه الأخبار ، فبدأ يستعد لها ، فأرسل إلى صاحب سنجار ، وصاحب الجزيرة ، وصاحب الموصل ، وصاحب أربل ، واستدعاهم للجهاد بأنفسهم ، كما أرسل ابن شداد إلى الخليفة العباسي ، الناصر لدين الله ، في ١١ رمضان ٥٨٥ هـ (٢٢٧) . وكانت استعدادات صلاح الدين في البر والبحر معا ، إذ أنه أرسل إلى الأسطول المصري ، الذي وصل إلى عكا في ١١٨٩ م / ١٦ ذي القعدة ٥٨٥ هـ . في خمسين شتيا ، واستجاب الأمراء بالشرق الإسلامي ، لنداء الجهاد الذي أعلنه صلاح الدين على لسان رسله ، فقد أرسل « عز الدين مسعود ابن مودود » صاحب الموصل ، ابنه علاء الدين مزودا بالنفط الأبيض (٢٢٨) والرماح (٢٢٩) والتراس (٢٣٠) .

وليس أدل على سرعة استجابة الخلافة العباسية لذلك من أن الإمدادات جاءت إلى صلاح الدين في نفس الوقت الذي رجع فيه ابن شداد من سفارته إلى الخليفة العباسي ، في طلب الإمدادات ، إذ أن ابن شداد عاد في الخميس الخامس من ربيع الأول ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م (٢٣١) . ووصلت الإمدادات في ١٦ ربيع الأول ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م . وقد جاء بها الشريف فخر الدين ، ومعه

حملان من النفط التيار ، وحملان من القنا الخطي ، وتوقع بعشرين ألف دينار ، وخمسة من الزراطين (٢٣٢) النفاطين الذين يجيدون صناعة الحريق بالنار (٢٣٣) . واستجاب أيضا عماد الدين زنكي صاحب سنجار بعسكره ، وابن أخيه سنجر شاه ، صاحب الجزيرة ، وكذلك صاحب أربل (٢٣٤) .

ويمكن القول بأن سرعة الاستجابة هذه تدل على مدى تماسك الجبهة الاسلامية بالشرق ، لمواجهة الخطر الصليبي الذي يتهدها إذ أن هذا الخطر لا يهدد الدول الأيوبية فحسب ولكن يهدد المسلمين جميعا في المنطقة .

ولما رأى صلاح الدين أن الجيش الاسلامي قد أصبح في وضع يسمح له بمقابلة الصليبيين ، تحرك ناحيتهم ، فنزل بتل كيسان ، في ١٨ ربيع الأول ٥٨٦ هـ (٢٣٥) . وكانت المراسلات لا تنقطع عن السلطان صلاح الدين ، من الامبراطور البيزنطي ، أو من سلطان السلاجقة ، بشأن أخبار حملة فردريك الأول ، فقد تحقق السلطان من وصول ملك الألمان الى أرمينية ، وأصبح قاب قوسين أو أدنى من بلاد الشام ، لذلك لم يستبد صلاح الدين بالأمر ، فأشار على أرياب الرأي والمشورة ، واستشارهم في كيفية مقابلة ملك الألمان ، هل يخرج للقائهم في الطريق ، ويحاربهم ، أو يمكث مكانه لحين وصوله ؟ فأشار البعض عليه ، بالرأي الأول ، وأشار آخرون بالرأي الثاني ، لكن صلاح الدين جمع بين الاتجاهين في استراتيجية ، بأن يسير بعض العساكر الى البلاد المتاخمة لطريق الجيش الألماني ، وأن يقيم صلاح الدين بعسكره في مقابلة العدو خشية استيلائهم على عكا (٢٣٦) . وعلى هذا فقد تحرك الى طريق العسكر الألماني ، ناصر الدين بن تقي الدين ، صاحب منبج ، وكذلك عز الدين بن المقدم ، صاحب كفر طاب وبعرين ، ومجد الدين صاحب بعلبك ، وسابق الدين صاحب شيزر ، وعسكر حلب وحماء ، وبدر الدين شحنة دمشق (٢٣٧) . وعندما

كان صلاح الدين بالقرب من عكا في ٢٥ ربيع الأول ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م ، وصلة عوام من البلد ، معه كتب تذكر أن العدد قد كثر ، وقوى عزمه ، مما ترتب عليه أن تأهب صلاح الدين أكثر للملاقاة العدو ، فأمر العادل بأن ينتقل الى منزلة تقي الدين ، في طرف الميمنة ، وكان عماد الدين زنكي في طرف الميسرة ، وعرفوا بموت الامبراطور فردريك الأول ، وتولية ابنه (٢٣٨) . ووجه صلاح الدين جنوده ليتصيدوا جنود الألمان في الطريق الى انطاكية — كما سبق ذكره — وعزم السلطان صلاح الدين على استقباله ، وأمر السلطان بهدم أسوار طبرية وينا وارسوف وقيسارية وصور وصيدا وجبيل ونقل أهلها الى بيروت (٢٣٩) .

كما أمر السلطان أيضا باعادة تعمير الاسطول المصري وتزويده بالؤن والعتاد . ووصل الى الشام في ٨ جمادى الأولى ٥٨٦ هـ ، على ميناء عكا بقيادة رجال من مصر (٢٤٠) . وفي نفس العام كانت قد وصلت نجده برية وبحرية بقيادة يدعى « مارجاريت » Margaritus ، لمساعدة الصليبيين المقيمين في عكا ضد المسلمين ، وتصدى للمسلمين في عكا وهزمهم (٢٤١) .

وهكذا كان صلاح الدين يتحرك برا وبحرا في مواجهة التقدم الألماني ، في نفس الوقت الذي كان فيه الصليبيون يحاصرون عكا ، محاولين أن يفتحوها باستخدام كافة الحيل فصنعوا ثلاثة أبراج (٢٤٢) من خشب وحديد والبسوها الجلود المسقاة بالخل ، حتى لا تلتهمها النيران ، وكانت هذه الابراج كالجبال ، ومركبه على عجل يسع الواحد منها حوالي خمسمائة من الجنود ، ويسمح سطحها أيضا لأن ينصب منه المنجنيق ، وعلى أية حال فكان على السلطان صلاح الدين أن يواجه هذه الأعمال ، فجمع المهندسين من الزراطين والنفاطين ، وأجزل لهم العطاء ، لكن ضاقت حيلهم ، إلا أن أحد الدماشقة وكان يعمل سئاب نحاس ، ذكر أنه يمكن

أحراقها ، ان أمكن الدخول الى عكا ، وأحضر له ما طلبه من مواد
ليستخدمها ، ودخل المهندس عكا ووضع المواد مع النفط في قدور
من النحاس ، حتى صارت كأنها جرة نار ، ثم ضرب الأبراج
الثلاثة بثلاثة أوان ، فاحترقت واحدا بعد الآخر (٢٤٣) .

هذه بعض المناوشات التي كانت تحدث بين المسلمين
والصليبيين حول عكا ، وفي أماكن أخرى ، الى أن وصل فردريك
السوابي ، — ببقايا حملة والده — الى عكا ، في ٦ رمضان
٥٨٦ هـ / ٧ أكتوبر ١١٩٠ م . وتذكر بعض المصادر العربية ،
أن الصليبيين عند عكا لم يرحبوا بفردريك السوابي وفرقتهم
الألمانية (٢٤٤) ، خشية أن ينسب النصر ، — في حالة الانتصار
على المسلمين — اليه . وعلى أية حال فقد مكث فردريك السوابي ،
أياماً في عكا ووجه اللوم للصليبيين الموجودين في الحصار ، لعدم
قدرتهم على النصر ، كما رأى أن يواجه المسلمين ، مما ألهم حماس
الجنود ورفع روحهم المعنوية وأصبح لا بد من القتال (٢٤٥) .
وقال فردريك السوابي للصليبيين « لا بد من الخروج على اليك
لنفوق قتال القوم ، ونعرف مراسهم ، ونبصر أمرهم ، فليس
الخبر كالعيان » (٢٤٦) وخرج الى المسلمين بالمشاة والفرسان ،
في تل العياضية ، وحدث قتال ، وعندما علم صلاح الدين بذلك
تحرك من تل كيسان ، مما دفع الألمان الى التقهقر ، لكن فردريك
السوابي رأى أن يكرر الهجوم على المسلمين ، وخاصة على
عكا ، فاستحدث من الآلات الحربية ، ما لفت نظر المسلمين اليه ،
منها الدبابة (٢٤٧) التي تحمل أعداداً كبيرة من الجند المتدربين
بالحديد ، وبالدبابة عجل يحركها ، وبداخلها من الجنود المقاتلة ،
ولها رأس عظيم برقبة شديدة من حديد ، وهي تسمى كبشا ،
ثم يجرها جنود آخرون غير الذين فيها ، فيضربون السور بها
بقوة ، ويتكرر عملية الضرب هذه يتهدم السور (٢٤٨) .

وقد أدت أساليب فردريك السوابي الحربية الى
إقترابه من معسكر السلطان ومن خيمته في شهر نوفمبر
١١٩٠ م / شوال ٥٨٦ هـ . حيث وقف المعسكر الاسلامي على
الجانب الشرقي قبالة الصليبيين (٢٤٩) ، مصممين على الدفاع عن
معسكرهم ، ثم تقدم المشاة من الصليبيين ، وهاجموا المسلمين ،
وكاد الصليبيون الألمان يستولون على خيمة السلطان ، الا ان
المسلمين الذين في عكا انطلقوا وأحاطوا بجيش الألمان مما أوقع
الألمان في مأزق وحيره ، هل يدافعون عن أنفسهم ، او يهجمون
على المعسكر الاسلامي ، وفي هذه الاثناء ، تقدم الداوية الى ساحة
المعركة ، الا أن المسلمين منعوهم من التقدم الى عكا ، وقتلوا
معظمهم ، وانتصروا عليهم (٢٥٠) . واتجه الألمان في لهفة الى جمع
غنائم فرسان الهيكل في نفس الوقت الذي أشيع فيه أن المسلمين
قد سلبوا أمتعة الألمان الأمر الذي ترتب عليه أن ساد الذعر بين
الألمان ، ولم يستطيعوا المقاومة (٢٥١) .

لا شك أنه بعد هذه الهزائم المتوالية على الألمان في عكا
لم يعودوا يفكرون في الهجوم مرة ثانية على المسلمين ، وانكمشوا
في حصار المدينة ، ولم تأت لهم أي معونة ، وحلت بهم الأمراض
والأوبئة ، فمات فردريك السوابي في ٢٠ يناير ١١٩١ م / ٢٢
ذي الحجة ٥٨٦ هـ (٢٥٢) . ودفن في قلعة التيوتون (٢٥٣) .
ولا جدال أن موت هذا القائد ، كان من المصائب أيضاً التي حلت على
الألمان ، إذ لم يبق لهم قائمة بعد ذلك في هذه المنطقة ، وبدأ الوهن
يدب في قلوب الصليبيين والألمان معا (٢٥٤) .

كما أنه بلغ الأمر بالألمان ، أن أسر المسلمون ، ابن أخ —
فردريك السوابي ، في إحدى الاستطلاعات الاسلامية البحرية في
عكا (٢٥٥) . وليس هذا فحسب ولكن تذكر بعض المصادر

البربرية ، أن بعض الصليبيين قد انفقوا مع صلاح الدين أن ياتوا بغنائم للمسلمين ، وخاصة بعد موت ملك الألمان ، بشرط أن تكون هذه الغنائم مناصفة بين المسلمين والصليبيين ، وقد اتوا بالفعل ، بغنائم كبيرة في « بركوسا » (٢٥٦) كان قد أعطاه صلاح الدين لهم (٢٥٧) .

ومهما يكن من أمر فقد انضم ما بقي من حملة فردريك السوابي تحت قيادة كونراد مونتفات ، واستطاعوا حينئذ أن يساهموا بالقليل في فتح عكا (٢٥٨) . في يوليو ١١٩١ م / جمادى الأولى ٥٨٧ هـ . وذلك بعد وصول فيليب أغسطس ملك فرنسا ، ورتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا .

على أن هذا المصير التي وصلت اليه الحملة الألمانية ، لم يكن سببه تلك الصعوبات التي قابلتها في الطريق فحسب ، بل أيضا تلك الظروف التي لم تسعف الألمان الذين أرادوا أن يقلبوا سياستهم السلمية ، تجاه المسلمين الى سياسة عدائية . فبالرغم من الاتصالات الدبلوماسية ، التي قام بها الامبراطور فردريك الأول ، مع الامبراطور البيزنطي اسحق انجيليوس ، إلا أن الأخير لم يكن مخلصا للألمان بالمرّة ، ويذكر بعض المؤرخين ، أن اسحق أعطى لصلاح الدين كل شيء (٢٥٩) ، عن أسرار الحملة الألمانية . كما أن أبناء السلطان السلجوقي ، لم يتركوا حملة الامبراطور فردريك الأول تمر عبر أراضيهم من الكرام ، — برغم اتفاق والده مع فردريك الأول — الى المسلمين ، علاوة على هذا أرسلوا الى صلاح الدين تفاصيل الحملة الألمانية ، عسكريا وسياسيا .

كما أن ليو أمير أرمينية — المسيحي ، لم يمد يد العون الى الحملة الألمانية ، كما يجب أن يكون ، والأسوأ من هذا ، ما أرسله الى صلاح الدين ، من أخبار تفصيلية عن مسار الحملة حتى يتهيأ المسلمون لرد خطرها .

ولا شك أن الحملة قد فقدت جزءا كبيرا من خططها ، بهوت الامبراطور فردريك الأول ، فقد تولى ابنه فردريك السوابي ، الذي لم يقتنع به أغلب الألمان ، إذ تركوه ، فعاد بعضهم الى ألمانيا ، وآخرون الى صور ، والبعض ترك المسيحية — كما سبق القول — ولم يكن فردريك السوابي ذا خبرة حربية ، لذلك لم يتمكن من توجيه السياسة ناحية الشرق الوجهة السلمية ، إذ كان من الممكن أن يرضى من الغنيمة بالاياب الى بلاده . ويحتفظ بالعلاقة الطيبة لامبراطوريته مع ملوك نبي أيوب بالشرق ، إلا أنه زاد الطين بله ، باتهام مسيرة الحملة بحطامها ، في الوقت الذي استعد الشرق الاسلامي ، بأمرائه وقواده وسلطانة وخلافته ، أمام الألمان ، حتى لا يمكنهم من الدخول الى بلادهم التي حرروها بالنفس والنفيس .

وإذا كانت الحملة الألمانية قد جاءت الى الشرق بفرض قلب الموازين والاستيلاء على بيت المقدس من يد الشرق الاسلامي ، فإن هذا لم يتحقق ، نظرا لما كان من خلافات بين الصليبيين بالشرق ، فكونراد مونتفات في نزاع من « جاي لوزجنان » ، بسبب الوراثة على عرش المملكة ، والصليبيون في عكا ، لم يرتاحوا

- (١) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٧٥ .
 (٢) حامد زيان : الامبراطورية فردريك بربروسا ، ص ١٦ .
 Cf : Tout (T.F.) : The Empire and the Papacy, London, 1924, p. 271.
 (٣) السيد الباز العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٨٨٦ .
 (٤) مكسيموس مونروند : تاريخ الحرب المقدسة في الشرق مجلد ٢ ، ص ٩٨ .
 Cf : Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 85.
 William of Tyre : Op. cit., Vol. 2., pp. 359 F. (٥)
 Jean (M.) : & Brial (J.) : recuiel, Tome 17, p. 624. (٦)
 وانظر نص رسالة القدس الى الغرب الأوربي ، ملف رقم ٥ .
 Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 658, p. 175. (٧)
 Ibid., No. 660, p. 176. (٨)
 Jean (M.) : & Brial (J.) : Op. cit., p. 474. (٩)
 ونص رسالة البابا جريجوري الثامن الى المسيحيين بالغرب الأوربي . انظر ملحق رقم ٦ .
 Cf : Antheny (S.C.) : The Crusades, p. 51.
 Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 661, p. 176. (١٠)
 Ibid., No. 669, p. 178. (١١)
 Ibid., No. 678, p. 181. (١٢)
 Michoed : Historie de Croisades, Tome 2, p. 74. (١٣)
 وانظر : حامد زيان : الامبراطور فردريك بربروسا ، ص ١١ .
 Ibid., pp. 75 F. (١٤)
 (١٥) ستيفين رنسيما : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٢ .
 Cam. Med. His., vol. 5., p. 410. (١٦)

الى حضور فردريك السوابي اليهم ، ولا ننفي حقد الألمان علي
 فرسان الهيكل اذ تحقق لهم فتح عكسا ، وانفرادهم بها
 دونهم (٢٦٠) .

وهكذا لم يساهم الألمان في الشرق حتى هذا الوقت ، الا في
 مناوشات صغيرة ، لا تستحق الذكر ، ولم يتركوا لهم اثرا عدا
 مشترك قساوستهم في المستشفى الخاصة بالألمان (٢٦١) .

ومما سبق يمكن القول بأنه لا عبرة لقول بعض المؤرخين —
 من انه لو قدر لفردريك الاول البقاء ، ووصل بحملته الى الشرق ،
 لأختلفت النتائج اختلافا تاما (٢٦٢) . ذلك لأن الشرق الاسلامي
 لم يعد مفككا ، فقد جمعتهم المحن ، وصهرتهم في بوتقة واحدة ،
 من سلطان وخليفة وامراء زنكيين وسلاجقة ، فضلا عن موقف
 البيزنطيين والارمن الايجابى تجاه صلاح الدين والمسلمين
 بالشرق .

ويولينا واستريا وبيريا ، ودينا Rowennis واستريا Istria وركونيا
Rocnnpnis واليريا ولبارديا وتسكانيا وانكونا Ancona ، والبيزيين . كل
هؤلاء الأمم يذكر فردريك « من أجل المسيحية » .

Cf : Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 88.
Cf : Jean (M.) : & Brial Recueil, Tome 17, p. 487.

عن نص رسالة الامبراطور فردريك الأول الى السلطان صلاح الدين ، انظر
ملحق رقم ٧ .

Rohricht (R.) : Regesta regni, No. 672, p. 179. (٣١)
Cf : Ambroise : The Crusade of Richard Lion-Heart, p. 121.

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 88. (٣٢)

Ibid., p. 89. (٣٣)

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 89. (٣٤)

Ibid., p. 89. (٣٥)

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 89. (٣٦)

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 89. (٣٧)

Ibid., p. 90. (٣٨)

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 90. (٣٩)

Cf : Conder (C.R.) : The Laint Kingdom of Jerusaled, وانظر
p. 252 F.

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 90. (٤٠)

عن نص رسالة السلطان صلاح الدين الى الامبراطور فردريك ، انظر ملحق
رقم ٨ .

Cf : Rohricht (R.) : Regesta وعن ملخص الرسالة هذه انظر :
Regni, No. 672, p. 179.

(٤١) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٢ - ٢٣ .

Cf : Thompson, (J.W.) : Op. cit., Vol. 1, p. 584.

(٤٢) عن معركة « ميريوكفالوم » ونتائجها . Ostrogorsky, p. 347.
وايضا : زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطى ، صفحات ٩٩ - ١٠٤ .

Ibid., p. 347. (٤٣)

Setton (K.M.) : A history of the Crusades, Vol. 2, London, (١٧)
1962, p. 89.

وانظر ايضا : الباز العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ،

ص ٨٨٧ . Cf : Cam. Med. Hist., Vol. 5, p. 410.

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 88. (١٨)

(١٩) حامد زيان : المرجع السابق ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٢٠) نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين ،

ص ٢١٦ .

(٢١) يوشع براور : عالم الصليبيين ، ترجمة قاسم عبده قاسم ومحمد

خليفة حسن ، القاهرة ١٩٨١ م ، طبعة أولى ، ص ١٩٦ م .

Kantoriwicz (E.) : Frederick The Second, Trans by (٢٢)
Lorimer, (E.O.) : London, 1931, p. 168.

Thompson (J.W.) : Middle Ages, Vol. 1., p. ٤11. (٢٣)

Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 671, p. 179. (٢٤)

Cf : Conder (C.R.) : The Latin Kingdom of Jerusalem, (1099-
1291), London, 1897, pp. 25 F.

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 87. (٢٥)

Ibid., p. 87. (٢٦)

Lec. cit. (٢٧)

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 88. (٢٨)

تذكر بعض المصادر انه فردريك أعلن انه سيهاجم صلاح الدين في سهل تنيس Tanes

اي سيهاجم مصر . انظر :

Cf : Rohricht (R.) : Regesta Regnai, No. 671, p. 179.

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 88. (٢٨م)

Ibid., p. 88. (٢٩)

(٣٠) اما البلاد والشعوب التي عددها الامبراطور فردريك الأول في رسالته

الى السلطان صلاح الدين فهي : شاطيء الدانوب ، والبافاريين ، وسوابيينا ،

وفرانكونيا وسكسونيا وسرنجيا Thuringia ووستفاليا والبرابرة واللورنيين

Lierrainer وبرجنديا ، والالب Alps والفيريين Friar والبوهميين

وانظر ج. م. هسي : العالم البيزنطي ، ص ١٩٧ .

وانظر : رافت عبد الحميد : المشكلة الإيطالية في السياسة الألمانية في

العصور الوسطى ، مقال في المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٣٠/٣١ لسنة

١٩٨٣/١٩٨٤ ، ص ٢٧٩ .

وانظر أيضا : زبيدة عطا : الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية ،

ص ٩٥ - ٩٦ .

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 93. (٤٤)

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 93. (٤٥)

Ibid., p. 93. (٤٦)

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 94. (٤٧)

Cf : Cam. Med. Hist., Vol. 5., p. 411.

Setton (K.M.) : A history of the crusades, Vol. 2, p. 92. (٤٨)

(٤٩) ستيفن رسييمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣ .

Michoud : Histoire de Croisades, Tome 2, p. 76. (٥٠)

Cf : Ostrogorsky (G.) : History of the Byzantine State, p. 360.

وانظر أيضا : أسد رستم : الروم ، ص ١٧٢ .

Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 77. (٥١)

Vasiliev (A.A.) : History of the Byzantine Empire, vol. 2., Madison, 1958, p. 445. (٥٢)

Cf : Cam. Med. Hist., Vol. 5, p. 410.

Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 91. (٥٣)

Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 77. (٥٤)

Cf : Cam. Med., Hist., Vol. 5., p. 410.

ينكر « ميشو » أن سلطان قونية قد أشيع عنه في أوروبا أنه اعتنق المسيحية

وأن البابا اسكندر الثالث قد تجسسه بالدخول معه في محادثات .

Cf. Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 77.

Setton (K.M.) : Op. cit., vol. 2., p. 137. (٥٥)

Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 360, & cf : Cam. Med., Hist., Vol. 5., p. 410. (٥٦)

Vinsofs (G.) : Op. cit., Ch. 9, p. 91. (٥٧)

وكان من استعد لهذه الحملة ، أساقفة ليجي Bishops of Liege

ورسبرج Wurzburg وباسو Passau ورجنسبرج Regensburk

وباسل Basel وميسين Meissen وأوسنبارك Osnabruck وكان من بين

القواد الأرستقراطيين ، برشوك Berthold ودوق دلاشيا ، وميران Meran ،

ومارجراف اف استريا Margrave of Istria ومارجراف اف فهيرج The

Margarave of Vohburg وبادن Baden وكونت فلورنت III Count Florent

وهولاند Holand وكونت اف ساين Sayen وسبونيم كايك Sponheim cyuk

ووايد Wied وبيرج Berg وساربروكين Sourbrucken وابنبرج Abenberg

وهينبرج Henneberg وحضر من سوابيا كونتات أوتين Ottingen وكبيرج

Kyburg وديلينجن Dillingen ونيمبرج Nimburg وفهرنين Vahrinen

ومن بافاريا كونتات : دولنستين Dollnstein وليبنو Liebenau

ودورنبرج Dornberg والكنستيني Alkenstein وسكسونيا Saxany وكونت

أدولف Adolf وشمبرج Schaumburg وهلستين Holestein وكونت الدينبري

Aldenburg وهاليسرموند Hollermund وولستجروود Waltingerode .

Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 92.

Cf : Cam. Med. Hist., Vol. 5., p. 411.

كما انضم أيضا : جوجراف اف مجدبرج The Burggrave of Magedburg

وكان هناك أيضا فردريك اف بيرج of Berq واندفوكات اف باسو

The Advocate of Passau وموناستري اف ميلك The Monostory of Melik

وبيرجريس ميتز Burghers of Metz وقد لحق مؤخرا بالجيش بعض الكهنوتيين ،

وملوك آخرين مختارين Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 93.

Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 76. (٥٨)

Setton (K.M.) : Op. cit., vol. 2, p. 94. (٥٩)

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 91. (٦٠)

طريق عسكري مناسب من قيصرية وكبادوكيا
Cappadocia
Cf : Ramsay (W.H.) : The Historical Geography of Asia Minor,
Amstermam, 1962, pp. 287-288 F.

- (٧٦) ستيفين رنسيان : نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٣٦ .
Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 78. (٧٧)
Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 99.
Osirrogorsky (G.) : Op. cit., 360. (٧٨)
وانظر ستيفين رنسيان : نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٣٦ .
(٧٩) فيليبوليس Filippolis . كانت تسمى من قبل « بولبوديلا »
Pulpuclada وقد حملت اسمها هذا « فيليبولس » تشريفا للامبراطور الروماني
فيليب الذي كان اول امبراطور مسيحي الذي اُضاف مجدا للامبراطورية بإعلانه
الديانة المسيحية ؛ من هو فيليب .
وكانت وقت الحملة الالمانية هذه تابعة للامبراطورية البيزنطية .
Cf : Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 93.
Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 101. (٨٠)
Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 79. (٨١)
Ibid., Tome 2, p. 79. (٨٢)
Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 94. (٨٣)
Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 79. (٨٤)
Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 94, & Cf : Cam. Med. Hist.,
Vol. 5, p. 411. (٨٥)
Rohricht (R.), Regesta Regni, No. 686, p. 183. (٨٦)
Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 102. (٨٧)
(٨٨) مقدونية : من اعمال الروم ، ويحده من الشرق السور ، ومما يلي الجنوب
بحر الشام ، ومن الغرب بلاد الصقالبة ومن الشمال برجان ، وطوله مسيرة
خمسة عشر يوما وعرضه مسيرة خمسة ايام وفيه ثلاثة حصون .
انظر : ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٠٥ .
(٨٩) تراقية : من الاعمال التي يحكمها ملك الروم ويحده من الشرق
السور ومن الجنوب عمل مقدونية ، ومن الغرب بلاد برجان ، ومن الشمال بحر
الخرز ، وطوله مسيرة خمسة عشر يوما ، وعرضه مسيرة ثلاثة ايام وفيه عشرة
حصون ، انظر : ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٠٥ .

Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 76. (٦١)
وينكر ميشو ان اعفاء الحجاج من دفع المال لم يحدث في الحملة الاولى
ولا الثانية .

- Cf : Tome 2, p. 76.
Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 91. (٦٢)
Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 77. (٦٣)
Cf : Mam. Med., Hist., vol. 5, p. 411.
(٦٤) ستيفين رنسيان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٣٣ .
Cf : Cam. Med. Hist., Vol. 5, p. 411.
Kantorowicz, (E.) : Frederick The Second, p. 168. (٦٥)
Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 94. (٦٦)
Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 92. (٦٧)
Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 87. (٦٨)
Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 94. (٦٩)
Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 92. (٧٠)
Ibid., p. 92. (٧١)
Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 87. (٧٢)
وانظر ايضا : ستيفين رنسيان : نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٣٥ .
(٧٣) كان الطريق من بلغاريا الى مقدونيا محصن من الجانبين بالصخور
للعلالية ، ومغطى بالاشواك وغصون الاشجار بالإضافة الى الموانع الصناعية التي
اضافها السكان ،
Cf : Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 92.
Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 78. (٧٤)
(٧٥) نيسيا : Nyssa بآسيا الصغرى ، منطقة تقع على منحدر
« هاليس » Halys ، كما وصفها الجغرافي اسقف نيسيا ، وقد وجد انها
منذ ٣٧٨ م وليست لها طريق من قيصرية . Caesariae الى « بارتاسوس »
Parnassos وتقع نيسيا على بعد اربعة وعشرين ميلا من « بارتاسوس »
عند جنوب منحدر « هاليس » على بعد عشرة اميال قبل « كيسك » Kessik Keupreu
ونيسيا ، ليست بعيدة عن حدود « جاليتال » Galatian ، وتعتبر « نيسيا »

- Duggan (A.) : The Story of the Crusades, p. 165. (١٠٥)
 Cf : Setton (K.M.) : A history of the crusades, Vol. 1, p. 620.
 وأيضا انظر : ستيفن رنسيان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٥٦ .
 Brand (C.M.) : Op. cit., pp. 172 F. (١٠٦)
 Brand (C.M.) : Op. cit., pp. 173 F. (١٠٧)
 وانظر زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .
 (١٠٨) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨١٢ .
 (١٠٩) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، القسم الاول ، ص ١٣١ .
 وانظر أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .
 (١١٠) رنسيان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٤ .
 (١١١) حسنين ربيع : الدولة البيزنطية ، ص ٢٣٩ .
 Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 360. (١١٢)
 وانظر : نورمان بنز : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٩٦ - ٢٨٧ ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٠ .
 Vasiliev (A.A.) : Op. cit., Vol. 2, p. 246. (١١٣)
 Ostrogorsky : (G.) : Op. cit., p. 360. (١١٤)
 وانظر جوزيف نسيم يوسف : الدولة البيزنطية ، ص ٢٤٥ الاسكندرية ١٩٨٤ .
 Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 681, p. 182. (١١٥)
 Cf : Conder (C.R.) : The Latin Kingdom, pp. 253 F.
 Rohricht (R.) : Op. cit., No. 683, p. 183. (١١٦)
 Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 80. (١١٧)
 Cf. Brand (C.M.) : Op. cit., p. 175.
 ويذكر بعض المؤرخين أن الخطاب الذي أرسله اسحق الى صلاح الدين ، كان باللغة العربية واليونانية .
 انظر : Conder (C.R.) : Op. cit., p. 253.
 وأيضا نظير حسان سعداوى : الحرب والسلام ، صفحات ٢٥ - ٢٩ .
 Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 94. (١١٨)
 Cf : Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 361.

- Michaud : Op. cit., Tome 2, p. 79. (٩٠)
 وانظر : ستيفن رنسيان : نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ .
 (٩١) رسالة الامبراطور فريديك الاول ، الى ابنه هنرى السادس ، بالتفصيل انظر
 Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 95.
 Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 97. (٩٢)
 Cf : Archer (T.A.) : The Crusades, p. 311. وانظر :
 (٩٣) ستيفن رنسيان : نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٢٧ .
 (٩٤) ابن اليسر : اخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٩٧ ، حوادث ٥٥٣ هـ .
 (٩٥) زبيدة عطا : الشرق الاسلامى والدولة البيزنطية ، ص ٨٩ .
 (٩٦) نفس المرجع ، ص ١٠٧ .
 (٩٧) السيد البار العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين ، ص ٧٢ - ٧٣ .
 وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٤٠ .
 وأيضا : نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المسمى ، فى عدد صلاح الدين ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .
 Vasiliev (A.A.) : Op. cit., Vol. 2, p. 246. (٩٨)
 Nicholson (L.R.) : Joselyn III and the Fall of the (٩٩)
 Crusader State (1134-1199), speculum, Vol. 51, Leiden, 1973, p. 153.
 وانظر : حسنين ربيع : الدولة البيزنطية ، ص ٢٣٥ .
 Brand (C.M.) : The Byzantines and Saladin, Speculum, (١٠٠)
 Vol. 37, America, 1962, p. 168.
 Nicholson (L.R.) : Op. cit., p. 153. (١٠١)
 Cf. Cam. Med. Hist., Vol. 5, p. 411.
 Brand (C.M.) : Op. cit., p. 170. (١٠٢)
 Ibid., p. 171. (١٠٣)
 وانظر زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .
 (١٠٤) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، القسم الاول ، ص ١٢٢ .
 وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٩٤ ، ٧٩٥ .
 وأيضا نظير حسان سعداوى : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

ويصف جوفرى مونزوف وقت دخول الألمان « أدريانوبل » بأن الخريف كان على وشك الجلول وكانت المجموعة النجمية « ليبرا » توازن الليل والنهار في أطوال متساوية .

- Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 94. (١١٩)
 Duggan (A.) : The story of the crusades, p. 187. (١٢٠)
 Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 95. (١٢١)
 Cf : Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 361.
 Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 95. (١٢٢)
 Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 108. (١٢٣)
 Cf : Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 361.
 Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 80. (١٢٤)
 Cf : Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 361.
 Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 108. (١٢٥)
 Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 95. (١٢٦)
 Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 109. (١٢٧)
 Ibid., p. 109. (١٢٨)
 Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 96. (١٢٩)
 Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 109. (١٣٠)
 (١٣١) يطلق مكسيموس مونروند على الشونة ، لفظ « غلياطه » انظر :
 مكسيموس مونروند . تاريخ الحروب المقدسة في الشرق مجلد ٢ ، ص ١١٠ ،
 وشونة أو شيني جمعها شوانى وهى من أهم القطع التى يتألف منها الأسطول
 الحربى ، وكان متوسط ما يحمله الشينى الواحد من الرجاى ما يقرب من مائة
 وخمسين رجلا : انظر عبد الفتاح عباده : سفن الأسطول الإسلامى ، أنواعها
 ومعدات ، القاهرة ١٩١٢ ، ص ٤ ، ٥ .
 Michoud : Op. cit., tome 2, p. 80. (١٣٢)
 وانظر : ستيفين رنسيماى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧ .
 يذكر البعض أن السفن التى نقلت الألمان كانت من البندقية ، وكان عددها
 خمسة عشر ألف سفينة : انظر : Conder (C.R.) : Op. cit., p. 254.
 Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 110. (١٣٣)

(١٢٤) عيد الفصح : هذا العيد عند المسيحيين هو عهد كبير ، متنقل ، يبدأ بأحد الزعف ، ثم أسبوع الآلام ، وينتهى بأحد الفصح أو عيد القيامة ، ويؤمن المسيحيون أن المسيح عليه السلام ، لما تملا اليهود عليه واجتمعوا على تضليله ، وقتله قبضوا عليه ، وأحضروا خشية ليصلب عليها ، لكن المسيح لم يصلب ولم يقتل ، وأن الذى صلب على الخشية غير المسيح شبهه الله لهم بالمسيح : انظر : Cf : Nau (F.) : Martyrologes et Memoires Orientaux. 1-XIII, Paris, 1912, pp. 318 F.

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 95. (١٢٥)
 تنكر بعض المصادر أن هذا النهر يتمتع بشهرة عظيمة لأنه ينساب خلال شطرى آسيا وأوربا . Cf : Ibid., p. 95.
 ويسمى بعض المؤرخين هذا النهر باسم « أنجيلو كومتيس » وينكر أن الامبراطور فردريك سار حتى وصل الطريق البيزنطى انرصوف حاليا ، والمتمد من « مليتروس بولس » إلى « باليكس » الحالية : انظر : ستيفين رنسيماى : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

(١٢٦) أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ١١٢ .
 انظر : Cf : King (E.J.) : The Knights hisptallers, p. 141.
 Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 80. (١٢٧)
 (١٢٨) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في الشرق ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

(١٢٩) Ostrogorsky : (G.) : Op. cit., p. 361.
 (١٤٠) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 81.
 (١٤١) مكسيموس مونروند : نفس المرجع السابق ، مجلد ٢ ، ص ١١٠ .
 (١٤٢) ترابلى : بأسيا الصغرى ، بالقرب من « اسار » وكاديكي Kadikeui

Assar
 Cf : Ramasay (W.H.) : The Historical and Geography of the Asia Minor, amsterdam, 1962, p. 135.

(١٤٣) نهر ليكوس : بأسيا الصغرى ، بالقرب من جبال فيلادلفيا .
 Cf : Ramasay (W.H.) : Op. cit., p. 59.
 (١٤٤) لادوكيا : منطقة بأسيا الصغرى . Cf : Ibid., p. 400.
 وكانت لادوكيا مدينة يونانية مستقلة عن حكم التركمان ، سكنها شعب يونانى ، واشعل نار الثورة ضد الحكم السلجوقى مرارا ، وقد رحب أهلها بالامبراطور فردريك الأول والألمان . انظر : حامد زيان : الامبراطور فردريك بربروسا ، ص ٤١ .

(١٤٥) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 81.

(١٤٦) انظر : سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

(١٤٧) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 686, p. 183.

Cf. Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 80.

(١٤٨) Vinsofs (G.) : O. cit., p. 95.

وانظر حامد زيان : المرجع السابق ، ص ٤٢ - ٤٥ .

(١٤٩) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 96.

(١٥٠) Ibid., p. 96.

(١٥١) ستيفين ونسيان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٣٨ .

(١٥٢) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 97.

(١٥٣) سوسوبولي Spzopolis ، مكان في « أبولونيا » Apollonia

وفي القوائم البيزنطية قريبة من جبال « أبولونيا » و « كونانا » Konana
بأسيا الصغرى ، وبمرور الزمن أصبح اسم « سوسوبولي » هو الشهير ، وأخذ
اسم « أبولونيا » يختفي ، ولم تعرف بالتحديد متى ظهر اسم « سوسوبولي » ولكن
وجد في الوثائق البيزنطية من سنة ٢٨٦ م ، وتعتبر « سوسوبولي » من المناطق
الهامة لحجاج بيزنطة ، وقد وقعت في أيدي السلاجقة سنة ١٠٧٤ م ، باتفاقية
بينهم وبين ميخائيل السابع ، ثم رجعت إلى البيزنطيين سنة ١١٢٠ م ثم عادت إلى
المسلمين سنة ١١٨٠ م ، بعد موت مانويل

Cf : Ramsay (W.H.) : Op. cit., pp. 400 F.

(١٥٤) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 82.

(١٥٥) عيد العنصرة : بعد خمسين يوم من عيد القيامة ، ويحتفل فيه بذكرى
حلول الروح القدس على الرسل : انظر :

أعمال الرسل : الأصحاح الثاني ، الباب الثاني .

(١٥٦) فيلومليوم : قرية تركية صغيرة ، بينهما وبين قونية مسيرة ثمانية

أو تسع ساعات . Cf : Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 82.

(١٥٧) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 97.

وانظر : Cf. : Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 82.

(١٥٨) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 97.

(١٥٩) Cf : Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 82.

(١٦٠) Ibid., p. 83.

(١٦١) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 97.

ويضيف بعض المؤرخين بأن الصليبيين اضطروا إلى حرق سروج الخيل
ولباس وخشب السلاح ، لكي يطهروا لحوم الخيول ، وكان عليهم أن يأكلوا بدون
ملح وتوابل ، هذا الأكل كان مخصصاً لكبار الصليبيين ، بينما الفقراء كانوا
لا يأكلون إلا جذور الأعشاب والنباتات ، واستولى التعب والجوع والمرض على
الصليبيين ، ولم يتمكنوا من متابعة الجيش ، وناموا على الأرض ينتظرون
الموت ، انظر :

Cf : Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 84.

(١٦٢) Ibid., p. 84.

(١٦٣) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 83.

وانظر : العماد الأصفهانى : الفتح القسى فى الفتح القدسى ، ص ٢١٠ .

(١٦٤) Ibid., p. 83.

(١٦٥) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 111.

(١٦٦) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 84.

وانظر أيضاً : مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق ،
مجلد ٢ ، ص ١١٢ .

(١٦٧) Ibid., p. 84.

(١٦٨) قطب الدين بن قلع أرسلان هو زوج بنت صلاح الدين الأيوبي ، لذلك

تشجع لقاتلة الأتات ، وصددهم عن المسلمين ، انظر :

Cf : Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 98.

وعن موقف السلطان قلع أرسلان وأبنائه من حملة فردريك الأول ، انظر : زبيدة

عطا : الترك فى العصور الوسطى ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(١٦٩) Ibid., p. 98.

وانظر : ستيفين ونسيان : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

وأيضاً : العماد الأصفهانى : المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

(١٧٠) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 99.

(١٧١) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق ، ص ١١٤ .

(١٧٢) Ibid., p. 99.

وانظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٤٨ ، طبعة بيروت

١٩٨٢ م .

وأيضاً : مجير الدين الحنبلى : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٣٦٥ ، العراق

١٩٦٨ م .

العلاقات - ١٩٣

(١٧٢) العماد الاصفهاني : المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

(١٧٤) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 99.

(١٧٥) Ibid., p. 99.

وانظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٢٢ .

وايضا : ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢١ .

وكذلك : الحنبلي : الانس الجليل ، ص ٢٦٥ .

(١٧٦) ستيفين رنسيماي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

(١٧٧) ينكر بعض المؤرخين أن الجيش الألماني اصطدم بفرع من التركمان

هم تركمان « أوج » انظر : زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطى ، ص ١٠٨ .

(١٧٨) Michoud ; Op. cit., Tome 2, 85.

(١٧٩) لارند : تقع « بلكونيا » Lykonía ، وما زالت تسمى بهذا الاسم

الذي أطلقه عليها المسيحيون ، وتسمى اليوم « كارمان » Karman وهو الاسم الرسمي لها وتبعد عن قونية مائة وخمسة ميل .

Cf : Ramasay : Op. cit., p. 336.

وايضا : ستيفين رنسيماي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩ . وكذلك :

مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في الشرق ، ج ٢ ، ص ١١٥ .

(١٨٠) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 86.

Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 113

(١٨١) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 86.

(١٨٢) ليون الثاني الأرمني : هو ابن لافون بن اصطفاته بن ليون : انظر

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢١ .

(١٨٣) Ibid., p. 87.

(١٨٤) ابن الاثير : نفس المصدر ، ج ١٢ ، ص ٢١ .

وانظر ستيفين رنسيماي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

وايضا : حامد زيان : المرجع السابق ، ص ٥٠ - ٥٤ .

(١٨٥) طرسوس : مدينة بشفور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم ،

بينها وبين اذنه ستة فراسخ : انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ،

ص ٢٨ . وكان اسمها من قبل انطرسوس ، وكان ضمن المدن التي لم تتضمنها

اتفاقية يافا ١٢٢٩ . (طرابلس وحصن الاكراد وصفين والرقب وطرسوس

وانطاكية) . انظر : عبد الحميد يونس : دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٥ ،

ص ١٥٧ ، ١٥٩ .

(١٨٦) Michaud : Op. cit., tome 2, p. 87.

نهر سالف : Salep باسيا الصغرى بالقرب من « ديات » Daiyat

« بيسيديا » Cf : Ramasay (W.H.) : Op. cit., p. 400 Pisidia

ونهر سالف بالتركية هو كيوك سو Kiuik-Sou

Cf : Michaud : Op. cit., tome 2, p. 87.

ويبدأ هذا النهر من مدينة « لارند » وينتهي في قيليقية . انظر :

مكسيموس مونروند : نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١١٦ .

(١٨٧) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 87.

(١٨٨) Ambroise : Op. cit., p. 81.

انظر : ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

وايضا : مكسيموس مونروند : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١١٦ .

(١٨٩) Michaud : Op. cit., tome 2, p. 87.

وينكر بعض المعاصرين ، بأن الامبراطور فردريك الاول كان طويل القامة ،

شعره أحمر ، ذو جفون بارزة ، مستدير الوجه ، عريض الصدر والمتكبين ، وكان

يقرا لسقراط . رابط الجاش ، لا يثيره الغضب ولا يعرف الحزن ، على دراية

كبيرة بلغته اللاتينية ، ولغات أخرى Cf : Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 100

(١٩٠) Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 114.

Ibid., p. 100.

وايضا : سيط بن الجوزي : مراة الزمان ، ج ٢ ، القسم الاول ، ص ٢٠٢ .

(١٩١) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

Duggan (A.) : The Story of the Crusades, p. 178. (١٩٢)

(١٩٣) ستيفين رنسيماي : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٤١ .

يذكر معاصر : أن الألمان حملوا جسد الامبراطور فردريك الاول ،

الى انطاكية في كنيسة أبرشيه الصوريين ، أما عظامه سوف تنتقل

بحرا الى صور ومنها الى اورشليم .

Cf : Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 101.

اذ يحدهو الأمل الكائن في أن شطرا على الأقل من فردريك الاول سوف

ينتظر يوم القيامة في بيت المقدس : انظر :

ستيفين رنسيماي : نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

(١٩٤) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(١٩٥) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 694, p. 185. (١٩٦)

Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 87. (١٩٧)

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 101. (١٩٨)

(١٩٩) ستيفين رنسيومان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤١ ، ٤٢ .

وانظر : Duggan (A.) : Op. cit., p. 189. Cf

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 101. (٢٠٠)

(٢٠١) ستيفين رنسيومان : نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٤٢ .

(٢٠٢) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في الشرق ، ج ٢ ،

ص ١١٧ .

وانظر العماد الاصفهاني : الفتح القس في الفتح القدس ، ص ٢١٢ .

(٢٠٣) مما يجدر الاشارة اليه ان قلعة بفراس ، استولى عليها صلاح الدين

سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م وكانت تعرف قديما بـ « بجرأ » Pagrae ، محطة

هامة على الطريق من اسكندرونة الى انطاكية ، وزاد شأنها عندما استولى عليها

صلاح الدين ولم يبق مندا الا قرية ضئيلة تسمى « بكراس » انظر :

عبد الحميد يونس : دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ص ٢٦ .

(٢٠٤) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 115. (٢٠٥)

(٢٠٦) ستيفين رنسيومان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤٢ .

وتذكر بعض المصادر العربية ان بوهيمند الثالث امير انطاكية قد طمع

في اموال فردريك السوابي ، لذلك سارع لاحضاره ، ورحب به ترحيبا حارا .

انظر : سبط بن الجوزي : مراة الزمان ، ج ٨ ، القسم الاول ، ص ٤٠٣ .

Vins'fs (G.) : Op. cit., p. 101. (٢٠٧)

(٢٠٨) أبو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .

King (E.J.) : The Kinghts Hospitallers in The Holy Lond, (٢٠٩)

p. 141.

Cf : Conder (C.R.) : Op. cit., p. 255.

وانظر ايضا : مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في الشرق .

ج ٢ ، ص ١١٨ .

(٢١٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨١٩ .

١٩٦

(٢١١) ينكر بعض المؤرخين ان خصوم كثراد مونتفرات اشاعوا عنه بانه

تلقى من صلاح الدين ستين الف دينار (بيزنت) لكي يحمله فردريك السوابي

على مغادرة انطاكية ، ذلك لان بقاء فردريك بانطاكية انفع للصليبيين . انظر :

ستيفين رنسيومان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢١٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢١ .

وانظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨١٩ .

(٢١٣) العماد الاصفهاني : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

Cf : Stevenson, (W.B.) : The Crusaders in the East, p. 265.

وانظر ايضا : حامد زيان : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

Setton (K.M.) : Op. cit., p. 116. (٢١٤)

(٢١٥) اغلب الظن ان فردريك السوابي خشي من السير في الطريق البري الى

عكا ، انظر : ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

Setton (K.M.) : Op. cit., vol. 2., p. 115. (٢١٦)

(٢١٧) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

Poole (S.L.) : History of Egypt in the Midle Ages, p. 210. (٢١٨)

وانظر : ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ١١٢ .

وايضا : مصطفى الحناوي : جماعة الاستبارية ودورها في الصراع الصليبي

الاسلامي في عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير جامعة الاسكندرية ،

١٩٨٠ ، ص ٢٢٦ .

Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 115. (٢١٩)

(٢٢٠) لاندجراف : تعنى في اللغة الالمانية . كونت ، ولقب ايضا بلقب

« صاحب السعادة » انظر : Cf : Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 107.

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 107. (٢٢١)

Cf : Tout (T.E.) : The empire and the Papacy, p. 300.

مما يجدر ذكره ، انه كان هناك نزاع بين كونراد مونتفرات وجاءي لوزجنان ،

بسبب التنافس بينهما حول عرش مملكة بيت المقدس الصليبية ، ذلك لان زوجة

« جاءي » ماتت امام عكا ١١٩٠ م . ولم يصبح للملك « جاءي » حق في المملكة ،

فامرع الامراء الى تطليق اختها « ايزابيلا » من زوجها « اونغري دي تورون »

وتزوجها - في نوفمبر ١١٩٠ م - كونراد دي مونتفرات ، الذي كان قوى الشخصية.

وبذلك يصبح زوجا للملكة بيت المقدس : انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٢٩ ، ٨٣٠ .

(٢٢٢) Setton (K.M.) : Op. cit., vol. 2., p. 115.

(٢٢٣) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 107.

انظر أيضا : مكسيموس مونروند : تاريخ الصروب المقدسة ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

(٢٢٤) King (E.J.) : Op. cit., p. 137.

وانظر : السيد الباز العرينى : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٩٠٢ .

(٢٢٥) صامى سلطان سعد : اسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الاذن والجمهوريات الايطالية ، ماجستير ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٧٢ .

(٢٢٦) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١١٥ .

(٢٢٧) ابن شداد : نفس المصدر ، ص ١١٥ .

Cf : Ambroise : Op. cit., p. 215.

Cf. Poole (S.L.) : Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem, p. 268.

(٢٢٨) العماد الاصفهاني : الفتح القس في الفتح القدس ، ص ١٨٦ .

وايضا : أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .

(٢٢٩) الرماح : جمع رمح ، ويعتبر الرمح من اسلحة الهجوم المعدنية الاخرى كالسيف والخنجر ، ويتميز بطوله عنها ، وبالرغم من تعدد اشكاله ، فان الرمح بصفة عامة يتكون من نصل من الحديد أو الصلب يتخذ هيئة حربية مثبتة في يد طويلة من خشب أو حديد .

وكانت يد الرمح تعرف باسم القناه ، ولا يعتبر الرمح رمحا ، الا اذا كان مثبتا والا فهو قناه . انظر : جسنين عبد الرحيم عليوه : السلاح المعدني للمحارب المصرى في عصر المماليك ، دكتوراه - آداب القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٢٤٤ .

(٢٣٠) التراس : جمع ترس ، وكان له اسماء اخرى مثل الدرق ، والحجفة ، والطارقة والجنوية لكنها ، كانت يطلق في الغالب على انواع من التروس ، تختلف عن الترس المعدني في مادة الصنع أو في الشكل العام ، فبينما كان الترس المعدني يصنع من حديد أو فولاذ ويتخذ غالبا هيئة مستديرة ، كانت الدرق والحجفة تصنعان من جلد ، وكانت الطارقة الجنوية تصنعان من الواح خشبية ،

فقد تكون كبيرة أو صغيرة ، وكانت تتخذ في هذه الحالة شكلا دائريا واسعا من أعلى ويضيق الى أسفل حتى ينتهى بطرف مدبب . انظر :

جسنين عليوه : نفس المرجع ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٢٣١) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١١٥ .

Cf : Pormoud (R.) : The Crusades, London, 1960, pp. 181 F.

(٢٣٢) الزرقاقين : وخيفة ، وكانت هذه نوع من الأسلحة ، وهذا السلاح هو عود من خشب مجوف أو ليطة ، وهو القصب القارسى ، ووصفه صاحب التدبيرات السلطانية بقوله « وهذا المزراق يمكن أن يكون من قنا يجعل بطول الرمح ، وفيه سنون فيكون كهينة رمح لكن مجوف وفيه الماء المهلك ، وهذا الرمح يمكن أن يطعن به ويترك بما فيه وهو من خدع الحرب . واذا زرق به الزراق فلا يقصد الا العينان ويكون الزروق كافرا » . انظر :

نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٨٢ .

(٢٣٣) العماد الاصفهاني : المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

(٢٣٤) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

(٢٣٥) ابن شداد : نفس المصدر ، ص ١١٨ .

(٢٣٦) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدا والخبر ، ج ٥ ، ص ٣٢٢ .

وانظر : ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٢٣٧) ابن شداد : نفس المصدر ، ص ١٢٦ .

(٢٣٨) نفس المصدر ، ص ١٢٧ .

(٢٣٩) مجير الدين الحنبلى : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ج ١ ، ص ٣٦٥ .

(٢٤٠) العماد الاصفهاني : المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٢٤١) Jean (M.) & Brial (J.) : Recueil des Histodiens, Tome, 17, p. 485.

(٢٤٢) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، القسم الاول ، ص ١٣٠ .

(٢٤٣) ابن سعيد : الروض الموضوب فى حلى دولة بنى ايوب ، ص ٢٣٨ .

٢٣٩

(٢٤٤) الحنبلى : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ،

ج ١ ، ص ٣٦٧ .

وانظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٣٦ .

(٢٤٥) Poole (S.L.) : *Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem*, p. 271.

(٢٤٦) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٤٠ .

(٢٤٧) يعتبر بعض المؤرخين ، أن فردريك السوابى ، هو الذى ابتكر

هذه الآلة ، انظر : السيد الباز العرينى : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ،

ج ١ ، هامش ، ص ٩١٦ .

(٢٤٨) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

وانظر : نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح

الدين ، ص ٢٤٣ .

(٢٤٩) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

(٢٥٠) Vinsofs (G.) : *Op. cit.*, p. 108.

(٢٥١) *ibid.*, p. 109.

وانظر : أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ، ج ٢ ، ص ١٧٩ .

(٢٥٢) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٥٤ .

(٢٥٣) Setton (K.M.) : *Op. cit.*, vol. 2., p. 115.

(٢٥٤) ابن شداد : نفس المصدر والصفحة .

(٢٥٥) الحنبلى : الانس الجليل بتاريخ القدس والجليل ، ج ١ ،

ص ٣٧١ .

(٢٥٦) البركوس : جمعها يراكيس : نوع من السفن التى كانت تستعمل فى

الحروب بين الشرق والغرب فى مياه البحر الأبيض المتوسط فى العصور الوسطى ،

وهى أصغر حجما من (البطسه) . وكان يستعمل لركوب الجند والناس عامة ،

وكذلك لنقل المتاجر ، وكانت حمولته خمسة وعشرين رجلا . أما البطسه : يقال

أحيانا بطسه أو بطشه ، والجمع بطسات ويطس ، ويطشآت ويطش ، وكانت

تستعمل فى الجانبين الاسلامى والصليبي ، فكانت تقوم بشحن الغلال والاقوات

والاموال والنفقات خاصة للمدن الساحلية المحصورة ، علاوة على آلات الحرب

من أسلحة ونخائر تقوم بعمليات القتال . وكانت تحمل ما بين ثلاثمائة وسبعمائة

مقاتل . انظر : درويش النخيلي : السفن الاسلامية على حروف المعجم ،

الاسكندرية ، ١٩٧٤ ، ص ١٢ - ١٦ .

(٢٥٧) يرجع السبب فى أن يأتى الصليبيون بالعنائم الى صلاح الدين ،

أن الصليبيين قد جاءوا الى المسلمين يطلبون الاكل ، إذ كانوا جوعى ، فعرض

صلاح الدين عليهم الفكرة فوافقوا عليها . انظر :

أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ، ج ٢ ، ص ١٨١ .

Setton (K.M.) : *Op. cit.*, Vol. 2., p. 116. (٢٥٨)

وانظر : ابن الوردي : تنمة المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .

وأيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٣٠ ، ٨٢١ .

(٢٥٩) Stevenson (W.B.) : *The Crusaders in the east*, p. 264.

(٢٦٠) Vinsofs (G.) : *Op. cit.*, p. 108.

(٢٦١) المستشفى الألمانى : هى عبارة عن مبنى خشبى ، تم بناؤه من أخشاب

السفن المحطمة ، وتحميه أقمشة الأشعة من الشمس والمطر . انظر :

يوشع براور (عالم الصليبيين ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، ومحمد خليفة

حسن . ص ١١٦ ، ١١٧ وانظر أيضا :

Cf : King (E.J.) : *Op. cit.*, pp. 144 F.

(٢٦٢) Glubb (J.) : *The Last Centuries : From The Muslim to*

The Renaissance of Europe (1145-1453), Speculum, Vol. 44.,

July, 1969, p. 463.

وانظر أيضا : فيشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى - القسم الأول -

ص ١٩١ .

الفصل الثالث

الأوضاع السياسية في الامبراطورية الرومانية
المقدسة والدولة الأيوبية وأثرها على العلاقات بينهما
(١١٩٠ - ١٢٠٨ م) (٥٨٦ - ٦٠٥ هـ)

- العادل الأيوبي والوحدة الإسلامية بعد صلاح الدين •
- محاولات الامبراطور هنري السادس للسيطرة على الشرق •
- الامبراطورية الرومانية المقدسة ودورها في الحملة الرابعة
سنة ١٢٠٤ •
- الوضع السياسي في الامبراطورية بعد هنري السادس حتى
سنة ١٢٠٨ م •

سبق أن أوضحنا كيف حاولت الامبراطورية الرومانية المقدسة مواجهة الدولة الأيوبية بقوة عسكرية ، لرد اعتبار الصليبيين بعد حطين ، وإن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح ، ولذلك حاولت الامبراطورية مرة أخرى إبان عهد الإمبراطور هنري السادس (١١٩٠ - ١١٩٧ م) تجديد هذه المحاولات ، مستغلة الوضع السياسي بالشرق الإسلامي بعد وفاة صلاح الدين ، لكن خابت المحاولة مرة ثانية ، لأن العادل الأيوبي لم يترك الجبل على الفارب ، إذ استطاع أن يعيد وحدة الشرق الإسلامي مرة أخرى تحت قيادته .

العادل والوحدة الإسلامية بعد صلاح الدين :

توفي السلطان صلاح الدين في صفر ٥٨٩ هـ (١) تاركا في دولته سبعة عشر ولدا (٢) ، وقد استطاع ابنه الأفضل نور الدين علي (٥٨٩ - ٥٩٢ هـ / ١١٩٣ - ١١٩٦ م) أن يحلف العساكر له على الولاية من بعد والده ، فملك دمشق وغيرها من المناطق وكذلك استولى العزيز عثمان (٥٨٩ - ٥٩٥ هـ / ١١٩٣ - ١١٩٨ م) - ثاني أولاد صلاح الدين - على مصر حيث كان بها ، كما استولى الظاهر غازي (٥٨٩ - ٦١٣ هـ / ١١٩٣ م - ١٢١٥ م) ثالث أولاد صلاح الدين على حلب وجميع أعمالها ، وقد ظل معظم الأمراء الأيوبيون في أماكنهم التي كانوا عليها قبل وفاة صلاح الدين (٣) ، بالإضافة إلى أن العادل أبا بكر كان له الكرك والشوبك والبلاد الشرقية (٤) ، التي حاول المواصلة إخراجها منها ، إلا أنه وقف ضدهم بمساعدة الأيوبيين (٥) ، أما ظهر الدين طغتكين سيف الإسلام (أخو صلاح الدين) فقد استقر باليمن (٦) وهكذا قسمت دولة صلاح الدين بين أولاده وأقاربه وكانها ميراث شرعي (٧) .

وكان من الممكن أن يستقر الوضع السياسي في الشرق ،
 إلا أن ما حدث من تنافر ونزاع بين أولاد صلاح الدين غير من مسار
 سياسة الشرق الاسلامي ، ومن الأطراف التي تنازعت فيما بينها :
 « العزيز عثمان » صاحب مصر ، « والأفضل علي » صاحب دمشق .
 وهناك عدة عوامل ساعدت على ظهور الشقاق بين الأخوين أهمها ،
 رغبة الأفضل علي في إعطاء بيت المقدس لنواب العزيز ، لكثرة
 تكاليفها (٨) ، لكنه رجع عن فكرته (٩) ، بالإضافة الى مفارقة
 الأمراء الناصرية الكبار ، الملك الأفضل ، وذهابهم الى الملك العزيز ،
 واتفقوا على أن يكون الأخير سلطان الأيوبيين كما كان والده (١٠) .
 كما حدث أن بعض الأشخاص لجأوا الى العزيز بمصر فأقطعهم
 من أملاك الأفضل (١١) . وكان الأخير قد طردهم من دمشق (١٢) .
 زد على ذلك ما حدث من استيلاء الفرنج على ثغر جبيل من
 المسلمين ، ولم يتحرك الأفضل لردهم (١٣) . وعلى أية
 حال ، خرج العزيز بجيشه من مصر (١٤) وعندما علم الأفضل
 بذلك خرج هو الآخر من دمشق ، ونزل على رأس الماء ، وقد رأى
 أن يصالح العزيز ويقوم بالخسمة بين يديه (١٥) ، إلا أن رجال
 الأفضل أوغلوا صدره ضد أخيه واستعان بالظاهر واستنجد
 بالعدل وصاحب حماء وحمص وبعلبك (١٦) وفي جمادى الآخرة
 سنة ٥٩٠ هـ وصلت قوات العزيز « الفوار » فاحتكت بقوات
 الأفضل حتى تراجعت الى دمشق ، واتفق مع عمه العدل على المقاتلة
 في صحراء المزة (١٧) ، وانتهى الأمر بمغادرة العزيز حصار
 دمشق الى « داريا » والأعوج (١٨) وأرسل رسولا من طرفه (١٩) .
 الى العدل من أجل الصلح ، على أن يكون بيت المقدس للعزيز
 ودمشق وما جاورها من طبرية والغور للأفضل ، وللعدل أقطاعه
 الأول بمصر ، وللظاهر جبله واللاذقية (٢٠) .

ولما كان الملك العزيز حريصا على ضم دمشق الى مصر من
 أجل وحدة الدولة الأيوبية ، فقد خرج من مصر مرة أخرى

سنة ٥٩١ هـ / ١١٩٤ م ، قاصدا دمشق ، لكن الأفضل استغاث
 بعمه العدل ، بعد استشارة رجاله (٢١) ، فجاء العدل والظاهر
 الى دمشق في جمادى الآخرة ٥٩١ هـ (٢٢) ، غير أن الأخير نفر من
 العدل ، واتصل بالعزيز يحرضه على مهاجمة دمشق ووعده
 بالمساعدة (٢٣) . فاتجه العزيز بقواته الى دمشق لكن العدل
 استطاع أن يوقع بين أمراء الملك العزيز ، فترتب على ذلك
 مغادرتهم للعزيز قاصدين العدل والأفضل ، فضلا عن هذا فإن
 العدل كاتب الأمراء بمصر ليمنعوا العزيز من دخولها (٢٤) .
 لكنهم لم ينجحوا في ذلك (٢٥) .

توجه الأفضل والعدل خلف العزيز الى مصر ، بغرض
 الاستيلاء عليها ، كما أمر الأسدية بالاستيلاء على القدس وأعمال
 الساحل (٢٦) . وتشير بعض المصادر الى أن العدل أرسل الى
 العزيز سرا ، طالبا منه إرسال القاضي الفاضل للتفاوض في
 الصلح (٢٧) ، وتم عقد الصلح بين الطرفين (العزيز والأفضل) .
 وأقام العدل بمصر وعفا عن الأسدية (٢٨) ، ورجع الأفضل الى
 دمشق في المحرم سنة ٥٩٢ هـ (٢٩) .

ويذكر بعض المؤرخين ، أنه بانتهاء الخصومة على هذا الشكل
 بين الأخوين ، فقد ظهر العدل في صورة الناصح الأمين والمسيطر
 على أولاد أخيه ، إذ فرض كلمته عليهم (٣٠) وبدأ ينطلق من مصر
 عندما عرف سوء أحوال دمشق ، فتعاهد الأفضل ورجاله على محاربة
 العدل والجيش المصري (٣١) إلا أن الأفضل أرسل رسولا الى العدل
 من أجل الصلح (٣٢) ، لكن لم تنجح هذه المساعي ، نظرا لشروط
 العدل والعزيز ، وأخيرا دخلا دمشق ، إذ سلمها مشايخ البلد (٣٣)
 في ٢٧ رجب ٥٩٢ هـ ، واتفق مع الأفضل ترك دمشق للعزيز
 مقابل أن يأخذ الأول صرخد (٣٤) ، ولما علم العدل بنوايا العزيز

العلوية تجاه الأفضل قرر رجوع العزيز الى مصر (٣٥) على أن تكون الخطبة للعزيز بدمشق .

وهكذا اتخذ العادل خطوة في سبيل إعادة الوحدة السياسية بالدولة الأيوبية ، وأخذ يعمل على مواجهة الصليبيين وخاصة الألمان الذين أرسلهم الامبراطور هنري السادس الى عكا واستطاع العادل أن يسترد يافا في شوال ٥٩٣ هـ / ١١٦٧ م ، اذ أنها أقرب المدن ذات الميناء ، الى بيت المقدس (٣٦) . وقد أراد الصليبيون أن يستولوا على بيروت فتوجهوا في ١١٩٧ م / ذي الحجة ٥٩٣ هـ ، وكان يملكها المسلمون فتركوها للصليبيين صلحا (٣٧) فأرسل العادل الى العزيز ليساعده سنة ٥٩٤ هـ (٣٨) ، في مواجهة الألمان ، فوصل عند عمه على حصن « تبنين » (٣٩) وعندما علم الصليبيون بذلك أرسلوا الى العادل بهدف الصلح ، فتم عقد هدنة مدتها ثلاث سنوات بين الطرفين ابتداء من سنة ١١٩٨ م / ٥٩٤ هـ ، ورجع العادل الى دمشق ، ورجع العزيز الى مصر بسبب اضطراب الأمن فيها (٤٠) .

وقد توفي العزيز في محرم ٥٩٥ هـ / ٢٩ نوفمبر عام ١١٩٨ ، فكانت وفاته سببا في تصدع الجبهة الاسلامية بالشرق من جديد ، لأن الأمراء الأسدية بمصر طلبوا الأفضل لحكم البلاد مكان العزيز ، والأمراء الصلاحية طلبوا العادل الذي كان يحاصر ماردن (٤١) ، فلم يستطع مغادرتها ، فوصل الأفضل مصر ، واعتبر نفسه وصيا على ابن الملك العزيز وخطب له (٤٢) ، وأرسل الى العادل حتى يتفادى سوء تفاهم متوقع الحدوث ، لكن الأخير أرسل اليه أن يتحقق عما اذا كان العزيز قد ترك وصية أم لا (٤٣) ، ومن ثم

فقد فكر الأفضل في تأمين نفسه ضد عمه ، ودعم ذلك بأقوال أخيه الظاهر صاحب حلب له (٤٤) ، فخرج من مصر متوجها الى دمشق ، وعلم العادل بذلك فترك ابنه الكامل على حصار « ماردن » ، ودخل دمشق قبل وصول الأفضل بيومين في شعبان ٥٩٥ هـ (٤٥) ، وحاصر الأخير دمشق قرابة ستة شهور الا أن العادل استعمل أسلوب الوقيعة بين الأفضل وأخيه الظاهر (٤٦) ، ونتيجة لذلك رفع الحصار ورجع كل الى بلده (٤٧) ، وقد شعر العادل بأن الأفضل يمثل عقبة كؤودا في سبيل الوحدة ، ومن ثم عزم على الاستيلاء على مصر منه ، فتوجه اليها في ربيع الآخر ٥٩٦ هـ ، ووجد الأفضل متحصنا بقلعة الجبل (٤٨) ، واتفق مع رجاله على مراسلة العادل الذي وصل مصر (٤٩) ، فراسله العادل يشككه فيمن حوله (٥٠) وفي النهاية سلم الأفضل مصر الى العادل بشرط أن يعوضه عنها « ميفارقين » ، و « حاني » و « سميساط » وتوجه الأفضل الى صرخد ، وأقام العادل بمصر ولم يف بوعده للأفضل (٥١) ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م ، واعتبر نفسه وصيا على ابن الملك العزيز .

اعتبر العادل القاهرة حجر الزاوية في بداية بناء صرح الوحدة الاسلامية ، ومن ثم رأى أن يقوم الحكم في مصر باسمه فعزل الملك المنصور بن العزيز منها (٥٢) في شوال ٥٩٦ هـ ، وخطب لنفسه (٥٣) ، وبطبيعة الحال كان لهذا التصرف نتيجتان هامتان .

أولاهما : أن الأمراء الأيوبيين أصبحوا يخطبون ود الملك العادل ودليل ذلك مراسلة الظاهر للعادل (٥٤) .

ثانيهما : أن الملك العادل استدعى ابنه الكامل محمد من « حران » الى مصر وجعله نائبا عنه فيها (٥٥) ، فترتب على ذلك أن شعر الظاهر والأفضل بسلطة العادل فهدهما تفكيرهما الى

الاستيلاء على دمشق من المعظم عيسى بن العادل في سنة ٥٩٧ هـ ، لكن هذه الخطة فشلت لوصول جيش العادل الى دمشق قبل جيش المهاجمين هذه المرة أيضا ، فضلا عن اختلاف الأخوين فيما بينهما ، وكانت النتيجة أن تم عقد الصلح بين الجميع (٥٦) ورحلوا عن دمشق في بداية سنة ٥٩٨ هـ (٥٧) ، وهذا العمل في حد ذاته قطع الأمل عند كل من يرغب في الانقلاب ضد العادل ، ودليل ذلك أن « نور الدين أرسلان » صاحب الموصل ، رجع عن قصده لأملك العادل (٥٨) عندما علم بالصلح بين العادل وأولاد أخيه . ويمكن القول بأن العادل سعى جاهدا لهدف رئيسيين :

أولهما : إعادة الجبهة الإسلامية بالشرق ، لكي يكون هو المتحكم في سياسيتها .

وثانيهما : العمل على أن يحصل أولاده مكان أولاد أخيه صلاح الدين ، ومن ثم ما كادت شمس عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م تغيب ، حتى كان بمصر الكامل محمد ، ودمشق المعظم عيسى ، وبالشرق إبراهيم بن العادل (٥٩) كما سلم العادل « حران » الى الأشرف موسى سنة ٥٩٨ هـ ، وعقد العادل صلحا مع الظاهر سنة ٥٩٩ هـ (٦٠) .

وهكذا أصبحت معظم الامارات الإسلامية بالشرق تخضع لسلطان العادل (٦١) كما أقطع العادل ، الملك المنصور بن العزيز حماه وأعمالها (٦٢) ، ولم يكن يمنع العادل مانع من اتخاذ أى إجراء ضد منائيه وخاصة أولاد أخيه (٦٣) في سبيل المحافظة على وحدة الدولة ، هذا ويضيف البعض بأن سياسة العادل في الفترة السابقة تميزت بالدفاع عن مملكته ضد الصليبيين ، ولم يأخذ بسياسة الهجوم خشية قيام حملة صليبية جديدة (٦٤) .

وهكذا تميزت سياسة العادل بأسلوب دبلوماسي ، وأصبح له سلطان لا يضارع صلاح الدين في احترام الناس ، ولكنه يفوقه في المكر والنشاط (٦٥) وأرسل له الخليفة العباس الناصر ، الخلع في سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م ، ولقب العادل بلقب شاهنشاه ملك الملوك خليل أمير المؤمنين (٦٦) ، وأطلق عليه الصليبيون سيف الدين Saphadin (٦٧) .

محاولات الامبراطور هنرى السادس للسيطرة على الشرق :

في خضم هذه الأحداث بالدولة الأيوبية ، ومحاولات العادل لاعادة الوحدة ، يظهر على السطح تساؤلا مؤداه : ما هو دور الامبراطورية الرومانية المقدسة في الصراع الصليبي الاسلامي الدائر في الشرق ، وما هي طبيعة هذا الدور ؟ وخاصة بعد أن فشلت محاولاتها السابقة ، والتي انتهت ب وفاة الامبراطور فردريك الأول في يونية عام ١١٩٠ م ، ثم وفاة ابنه فردريك الستواحي في يناير عام ١١٩١ بمكا .

في الحقيقة ، وكما سبق القول أن أولى المحاولات السابقة العسكرية والدبلوماسية للامبراطورية الرومانية المقدسة ، قد باءت بالفشل ، الأمر الذي ترتب عليه أن فكر الامبراطور هنرى السادس - ابن الامبراطور فردريك الأول - من جديد في استكمال الدور الذي قام به والده ، فكيف كان ذلك ؟!

عندما مات الامبراطور فردريك الأول تولى ابنه هنرى السادس عرش الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وكان عمره لا يتجاوز الثالثة والعشرون (٦٨) في الوقت الذي بدأت المدن المباردية تنور من جديد ضد الامبراطورية مما دفع الامبراطور هنرى السادس الى أن يعبر جبال الالب الى ايطاليا في بداية عام ١١٩١ م ، ليخضعها الى حكمه (٦٩) .

وفى الواقع لم يكن الامبراطور هنرى السادس (١١٩٠ - ١١٩٧ م) أقل حماسا من والده فى اعادة مجده الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وخاصة ابراز دورها فى الصراع الصليبي الاسلامي .

ويذكر بعض المعاصرين أن فكرة توجه هنرى السادس الى الشرق ، لضم الأراضي المقدسة ، كانت جزءا من خطته التوسعية (٧٠) ، وبالتالي انطلقت سياسته الخارجية تجاه الشرق الاسلامي من ثلاثة محاور .

المحور الأول : اتجه الى ضرورة ضم العناصر المناوئة له ، حتى يتفرغ للمسلمين بالشرق ، وقد اتبع فى هذا الأسلوب الدبلوماسي ، حيث تزوج من الأميرة كونستانس Constance النورمانية (٧١) ، أحبب الملك وليم الأول ، وعمه وليم الثاني بعد ذلك (٧٢) ، كما توجه هنرى السادس فى بالرمو بصقلية سنة ١١٩٤ م ، وهذا بمثابة اتحاد بين ألمانيا وصقلية (٧٣) .

الثانى : فقد اتجه الى بيزنطة ، إذ أنه زوج أخاه « فيليب السوابي » Philip Sawabi من « إيرين » ابنة الامبراطور البيزنطي اسحق الثانى انجيلوس (١١٨٥ - ١١٩٥ م) ، حتى يربط بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والامبراطورية البيزنطية ، وهذا بند من بنود اتفاقية كان قد عقدها الامبراطور هنرى السادس مع الامبراطور البيزنطي اسحق الثانى انجيلوس ، بالاضافة الى أن الأول قد طلب من الثانى تعويضا عما فقده والده ، فى الحملة الثالثة ، فضلا عن أنه طالب أيضا بيزنطة بأسطول حربى للاستعداد لحملة الى الشرق (٧٤) . لكن لم تأت الرياح بما تشتهي السفن ، إذ استطاع الكسيوس الثالث أن يطرد اسحاق الثانى من العرش البيزنطي ، ويتولى مكانه (١١٩٥ - ١٢٠٣ م) (٧٥) ، ولا شك ان هذا التغيير السياسى فى العرش البيزنطي ، دفع هنرى

السادس لكي يغير وجهة نظره تجاه الامبراطورية البيزنطية ، وخاصة عندما فقد الامبراطور الذى يمكن أن يعتمد عليه فى بيزنطة . وعلى أية حال ، لقد اعتبر الامبراطور هنرى السادس نفسه المدافع عن العائلة المطرودة من العرش البيزنطي ، ضد الكسيوس الثالث مفتصب السلطة ، مما تترتب عليه القلق والازعاج للامبراطورية البيزنطية التى سعت الى تهدئة الامبراطور هنرى السادس ، واشترت السلام معه على أساس دفع ضريبة سنوية قدرها ٦٠٠.٠٠٠ ستمائة ألفا أوقية من الذهب (٧٦) وهى التى سميت بالضريبة الألمانية (٧٧) .

ويمكن القول بأن اتجاه هنرى السادس فى هذين المحورين كان بهدف السيطرة على الامبراطورية البيزنطية ، كخطوة فى سبيل الاتجاه الى الشرق الاسلامي ، حيث يذكر بعض المعاصرين أن استيلاء هنرى السادس على صقلية ، سبب ازعاج لبيزنطة (٧٨) .

ومهما يكن من أمر اتجاهات هنرى السادس السياسية ، فإن المحور الثالث الذى اتخذته فى سبيل الاتجاه الى الشرق الاسلامي ، يتمثل فى اتجاهين :

أولهما : أن يخضع أمير أرمينية لسلطته ، مقابل أن يقوم هنرى السادس بتتويج أمير أرمينية ليون الثانى (١١٧٨ - ١٢١٩ م) Livon II (٧٩) ملكا عندما يأتي الى الشرق إذ انهما اتفقا على ضم سوريا ومحاصرة بيزنطة (٨٠) .

وثانيهما : اعتراف ملك قبرص « عمورى لوزجنان » بسيادة هنرى السادس (٨١) ، وتعهد بدفع الجزية السنوية التى كان يدفعها لريتشارد ، وأرسل هنرى السادس اثنين من رجاله لتتويج عمورى ملكا على قبرص ، فى نيقوسيا فى حضور مندوبى البابوية (٨٢) .

وبذا يكون هنري السادس قد وضع برنامجا ضخما ليكمل سياسة والده تجاه الشرق الاسلامي ، ويمتد الى كل الأطراف ، بأساليبه الدبلوماسية ، ولم يعد له أعداء يخشاهم في الغرب . وهناك جملة أسباب قوت فكرة الاتجاه الى الشرق عند هنري السادس ، ويأتي في مقدمة هذه الأسباب ، أن البابا كلستين الثالث Celestin III (١١٩١ - ١١٩٨ م) وجه نظره نحو هنري السادس حتى يقوم بحرب صليبية جديدة ، نظرا لما كان بين انجلترا وفرنسا من صراع آنذاك وأرسل اليه رسلا ، واقتنع هنري بأن مشاركته في اتمام ما قام به والده أمر ضروري ، واستجابته لنداء البابوية هو الطريق الوحيد لتنفيذ أغراضه ، ومن ثم أخذ كثير من أشراف المملكة الصليب ، واستعدوا للحرب ، وبدأت الناس تتقاطر على أساس أن ينضموا تحت الصليب (٨٣) ، ومما دفع هنري للحماس أكثر أن الصليبيين بالشرق كتبوا اليه أن يأتي لتخليص وفات أبيه ، فردريك من الأسر - إذ كانت بصور ، وأنه لا يمكن دفنها في القدس الا بعد الاستيلاء عليه من المسلمين (٨٤) .

والذي لا شك فيه أن هذه الأسباب جميعها قد دفعت هنري ليستقبل الصليب من أسقف « استري » Sutri (٨٥) ، حتى يتزعم الحملة الصليبية المتجهة الى الشرق .

ومما يجب ذكره أن سنوات حكم هنري السادس قد أضافت اليه الكثير وصقلته سياسيا ، ومن ثم أخذ يستعد عسكريا لتنفيذ مخططة ضد الشرق الاسلامي ، فقد وجه رسائل الى كل رجال الدين والقانون ، والقديسين الموجودين في امبراطوريته ، وطلب منهم ، أن يعجلوا بانطلاق المحاربين ، واستطاع خلال عام واحد أن يشكل جيشا ، وقد وعد بمنح كل من يشترك في الجيش ، ثلاثين اوقية من الذهب ، فاستجاب عدد كبير تحت هذا الاغراء ، واستعدوا لعبور البحر لحرب المسلمين (٨٦) .

هذا وقد قسم الامبراطور هنري الجيش المتوجه الى الشرق الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ويضم الألمان الشماليين تحت قيادة دوق سكسونيا ، و « دوق برابانت » Barabant (٨٧) ، وتحركوا بحرا من الموانئ بأربع وأربعين سفينة ، ووصلوا « مسينيا » ومعها قوات الامبراطور ، وغادرت القوات الامبراطورية « مسينيا » فوصلت عكا في بداية سبتمبر عام ١١٩٧ (٨٨) .

والقسم الثاني : كان تحت رئاسة « كونراد » Conrad رئيس أساقفة « ماينز » Mainz (٨٩) ، و « ادولف » Adolf كونت « هولستين » Helestein بالاضافة الى « ارنولد » Arnold من « لوبيك » Lubeck بجيش يقدر بستين ألفا (٦٠.٠٠٠) ، منهم مواطنون وفرسان بمساعدتهم وهؤلاء سلكوا طريق الدانوب الى القسطنطينية ووصلوا عكا في نهاية سبتمبر عام ١١٩٧ م / ٥٩٤ هـ (٩٠) .

أما القسم الثالث : فكان بقيادة الامبراطور هنري السادس ، وكان يأمل أن يقود الحملة جميعها بنفسه الا أن الظروف في أوروبا ، حالت بينه ، وبين قيادة الحملة ، فقاد هذا القسم الى نابلي ، ليواصل جهوده الحربية (٩١) . وعلى أي حال فقد وصلت الجموع الألمانية ، الى عكا في شهر سبتمبر ١١٩٧ م ، وكان لوصولها نتيجتان :

أولا : أن القوات الصليبية وخاصة قوات هنري كونت شامبانيا - لم تكن تنظر بارتياح للقوات الألمانية (٩٢) ، إذ أن هذه الجموع سوف تثير حربا لا داعي لها وخاصة بعد أن تم عقد صلح مع المسلمين (٩٣) .

ثانيا : بلاشك أن وصول هذه المساعدات القوية الى الصليبيين سوف تقوى الحماس بينهم (٩٤) .

وعندما علم الملك العادل بوصول الحملة الألمانية الى عكا أرسل الى الملك العزيز بمصر يطلب منه العساكر ، كما أرسل الى الجزيرة والموصل . وكان الألمان قد تحركوا من عكا الى قيسارية ، بغرض منع المسلمين من امتلاك يافا (٩٥) . كما أغاروا على المسلمين ولم يتجاوز الألمان الحدود الإسلامية ، حتى ذاع نبا اقتراب العادل منهم ، وخشوا من قواته وعدده ، فرجعوا الى عكا ، وتركوا عتادهم ، وظنوا أن العادل يزحف على عكا ، غير أن العادل لم يكن على استعداد للدخول في حرب حاسمة ضد الألمان ، واتجه نحو الجنوب وزحف الى يافا الى أن سقطت في يده (٩٦) ، وقد هم دوق « برابان » لنجدها ، الا أنه عاد الى عكا ، حيث تولى زمام حكومتها ، وكان قد وصل الى عكا من قبرص ، كتراد رئيس أساقفة « ماينز » وأصبح قائدا للألمان بعكا لأنه أقدرهم ، ولأنه من أكبر رجال الكنيسة في الامبراطورية الرومانية المقدسة ، كما انه موطن ثقة الامبراطور ، ومتولى دار الوثائق الامبراطورية . لكن دوق « برابان » انتهاز فرصة وجود المسلمين في يافا وأرسل حملا الى « صيدا » وبيروت في أكتوبر عام ١١٩٧ م / ذي الحجة عام ٥٩٣ هـ ، الا أن المسلمين دمروا صيدا (٩٧) واستولى الألمان على « بيروت » في ٢٤ أكتوبر ١١٩٧ م ، ذي الحجة عام ٥٩٣ هـ ، وكان ذلك ولا شك ضربة قوية للمسلمين (٩٨) ، وقد سعى الملك العادل بجيوشه ليمنع الألمان من الاستيلاء على بيروت ، الا أن الجيشين تصادفا عند نهر « لويثرا » النهر الكبير « يصل بين طرابلس وطرطوس » ، وانتصر الصليبيون الألمان على المسلمين ، واستولوا على بعض مدن الساحل من يد المسلمين (٩٩) ، وقد اقترح بعض قادة الجيش الصليبي الزحف نحو مدينة بيت المقدس

وظنوا ان هذه المدينة لن تستطع الصمود أمام انتصارات المحاربين الصليبيين وكانت تابعة لابن صلاح الدين (١٠٠) .

ولما كانت « ترون » (١٠١) للمسلمين ، فقد فضل الصليبيون محاصرتها قبل توجههم الى القدس ، وقد استطاع الصليبيون تقوية هذا الحصار ، وهاجموا هذا الحصن عن طريق جبل عال تمركزوا عليه ، وحدثت خسائر فادحة في الجيش الألماني ، ورغم هذا استمرت هجمات المسلمين ، مما زاد من اضطرابات الصليبيين الألمان فعملوا ممرات تحت الأرض داخل الجبل ، وتمكنوا من الدخول الى المعسكر الألماني ، الأمر الذي دفع المسلمين الى التفكير في الصلح مع الصليبيين الألمان ، غير أن وضع الألمان قد أصبح سيئا جدا بسبب مرض حل بكتراد ، فقد كان لا يخرج من خيمته ، وكان يتلقى المعلومات عن تقدم الجيوش ، وهو بداخلها ، ومن ثم لم يجد المقاتلون أميرا بينهم يتلقون منه التعليمات (١٠٢) ، وبالرغم من هذا فقد دخلوا الجليل ، والقوا الحصار على « تبين » في ٢٨ نوفمبر ١١٩٧ / صفر ٥٩٤ هـ (١٠٣) ، وهاجم الألمان الحصن بشده وبعنف الأمر الذي ترتب عليه أن أرسل المسلمين ممثلهم الى الاجتماع العام الذي عقده الألمان بغرض الاستماع الى مقترحات المسلمين الذين تحدثوا بعزة ، وعرضوا بأن يتركوا القلعة ، ويطلقوا أسرى الصليبيين مقابل أن يتركهم الصليبيون للحياة ، وقالوا « نحن لسنا بدين دين ، اننا أحفاد إبراهيم ونسبى أبناء سارة » (١٠٤) .

وقد عارض بعض القادة الألمان هذه المقترحات ، وعلى رأسهم كتراد رئيس الأساقفة ، قائمقام الامبراطور الألماني ، فقد صمم على تسليم الحامية بدون قيد أو شرط (١٠٥) . ودعم رفضه بأنه يمكن تحقيق مكاسب بالحرب أكثر منها بالسلم (١٠٦) . ويذكر البعض أن بارونات الفرنجة كانوا حريصين على توطيد الصداقة

مع الملك العادل ، لذلك أرسلوا اليه ونصحوه ، بأن الألمان لن يبقوا على حياة أحد من الحامية (١٠٧) ، وقالوا له « ان سلمتم الحصن استأسركم هذا وقتلكم فاحفظوا نفوسكم » ، (١٠٨) مما جعل المسلمين يؤثرون الرجوع الى القلعة والاصرار على القتال ، وقد ظن القادة الصليبيون ، ان المسلمين قد رجعوا الى القلعة بهدف فك أسرى الصليبيين ، وأن أبواب القلعة قد فتحت أمامهم ، الا أن ظنهم قد خاب ، لأن المسلمين قد شعروا بمدى قوة الألمان ، مما دفعهم الى أن يقسموا على أنفسهم بأن يموتوا قبل ان يدخلوا في مفاوضات مع الصليبيين ، وعمل العادل على امدادهم بالأسلحة في ربيع الأول ٤٥٩ هـ (١٠٩) ، حتى يصمدوا في الوقوف ضد الصليبيين ، وبرغم وصول أنباء الى الألمان عن وفاة ملكهم هنري السادس ، في ٢٨ سبتمبر عام ١١٩٧ (١١٠) « بمسينيا » Messina ، فقد ظلت القوات الألمانية تحاصر « تبين » خلال شهور نوفمبر وديسمبر حتى يناير عام ١١٩٨ م ، بقيادة المستشار الامبراطوري أسقف « هولستين » Holdestein ، الى أن ضعفت معنوياتها وفكروا في الرجوع الى عكا (١١١) ، خاصة عندما علموا بحضور الجيش المصري لمساعدة الملك العادل ، فترك زعمائهم حصار « تبين » مما تسبب في الفرار بين الصليبيين جميعا ، وفي النهاية تركوا الحصار متجهين الى صور (١١٢) في الثاني من فبراير عام ١١٩٨ م وغادر المسلمون الحصن الى جانب الطور (١١٣) .

وقد خشي البابا من عاقبة وفاة الامبراطور هنري السادس ، وخاصة بين القادة الألمان بالشرق ، فقد سارع بإرسال الخطابات الى روساء الصليبيين بالشرق حتى يكفوا عن ترك الشرق ، وعدم الدخول في صراع ، اذ أن كونت مونتفرات وعدد من الفرسان الفرنسيين ، قد شجعوا رجوع الألمان الى الغرب الأوربي ، على الرغم من أن البابا قد طلب منهم « ألا يهجروا مدينة المسيح ،

ولا الصلوات ولا البدعات » (١١٤) ، وقد استجاب البعض فعلا لنداء البابوية مثل ملكه (المجر) التي تظاهرت بالنبل والوفاء وبقيت مع النبلاء في فلسطين (١١٥) .

وبطبيعة الحال كان لوفاة الامبراطور هنري السادس ، آثار على الأمراء الألمان الموجودين بالشرق ، ذلك لأن انتخاب امبراطور جديد للامبراطورية الرومانية المقدسة ، من شأنه أن يحدث مشاحنات ومناقشات صاخبة بين الأمراء الألمان في الشرق ، وأيضا في ألمانيا ذاتها ، وكان من بين الأمراء والنبلاء الألمان بفلسطين من يريد الرجوع الى الغرب للمشاركة في انتخاب امبراطور جديد لهم ، ولم تمض أيام من وصولهم الى « صور » حتى شرع الجيش الألماني في أن يستقل السفن راجعا الى أوروبا (١١٦) ، وتركوا حامية لهم في جوبي .

وهكذا لم تنجح القوات الألمانية التي جاءت مزودة بالعتاد من أباطرة الامبراطورية الرومانية المقدسة في مهمتها فالامبراطور فردريك الأول مات في الطريق والامبراطور هنري السادس - لم تستطع جيوشه أن تقيم شيئا له وزن سياسي في الشرق ، اذ انها أضاعت جهودها ، ووقتها طيلة ثلاثة شهور في حصار « تبين » الذي لم يأت بطائل ، بل انها استولت على بيروت دون مقاومة تذكر من المسلمين ، ومن ثم فيمكن القول بأن جيوش الحملة لم تنجح في القيام بعمل عسكري يشرف الامبراطورية الرومانية المقدسة ، ويعزى البعض هذا الى سوء تنظيم الجيش الألماني فضلا عن عدم تدريبهم وجهلهم بالقوانين الحربية وادارتها (١١٧) .

ومهما يكن من أمر فان سياسة الامبراطور هنري السادس كانت تقتضي ، ضم بيت المقدس الى ملكه حتى ولو كلفه ذلك القضاء

على القسطنطينية ذاتها (١١٨) ، الا ان الذي منعه من ذلك الاتفاقية التي عقدها معها ، والذي كان من نتيجتها دفع الاخيره جزيه سنوية لألمانيا ، واذا كان قد فكر في فتح بيزنطة فعلا ربما كان ذلك خطوة أولى لضم بيت المقدس الى ملكه بعد أن عانى الألمان من مواقف الامبراطورية البيزنطية المؤلمة من القضية الصليبية .

كان من نتائج حملة هنرى السادس الاعتراف رسميا بما سمي بطائفة الفرسان التيوتون ، ويذكر بعض المؤرخين أن الفكرة الكامنة وراء نظم الرهينة العسكرية لم تنشأ بين القساوسة أو الرهبان ، فقد كان المبادرون بانشائها من العلمانيين ، فبعد أن استولى الصليبيون على بيت المقدس مباشرة ، جمع فارس بروفنسال يدعى « جيرالد » Gerold مجموعة من الفرسان لرعاية المرضى والجرحى ، ولم يكن مفهوم العلاج والمستشفى مفهوما جديدا ، ففي سنة ١٠٧٠م تقريبا قامت مجموعة من تجار امالفي Amalfi الذين كانوا يترددون على شرق البحر المتوسط باستمرار ، بتأسيس مستشفى للحجاج الغربيين في بيت المقدس ، وتوقفت أعمال العلاج والمستشفى أثناء فترة الحصار ، وتم اجلاء الرهبان والراهبات الذين كانوا يعنون بالمرضى ، الى خارج المدينة . والحقيقة أن إعادة احياء هذه المؤسسة الجديدة انما تم على يد العلمانيين ، وليس الرهبان والراهبات ، الذين أخذوا على عاتقهم مهمة رعاية المرضى والفقراء والمعوزين (١١٩) ، وقد ضمت المستشفى ، الذي كان يتبع تجار « امالفي » من قبل باسم « سانت ماري » الى مجموعة مباني المستشفى وقد شملت حيا كاملا من احياء المدينة (١٢٠) .

وطائفة الفرسان التيوتون من الطوائف التي نشأت بالشرق نتيجة للوجود الصليبي اذ كانت الامبراطورية الرومانية المقدسة ، تتبع سياسة قائمة على أساس ترك بقايا لها في الشرق بفرض زيادة

اعداد هذه الفئة ، حتى يتسنى لها دعم مواقف الألمان بالشرق الاسلامي (١٢١) .

وكان المستشفى الألماني على الرغم من كونه جزءا من تنظيم القديس « حنا » ، يتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي فقد كان له رئيسه الخاص ، هذا وقد توفقت انشطته بسقوط القدس في يد صلاح الدين عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ، فأخذت ألمانيا تنظم حملة عسكرية جديدة هي الحملة الصليبية الثالثة ، وفي أثناء الحصار الذي استمر حول عكا لمدة ثلاثة أعوام ، وبين آلاف الجرحى الذين أصيبوا في المعارك أو المرضى الذين سقطوا بسبب المناخ أو الجوع ، ظهرت الحاجة الى مستشفى خاص للعناية بالصليبيين المتحدين بالألمانية ، فقام التجار والبحارة الوافدون من البحر البلطى ، و « بريمن » و « هامبورج » بتأسيس مستشفى ميداني أولى ، وهو عبارة عن مبنى خشبي تم بناؤه من أخشاب السفن المحطمة وتحميه أقمشة الأشعة من الشمس والمطر ، وعندئذ كما حدث منذ مائة سنة قبل ذلك في تنظيم القديس (حنا) ، كرست مجموعة من الفرسان والقساوسة الألمان أنفسهم لعمل الخير (١٢٢) ، ومن ثم فيكون السبب في نشأتها حملة الامبراطور فردريك الأول اذ ان النواة لهذه الطائفة من تلك الحملة (١٢٣) ، ويرجع بعض المؤرخين ان كثراد ممثل الامبراطور الألماني أدرك أهمية تأسيس طائفة ألمانية خالصة في تحقيق أغراض استعمارية ، وعليه يعد كثراد مسئولا عن بدايتها (١٢٤) .

وبعد ذلك بسنوات قليلة صارت المؤسسة الأولية نظاما عسكريا جديدا هو نظام الفرسان التيوتون ، فرسان سان ماري التيوتون ، الذي مزج الأغراض العسكرية بالخدمات الخيرية (١٢٥) ، وعلى أية حال لم تلبث هذه الطائفة أن ظفرت بكثير من الضياع

الخصبة في ألمانيا ، وشرعت في حيازة بعض القلاع في سوريا مثل برج القديس « نقولا » في عكا ، وقلمه « مونتفورت » في صور (١٢٦) . ولا جدال في أن هذه الفئة كانت تقدم العون العسكري للصليبيين بالشرق (١٢٧) .

بالإضافة إلى تنظيم التيوتون كان هناك تنظيم الداوية « المعبدية » Templars وقد سموا بهذا لأن مقرهم الأول كان في هيكل سليمان في القدس بالمسجد الأقصى ، وقد أسسه « هوج البايئزى » Hugh de Payns سنة ١١١٨ م ، وأسس مجموعته بهدف تقديم العون للحجاج في طريقهم من القدس إلى مدينة أريحا ، ومنها إلى الأماكن التي شهدت تعميد المسيح في الأردن ، وكذلك في الطريق من يافا إلى بيت المقدس عبر سهل الرملة (١٢٨) .

وعلى أية حال لقيت هذه الطائفة المساندة المعنوية من « سنان برنارد الكليفرى » St. Bernard de Clairvaux الذي كان يمثل أعلى سلطة روحية في ذلك العصر (١٢٩) .

وقد أحرز التنظيم الجديد نجاحا هائلا ، فقد جنده الملك والنبله المحليون لأنه كان يسد إحدى حاجات المملكة الملحة (١٣٠) ، وكان لهذا انعكاساته السريعة داخل تنظيم القديس (حنا) ومن ثم أضافوا إلى أنفسهم أعباء عسكرية أخرى ، ومن هنا أصبحت بالإضافة إلى فرق التنظيمات الأخرى تشكل جيش المملكة الضارب (١٣١) .

وبذكر بعض المؤرخين أن التنظيمات الثلاثة هذه أصبحت تتحكم في العالم الصليبي في القرن الثالث عشر ، وبينما كانت

الاستبتارية والداوية على هويتهم العلمية ، صار التنظيم التيوتوني الأداة الفولاذية للتوسع الألماني . وشارك هؤلاء الفرسان ، كما هو الحال بالنسبة لفرسان التنظيمين الآخرين ، في جميع الحروب والحملات العسكرية في الأرض المقدسة ، وقد حاولوا دون جدوى أن يقيموا لأنفسهم جسرا في هنتغاريا ، ولكن عندما دعاهم كونت « ماسوفيا » Masovia البولندي (١٢٣١ م) ، تمركزوا بتجاه في حزام بروسيا البلطيقى ، وأضعف بذلك أساس مملكة بروسيا في المستقبل وحجر الزاوية في ألمانيا الامبراطورية (١٢٢) .

كانت هذه لمحة سريعة عن فرقة التيوتون وتطورها التاريخي ، بعد مغادرة الحملة الألمانية التي كانت في عهد فرودريك الأول ، وحتى مغادرة حملة الامبراطور هنري السادس الشرق ، أما الصليبيون بالشرق فلم يرغبوا في عتداء مستمر مع المسلمين (١٣٣) ، وكان الغادل مشغولا بالوخدة ، ومن ثم توصل غنوزي الثاني « ١١٩٧ - ١٢٠٥ م » ملك بيت المقدس (١٣٤) مع الغادل الأيوبي إلى اتفاقية في أول يوليو عام ١١٩٧ م / ٢٤ شعبان ٥٩٤ هـ ، حصل بمقتضاها الصليبيون على جبيل وبيروت والمسلمون على يافا ، وضيحا مناصفة بين الطرفين (١٣٥) ، ويضيف بعض المؤرخين ، أن الكونت دي مونتفورت قد عقد مع الملك الغادل هدنة مدتها ثلاث سنوات (١٣٦) .

الامبراطورية الرومانية المقدسة ودورها في الحملة الرابعة :

ومهما يكن من أمر الدور الذي لعبته الامبراطورية الرومانية المقدسة تجاه الشرق الاسلامي ، فانه حتى وفاة الامبراطور هنري السادس ١١٩٧ م ، لم يكتب النجاح لمحاولات الامبراطورية سواء كانت سلمية أو حربية ، هذا وقد بدأت الامبراطورية في صراع رهيب بين أمرائها من أجل العرش الامبراطوري ، حيث أن فيليب دوق

سوابيا - وعم فردريك الثاني - أسرع الى ألمانيا عقب وفاة أخيه هنري السادس للاحتفاظ بعرشها للهوهشتاوفن ، حتى انتهى الأمر باختياره ملكا على ألمانيا سنة ١١٩٨ م ، لكن عددا كبيرا من الأمراء أيدوا « أوتو » الابن الثاني لهنري الأسد - الذى كان يعيش فى بلاط ريتشارد ملك إنجلترا ، وعندئذ أمده ريتشارد بالمال وأرسله الى ألمانيا ليستخلص حقوقه بوصفه ممثل الولفين ، مما جعل ألمانيا مسرحا لحرب أهلية استمرت عشر سنوات وانتهت بانتصار فيليب سنة ١٢٠٧ م (١٣٧) .

أما الجبهة الاسلامية بالشرق فقد كانت تمر بمرحلة إعادة الوحدة بقيادة الملك العادل الأيوبي كما سبق تفصيله - وعلى أية حال فإن الفترة من ١١٩٨ - ١٢١٨ م / ٥٩٤ - ٦١٥ هـ ، لم تكن هناك خلالها صلات دبلوماسية بين الطرفين ، لكن الذى حدث أن الامبراطورية الرومانية المقدسة ، عقدت نيبتها على المشاركة فى الحملة الصليبية الرابعة ، والتي كانت متجهة أساسا الى القاهرة أو الاسكندرية (١٣٨) ، لكن البنادقة لم يكونوا مستعدين لإعادة الملك العادل نظرا للصلات الاقتصادية بينهما عندئذ ، واذ بهم فى هذه الآونة يدخلون فى مباحثات اقتصادية مع السلطان العادل ، وأرسلوا مبعوثيهم اليه ، وتمهدوا له بعدم مساعدة أى مشروع صليبي ضد مصر ، وقد أغدق العادل على البنادقة امتيازات تجارية واسعة فى مصر وعقد معهم معاهدة تجارية حققت لهم كثيرا من الفوائد ، كما خفض لهم الضرائب ، وسمح باقامة فندق آخر لهم بالاسكندرية (١٣٩) ، ومن هنا كان من السهولة بمكان أن يحول البنادقة (أصحاب سفن الحملة) الحملة عن مصر .

وتذكر بعض المصادر ، انه أبان الاستعدادات فى أوروبا للحملة الرابعة اقترح فلها ردون Villehardouin فى المؤتمر الذى عقد

بسواسون فى يونيو ١٢٠١ م ، ان يتولى قيادة الصليبيين بعد ان توفى ثيوت فى سنة ١٢٠١ م ، الماركيز بونيفاس دى مونتفرات فى لمبارديا (١٤٠) ، اذ كانت له صلات وطيدة بالشرق فقد توفى والده ببيت المقدس ، كما أن أخاه وليم دى مونتفرات قد تزوج من « سيبلا » ملكة بيت المقدس ، وأنجبت ولدوين الخامس ، فضلا عن ان « بونيفاس » كان ذا علاقة طيبة ، بفيليب « دوق سوابيا » (١٤١) ، وكان الأخير على علاقة سيئة بالبابوية ، لأنها ساعدت الأسرة المناوئة « لفيليب » والتي ترغب فى حكم ألمانيا ، لذلك لا يستبعد المؤرخين ، أن تغير الحملة الى القسطنطينية ، كان من جانب فيليب دوق سوابيا نكاية فى البابا (١٤٢) ، على أية حال فقد أرسل البابا الى رجال الدين فى ألمانيا يحثهم على المشاركة فى الحملة ، ويضيف البعض ، انه خرج من ألمانيا ، كونراد « أسقف « هلمستين » (١٤٣) والأسقف الديري « مارتن البيرس » على رأس جماعتين ذهبتا الى البندقية ، حيث التجمعات الصليبية (١٤٤) .

ويذكر فلها ردون أن الكسيوس - ابن الامبراطور اسحق المطرود من العرش البيزنطي - فر على سفينة ووصل الى « انكونا » (١٤٥) ، قاصدا فيليب ملك ألمانيا وزوج أخته (١٤٦) ، فوصل « فيرونا » وقد أشار عليه بعض الذين كانوا معه أن يتجه الى التجمعات الصليبية ، ليساعده فى الرجوع الى العرش فوافق على ذلك ، وأرسل الى الماركيز بونيفاس دى مونتفرات ، الذى كان قائدا لجيش الحملة . كما أرسل كذلك الى بعض الباونات ليعرض عليهم قضيته ، فقال الباونات « لقد استوعبنا جيدا ما ذكرتموه ، وسنبعث مع الأمير رسولا الى الملك فيليب ، فان رغب الأمير فى مساعدتنا فى استرداد الأرض المقدسة ، ساعدناه فى استرداد مملكته ، لأننا نعرف انها اعتصبت منه ومن أبيه ظلما وقهرا » (١٤٧) وبالتالي اعتبار هذا الرد موافقة مبدئية .

ومن ثم أصبح موقف بارونات الحملة الصليبية واضحا من قضية الامبراطور البيزنطي المخلوع من عرشه ، وقد أظهروا تعاطفا ، الأمر الذي ترتب عليه أن وصلت جموع من المانيا ، وخاصة من الأساقفة والكونتات مثل أسقف « هلمستين » و « برتولد » كونت « كاتزلينوجين » و « اسكندردي فيلير » و أولريك دي ثون « (١٤٨) ، وغيرهم ، ثم وصل الى « زارا » الماركيز بونيفاس دي مونتفرات ، ثم أرسل الملك فيليب ، من المانيا رسلا الى الصليبيين « بزارا » واجتمع بالجميع ، وخطبهم السفراء الألمان قائلين أنهم جاءوا بناء على رغبة الملك فيليب ، وأخى زوجته « الكسيوس » وأنه يطلب من الصليبيين أن يعتنوا بالكسيوس ، ويساعدوه في استرداد حقه المقتصب في مقابل أن يساعدهم على استرداد الأرض المقدسة ، كما أنه سيعلن تبعية بيزنطة لروما ، وسيتفخ الكسيوس للصليبيين مائتي ألف قطعة فضية في حالة نفاذ الأموال من الصليبيين ، وأنه سوف « يتعهد بتموين كل محارب ، من الجندي البسيط الى القائد » (١٤٩) .

ولأن فيليب أراد أن يساعد الكسيوس بمساعدة جادة ، عرض على الصليبيين استعداد الكسيوس للذهاب معهم الى مصر ، بعد ارجاع عرشه بيزنطة ، بقوة عشرة آلاف محارب ، وإذا لم يرض الصليبيون بحضوره معهم الى مصر ، فسوف يضع تحت قيادتهم نفس العدد ويكون متكفلا باعاشتهم على نفقته لمدة عام واحد ، كما أنه عرض أيضا على الصليبيين استعداد الكسيوس ، لأن يرسل خمسمائة فارس لحراسة الأرض المقدسة ويعيشون على نفقة الكسيوس مدى حياته ومن ماله الخاص (١٥٠) .

وواضح من هذه العروض السخية أن فيليب السوابي ، كان يرغب في تحويل مسار الحملة عن مصر الى القسطنطينية لرد أملاك

صهره « أخى زوجته » ، وعلى أية حال عرض السفراء الألمان هذه الاتفاقية على الصليبيين بزارا ، واجتمع البارونات في يوم تالي لبدء الرأي فيها (١٥١) . واتفقوا في يناير عام ١٢٠٣ م ، على قبول العرض (١٥٢) .

ومما يلفت النظر انه بالرغم من هذه التوصيات من الملك فيليب لبارونات الحملة ، فان « جارنييه فون بورلاند » الألماني ، والذي كان قائدا للجيش الصليبي في « زارا » ، ترك الجيش ورجع على ظهر سفينة تجارية مما جعل بعض الصليبيين يوجهون له اللوم (١٥٣) ، في حين بقيت معظم جيوش الصليبيين تحت قيادة الماركيز دي مونتفرات ، وكان بينهم المباردين ، والألمان (١٥٤) في مؤخرة الجيش ، وتحركت الحملة الى الامبراطورية البيزنطية (١٥٥) استجابة لطلبات الكسيوس ابن الامبراطور البيزنطي المخلوع ، وفيليب ملك المانيا .

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هل يمكن القول بأن الكسيوس ابن الامبراطور البيزنطي المخلوع قد طلب من الحملة تغيير خط سيرها والابتعاد عن مصر ، بتدبير من مصر وبيزنطة ؟ وهل كانت التوصيات التي أرسلها الملك فيليب الى بارونات الحملة « بزارا » نتيجة لاتصالات دبلوماسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة ومصر ؟

في الواقع انه لم يرد في المصادر العربية ولا اللاتينية المعاصرة وغير المعاصرة ، التي أمكن الاطلاع عليها ، أية اتصالات تؤيد ذلك ، لكن الظروف التي كان فيها الامبراطور البيزنطي المخلوع وابنه ، كانت كفيلة لأن يمارس الكسيوس ضغوطا ويعرض عروضاً مغرية على الصليبيين « بزارا » لكي تتجه الحملة الى بيزنطة وتعيد العرش له ولوالده ، اذ ان هذه العروض كانت تكلف الكسيوس الكثير ،

ولا يمكن أن يفعل هذا جبا في مصر ، لأنه لو اتضح ذلك للصليبيين ، لحكموا عليه بالتقصير في حق الصليبيين كما حكموا على الأباطرة البيزنطيين السابقين والذين لهم مواقف سيئة من القضية الصليبية ، فضلا عن أن الوضع في الشرق عموما ، وفي مصر خصوصا ، لا يسمح لهم بمساعدة الكسيوس في العودة الى العرش ، وذلك لسببين :

الأول : ان العادل الأيوبي كان مشغولا بإعادة الوحدة في الدولة الأيوبية .

والثاني : انه لم يحدث من قبل أن تدخلت الدولة الأيوبية في شئون بيزنطة الداخلية فيما يخص النزاع على العرش .

كما ان المساعدة التي قام بها فيليب ملك ألمانيا للكسيوس ، والخاصة بالجهود التي قام بها من أجل تغيير مسار الحملة من مصر الى بيزنطة ، لم تكن نابعة من اتفاق بين الدولة الأيوبية والامبراطورية المقدسة وذلك أيضا لسببين :

الأول : ان فيليب يهمة رجوع الكسيوس الى العرش البيزنطي ، ذلك لما بينهما من صلات الود والنسب (١٥٦) ، وما يترتب على ذلك من تقارب في وجهات النظر ، والذي يمكن أن يخدم القضية الصليبية ، والأهم من ذلك الاستفادة من ثراء الدولة البيزنطية ، بالحصول على الامدادات التي وعد بها الكسيوس الصليبيين ، وعلى ضرورة بالنسبة لهم لتدعيم موقف حملتهم الى الشرق .

الثاني : ان فيليب لم يعد يراعى صلات الصداقة مع الدولة الأيوبية التي كان فردريك الأول يحاول نهجها ، وليس أدل على ذلك من أن جموعا من الحملة الرابعة اتجهت فعلا الى الشرق

الإسلامي بعد استيلائها على القسطنطينية ، ربما ان هذه الجموع كانت تمثل الفريق الذي أصر على أن هدف الحملة الرئيسي هو بلاد الشام وليس بيزنطة ، وهو أمر لم يكن في اعتبار فيليب . وعلى أية حال انتهت المعارك بينهم وبين المسلمين ، على أساس اتفاقية . ترك لهم العادل بمقتضاها ، نصف اللد والرملة ، وأعطاهم الناصرة ويافا ، في سنة ١٢٠٤ م / ٦٠٠ هـ (١٥٧) ومن ثم فيستبعد أي صلات بين مصر من جهة والكسيوس وفيليب من جهة أخرى .

الوضع السياسي في ألمانيا بعد وفاة الامبراطور هنري السادس حتى سنة ١٢٠٨ م :

لقد حرص الامبراطور هنري السادس قبل موته ، على تعيين ابنه فردريك امبراطورا (١٥٨) ، الا ان البابا كلستين الثالث (١١٩١ - ١١٩٨ م) Celestine III رفض ، لأن سلطان ألمانيا امتد على جنوب ايطاليا وصقلية ، وهذا الانتشار الألماني أوقع البابوية بين فكي الأسد (١٥٩) .

ولم تكن المعارضة ضد فكرة الامبراطور هنري السادس في تعيين فردريك من جانب البابوية فحسب ، ولكنها كانت أيضا من بعض الأمراء الألمان ، وخاصة دوق اللورين ، لكن هنري استطاع أن يكسب ثقة الأمراء ، عندما أعلن اعتزامه الخروج بالحملة الصليبية - والتي سبق تفصيلها - ووافق الأمراء في ٢٥ ديسمبر عام ١١٩٦ م على تعيين فردريك ملكا ، على أن يخلقه في عرش الامبراطورية (١٦٠) .

ومن ثم فعندما مات الامبراطور هنري السادس في سبتمبر عام ١١٩٧ م سارع الأمراء الألمان بالشرق ، بإعلان ولائهم لفردريك الثاني (١٦١) ، وقد استطاع البابا « أنوسنت الثالث » (١١٩٨ -

١٢١٦ م) ، أن يقنع كونستانس أرملة هنرى السادس - وأم الملك الصغير - أن تكون هي الوصية على ابنها ، وأن تتبع البابوية وتدفع مبلغا معيناً سنوياً مقابل أن تحكم الأرملة صقلية ونابلى ، علاوة على ذلك فقد طلبت الأم من البابوية الوصاية على ابنها بعد وفاتها (١٢٢) ، لكن خشى بعض الأمراء الألمان من نفوذ البابا ، ومن ثم فى ١٧ مايو ١١٩٨ م شكلوا لجنة رباعية للوصاية على فردريك فى صقلية بزعامة «ماركوارد» Markward وأمير «أنويلر» Anweiler الموالى لهنرى السادس (١٢٣) ، وزعيم الجالية الألمانية بصقلية ، والوزير فى «بالرمو» وكان فردريك حينئذ ابن أربع سنوات ، هذا وقد اعتبر البابا أنوسنت ، هذه لطفة له ، فحاول يستجدى أهالى صقلية ضد «ماركو» وهرب فردريك وأوصيائه إلى «سبييتيا» وهكذا ظل الوضع فى صقلية حتى سنة ١٢١٢ م (١٢٤) .

أما فى ألمانيا ، فانه بعد وفاة الامبراطور هنرى السادس ، رأى اخوة «فيليب السوابى» (١٢٥) Phillip ، أنه أحق بالعرش الامبراطورى بعد أخيه ومن ثم اتجه الى محالفة «فيليب الثانى» أغسطس Phillip II «ملك فرنسا» Kiang of France «فى سنة ١١٩٨ م ، حتى يساعده فى الوصول الى العرش الامبراطورى» (١٢٦) وبدأ يطلب مساعدته ، ومن ثم قدم فيليب من تومسكايا وأعلن وقوفه الى جانب فردريك ، وأيده فى ذلك حزب الجبلين الامبراطورى وأغرى زعماء سكسونيا و «بافاريا» وانتخبوه امبراطورا فى سنة ١١٩٨ م ، على أن لا يمس حقوق ابن أخيه بسره (١٢٧) .

والذى لا شك فيه أن تطور الأحداث بهذه الصورة السريعة أدت الى تجديد الحرب الأهلية فى ألمانيا من جديد ، اذ كونت مدن شمال إيطاليا ادارة لنفسها ، وواجه فيليب مناقشا على الحكم هو

«أوتواف برونزويك» Otto of Brunswick (١٢٨) ، والذى اختاره الولفين ، وهو الابن الثانى لهنرى الثانى Henery II ملك إنجلترا (١١٥٤ - ١١٨٩ م) ، وبذا سادت الحرب الأهلية كل من لمباردية وتيسكانيا وألمانيا (١٢٩) ، وقد ساعدت البابوية «أوتو» لأنه وعدا بخضوعه لها ، وتمكن فيليب دوق سوابيا ، من هزيمة «أوتو» سنة ١٢٠٧ م ، الذى فر الى إنجلترا إلا أن فيليب قتل فى سنة ١٢٠٨ م ، ولعل هذه الاضطرابات جعلت فيليب بغض النظر عن سياسة والده فردريك الاول والخاصة بالشرق الاسلامى - عدا ما قام به من المساهمة فى الحرب الصليبية الرابعة ومحاولاته فى تحقيق برنامج أخيه هنرى السادس (١٧٠) .

- (١) أبو شامة : الروستين في أخبار الدولتين ، ج ٢ ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .
 (٢) إبراهيم الحنبلي : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، ورقة ٥٢ .
 (٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٤١ ، وانظر : ابن أبيك الدواداري : الدرر المطلوب ، ج ٧ ، ص ١٢٠ . ومما يجدر نكره أن مولد الأفضل كان سنة ٥٥٥ هـ والعزیز سنة ٥٦٧ هـ ، والظاهر عازى سنة ٥٦٨ هـ ، انظر : أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
 (٤) ابن الوردي : تنمة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .
 وانظر : سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ٧٤ - ٧٥ .
 (٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٤١ .
 (٦) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ ، وانظر : ستيفن رنسيماي الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ١٥٠ .
 (٧) محمد محمد أمين : السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٦ .
 (٨) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .
 (٩) المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٤٣ .
 (١٠) أبو شامة : المصدر السابق والصفحة .
 (١١) ابن واصل : مفرج الكرب في أخبار بني أيوب ، ج ٣ ، تحقيق جمال الشيال الاسكندرية ١٩٦٠ ، ص ١٥ .
 (١٢) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٨٧ .
 (١٣) ثغر جبيل من جملة الفتوح الصلاحية ، وكان القائم على حمايته رجلا كرديا ، فيدل له الفرنج مالا وسلم لهم الثغر .
 انظر ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٦ .
 (١٤) من الذين انضموا الى جيش العزيز « قايماز النجمي » الذي كان اقطاعه بالسودان وكان بينه وبين الأفضل نزاع ، وأرسل اليه الأفضل لمصالحته ، لكنه رفض . انظر :
 أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .

- (١٥) أبو شامة : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .
 (١٦) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٧ - ٢٩ .
 (١٧) أبو شامة : المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .
 (١٨) نفس المصدر ، والصفحة .
 (١٩) هذا الرسول هو الأمير « فخر الدين أيازجر كس » أو « جهار كس » وهو أستاذ دار من الصلاحية .
 انظر المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٤٥ .
 (٢٠) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٤٦ ، وانظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٨ - ٩ .
 (٢١) المقرئزي : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٥٢ .
 (٢٢) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ .
 (٢٣) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٦ .
 (٢٤) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، وانظر المقرئزي : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .
 (٢٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٤٩ - ٥٠ .
 (٢٦) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .
 (٢٧) ابن الوردي : تنمة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .
 (٢٨) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٥٠ .
 يذكر المقرئزي أن العزيز توسل الى العادل في الصلح على أن يترك مصر ويتجه الى المغرب .
 انظر : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٥٧ .
 (٢٩) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ ، وانظر ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٥٤ .
 (٣٠) ستيفن رنسيماي : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٥٢ ، وانظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٧٩ .
 (٣١) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٥٥ - ٦٠ .
 (٣٢) هذا الرسول هو أخو العادل لأمه : انظر أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .
 (٣٣) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٩٢ .

(٢٤) تذكر بعض المصادر أن سبب استيلاء العادل علي دمشق أن الأفضل سعى لقتل العادل . انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٥١ - ٥٢ .

(٢٥) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢١ .

(٢٦) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٩٢ .

(٢٧) مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة في الشرق مجلد ٢ ، ص ١٧٣ ، وانظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٥٣ .

(٢٨) ابن الأثير : نفس المصدر والصفحة ، وانظر مكسيموس مونروند المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٣ .

(٢٩) ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ٢ ، ص ٤٥٥ .

(٣٠) تبين : بلدة في جبال بني عامر المطلة على بلد باناس بين دمشق وصور ، انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٤ .

وهي بلدة « ثمنه » الواردة في التوراه ، وبها قبر شمعون الصديق انظر بنيامين القطيلي الاندلسي : رحلة بنيامين (٥٦١ - ٥٦٩ هـ / ١١٦٥ - ١١٧٢ م) ، ترجمها من العبرية عزرا حداد ١٩٤٥ ، ص ١١٢ .

(٤١) ابن الوردي : تكملة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٦٩ ، وانظر ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٥٤٠ .

(٤٢) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٩٥ ، وانظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٥٨ .

(٤٣) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

(٤٤) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٣ .

(٤٥) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

ومن أقوال الظاهر للأفضل « وماك في مصر لا يكفيك ودمشق لك بوسع أبيك » . انظر أبو شامة : نفس المصدر والصفحة .

(٤٥) ابن الوردي : تكملة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .

(٤٦) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

(٤٧) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٦١ .

(٤٨) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٢٢ .

(٤٩) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٦٥ .

(٥٠) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .

(٥١) ابن الوردي : تكملة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٧٢ . وانظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٦٥ ، وأيضا : الحنبلي : الأسس الجليل ، ج ١ ، ص ٤٠١ .

(٥٢) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

(٥٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٦٥ ، وأيضا : المقرئ السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ق ١ ، ص ١٨٣ .

(٥٤) ابراهيم الحنبلي : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، ورقة ٥٩ .

(٥٥) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١٢ .

(٥٦) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٧ ، وانظر محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٩٢ .

(٥٧) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٦٨ .

(٥٨) نفس المصدر ، ص ٧٠ .

(٥٩) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٩٩ ، وانظر ستيفين رسيان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .

(٦٠) أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠١ ، وانظر ابراهيم الحنبلي : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، ورقة ٥٩ ، وانظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٧٤ .

(٦١) Poole (S.L.) : History of Egypt in the Middle Ages p. 215.

(٦٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٨٨ .

(٦٣) تذكر بعض المصادر : أن العادل قبض على المؤيد والمعز من أولاد أخيه واعتقلهما في دار بهاء الدين قراقوش . انظر : ابن أبيك الدواداري : الدر المطلوب في أخبار بني أيوب ، ج ٧ ، ص ١٤٨ .

(٦٤) محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٩٣ .

(٦٥) ستيفين رسيان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .

(٦٦) ابن الوردي : تكملة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ، وانظر أبو الفدا المختصر ، ج ٢ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

cf : Stevenson (W.B.) : The Crusaders in the East. p. 296.

(٦٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٨٨ .

(٦٨) Se' on (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 116.

- Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 193. (٨٦)
- King (E.J.) : Op. cit., p. 166. (٨٧)
- Setton (û.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 120. (٨٨)
- (٨٩) مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة في الشرق ، م ٢ ، ص ١٧٢
- Cf : Archer (T.A.) : The Crusades, p. 369.
- Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 120. (٩٠)
- (٩١) مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة في الشرق ، م ٢ ، ص ١٧٢
- Poole (S.L.) : History of Egypt in the Middle Ages, (٩٢)
p. 217.
- (٩٣) ستيفين رنسيان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ١٧٠
- Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 193. (٩٤)
- (٩٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٥٣
- وانظر مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة في الشرق ، م ٢ ، ص ١٧٣
- (٩٦) كان يحكم يافا ، « أمريك لوزجنان » قبل أن يتوجه إلى قبرص ،
غير أن « هنري دي شامباني » فرض عليه أن يأخذها من جديد ، ليتولى الدفاع
عنها ، خيرا من الألمان والمسلمين ، لكن أمريك لوزجنان « أرسل أحد ياورزاته ،
وهو « رينالد بارليه » ليتولى حكومة « يافا » ويتجهز للحصار المقبل . انظر
ستيفين رنسيان : المرجع السابق ، ص ١٧١ - ١٧٢
- (٩٧) انظر نفس المرجع ، ص ١٧٤ - ١٧٧
- (٩٨) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٥٣
- Cf : Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 194.
- (٩٩) مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة في الشرق ، ص ١٧٢
- Ibid., p. 194. (١٠٠)
- (١٠١) تيرون : بالقرب من يافا
- Cf : Ambroise : The crusades of Richard Lion-Heart,
p. 400.
- Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 194 F. (١٠٢)
- King (E.J.) : Op. cit., p. 168. (١٠٣)

- Tout : The Empire and the papacy, p. 305. (٦٩)
- وانظر : سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص
٣٧٦ - ٣٧٧
- Wiegler (P.) : The Infidel Emperor, p. 10. (٧٠)
- Bryce (J.) : The Holy Roman Empire, p. 201. (٧١)
- Painter (S.) : A History of the Middle Ages, p. 280. (٧٢)
- Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 365. (٧٣)
- Cf : Bryce (J.) : Op. cit., p. 201.
- (٧٤) أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ١٢٢
- Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 366. (٧٥)
- Ibid., p. 366. (٧٦)
- وانظر عبد القادر اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٥١
- Vasiliev (A.A.) : History of the Byzantine Empire, (٧٧)
Vol. 2., p. 449.
- وانظر : ج - م - هـ : العالم البيزنطي ، ص ٢٠٤
- وايضا فلهاوزن : فتح القسطنطينية ، ترجمة حسن حبشي ، جده ١٩٨٢ م
١٤٠٣ هـ ، من مقدمة المترجم ، ص ٢٢
- Chroniatae (N.) : De Alexio Isaacil Angeli, Corpus, (٧٨)
Scriptorum. Historiae Byzantinae, Tome, 35, p. 627.
- Michoud : Historiae de Croisades, Tome 2, p. 193. (٧٩)
- Vasiliev : (A.A.) : Op. cit., vol. 2., p. 448. (٨٠)
- Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 193. (٨١)
- (٨٢) سعيد عاشور : قبرص والحرب الصليبية ، ص ٣٥
- (٨٣) مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة في الشرق ، م ٢ ، ص
١٧١ - ١٧٢
- (٨٤) أبو شامة : الروستين في اخبار الدولتين ج ٢ ، ص ٢٣٣
- Cam. Med. Hist., Vol. 5., p. 473. (٨٥)

- وانظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٥٤ .
 وايضا : ستيفين رنسيما : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٨ .
 (١٠٤) Michoud : Op. cit., tome 2, p. 196.
 (١٠٥) رنسيما : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .
 (١٠٦) Ibid., p. 196.
 (١٠٧) رنسيما : نفس المرجع ، ص ١٧٨ .
 (١٠٨) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٥٤ .
 (١٠٩) Ibid., pp. 197 F.
 (١١٠) Tout : Op. cit., p. 312.
 Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 120.
 King (E.J.) : Op. Cit., p. 168. (١١١)
 (١١٢) ستيفين رنسيما : المرجع السابق ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .
 (١١٣) أبو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين ، مجلد ٢ ، ص ٢٢٣ .
 (١١٤) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 201.
 (١١٥) Ibid., p. 201.
 وانظر سيد الحريري : الاخبار السنوية في الحروب الصليبية ، ص ٢٢١ .
 (١١٦) ستيفين رنسيما : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٩ .
 وانظر مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة في الشرق مجلد ٢ .
 ص ١٧٨ .
 (١١٧) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 203.
 (١١٨) Thompson : Middle Ages, Vol. 1., p. 587.
 (١١٩) يوشع براور : عالم الصليبيين ، ترجمة : قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٨٨ .
 وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٤٨٧ .
 (١٢٠) يوشع براور : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .
 (١٢١) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 203.
 وانظر : مكسيموس مونروند : المرجع السابق ، مجلد ٢ ، ص ١٨٤ .

- (١٢٢) يوشع براور : المرجع السابق ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .
 (١٢٣) ستيفين رنسيما : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٩ .
 وانظر عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٧٠ .
 (١٢٤) ستيفين رنسيما : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .
 وايضا عزيز سوريال عطية ، المرجع السابق ، ص ٧٠ .
 (١٢٥) يوشع براور : المرجع السابق ، ص ١٩٧ .
 (١٢٦) ستيفين رنسيما : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .
 وانظر عزيز سوريال عطية ، المرجع السابق ، ص ٧٠ .
 وايضا يوشع براور : المرجع السابق ، ص ١٩٧ .
 (١٢٧) King (E.J.) : Op. cit., p. 170.
 (١٢٨) يوشع براور : نفس المرجع ، ص ١٩٠ .
 وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٨٧ .
 (١٢٩) يوشع براور : المرجع السابق ، ص ١٩١ .
 (١٣٠) يوشع براور : نفس المرجع ، ص ١٩٢ ، وايضا سعيد عاشور :
 الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٨٨ .
 (١٣١) يوشع براور : المرجع السابق ، ص ١٩٣ - ١٩٤ .
 (١٣٢) يوشع براور : نفس المرجع ، ص ١٩٧ .
 (١٣٣) King (E.J.) : Op. cit., p. 169.
 (١٣٤) جاء عموري لوزجنان ملك قبرس (١١٩٧ - ١٢٠٥ م) الى بلاد الشام ، وتزوج من ايزابيلا Isabella . - ارملة هنري دى شامباتيا ملك بيت المقدس ، الذي توفي في سبتمبر عام ١١٩٧ م ، وبذا أصبح عموري ملك بيت المقدس : انظر : Cf : Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 201.
 وايضا : سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ، ص ٢٠٧ .
 وكذلك : محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٨٦ .
 (١٣٥) ستيفين رنسيما : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .
 وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٨٥ .
 Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 121.
 (١٣٦) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 202.
 (١٣٧) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٨٠ .

- (١٢٨) روبرت كلارى ، فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٣٩ .
- وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٩٢ - ٨٩٢ .
- (١٣٩) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٩٤ .
- (١٤٠) روبرت كلارى : المصدر السابق ، ص ٢٨ .
- (١٤١) فلهاردون : فتح القسطنطينية من مقدمة المترجم ، ص ٢٥ .
- (١٤٢) نفس المصدر ، ص ٢٦ - ٢٩ .
- (١٤٣) روبرت كلارى : المصدر السابق ، ص ٢٤ .
- (١٤٤) روبرت كلارى : نفس المصدر ، من مقدمة المترجم ، ص ٥٥ .
- (١٤٥) انكونا : ميناء جنوب إيطاليا .
- فلهاردون : المصدر السابق ، حاشية المترجم ، ص ٧١ .
- (١٤٦) روبرت كلارى : المصدر السابق ، ص ٦٥ .
- (١٤٧) فلهاردون : المصدر السابق ، ص ٧٠ - ٧١ .
- ينكر روبرت كلارى أن الصليبيين بناء على نصيحة الماركييز مؤنقرات أرسلوا إلى الكسيوس ليساعدهم في الوصول إلى الشرق ، انظر ، فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ، ص ٦٦ .
- (١٤٨) فلهاردون : المصدر السابق ، ص ٧٠ - ٧١ .
- (١٤٩) نفس المصدر ، ص ٧٧ ، وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٩٤ .
- (١٥٠) فلهاردون : المصدر السابق ، ص ٧٨ .
- (١٥١) فلهاردون : نفس المصدر ، ص ٧٨ .
- (١٥٢) روبرت كلارى : المصدر السابق ، مقدمة المترجم ، ص ١٦ .
- (١٥٣) فلهاردون : المصدر السابق ، ص ٨٠ .
- (١٥٤) نفس المصدر ، ص ٩٦ .
- وانظر روبرت كلارى ، المصدر السابق ، ص ٨٤ .
- (١٥٥) عن الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية ، انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٩١ وما بعدها .
- وأيضا : اسمت غنيم : الحملة الصليبية وسقوط القسطنطينية .
- (١٥٦) أومان : الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة مصطفى طه بدر ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢١٧ .

- (١٥٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٨١ .
- وأبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٠٦ .
- وابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٣٧ .
- وأيضا محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٩٤ - ٩٥ .
- (١٥٨) ولد فردريك - الثاني فيما بعد - في بلد « جسي » Jeasi سنة ١١٩٤ ، انظر وإلياس لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٢ ، ص ٥٧٩ .
- (١٥٩) رافت عبد الحميد : المشكلة الإيطالية في السياسة الألمانية في العصور الوسطى ، مقال بالمجلة التاريخية ٣٠/٣١ ، ص ٢٨٤ .
- (١٦٠) رافت عبد الحميد : الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب في العصور الوسطى مقال بندوة التاريخ الاسلامي والوسيط لسنة ١٩٨٣ ، مجلد ٢ ، ص ١٣٠ .
- وانظر سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٧٩ .
- (١٦١) رافت عبد الحميد : الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب ، ص ١٣٠ .
- (١٦٢) سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٧٩ .
- Cf : Hayes (T.H.) : History of Europe, p. 282.
- وأيضا : عبد الشافي غنيم عبد القادر : حالة المسلمين الثقافية والاجتماعية بجزيرة صقلية في العصر النورمندى ، ص ٦٥ .
- وكنلك ، محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .
- مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة في الشرق مجلد ٢ ، ص ٢٦٩ .
- (١٦٣) رافت عبد الحميد : الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب ، ص ١٣٠ .
- (١٦٤) عبد الشافي غنيم : المرجع السابق ، ص ٧٠ - ٧١ .
- (١٦٥) Stephenson (C.) : Medieval History, p. 428.
- (١٦٦) Thatcher (O.J.) & McNeal (E.H.) : Op. cit., p. 227, No. 131. Treaty Between Phillip King of Germany and Phillip II, King of France, 1198.

- (١٦٧) قالت عبد الحميد : الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب ، ص ١٢١ .
 وانظر محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٢١ .
 (١٦٨) Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 367.
 (١٦٩) محمود سعيد عمران : نفس المرجع ، ص ١٢١ .
 وايضا رسيما : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .
 (١٧٠) ستيفن رنسيما : نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ .

الفصل الرابع

سياسة الامبراطور فردريك الثاني تجاه الدولة الأيوبية

(٦٠٦ - ٦٢٥ هـ / ١٢٠٩ - ١٢٢٧ م)

- الوضع السياسي في ألمانيا بعد وفاة الملك فيليب السوابي .
- تعهد فردريك الثاني بالقيام بحملة على الشرق .
- الوضع السياسي في الدولة الأيوبية واثره على العلاقات الخارجية .

أوضحنا في الفصل السابق المشروع الصليبي الذي قام به
الامبراطور هنري السادس ، ولم يكتب له النجاح لوفاته في الغرب
وهو في ريعان شبابه ، فترك امبراطوريته لأخيه فيليب السوابي
الذي دخل في صراع مع أعدائه - من أجل عرش الامبراطورية - ،
استمر طيلة عشر سنوات ، لم يستطع خلالها تقديم أي عون صليبي
يذكر عدا اسهامه في الحملة الصليبية الرابعة ، ولم تكن موجهة ضد
المسلمين في الشرق ، ولكن وجهت ضد الامبراطورية البيزنطية .
ويمكن القول بأن الأوضاع السياسية التي كانت تمر بها
الامبراطورية الرومانية المقدسة حينئذ ، أبعدت الامبراطورية ، عن
ميدان الصراع بين الشرق والغرب طيلة عشرين عاما ، عندما ساهمت
ببعض الامدادات في الحملة الصليبية الخامسة والتي كانت على
دمياط . ثم دخلت الامبراطورية بعدها في علاقات دبلوماسية مع
المسلمين بالشرق . وسوف نعرض فيما يلي الأوضاع السياسية في
الامبراطورية بعد وفاة فيليب السوابي .

الوضع السياسي في ألمانيا بعد وفاة الملك فيليب السوابي :

أنعش موت فيليب السوابي الأمل في نفس خصمه « أوتو
الرابع » للمطالبة بالعرش من جديد ، وأيده في ذلك الأمراء
الهوهنشتاوفن الألمان بشرط أن يتزوج من ابنة غريمه فيليب ، فوافق
على ذلك وأعلن في روما خضوعه للبابا في سنة ١٢٠٩ م ، وتوج
في أكتوبر من نفس العام (١) ، وهكذا استطاعت البابوية أن تحقق
ما تحلم به من خضوع امبراطور ألمانيا لها . الا أن « أوتو » قام
بمهاجمة صقلية ، مما دفع البابوية لاصدار قرار الحرمان ضده (٢) ،
واسستغل الأمراء الألمان هذا الوضع ، وأعلنوا في « نورمبرج »
Numberg ، فردريك الثاني امبراطور سنة ١٢١١ م (٣) .

ولما كانت البابوية تبحث عن مصالحها أينما كانت ، فلم ترفض النزول عن رغبة الأمراء الألمان ، ومن ثم فقد طلبت من فردريك الثانى بصقلية أن يتوج ابنه هنرى ، ويعينه ملكا على صقلية بوصاية أمه (٤) . بالإضافة الى أن فردريك خرج من صقلية فى مارس ١٢١٢ م ، مع بعض أتباعه متجها الى روما التى وصلها فى منتصف أبريل ١٢١٢ م . واستقبله البابا « أنوسنت » والكرادلة Cardinals ، ومجلس الشيوخ ، والشعب الرومانى ، ولأول مرة يلتقى فيها فردريك الثانى مع البابا أنوسنت (٥) . وفى الخامس من ديسمبر ١٢١٢ م ، فى حضرة المبعوثين الفرنسيين ، وكذلك أمراء فرانكفورت ، تم انتخاب فردريك ملكا بصفة رسمية . وبعد ذلك بأربعة أيام تم تتويجه بتقليد لشعار الدولة فى « ماينز » Mainz . لأن شعار الدولة الحقيقى كان فى حوزة الويلفيين Welf وكذلك الأشياء الخاصة بمراسم التقليد كالتاج الملكى والصولجان (٦) . ثم أعلن أنه على استعداد للقيام بحملة صليبية على الشرق .

ومما يلفت النظر أن فردريك كان فى الحادية والعشرين من عمره فى الوقت الذى نذر فيه نفسه لقيادة الجيوش والتوجه الى الشرق لاستعادة الأرض المقدسة اذ يذكر كانتروفيتش أنه : « بقلب ظاهر ونقى لم يكرس جسده وقواه لله ، ولكنه عرضهما أيضا أمام النار المشتعلة كما لو كان ضحية » (٧) بالإضافة الى أنه تعهد للبابوية فى سنة ١٢١٣ م ، ومن خلال اطار وضعه لنفسه أمامها بأن اختيار الأساقفة سيتم بالقانون الكنسى ، كما سيضع نظاما لهبات الكنائس والفائض منها ، وأعلن أنه سيهتم بالكنيسة الرومانية وسيعمل على تثبيت مكانها فى كل الأرض ، وسيساعدوا فى رد الأرض التى للكنيسة الرومانية والخارجة عن سلطانها . ولها حلود وهى من « راديكوفونو » Radicofano الى « سيبرانو »

Ceperano الى « أنكونا » Ancona ودوقية « سبوليتو » Spoleto وكذلك الأرض التى فى كونتيات « ماتيلدا » Matilda و « بيرتينور » Bertinoro فى « رافنا » كما أعلن أنه سيساعد الكنيسة الرومانية الكاثوليكية للحفاظ والدفاع عن صقلية وكل الحقوق التى قررتها (٨) .

أما « أوتو الرابع » فقد عاد من إيطاليا الى ألمانيا ، وطلب مساندة حنا ملك إنجلترا (١١٩٩ - ١٢١٦ م) وأمير فلاندرز (٩) . وكان على فردريك أن يستعين بقوة تقف معه ضد « أوتو » فاستطاع أن يتقابل مع الوريث الفرنسى للعرش فى نوفمبر ١٢١٢ م بروما ، وعقد معه حلفا يتعهد فيه أن لا يعقد سلاما مع أعداء فرنسا بدون موافقتها (١٠) . وبذا كسب فردريك الثانى ملك فرنسا الى جانبه بالإضافة الى رضاء البابوية عليه وكانت النتيجة هزيمة حلف « أوتو » أمام حلف فردريك فى موقعة « لوفانو » L'avinos بسهول بلاد الفلاندرز فى ٢٧ يوليو ١٢١٤ م (١١) .

ويمكن القول بأن فردريك (بما حققه من نجاح سياسى) قد أصبح أعظم الأمراء الألمان قاطبة ، اذ كان لنشأته فى صقلية أثر فى صقله سياسيا وثقافيا ، لأن صقلية كانت ملتقى الحضارات الاسلامية والبيزنطية والرومانية واللاتينية (١٢) . وبذا أصبحت ثقافته كما يذكر البعض - نصفها عربى ونصفها الآخر - اغريقى (١٣) . فقد أجاد فردريك ست لغات على رأسها العربية ، كما أحب الشعر وأحسن نظمه ، وشجع الفنون والثقافة ، كذلك خاض ميادين علمية مثل الفلسفة والفلك والهندسة والجبر والطب والتاريخ الطبيعى والصيد ، واهتم بالهرطقة الدينية (١٤) . وقام على تعليمه فى علم المنطق قاض مسلم (١٥) .

بل يذكر البعض - أنه « محير العالم أو أعجوبة الدنيا » Stupor Mundi (١٦) . نعم انه يختلف عن الأباطرة الذين

سبقوه ، في حكم الامبراطورية ، فنتيجة لتربيته ، لم يكن لديه عداة ناحية الشرق ، لذلك لاغرابه اننا نجده بعد ذلك يراوغ البابوية في تنفيذ طلباتها الخاصة بالقيام بحملة صليبية على الشرق ، وذلك انه ذات شخصية مميزة قلبا وقالبا ، ذا عقل له أسلوبه في حل ومعالجة المشاكل السياسية وخاصة مع الشرق الاسلامي .

سبق القول بأن الامبراطورية لم يكن لديها الوقت والدوافع اللازمين للتوجه الى الشرق ، لا للفترة التي كانت تمر بها سياسيا فحسب ولكن لما كان يقوم به الامبراطور فردريك الثاني من تثبيت حكمه أيضا . وقد ترتب على ذلك ان قامت حملة فريدة من نوعها لها طابع خاص سنة ١٢١٢ م ، قاصدة الشرق الاسلامي ، تتكون من الأطفال ومعظمهم من أطفال ألمانيا ، وكان يتزعمهم طفل من مدينة « كلوني » Cologne بألمانيا يدعى « نيقولا » Nicholas ، وجمع حوله مجموعة من الأطفال لا يتعدى سن الطفل اثنى عشر عاما (١٧) . وقد انضم الى هؤلاء مجموعة أطفال من فرنسا تحت قيادة طفل يدعى « ستيفن » Stephen . وقد قاد « نيقولا » الألماني نفسه مجموعة لا تقل عن عشرين ألفا ، واتخذوا طريقهم الى ايطاليا عبر جبال الألب ، وقابلوا البابا في روما ، الذي لم يستطع أن يمنعه عن قصدهم (١٨) . وتوجهوا الى موانئ البحر وهم يغنون قائلين « يسوع الرب ، أرجع إلينا صليبك المقدس » (١٩) وهكذا وصل بعضهم الى « برنديزي » قاصدين بيت المقدس قائلين « نحن ذاهبون الى اورشليم لتحرير القبر المقدس » (٢٠) وقد رجع بعضهم الى بلاده ، وآخرون تبناهم الايطاليون (٢١) . أما الذين وصلوا الى الشرق فقد باعهم البنادقة في أسواق الرقيق بتونس والشرق (٢٢) . أما عن مصير الطفل « نيقولا » نفسه فيقال انه قد وفى بنذره وأبحر الى الأرض المقدسة (٢٣) .

تعهد فردريك الثاني بالقيام بحملة الى الشرق :

أصبح على البابوية - بعد ما أبداه الأطفال من شجاعة أمامها - ان تحرك القضية الصليبية ، اذ ان هذا التصرف ينم عن تكاسل البابوية في مشروعاتها الصليبية . ومن هنا ، عقد البابا « أنوسنت الثالث » (١١٩٨ - ١٢١٦ م) مجمعا في روما بكنيسة الفديس « يوحنا » اللاترانية في تشرين الأول (أكتوبر) ١٢١٥ م ، دعا اليه ما يزيد عن خمسمائة شخص من شتى أنحاء أوروبا ، كما حضره مندوبا عن الامبراطورية الرومانية المقدسة (٢٤) . وأرسل البابا دعاة الى كل الأرجاء ، فأسند الدعوة في ألمانيا الى بعض الأساقفة ، ورؤساء الأديرة ، وكان أعظم رجال الدين نجاحا « أوليفر بادنبورن » الذي كان يتولى أسقفية « بادرنبورن » في ألمانيا ، فقام بالتبشير للحملة في « فريزيا » و « فلاندرز » و « بارابانت » و « اترخت » وبعض المناطق الأخرى ، فضلا عن هذا ، فقد حث بعض الشعراء في أشعارهم على ضرورة حل النزاع بين فردريك الثاني وخصومه (٢٥) . حتى يتفرغوا للقضية الصليبية ، وفردريك بالذات لأنه وعد بالقيام بحملة صليبية الى الشرق عند تتويجه سنة ١٢١٢ م . وأصبح فردريك أيضا متعهدا أمام البابوية بالدفاع عنها والزود عن حياضها (٢٦) .

كما تعهد فردريك كذلك عندما توج في ٢٥ يوليو ١٢١٥ م / ٦١١ هـ ، في آخن Aachen بأنه سيرافق الحملة الصليبية المزمع قيامها الى الشرق (٢٧) . وفى سنة ١٢١٦ م ، جدد الطاعة للبابا (ملك روما وصقلية) ، وأشار الى رغبته في تحقيق الرفاهية للكنيسة الرومانية ، ومملكة صقلية ، وقد ذكر أنه سيتخلى عن مملكة صقلية تدريجيا للبابوية ، وفى مقابل ذلك سوف يدفع ذهابا

رهنية ، لأنه كما يذكر فردريك الثانى فى تعهده « ان استقلال
صقلية عن البابوية ، معناه انقسام فى الكنيسة الرومانية وكذلك
فى مملكتنا » (٢٨) •

وقد استغلت البابوية فرصة ارسالها الحملة الصليبية
الخامسة الى مصر ، وطلبت من فردريك تنفيذ وعده ، ومن ثم أخذ
الآخر يدعو لها ، واستطاع أن يضم كثيرا من الألمان الى الحملة
الصليبية من « البافاريين » و « الفريزيين » و « السكسون » وأهل
« مورافيا » و « ستراسبورج » (٢٩) وفى النهاية لم يتمكن
فردريك الثانى من الخروج مع الحملة الصليبية المتوجهة
الى مصر فى أول يونيه ١٢١٧ م ، وقد علل عدم خروجه بالخوف
على عرش ألمانيا من خصمه « أوتو » ، وأما البابا هونوريوس الثالث
Honorius III (١٢١٦ - ١٢٢٧ م) فقد اكتفى بعتاب
فردريك (٣٠) على عدم خروجه على رأس الحملة ، وقد بدأت هذه
القوات الصليبية ، تتوافد على عكا فى أبريل ١٢١٨ م / المحرم
٦١٥ هـ (٣١) • فى حين توجه الجزء الثانى الى دمياط بدون قائد
من الامبراطورية ، وهكذا قضى فردريك المدة من ١٥ يوليو ١٢١٥ م
عندما توج (٣٢) • وحتى نهاية سنة ١٢١٨ م فى وعود لم ير البابا
هدفا واضحا ونتيجة منها (٣٣) • فى ذات الوقت الذى تمكن فيه
الصليبيون من الاقامة فى جيزة دمياط ، وشرعوا فى بناء أسوار
حول معسكرهم الذى يتكون من النبلاء وخمسة آلاف من الفرسان ،
بالاضافة الى أربعين ألف مشاة ، وقد ألقوا القنابل على البرج
الكبير الذى شيده المسلمون على النيل (٣٤) ، وحاولوا الصعود
بالسلالم - المصنوعة من الأخشاب - على الأبراج ، وذلك بقيادة
آدولف Adolf كونت « برج » Berg ومعه بعض الفريزيين

والألمان (٣٥) • لكن هذه المحاولات جميعها باءت بالفشل لأن
المسلمين ألقوا النار الاغريقية على الأعمدة والسلالم فتحطمت
ووقعت بالصليبيين (٣٦) •

وأثناء هذه الجهود الصليبية لمحاولاتهم الاستيلاء على دمياط ،
كتبوا الى البابوية ، يشرحون لها الوضع ، بالاضافة الى أنهم كتبوا
الى الامبراطور فردريك الثانى ، فى ١٥ يونيه ١٢١٨ م ، يذكرونه
بوعوده من أجل القيام بالحملة ، وأوضحوا له ، أنهم لن
يتمكنوا من الاستيلاء على دمياط ، الا بالاعتماد على الله وعليه ،
كما شرحوا له أن الأخطار تحيط بهم بسبب حاجتهم الى المال
والرجال ، ومن ثم فإن تأخير النجدة من طرفه معناها فناؤهم
جميعا بدمياط ، وبالتالي لا يمكن استرداد القدس (٣٧) • كما
أن هناك بعض الشعراء الصليبيين بدمياط قد كتبوا شعرهم
يوضحون فيه ان المصالح الشخصية قد حالت بين الأباطرة وبين
سفرهم الى الأرض المقدسة ، فالشاعر يلوم من يتمسك بزخرف
الدنيا بالرغم من فوائده فيقول :

لكن أصبحنا ما وراء البحر
اذ ان كل هذه الأشياء ستهلك يوما ما
ولا يهلك ربنا •

ولا شك أن هذه الأبيات توضح أن الصليبيين كانوا يعلقون
أمالا كبيرة على الامبراطور فردريك الثانى الذى يملك الكثير ولن
يبخل بشئ فى سبيل هذه الحركة (٣٨) •

ومهما يكن من أمر فان هذه النداءات كانت تلقى فى قلبه
فردريك الثانى قبولاً ، الأمر الذى ترتب عليه أن أرسل رئيس

أساقفة « ميلان » في مارس ١٢٢٠ م ، بالإضافة الى كبار رجال الكنيسة (٣٩) . فضلا عن رسولين من قبل الامبراطور فردريك شخصيا هما « بافير » Baviere « ومتى » Mathieu ومعه ثمان سفن ومساعدتهم ، كما أن فردريك أمرهم ألا يعقدوا سلاما مع المسلمين الا بعد موافقة الكنيسة الرومانية (٤٠) .

وبالرغم من هذه الامدادات التي أرسلها فردريك الثاني الى الصليبيين بدمياط ، الا ان البابوية كانت تطمح في خروج فردريك بنفسه الى الحملة بمصر . لينقذها من مصيرها التي وقعت فيه ، وليس أدل على ذلك من ان البابا هونوريوس الثالث ، قام بتتويج فردريك في ٢١ مارس ١٢٢٠ م ، كما توجه أيضا في ٢٢ نوفمبر ١٢٢٠ م . ومعه زوجته كونستانس Constance ، في كنيسة القديس بطرس St. Peters (٤١) كما نصح البابا هونوريوس الثالث ، الأمراء بأن يبقوا بجانب الامبراطور فردريك ، فترة قيامه بالحملة اذ كان فردريك الثاني ، في روما ، ومعه الماركيز مونتفرات وقس كنيسة « غال » Sgall ، وعميد الكاتدرائية والمحافظ على « سانت ميناتو » Saint Miniato ، وقد كتب اليهم البابا هونوريوس بأنه يجب على فردريك الثاني أن يتعهد على نفسه بحب واحترام الكنيسة دائما (٤٢) .

وقد أكد الامبراطور فردريك الثاني الوعد للبابا أمام الاسقف « أوجولنيو دوستيا Agolino d'ostia » بأنه سيتوجه إلى الشرق في الربيع التالي (٤٣) . أغسطس ١٢٢١ م . اذ أن مشاغله لم تمكنه من مغادرة أوروبا واكتفى بأن اصدر أوامره للسفن للاستعداد في موانئ صقلية . وطلب من شمال إيطاليا القوات والأموال . وفي ابريل ١٢٢١ م أعلن الدوق لويس أف بافاريا Due Lous de Bourvere ، انه لا خبر عن وصول

فردريك الثاني ، ومن ثم خرج دوق بافاريا بمجموعة من أربعمئة يارون ألماني وفارس ، (٤٤) فضلا عن أكثر من أربعين سفينة بقيادة « والتراف بالير » Walter of Palear والادميرال هنري أف مالطه Admiral Henry of Malta ، وباشتراك « جوتييه دوباليا » Gautier de Paleat ، والمارشال (٤٥) « انسلم أوجستين » Auslem of Justingen . وفي ٢٠ يوليو أرسل البابا هونوريوس ، شكرا الى فردريك الثاني على إرساله السفن (٤٦) . كما يضيف البعض بأن فردريك جهز نفسه ليلحق بامداداته الى مصر (٤٧) . كما حث قس « فينا » Vinea في اللاتيران Allatrin ، على الحملة وقال « ان الجيش الصليبي خارج دمياط ، وفي حالة سيئه ، ويريد الاستسلام . ومع ذلك لم نستعد لاغاية الحملة ، ويذكركم الأب المقدس بقوله : أسرعوا ، لكي ننهي العمل الكبير الذي وصانا به جدكم (المسيح) ، ولا شك ان هذه الكلمات قد أثرت في نفس فردريك ، ومن ثم سارع بإرسال المدد للصليبيين ، الذين تلقوا أمر البابا بالإبحار من جنوا الى مصر (٤٨) .

أما عن موقف الدولة الأيوبية من الحملة واهدادات الامبراطور فردريك الثاني ، فان بعض الجيوش الصليبية القادمة ، وصلت الى عكا ، وخرجت منها لقتال المسلمين ببلاد الشام ، وكان الملك العادل قد وصل الى الشام في سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م . قادما من مصر ، وقد علم بمدى قوة العدد والعتاد عند الصليبيين ، لذلك أثر عدم الدخول معهم في حرب فاصلة ، ومن ثم قام بإرسال ابنه الملك العظيم عيسى ، صاحب دمشق بجيش ليعسكر عند « نايلس » حتى يمنع الفرنج من الوصول الى بيت المقدس (٤٩) . كما ان العادل نفسه قام ببعض المناوشات ضد الصليبيين .

هذا وقد وصلت الجموع الصليبية الباقية الى دمياط في ربيع سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م ، وعندما علم العادل بذلك ، أرسل العساكر التي كانت معه الى مصر لصد الصليبيين ، كما توجه المعظم عيسى الى ساحل الشام لمواجهة أي هجوم صليبي مرتقب ، علاوة على ذلك ، فقد استدعى الملك العادل ابنه المعظم ، واتفق معه على خراب الطور ، حتى يتسنى له الاستفادة من العساكر والعدد الموجودة بها ، في تدعيم القوات المدافعة عن دمياط . كما أن الملك الأشرف جمع العساكر بالشرق ، وكذلك عسكر حلب ، ودخل بلاد الفرنج ، حتى يشغل الصليبيين عن دمياط ، فنزل على « صافينا » ، و« حصن » الاكراد » . وأرسل « مبارز الدين ابن خطلنج » ، و« سنقر الحلبي » ، وابن « كهذان » الى أخيه الكامل (٥٠) .

ولما كانت القوات الصليبية كثيرة ومتنوعة العدد والعتاد ، فقد كان الموقف يتطلب مواجهة قوية من ناحية دمياط ، ولم تكن الاستعداد كافية من ناحية مصر ، مما ترتب عليه أن استطاع الصليبيون الاستيلاء على برج السلسلة (٥١) في آخر جمادى الأولى ٦١٤ هـ / ١٢١٨ م ، فأرسل الكامل محمد « شيخ الشيوخ صدر الدين » الى والده الملك العادل ، يخبره بما فعله الصليبيون (٥٢) . الا أن الملك العادل لم يكتب له أن يكمل تنفيذ سياسته في كيفية طرد الصليبيين من أمام دمياط ، لأنه مات في السابع من جمادى الآخرة سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م في عالقين ودفن بدمشق (٥٣) .

وبوفاة العادل أصبحت مسئولية مواجهة الصليبيين بالشرق تقع على عاتق أولاده ، وخاصة الكامل محمد بمصر . ومن هذا المنطلق بدأ الأخير يعد سياسته ويفند خططه لمحاربة الصليبيين ودرءهم عن دمياط ، لكن قابل الكامل بعض الصعوبات الداخلية ،

فقد دبرت ضده مؤامرة تهدف الى خلعه من مصر وتولية أخيه « الفائز ابراهيم » بن العادل ، وكان القائم على أمر هذه المؤامرة ، ابن المشطوب (٥٤) . الا ان الكامل قضى عليها بمساعدة المعظم الذي حضر لديه ، ليتشاور معه في أمر الصليبيين ، واتفقا على أن يخرب المعظم بيت المقدس خشية استيلاء الصليبيين عليه ، بعد احتلالهم دمياط (٥٥) . وهذا الأسلوب كان يتبعه صلاح الدين (٥٦) . وقد عاد المعظم فعلا الى دمشق ، بعد أن نفى ابن المشطوب الى خارج البلاد ٦١٥ هـ / فبراير ١٢١٩ (٥٧) . كما أرسل الحجارين والنقابين الى القدس لهدم أسواره ، في ذي القعدة ٦١٥ هـ / مايو ١٢١٩ م (٥٨) . وعلى أية حال اشتدت وطأة الصليبيين على دمياط مما دفع بالكامل الى أن يرسل رسالة الى اخوته بالشام والى بقية الأمراء المسلمين ، كما طلب من أخيه المعظم حث الناس على الجهاد (٥٩) . فقد ورد في إحدى رسائله « واخوتاه واغوتاه واسلاماه ! ادركوا الاسلام ! اغيثوا أمة محمد عليه السلام » (٦٠) وفي شهر شعبان ٦١٦ هـ / نوفمبر ١٢١٩ م استطاع الصليبيون الاستيلاء على دمياط (٦١) . وكان قد جدد الملك الكامل رسائله الى ملوك الشرق مرة أخرى ، الذين استجابوا وأرسلوا قوادهم بقواتهم نجدة الى مصر ضد الصليبيين في سنة ٦١٧ هـ (٦٢) . كما أرسل الصليبيون الى الامبراطور فردريك الثاني يستغيثون به - كما سبق ذكره - وبذا أصبح الموقف متأزما للغاية بين الطرفين ، ووصل في سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ - ١٢٢٢ م الى المسلمين بدمياط المعظم عيسى والأشرف موسى ، واشتد القتال بين الطرفين (٦٣) .

وقد أدرك الكامل خطورة الموقف ، فالصليبيون يمكنهم أن يتقدموا الى القاهرة بسهولة بعد أن أتت معظم قوات المسلمين الى دمياط ومن ناحية أخرى كانت بلاد الشام معرضة لغزو صليبي جديد ، مما دفع الملك الكامل الى أن يفكر جددا في الصلح مع

الصليبيين ، هذا وقد طلب الصليبيون بداية السلام مع الملك النامل محمد ، اذ أنه قد أتى الى الصليبيين بدمياط وهم في الحصار - فرنسيس الاسيزي ، الذي طلبه من بلاجيوس المندوب البابوي - أن يعبر الحصار ويصل الى معسكر الملك النامل خارج فراسكرور (٦٤) . لأنه قد شعر بان الصليبيين سيهزمون يكشف ذلك قوله : « أعلمني الله ان المسيحيين سوف لا ينجحون فهل أن أنبههم ؟ » (٦٥) وقد قال لصديقه ، « اذا تكلمت سيبترونني معتموها واذا سكنت فسوف يؤنبني ضميري ، فقال له صديقه « ما يهلك حكم البشر لتكن مجنوننا من اليوم فقط ، وخلص ضميرك اذن وقل لهم الحقيقة حبا في الله » (٦٦) لكن المدينة قد سقطت بعد تسعة عشر شهرا من حصار الصليبيين ، وتحرك المسلمون لقتالهم ، طبقا لأوامر السلطان الكامل وتحت تكثيف الهجمات الاسلامية على الصليبيين تقدم « فرنسيس الاسيزي » الى المعسكر الاسلامي من أجل الدخول في صلح مع المسلمين . الا ان محاولاته باءت بالفشل (٦٧) .

ومهما يكن من أمر القتال بين الطرفين ، فقد تواردت الرسل في سنة ٦١٨ هـ / نهاية ١٢١٩ م على سبيل الصلح على أن يترك الكامل لهم جميع فتوحات صلاح الدين ، ما عدا الكرك والشوبك في مقابل تسليم دمياط للمسلمين (٦٨) ، وعندئذ انقسم المعسكر الصليبي بين مؤيد ومعارض ، اذ أيد « حنادي برين » المعاهدة ، وسانده في ذلك بارونات وبرونات انجلترا وفرنسا وألمانيا (٦٩) . ولا شك ان هذا الرأي له وجاهته ، لأنه اذا كانت الحملة قد أتت الى مصر للاستيلاء عليها كخطوة أولى لاسترداد بيت المقدس ، فقد تحقق لهم ذلك بعرض الكامل السخي ، أما رفضه فلا مبرر له ، وقد عارض الصلح المندوب البابوي بلاجيوس (٧٠) . Pelagius

وأسس بعض الصليبيين رفضهم ، على أمل وصول الامبراطور فردريك الثاني لمساعدتهم في الاستيلاء على مصر (٧١) . الذي اكتفى بإرسال بعض الامدادات فقط التي دعمت موقف بلاجيوس (٧٢) . الذي تركه بعض بارونات سوريا في ضيف ١٢٢٠ م ، وانسحبوا الى عكا (٧٣) . حيث كان المعظم يهاجم قلعة « قيسارية » ، وحاصر « عثليث » معقل الداوية (٧٤) .

هذا وقد أعلن رسميا في المعسكر الصليبي ان فردريك الثاني في الطريق الى مصر وخاصة بعد أن توجه البابا في سنة ١٢٢٠ م ، وقد مضت أسابيع ولم يحضر الامبراطور ، مما ترتب عليه ان فكر « لويس » دوق بافاريا في التقدم الى القاهرة ، ووافقه في ذلك بلاجيوس ، وكان عليهما أن ينفذا الخطة قبل الفيضان (٧٥) . لكن لم يعد لدى الصليبيين القدرة على التقدم الى القاهرة ، اذ تذكر المصادر الغربية الماصرة ، ان السلطان الكامل قد حطم السفن ودمر الكباري ، وهدم السدود على جانبي النهر . وكانت القوات الاسلامية متمركزة في الشرق كالطيور ، ووقفوا في المياه المخلوطة بالطين ، واستماتوا في القتال (٧٦) .

وازاء هذا تحرك الصليبيون من قاعدتهم دمياط متجهين الى القاهرة في أواخر يونيو ١٢٢١ م أوائل جمادى الأول ٦١٨ هـ (٧٧) . بعد أن وصلتهم امدادات من بينهما الأسقف الألماني « الريخ » Ulrich أسقف « پاسو » Passau (٧٨) . ولما رأى الكامل تحرك الصليبيين ، طلب مددا من المسلمين ، وقد وصلت الجموع الاسلامية فعلا الى الكامل ، ولذا بدأوا في قتال الصليبيين . الا ان الكامل جدد عرضه مرة أخرى على الصليبيين من أجل الصلح بنفس الشروط ، الآتفة الذكر ، لكن الصليبيين رفضوا مرة أخرى هذه الشروط . وطلبوا ثلاثمائة ألف دينار عوضا من تخريب سور القدس ، وأصرروا على تسليم الكرك والشوبك (٩٧) . ولكن لم

يستسلم الكامل للصليبيين ، إذ أخذ المسلمون يضيّقون عليهم السبل ، ويردون عليهم هجماتهم (٨٠) . فضلا عن أن الفيضان قد أعرق معظم الصليبيين ، مما ترتب عليه أن طلب الصليبيون الصلح مع المسلمين ، فأرسل بلاجيوس في السبت ٢٨ أغسطس ١٢٢١ م ، إلى الكامل في طلب الصلح (٨١) . وتسم عقده بين الطرفين بدون أدنى شرط على المسلمين (٨٢) . حيث أن هزيمة الصليبيين أخيرا أمام المسلمين في المنصورة - كما يذكر البعض - اضطرت الصليبيين إلى التخلي عن مكاسبهم وانتصاراتهم (٨٣) وفي حضور الملوك : الكامل محمد والمُعظم عيسى والأشرف موسى (٨٤) . وقع الصلح في شهر رجب ٦١٨ هـ / أغسطس ١٢٢١ م ، على أن يطلق أسرى الصليبيين مقابل جلائهم عن دمياط ، ويضيف بعض المعاصرين أن الطرفين قد وقعا معاهدة سلام لمدة ثماني سنوات فقط (٨٥) . كما أن الملك الكامل شك في نوايا الصليبيين ، من ثم أخذ كبارهم كرهائن عنده ، حتى يتأكد من عدم حدوث أي هجوم منهم إلى أن يتم جلائهم عن دمياط تماما ، فأخذ عنده : « حنادي برين » و « بلاجيوس » و « دوق بافاريا » ، ومقدمي الطوائف الدينية والعسكرية (٦٨) . وتضيف بعض المصادر العربية ، أن الصليبيين أخذوا من المسلمين رهائن من خواص السلطان ، مثل ابنه الصانع نجم الدين أيوب ، إلى أن يرد لهم ملوكهم ، وسلمت المدينة في ١٩ رجب ٦١٨ هـ (٨٧) / سبتمبر ١٢٢١ م . ودخلها الملك الكامل وأخوه .

وبعد أن تم توقيع المعاهدة وصلت بعض الامدادات إلى الصليبيين بدمياط من قبل الامبراطور فردريك الثاني (حوالى خمسة وأربعون « شينيا ») ، إلا أنهم عندما علموا بالهزيمة رجح بعضهم (٨٨) ، في حين أصرت بعض القوات التي أرسلها فردريك الثاني على الدفاع عن المدينة وعدم تركها مثل « هيرمان أف

سالزا » ، وهنرى كونت مالطة ، وفرسان كنيسة القدس « يوحنا » فضلا عن كثير من الألمان والإيطاليين الذين عارضوا الاتفاقية وأصرّوا على عدم تنفيذها ، ووقعوا في صدام مسلح بينهم وبين الفرنسيين مؤيدى الاتفاقية ، وسادت الفوضى بين الصليبيين عموما (٨٩) . إلا أن « حنا دى برين » عدد الفريق المعارض للاتفاقية بأن لم يمتثل للصلح مع المسلمين - فسوف يسلم عكا للمسلمين ، مما جعل الصليبيين جميعا يوافقون على الاتفاقية (٩٠) .

وهكذا انتهت الحملة الصليبية الخامسة ، دون أي نتيجة ايجابية بالنسبة للصليبيين (٩١) .

ويحرز البعض عرض الملك الكامل ، الصلح مع الصليبيين إلى توجيه خيفة من مجيء الامبراطور فردريك على رأس جيش ، هذا فضلا عن أسباب أخرى متعلقة بالوضع بين المسلمين والصليبيين (٩٢) . إذ خشي من استيلاء الصليبيين على مصر (٩٣) . خصوصا وأنه كان حريصا كل الحرص على وحدة الدولة الأيوبية تحت سلطته وسلطة أخوته ، وكانت له نظرة سياسية شاملة ، فهو يعلم جيدا أن الاستيلاء على مصر معناه الاستيلاء على بلاد الشام ، لأن وجود مصر في يد الأيوبيين معناه أن يعيش الصليبيون في بلاد الشام في خطر دائم ومهددين من ناحية مصر ، ومن هذا المنطلق عرض عليهم تسليم فتوحات صلاح الدين مقابل جلائهم عن دمياط ، فضلا عن أن الملك الكامل رأى أن وجود الصليبيين ببلاد الشام سوف يعفى المسلمين عموما من تضحيات في سبيل صد الخطر المغولي الذي بدت بوادره ، وهنا كرر الملك الكامل عرضه على الصليبيين مرة أخرى خشية أن يقع بين فكى الأسد ، أغنى المغول في الشرق والصليبيين بمصر والشام ، كذلك عرض الكامل الصلح عند سماعه ما تردد من استعداد الامبراطور فردريك

لمساعدة الصليبيين ، ويمكن القول بأن الكامل أراد أن يتخلص من الصليبيين ، بأى ثمن حتى لا يضيق على المسلمين مصر والشام .

ولا شك أنه كان فى مخيلة الكامل ، إذا استجاب الصليبيون لشروطه ، فمن السهولة إعادة الجبهة الإسلامية من جديد بالشرق ، وإعلانه مواجهة شاملة ضد الصليبيين ببلاد الشام ، كما فعل عمه صلاح الدين من قبل . ومن ثم فانه لا يمكن القول بأن الكامل كان يريد معايشة الصليبيين فى هدوء وسلام .

أما على من تقع مسئولية فشل الحملة الخامسة ؟ وهل كان عدم حضور فردريك الثانى على رأسها هو السبب فى فشلها ؟

فى الواقع هناك فريقان من المؤرخين : فريق ألقى تبعية فشل الحملة على الامبراطور فردريك وفريق آخر أعفى فردريك من المسئولية .

أما الفريق الأول فيرى ان عدم حضور الامبراطور فردريك على رأس الحملة فتت من عضدها مضمونيا ، وذلك كان سببا فى فشلها (٩٤) . ويؤيد بعض المؤرخين هذا رأى بأن البابوية اتهمته اتهاماً صريحا ، بأن تأخيراتة هى السبب فيما حدث للجيش الصليبي من هزائم (٩٥) .

وأما الفريق الآخر فيرى ان الامبراطور فردريك الثانى وان لم يخرج على رأسه الحملة ، ولكنه أرسل امدادات كثيرة الى الصليبيين بدمياط . كما انه عاقب بعض قواده الذين أرسلهم للحملة ولم يستطيعوا تحقيق أى شىء (٩٦) .

وكما يذكر بعض المؤرخين ان فردريك الثانى كان قد أخذ طلبات البابوية له - فى الخروج بالحملة - وسيلة لتحقيق مآربه وتوطيد سلطانه فى أوروبا (٩٧) . وهذا لا يعنى أنه تنصل من الحملة الصليبية وليس أدل على ذلك من أنه - كما سبق التفصيل - أرسل كثيرا من الامدادات الى الحملة منذ أن خرجت ، الى أن عقد الصليبيون الاتفاق مع المسلمين بدمياط وكان يتابع أخبارها أولا بأول ، ويذكر بعض الغربيين المعاصرين ، أن الأسقف « جيمس أف باتى » James of Patti أرسل خطابا الى هنريوس يقول فيه « ان النصور المصريين طاردوا الصقر الامبراطورى من برج دمياط الأبيض ، خجلا لكم وتحية الى السلطان ، هذا وقد انتقم فردريك من قادة المجموعات التى شاركت فى الحملة ، مثل هنرى كونت مالطة ، « والتر باليريو » Walter of Pateario أما أسقف « كاتانيا » Cataaia فقد هرب الى البندقية حيث مات هناك (٩٨) .

ولا شك ان وعود فردريك الثانى المتكررة للبابوية بالخروج على رأس الحملة قد وضع الحملة أمام دمياط فى موضع حرج ، أقرب الى الانتظار منه الى الهجوم ، واستمروا على هذا الوضع طيلة تسعة عشر شهرا الى أن استولوا على دمياط ، وهذا الانتظار قد أدى الى انقسام الصليبيين فى الرأى والمشورة على أنفسهم ، كما حدث بين المندوب البابوى « بلاجيوس » و « حنا دى برين » حتى انهم بعد أن استولوا على المدينة وفكروا فى التقدم الى القاهرة ، كانوا فى تردد لأنهم عرفوا من البابا أن الامبراطور سوف يحصل اليهم قريبا .

ومن ثم يمكن القول بأن الصليبيين كان لديهم العدد والعتاد والقدرة فى الدخول الى القاهرة ، اذ انهم استولوا على دمياط ، أما سبب هزيمتهم فيما بعد ، فهو انقسامهم على أنفسهم ، وأنهم

حينما قدموا ، كانت القيادة الاسلامية قد أعدت الجيوش وحصنت نفسها جيدا ، ولا شك ان طلبات الكامل للصلح فى حد ذاتها تسبب فى انقسام الصليبيين ، وتشتت وحدتهم ، فضلا عن هذا وذاك فانه - كما يذكر البعض - ان العوائق الطبيعية كانت سببا فى هزيمة الصليبيين (٩٩) .

الوضع السياسى فى الدولة الأيوبيه واثره على العلاقات الخارجية

لقد وحدت الحملة الصليبية الخامسة ، الاخوة الثلاثة اولاد الملك العادل ، نظرا لأن الخطر على أى منهم يشكل خطرا عليهم جميعا ، ولكن عندما انتهى هذا الخطر بدأت الخلافات تظهر على السطح من جديد فقد استعد المعظم عيسى بالتعاون مع أخيه المظفر شهاب الدين ومظفر الدين صاحب أربل ، لمهاجمة الأشرف موسى (١٠٠) ، لكن هذا الحلف لم ينجح لسببين ، الأول ان الكامل كتب للمعظم يهدده ويقول له « ان تحركت من بلدك سرت وأخذته منك » (١٠١) الثانى : ان الأشرف استعد عسكريا لمواجهة هذا الحلف ، وعلى أية حال اعتذر الملك المظفر لأخيه الأشرف عما حدث (١٠٢) . وهكذا تأكدت الوحشة بين الأشرف والمعظم ، ولم يكن هناك سبب لكى ينفر أى من الأخوين من الكامل ولكن مواقف المعظم أغضبت الكامل .

وفى سنة ٦٢٠ هـ ، فر الملك « الجواد يونس بن مودود » من الكامل الى المعظم ، فأرسل الكامل الى الملوك الذين فى خدمة الأشرف بالاتفاق معه (١٠٣) . ومن ثم جدد المعظم الحلف ضد أخويه وقد ضم : صاحب أربل وصاحب آمد وصاحب مازدين علاوة على حليف جديد هو جلال الدين الخوارزمى ، ولم ينجح هذه المرة

أيضا ، ذلك لأن الأشرف عرف ، اذ كان بالرقية ، فهاجم مازدين وضربها ، حيث شغل جلال الدين كما خرج عليه نائبه « بكرمان » (١٠٤) وأما المعظم فقصده حمص وحماه ، وطلب من الأشرف الرجوع عن مازدين مقابل أن يرجع عن حصن وحماه (١٠٥) ، وكتب الى الكامل بقول « وان قصدتني لا أخذك الا بعسكرك » (١٠٦) .

ومما سبق يتضح ان الشرق الاسلامى خلال هذه الفترة كان منقسما الى قسمين :

القسم الأول : ويشمل الملك المعظم عيسى وصاحب أربل وصاحب مازدين وصاحب الروم ، وجلال الدين الخوارزمى .

والقسم الثانى : ويشمل الملك الكامل والملك الأشرف وصاحب الموصل « بدر الدين لؤلؤ » وكان الأشرف يرغب فى ضم المعظم اليه ، نظرا لما للأخير من صلات ود وصداقة مع جلال الدين ، الذى بدأ يهاجم خلاط (١٠٧) ، فتوجه الأشرف الى المعظم بدمشق (١٠٨) ، ومكث عنده حتى منتصف ٦٢٤ هـ ، مما أقلق الملك الكامل ، لكنهما طمأناه (١٠٩) . وأصبح الأشرف كالأسير عند المعظم عيسى (١١٠) . كما طلب الأخير من الأول أن يحالف له على معاضدته ضد الكامل وصاحبى حماه وحماه (١١١) . وقد وافقه الأشرف على ما طلبه منه المعظم ، وعندما رجع الى الشرق فى جمادى الآخرة سنة ٦٢٤ هـ أعلن تقضيه للقسم (١١٢) . وقال انها يمين مكروه (١١٣) .

وفى اطار هذا الوضع شعر الملك المعظم بتخوف من جهة أخويه الكامل والأشرف ، وخاصة منذ سنة ٦٢٠ هـ (١١٤) . عندما حدثت بعض المواقف من أخويه ضده ، كما سبق القول ، ومن ثم فقد بدأ يعمل على تكوين جبهة مضادة لأخويه مع جلال الدين الخوارزمى (١١٥) .

وتشير المصادر أن أول سفارة أرسلها المعظم عيسى إلى جلال الدين الخوارزمي ، كانت في سنة ٦١٩ هـ ، بقيادة الصدر البكري (١١٦) . واستطاع الأخير أن يحقق نجاحا كثيرا للمعظم وأصبح جلال الدين دخرا للمعظم ، « وعاد بينهما معاقدة وإيمان » (١١٧) . وبالرغم من ذلك فقد كان بعض رجال المعظم يفضلون أن تكون هذه السفارة سرية حتى لا يعلم عنها أحد (١١٨) .

وفي سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م استولى جلال الدين على أذربيجان ، فأرسل إليه المعظم « الملق » ليجدد معه الحلف (١١٩) . وأرسل له رسالة أخرى في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م يغلب على الظن ، أنها لتأكيد التحالف ، والدليل على ذلك أن جلال الدين أرسل في نفس العام ، ابن القاضي مجير الدين قاضي الممالك برسائل إلى الأشرف والمعظم والكامل (١٢٠) .

هذا وقد حاول السلطان جلال الدين استغلال المعظم لمحاربة الخليفة العباسي بدعوى أن الأخير ساعد على قتل علاء الدين والده ، لكن المعظم رفض ذلك لأن الخليفة « امام المسلمين » (١٢١) . ولم يستطع جلال الدين تحقيق ذلك لظروفه (١٢٢) .

وفي ذي الحجة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م ، وصلت الصلوات بين المعظم وجلال الدين إلى عقد حلف ضد الأشرف (١٢٣) . ولما شعر الخليفة العباسي بذلك أرسل إلى المعظم ، جمال الدين يوسف ابن الجوزي ، ليثنيه عن غرضه ، ويقوم الخليفة العباسي بإصلاح ذات البين بينه وبين أخويه ، لكن المعظم رفض عرض الخليفة واعتبر أن الخليفة لا خول له ولا قوة ، وأيد وجهة نظره بالقول أنه لم يستطع أن ينجد المسلمين في دمياط (١٢٤) .

ومهما كان من أمر الصلوات بين جلال الدين والمعظم عيسى ، فإن الأشرف موسى عندما كان لدى أخيه المعظم سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م ، وجد الرسل لا تنقطع بين الطرفين ، بالإضافة إلى أن جلال الدين خطب ابنة المعظم ، ولكن لم تزف إليه (١٢٥) . فضلا عن الخلع التي أرسلها جلال الدين إلى المعظم (١٢٦) . مما جعل الكامل والأشرف في وضع لا يحسدوا عليه .

وبطبيعة الحال لم يكن على الكامل محمد أن يقف مكتوف اليدين أمام أعمال المعظم ، وخاصة عندما أصبحت الصلوات وطيدة بين المعظم وجلال الدين الخوارزمي ، مما يعرض الأشرف والكامل ، لخطر داهم ، إذ اعتقد الكامل أن في مخيلة أخيه المعظم ، فكرة الهجوم على مصر لا تتزاعها منه ، ومن هذا المنطلق بدأت الشكوك تراود الملك الكامل تجاه أخيه المعظم ، وعليه أن يضع حدا لما يقوم به أخيه ، فهو أن خرج إلى الشام ، فمن الممكن أن ينتصر على قوات المعظم منفردة ، لكن إذا حضرت قوات جلال الدين الخوارزمي فربما لا يتمكن من صدها ، ويترتب على هذا أن تسير بلاد الشام بيد جلال منكبرتي ، وبالتالي تضيق الدولة الأيوبية ، إذ أنه لا يرضى جلال الدين أن يكون تحت إمرة المعظم عيسى . ولا شك أن جلال الدين سيكون نقمة على الجميع ، وليس أدل على ذلك من أن القاضي عز الدين القزويني - قاضي جلال الدين - قد نصح رسول المعظم والقاضي مجد الدين - اللذين كانا عند جلال الدين ، يتناقشان في بعض الأمور الخاصة بالتعاون بين جلال الدين والمعظم - بقوله : « ما رأي صاحبك ، (المعظم) في ميله إلى هؤلاء الخوارزمية عن أخوته السلاطين ؟ وإيم الله إن معاداة أخوته أنفع له وأعود عليه من مصافاة هذه الطائفة ، وسيندم على ما يفعل حين لا تنفعه الندامة » (١٢٧) وفي هذه الرواية مبالغة ، فربما كان هناك خلاف بين القاضي عز الدين القزويني ، وبين جلال الدين ، مما دفعه إلى محاولة إحباط محاولات الصداقة بين

انظرين ، الا انها تدل فعلا على أن صداقة جلال الدين للمعظم ،
أنفع للأول من صفاء المعظم لأخوته .

وأمام الأخطار المتوقعة من تحالف المعظم مع جلال الدين
الخوارزمي ، فكر الكامل في كيفية مواجهتها ، وخاصة بعد أن
أرسل إلى أخيه المعظم في السنوات السابقة ، يشنيه عن محاولاته ،
ولكن دون جدوى ، فلم يكن أمامه من خيار إلا الطريق العسكرى ،
وعليه أن يستعين بقوة أجنبية ، ليست أكبر من قوة المعظم فحسب
ولكن أكبر من الخوارزمية أيضا ، وكان هناك قوتان عظيمتان هما ،
الغول في الشرق والإمبراطور فردريك الثاني في الغرب الأوربي ،
الذي كان على رأس الإمبراطورية المقدسة .

أما الغول وقتئذ فكانوا منصرفين إلى القتال في
الصين (١٢٨) . فليس من السهولة أن يستجيبوا لنداءات الكامل ،
هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لم يكن الغول يتطلعون إلى بلاد
الشام حينئذ ، ومن هنا كان على الكامل أن يستبعد فكرة الاستعانة
بالغول ، وعليه أن يبحث عن القوة الأخرى ليستعين بها ، ألا وهي
قوة الإمبراطورية الرومانية المقدسة .

وترجع جذور العلاقة بين الإمبراطور فردريك الثاني والكامل
محمد إلى الاتصالات الدبلوماسية التي دارت منذ فترة سابقة بين
أباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة ورجال البيت الأيوبي ،
وقد حاول فردريك الثاني ، الذي اختير إمبراطورا على الإمبراطورية
الرومانية المقدسة ، أن يستمر في هذه العلاقة ، فيذكر البعض
أن فردريك الثاني أرسل إلى الملك العادل بالقاهرة سنة ١٢١٥ م ،
سفارة بقيادة « سيفالو » Cefalu لتجديد المعاهدات التجارية
بين الدولتين ، كما تشير بذلك الكتابة المنقوشة على إحدى

اللوحات الزيتية في كنيسة « سيفالو » (١٢٩) أي بعد تولية
الملك الكامل حكم مصر ، بأربع سنوات - نيابة عن والده .

هذا وقد كان موقف الإمبراطور فردريك الثاني من الحملة
الصليبية الخامسة مرضيا إلى حد كبير بالنسبة للملك الكامل ، الذي
شعر بأن تأخر فردريك عن الحضور إلى الحملة ، ليس معناه ، التقاعس
نهائيا عن الفكرة ، خصوصا وقد زادت الضغوط البابوية عليه
- كما سيأتي ذكره - لأن فردريك قد تعهد بنفسه أمام البابوية
بأنه سوف يخرج إلى الشرق ، وعلى أية حال ، فقد رأى الكامل
أن فردريك سيأتي إلى الشرق رضى الكامل أم لم يرض ، وعليه
فقد أراد الأخير أن يستغل العلاقة ، التي بينه وبين فردريك الثاني ،
لصالحه وضد أخيه المعظم جلال الدين الخوارزمي معا ،
ومن ثم أرسل الملك الكامل - كما تذكر المصادر - الأمير فخر الدين
يوسف بن صدر الدين شيوخ الشيوخ ، إلى الإمبراطور فردريك
الثاني (١٣٠) . في خريف ١٢٢٦ م / ٦٢٤ هـ ، وقد استقبل
الإمبراطور البعثة الأيوبية في صقلية ، ولاشك أن فخر الدين كان
يحمل في جعبته ، جوانب قضية الملك الكامل مع أخيه المعظم ،
كما أنه طرحها أمام فردريك ، طالبا منه أن يقف موقفا مؤيدا لملك
الكامل ضد أعدائه .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الكامل أرسل - إلى فردريك
الثاني منحا مغرية نظير مساعدة الأخير له ، وكانت هذه
المنح - كما أجمعت عليها المصادر المعاصرة في الجانبين - أن يعطيه
الكامل ، البيت المقدس ، وبعض الفتوح الناصري (١٣١) ، وقد كان
الملك الكامل يرمى من وراء ذلك إلى هدفين :

الأول : أن يشغل الملك المعظم بقدم فردريك الثاني إلى
الشرق (١٣٢) ، ويرجع عن مفاوضاته مع جلال الدين الخوارزمي .

والثاني : أنه وعد فردريك الثاني ببيت المقدس ، وبذا فإن الملك الكامل لن يخسر شيئاً من ملكه ، ذلك لأن بيت المقدس ، كان حينئذ تحت سيطرة المعظم عيسى .

وعلى كل ، فقد رحب الامبراطور فردريك الثاني بالفكرة ، وأيد القضية التي جاء من أجلها ، الأمير فخر الدين ، اذ اعتقد فردريك أنه بذلك سيستعيد مملكة أورشليم ، كما كانت قبل فتوحات صلاح الدين (١١٣٣) . وبالرغم من أن فخر الدين قد هباً المجال لفردريك ، الا ان الأخير كان عليه - اذ جاز التعبير - جس نبض الملوك الأيوبيين بالشرق ، وبخاصة الأطراف المعنية في هذا النزاع .

ولما كان الموقف لا يحتمل التروى أو التمهّل ، فإن الامبراطور فردريك سارع بإرسال مبعوثين من طرفه مع الأمير فخر الدين الى الملك الكامل (١١٣٤) . هما « برنارد » Bernard كبير أساقفة « بالرمو » و « توماس الاكوينى Thomas of Aquino (وتوما أكبر Acerra) (١١٣٥) . ومعهما هدايا نفيسة عبارة عن : عدة خيول ، منها فرس الملك ، بمركب ذهب مرصع بجوهر فاخر ، وجوارح (١١٣٦) . وقد رحب الكامل بهذه السفارة ، أيما ترحيب ، وليس أدل على ذلك ، من أنه أقام للسفارة الامبراطورية السراقات على طول الطريق ، منذ أن نزلت ميناء الاسكندرية حتى القاهرة ، كما خرج السلطان بنفسه لمقابلة السفارة خارج القاهرة ، وأكرمها اكراما زائدا ، وأنزلها في دار الوزير « صفى الدين ابن شكر » (١١٣٧) . ويضيف البعض أن هذه السفارة اجتمعت بالسلطان الكامل في بلاطه ، وقد تأكدت من وجهات نظره حول المقترحات التي طرحها الأمير فخر الدين ، كما أعربت السفارة عن أملها في كسب صداقة السلطان ، وخرجت من مصر ، ومعها اعتمادات الكامل على المقترحات (١١٣٨) .

وكان على السفارة أن تقابل المعظم عيسى بدمشق ، لعله يرجع عن قصده ، فعرضت عليه ما طرحه الملك الكامل بالاتفاق مع الامبراطور فردريك الثاني ، فما كان من سلطان دمشق الا أن رد على « برنارد » رئيس الأساقفة ، بقوله « قل لصاحبك (فردريك) ما أنا مثل الغير ، ما له عندي سوى السيف (١١٣٩) » ، كان هذا كفيلا بحسم القضية ، وقطع الشك باليقين ، اذ أن سفري فردريك تأكدا من موقف المعظم الذي لا هوادة فيه ، وأنه عازم على محاربة الجميع ، وأرسل المعظم الى حليفه جلال الدين الخوارزمي ، ليوثق معه الترتيبات الأخيرة ، كما وعده بأنه سيخطب باسمه في دمشق ويضرب له السكة ، ويذكر البعض أنه قطع الخطبة للملك الكامل (١١٤٠) . وكاتب الأشرف موسى يستعطفه (١١٤١) ، ليوقف بجانبه ضد أخيه الكامل وصديقه الامبراطور فردريك الثاني ، الا أن الأشرف لم يستجب له بل عنفه على ما صدر منه .

وعندما علم الملك الكامل بما أستحدثه المعظم من علاقات بالخوارزمي خرج من القاهرة قاصدا دمشق في رمضان ٦٢٤ هـ / سبتمبر ١٢٢٧ م ، ووصل بلبس ، الا أن المعظم أرسل له رسالتين ، رسالة سرية ، وأخرى علنية يقول فيها « أنى مملوكك وما خرجت عن محبتك ، وطاعتك ، وحاشاك أن تخرج لمقابلتي ، وأنا أول من أنجسك ، وحضر الى خدمتك من جميع ملوك الشرق » (١١٤٢) وكانت هذه الرسالة بمثابة تخدير لأعصاب الكامل ، لذلك يرجع الى قلعة الجبل ، ثم يلقي القبض على بعض الأمراء مثل الأمير « فخر الدين الطنبغا » و « فخر الدين الفيومي » (١١٤٣) لشككه في ميلهما الى أخيه المعظم .

وأما المعظم فقد أخذ يحتاط لنفسه ضد أعدائه ، وبخاصة الامبراطور فردريك الثاني ، فاهتم بجهازه الخاص بالتجسس

- أو جهاز المخابرات إذ جاز التعبير - وأدخل فيه النساء ، إذ أن المرأة لعبت دورا كبيرا في جمع المعلومات عن نوايا الامبراطور فردريك الثاني ، الذي أرسل فارسا من طرفه ليقوم بعملية تمويه على حملته ، حتى يفاجأ المعظم بها ، إلا أنه كانت هناك امرأة جميلة ببلاد الشام ، استطاعت أن تتصل بالملك المعظم ، الذي أعطاها ملابس ملونة ، وعنبرا ، وحريرا ، واجتمعت بالفارس - الذي أرسله فردريك - فأعجب بها ، وبدأ يسلمها رسائل الامبراطور ، التي كانت بدورها ترسلها إلى الملك المعظم ليطلع عليها ، ثم يرسلها إلى الامبراطور ثانية ، ويذكر له أنه لو جاء بجيش جرار فسوف يحاربه ، وذلك لن يكلفه كثيرا إذ يقول « وأحفظ الخطير بالحقير » (١٤٤) .

كذلك استعمل الملك المعظم ، الرهبان الموجودين في « الشوبك » في مهام التجسس على أخبار حملة الامبراطور فردريك الثاني ، فأصدر ذات مرة أوامر إلى « والي » الشوبك بطرد أحد الرهبان إلى البحر ، وهذا الطرد كان تمويها لاختفاء مهمة الراهب الحقيقية وهي جمع معلومات عن حملة فردريك وليس أدل على ذلك من أن هذا الراهب ، بعد ما قام بمهمته ، وهب له المعظم بعض الأرض ليعيش منها ، كما أعطاه مائة دينار (١٤٥) .

ولم يكتف المعظم بجمع أخبار حملة الامبراطور فحسب ، بل أهتم أيضا بالتجهيزات العسكرية في طرابلس (١٤٦) . حتى تتصدى لأي هجوم بحري من جانب الامبراطورية المقدسة أو مصر .

ومهما يكن من أمر المعظم ، فإنه رفض الأخذ بما جاءت به السفارة الامبراطورية ، مما ترتب عليه أن غادرت السفارة بلاد الشام ، ورجعت إلى الامبراطور فردريك الثاني ، تخبره بأن السلطان الكامل يشاطره الفكرة في القيام بحملة إلى ما وراء

البحار (١٤٧) . وتذكر بعض المصادر الغربية المعاصرة ، بأن « توما الأكويني » العضو الثاني في السفارة ، قد وصل عند الامبراطور ، وأخبره بموت المعظم عيسى ، في نوفمبر ١٢٢٧ م / ذي القعدة ٦٢٤ هـ وأن ابنه « الناصر داود » لم يبلغ سن الرشد (١٤٨) وأغلب الظن أن « برنارد » وصل إلى الامبراطور فردريك قبل « توما الأكويني » إذ أن الأخير بقي بعض الوقت في الشرق ، والدليل على ذلك أنه عندما وصل إلى الغرب ، نقل معه أخبار وفاة المعظم .

وعلى كل فإن الملك الكامل كان حريصا على إرسال هدايا إلى الامبراطور ، ردا على هديته سالفة الذكر ، ومن ثم جهز هدايا غالية ، فيها من تحف الهند والعراق والشام ، ومصر والمجم ، وكذلك سرج من الذهب ، وجوهره بعشرة آلاف دينار مصرية ، وهذه الهدايا أثنى من الهدايا التي أرسلها الامبراطور ، وقد بعث على رأس هذه السفارة ، جمال الدين بن منقذ الشيرازي (١٤٩) .

وفي خريف سنة ١٢٢٧ م / أوائل ٦٢٥ هـ ، أرسل الملك الكامل سفارة دبلوماسية إلى الامبراطور فردريك الثاني ، برئاسة الأمير « فخر الدين بن شيخ الشيوخ » ولم تذكر المصادر شيئا عن سبب هذه الزيارة ، هذا وقد أهدى الامبراطور ، الأمير فخر الدين شارة الفرسان - ذلك لأنهما أصبحا أصدقاء نتيجة للقاءات التي تمت بينهما في الامبراطورية المقدسة (١٥٠) .

وصفوة القول ، أن اتجاه الملك الكامل إلى الامبراطور فردريك الثاني واستجابة الأخير بهذه السرعة ، له دلالات كثيرة ، لعل أهمها : أن الامبراطور قد كان ينوي القيام بحملة إلى الشرق ،

- (١) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٨٠ .
 وأيضا محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .
 (٢) سعيد عاشور : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٨١ .
 وانظر وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ .
 (٣) رافت عبد الحميد : المشكلة الإيطالية في السياسة الألمانية ، ص ٢٨٥ .
 (٤) Kantorowicz (E.) : Frederick The Second, London, 1931. p. 55.
 (٥) Ibid., pp. 55 F.
 (٦) Ibid., p. 63.
 (٧) Ibid., p. 74.
 Cf : Hayes (J.H.) : History of Europe. p. 282.
 Cf : Maslin (E.H.) : The Middle Ages, p. 495.
 Thatcher (O. J.) & McNeal (E.H.) : Op. cit., pp. 230 F. (٨)
 Promise of Frederick to Innocent III, 1213 no. 134.
 (٩) محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .
 (١٠) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 63.
 (١١) محمود سعيد عمران : نفس المرجع ، ص ١٢٢ .
 سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .
 (١٢) سعيد عاشور : فردريك الثاني والشرق العربي ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية • المجلد الحادي عشر لسنة ١٩٦٣ ، ص ١٩٦ .
 (١٣) Tout : The Empire and The Papacy, p. 259.
 (١٤) عبد الشافي غنيم عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٧١ .
 (١٥) نفس المرجع ، ص ٢١٨ .
 (١٦) رافت عبد الحميد : المشكلة الإيطالية في السياسة الألمانية ، ص ٢٨٦ .
 وأيضا سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٨٣ .

وذلك وفاء بنذره ، وعهده الذي أخذه على نفسه أمام البابا ،
 ارضاء لها ، وليس اقتناعا • على أية حال فإن استنجد الكامل
 بفردريك ، هذا شيء جديد ، وغير مألوف في فترة غلب فيها
 الطابع الحربى بين الشرق والغرب ، فى نفس الوقت ، الذى كان
 فيه الشرق دائما وأبدا يعمل على تسكين الوضع فى أوربا وعدم
 اثارتهم عسكريا ، والعمل على القضاء على البقية الباقية من الصليبيين
 بالشرق ، لذلك فإن الدارس لتاريخ الكامل الأيوبى وفردريك
 الثانى ، يجد أن هناك نوعا من التقارب الفكرى والعقل بين الرجلين ،
 إذ أن فردريك كما سبق القول نشأ فى كنف الحضارة الإسلامية ،
 بصقلية ، وتأثر بأفكار وآراء المسلمين • وكان يعرف اللغة العربية
 من بين ست لغات كان يجيدها (اليونانية واللاتينية والإيطالية
 والألمانية والفرنسية) • كما أن أحد المسلمين قد علمه الدين
 الإسلامى ، والجدل (١٥١) •

ومن هذا المنطلق ، فإن فردريك الثانى كان يميل إلى
 المسلمين عامة وإلى الملك الكامل خاصة ، بصفته أقوى حاكم فى
 الشرق الإسلامى آنذاك وربما يكون الأمبراطور فردريك قد اعتقد ، أن
 الكامل محمدا قد تساهل تجاه الصليبيين ، وخاصة عندما عرض
 الكامل عروضاً سخية عليهم ، أبان الحملة الخامسة ، فيكون
 بذلك قد كسر الحاجز النفسى بين الطرفين ، ومن ثم فلا غرابة أن
 يحدث نوع من التقارب بين الاثنين ، إذ يذكر بعض المؤرخين أن
 الملك الكامل كانت له صداقة وطيدة بالنبلاء الأوربيين (١٥٢) •

Stevenson (W.B.) : The Crusaders in the East, p. 307. (٢٢)

Setton (K.M.) : History of the Crusades, Vol. 2, p. 432. (٢٣)

Wiegler (P.) : The Infidels Emperor, p. 107. (٢٤)

(٢٥) محمود سعيد عمران : نفس المرجع ، ص ٢٢٠

Ibid., p. 107. (٣٦)

(٢٧) حسنين محمد ربيع : رسالة الصليبيين إلى الامبراطور فردريك الثاني ، أثناء حصار دمياط ، ١٥ يونيو ١٢٢٨ م ، ندوة قصر وعالم البحر المتوسط ١٢ - ١٥ أبريل ١٩٨٥ م ، بأداب القاهرة ، تحت الطبع .

(٢٨) قاسم عبده قاسم : الشعر والتاريخ ، دراسة تطبيقية على شعر الحركة الصليبية ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٢٨ / ٢٩ لسنة ١٩٨٢/١٩٨١ م ، ص ١٠٧ .

(٢٩) رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٢٩٢ .

Wiegler (P.) : Op. cit., pp. 103, 107. (٤٠)

Cf : Michoud : Histoire des croisades, Tome 3, p. 2.

Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., pp. 433-435 F. (٤١)

Cf : Deer (J.) : Der Kaiserernat Friedrichs II, speculum, Vol 29, Berm, 1952, April, 1954, p. 272.

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 98. (٤٢)

Ibid., p. 105. (٤٣)

وانظر ستيفين رنسيمان : نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

King (E.J.) : Op. cit., p. 195. (٤٤)

Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 435.

(٤٥) المارشال : من كبار القادة العسكريين بمملكة بيت المقدس ويلي في الرتبة الكندسطل Constable ويدين له بالطاعة ، بعد أن يحلف يمين الولاء للملك والسادة الذين يحصل منهم على اقطاعات ، وينظر في أمور الجند المأجورة ويتلقى منهم يمين الولاء ويفصل فيما يقع بينهم من خصومات ومنازعات . وهو مسئول عن جميع ما يقع في أيدي الجند من خيول الاعداء أثناء القتال . اذ يفيد منها في تعويض مما هلك ، ان أصيب مثل الجند في المعركة ، انظر =

King (E.J.) : The Knights hospitallers in the Holy Land (١٧) p. 136.

(١٨) محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٤١ .
وانظر : ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٤ .

(١٩) King (E.J.) : Op. cit., p. 186.

(٢٠) Ibid., p. 186.

(٢١) وعندما علم اباؤ هؤلاء الاطفال بالامر إتجهوا إلى والد نيقولا وشنقوه .

انظر : محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٤١ .
وأيضا : عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٦٧ .

(٢٢) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٤٤٦ .

(٢٣) يذكر البعض أن نيقولا شارك في الحملة الصليبية الخامسة ، كما اشترك أثناء حصار دمياط ، وأخيرا عاد إلى وطنه ، وآخرون يقولون أنه مات في إيطاليا . انظر عبد الغنى محمود عبد العاطي : صليبية الاطفال ، مقال بندوة التاريخ الاسلامي والوسيط ، مجلد ٣ ، ص ١٧٩ .

(٢٤) مكسيموس مونروند ، الحروب المقدسة في الشرق ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

وانظر محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٢٥) انظر محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٦٤ - ١٦٨ .

(٢٦) Thatcher (O.J.) : & McNeal (E.H.) : Op. cit., pp. 230 F. promise of Frederick II to Innocent III, 1213, No. 134.

Stephenson (C.) : Medieval History, p. 465. (٢٧)

وانظر عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٧٣ .

وأيضا نظير حسان سعدوى : الحرب والسلام ، ص ٢٨ .

(٢٨) Thatcher (O. J.) & McNeal (E.H.) : Op. cit., p. 135, p. 232, promise of Frederick II to resign sicily after his coronation as Emperor, 1216
وانظر نص الوثيقة ، ملحق رقم ٩

(٢٩) محمود سعيد عمران : نفس المرجع ، ص ١٧٤ .

(٣٠) نفس المرجع ، ص ١٧٥ .

(٣١) لمزيد من التفاصيل ، انظر : محمود سعيد عمران . نفس المرجع

ص ١٩٧ .

السيد البار العربي : الاقطاع الحربي عند الصليبيين بمملكة بيت المقدس ،
حاشية ٥ ، ص ٢١ .

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 107 & Cf : Setton (K. M.) : (٤٦)
Op. cit., Vol. 2., p. 436.

Stevenson (W.) : Op. cit., p. 307. (٤٧)

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 102 F. (٤٨)

(٤٩) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٢٢ .

(٥٠) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ٢ ، ص ١٠٨ .

١٠٩ .

(٥١) برج السلسلة هو حصن بناه المسلمون وسط مجرى النهر لحماية

المدينة ودفع أي عدوان يقع عليها .

انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٢٥ .

(٥٢) أبو شامة : المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

شيخ الشيوخ كان لقباً فخرياً في عصر الأيوبيين يطلق على شيخ الخانقاه
الصلاحية التي بناها صلاح الدين « سعيد السعداء » انظر : حسن الباشا :
اللقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٣٦٦ .

(٥٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٥٤) ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ٤ ، تحقيق

حسين ربيع القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٥٥) Lamb (H.) : The crusades. p. 247.

King (E.J.) : Op. cit., p. 193. (٥٦)

(٥٧) ابن واصل : نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ١٨ .

(٥٨) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٢٢ .

(٥٩) ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٦٠) الدواداري : الدر المطلب في أخبار بني أيوب ، ج ٧ ، ص ٢٠٦ .

(٦١) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١١٦ .

(٦٢) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٤٩ ، ٦٤ ، ٦٥ .

(٦٣) إبراهيم الحنبلي : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، ورقة ٨٢ .

(٦٤) عزيز موريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٧٥ .

Hiberno (L.W.) : Annales Minorum, Tomus I (1202-1220), prope Florention, 1931, p. 356. (٦٥)

Ibid., p. 359. (٦٦)

Ibid., p. 360. (٦٧)

وانظر : أوميرا انجليبرت : حياة القديس فرنسيس الأسيزي ، ترجمة
أحد الآباء اللبثانيين ، ص ١٧٤ ، وعن مساعي فرنسيس الأسيزي بالتفصيل
انظر نفس المرجع ، ص ١٧٠ - ١٧٧ .

Wiegler (P.) : The Infidel Emperor, p. 107. (٦٨)

وانظر أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 108. (٦٩)

Ibid., p. 108. (٧٠)

Archer (T.A.) : The crusades, p. 378. (٧١)

Lamb (H.) : The crusades, p. 248. (٧٢)

Ibid., p. 247. (٧٣)

(٧٤) ستيفن رنسيان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ .

(٧٥) ستيفن رنسيان : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 107. (٧٦)

(٧٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٢٧ .

(٧٨) محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٣٦٤ .

(٧٩) ابن الوردي : تنقيح المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢١١ .

(٨٠) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٢٧ .

وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٢٨ - ٩٢٩ .

(٨١) ستيفن رنسيان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ .

(٨٢) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٤٠٤ .

Michoud : Historie de Croisades, Tome 3, p. 2. (٨٣)

(٨٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٩٥ .

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 107. (٨٥)

Cf : King (E.J.) : Op. cit., p. 197.

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 108. (٨٦)

(٨٧) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٨٨) أماري : المكتبة المصقلية ، ص ٢٢٢ .
(٨٩) Ibid., p. 108.

وانظر : سامي سلطان سعد : أسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأدنى والجمهوريات الإيطالية ، ص ٧٨ .

(٩٠) محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ٤٠١ .

(٩١) لمزيد من التفاصيل على نتائج الحملة الخامسة : انظر محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، وأيضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، الفصل الخاص بالحملة الخامسة ، ص ٩٢٠ - ٩٤١ .

(٩٢) انظر عن الأسباب بالتفصيل : سوسن نصر : الاخوة الملوك اولاد الملك العادل ، دكتوراه - دار العلوم ، ص ٢١٤ .

(٩٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٤٠ .

(٩٤) Antheny (S.) : The crusades, p. 70.

وانظر عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٦٩ ، وكذلك رنسيان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٢ .

(٩٥) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 2.

وانظر محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٤١٨ - ٤٢٨ .

(٩٦) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 108 F.

(٩٧) محمود سعيد عمران : نفس المرجع ، ص ٤٢١ .

(٩٨) Wiegler (P.) : Op. cit., pp. 108 F.

(٩٩) عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٦٩ .

(١٠٠) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ٦٢٥ .

وانظر ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٧٤ .

وأيضا ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٩٩ .
(١٠١) المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ق ١ ، ص ٢٥١ .

(١٠٢) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٤٠ .

(١٠٣) المقرئزي : المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

(١٠٤) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٧٦ - ١٧٨ .

(١٠٥) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٨٧ .

(١٠٦) المقرئزي : السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٥٧ .

(١٠٧) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١١١ .

وانظر ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٣ ، ص ١١٢ .

(١٠٨) ابن شامة : النيل على الوضبتين ، ص ١٤٥ .

(١٠٩) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١١٢ .

(١١٠) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٤ .

(١١١) ابن الفدا : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٧ وأيضا العيني : عقد

الجهان في تاريخ أهل الزمان ، ج ١٨ ، ق ١ ، ص ٤٠ .

(١١٢) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ .

(١١٣) ابن الوردي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .

(١١٤) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٥٥ .

(١١٥) استطاع جنكيز خان ملك المغول أن يهزم دولة الأتراك الخوارزمية

سنة ١٢٢٠ - ١٢٢١ م / ٦١٧ - ٦١٨ هـ ، وفر جلال الدين الخوارزمي إلى الهند .

وعندما علم بعودة جنكيز خان إلى قراقورم ، في جوف آسيا رجع إلى فارس

حتى أقام الدولة الخوارزمية من جديد ، واتخذ «اصطهان» عاصمة له ، وهاجم

ال خليفة العباسي ، وطارد جيوشه سنة ١٢٢٢/١٢٢٥ م . انظر محمد بن أحمد

التنسي : سيرة جلال الدين منكبرتي ، نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدي ، القاهرة

١٩٥٣ م . وأيضا : حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، وأيضا

سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ١٠٣ ، وكذلك : ستيفن رنسيان :

الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٣٢٦ .

(١١٦) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٦٢٣ .

(١١٧) الدواداري : الدر المطلب ، ج ٧ ، ص ٢٦٧ . وانظر : سوسن

محمد نصر : بنو أيوب مع الخوارزمية والمغول والمماليك في شمال الجزيرة ،

المجلة التاريخية المصرية / مجلد ٣٠ ، سنة ١٩٨٤ ، ص ٦٣ - ٦٤ .

هذا وعندما رجع البكري من سفارته ، عينه العظم في مشيخة الشيوخ

بالإضافة إلى وظيفته الأساسية وهي الحسبة ، انظر : إبراهيم الحنيدلي :

شقاء القلوب في مناقب بني أيوب ، ورقة ٨٥ .

(١١٨ ، ١١٩) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ص ٦٢٣ - ٦٢٤ .

٦٢٣ .

(١٢٠) المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ق ١ ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

- (١٢١) الدواداري : المطلب في أخبار بني أيوب ، ج ٧ ، ص ٢٦٩ .
 وانظر سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .
 (١٢٢) الحافظ شمس الدين الذهبي : ديوان الإسلام ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .
 (١٢٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .
 وانظر ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٨٧ .
 وأيضا أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .
 (١٢٤) الدواداري : المطلب في أخبار بني أيوب ، ج ٧ ، ص ٢٨٠ .
 (١٢٥) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٤ .
 وانظر أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .
 (١٢٦) الدواداري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٨١ .
 (١٢٧) محمد بن أحمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .
 (١٢٨) ستيفن رنسيان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٣٢٦ .
 وانظر السيد الباز العريضي : مصر في عصر الأيوبيين ، ص ١١٨ .
 (١٢٩) محمد عبد العزيز عزيز : حملة فردريك الثاني الصليبية على بلاد الشام رسالة ماجستير ، جامعة بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .
 (١٣٠) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .
 وانظر أبو الفدا : المصدر السابق ، ص ١٢٨ .
 وانظر : مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة في الشرق ، م ٢ ، ص ٣٧٤ .
 Cf : Wiegler (P.) : Op. cit., p. 132 .
 (١٣١) إبراهيم الحنبلي : شفاء القلوب ، ورقة ٨٥ .
 وأيضا الحنبلي : الأئمة الجليل ، ج ١ ، ص ٤٠٥ .
 Cf : Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 13.
 Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 449.
 (١٣٢) ابن الوردي : المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .
 Stevenson (W.B.) : The crusaders in the east, p. 310. (١٣٣)
 (١٣٤) أماري : المكتبة الغربية الصقلية ، من كتاب سير الأباء البطاركة ، ص ٣٢٢ .
 (١٣٥) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 132 .
 يذكر البعض أن « توماس أكيرا » كان وقتئذ بفلسطين ، انظر : ستيفن رنسيان : المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .
- (١٣٦) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .
 Cf : Setton (K.M.) 9 : Op. cit., Vol. 2., p. 449.
 (١٣٧) المقرئ : نفس المصدر والصفحة .
 Cf : Poole (S.L.) : History of Egypt in the Middle Ages, p. 226.
 (١٣٨) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 13.
 (١٣٩) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 133.
 وانظر : سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٦٤٢ .
 وأيضا : رنسيان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٢٧ .
 (١٤٠) المقرئ : السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٥٩ .
 (١٤١) ابن الوردي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .
 إبراهيم الحنبلي : شفاء القلوب ، ورقة ٨٥ .
 ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٧ .
 وأيضا العيني : عقد الجمان ، ج ١٨ ، ق ١ ، ورقة ٤٢ .
 (١٤٢) المقرئ : السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٠ .
 وانظر ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٥ ، ص ٣٥١ .
 (١٤٣) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .
 (١٤٤) سبط بن الجوزي : نفس المصدر ، ص ٦٤٦ ، ٦٤٧ .
 (١٤٥) نفس المصدر ، ص ٦٤٧ .
 (١٤٦) نفس المصدر ، ص ٦٤٨ .
 (١٤٧) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 13.
 (١٤٨) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 133.
 (١٤٩) المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٦٠ .
 وانظر أماري : المكتبة العربية الصقلية ، ص ٣٢٢ .
 Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 449.
 Bryce (J.) : The Holy Roman Empire, p. 205 F. (١٥٠)
 L'Empereur Frederic II : Questions Philosophiques Adressées Aux Savants Musulmans, Journal Asiatique au Recueil De Memories, Tome 1, F.M., 1853, Paris, p. 242. (١٥١)
 وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٥٢ .
 Poole (S. L.) : History of Egypt in the Middle Ages, p. 226. (١٥٢)

- (١٥٣) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .
 Cf : Setton (K.M.) 9 : Op. cit., Vol. 2., p. 449.
 (١٥٤) المقرئ : نفس المصدر والصفحة .
 Cf : Poole (S.L.) : History of Egypt in the Middle Ages, p. 226.
 (١٥٥) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 13.
 (١٥٦) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 133.
 وانظر : سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٦٤٢ .
 وأيضا : رنسيان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٢٧ .
 (١٥٧) المقرئ : السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٥٩ .
 (١٥٨) ابن الوردي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .
 إبراهيم الحنبلي : شفاء القلوب ، ورقة ٨٥ .
 ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٧ .
 وأيضا العيني : عقد الجمان ، ج ١٨ ، ق ١ ، ورقة ٤٢ .
 (١٥٩) المقرئ : السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٠ .
 وانظر ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٥ ، ص ٣٥١ .
 (١٦٠) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .
 (١٦١) سبط بن الجوزي : نفس المصدر ، ص ٦٤٦ ، ٦٤٧ .
 (١٦٢) نفس المصدر ، ص ٦٤٧ .
 (١٦٣) نفس المصدر ، ص ٦٤٨ .
 (١٦٤) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 13.
 (١٦٥) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 133.
 (١٦٦) المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٦٠ .
 وانظر أماري : المكتبة العربية الصقلية ، ص ٣٢٢ .
 Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 449.
 Bryce (J.) : The Holy Roman Empire, p. 205 F. (١٦٧)
 L'Empereur Frederic II : Questions Philosophiques Adressées Aux Savants Musulmans, Journal Asiatique au Recueil De Memories, Tome 1, F.M., 1853, Paris, p. 242. (١٦٨)
 وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٥٢ .
 Poole (S. L.) : History of Egypt in the Middle Ages, p. 226. (١٦٩)

(الفصل الخامس)

الحملة الصليبية السادسة على الشرق
وأثرها على العلاقات السياسية بين الامبراطورية
الرومانية المقدسة والدولة الأيوبية
(١٢٢٧ - ١٢٥٠ م / ٦٢٥ - ٦٤٨ هـ)

- محاولات البابوية للضغط على الامبراطور للقيام بحملة على الشرق .
- الامبراطور فردريك الثاني يخرج بالحملة الى الشرق .
- الامبراطور فردريك الثاني في الشرق .
- المفاوضات بين الامبراطور فردريك الثاني والملك الكامل محمد واتفاقية يافا .
- موقف المسلمين والصليبيين والبابوية من الاتفاقية .
- عودة الامبراطور فردريك الثاني الى الغرب الأوربي .
- صلات الامبراطور فردريك الثاني الدبلوماسية بهوائل الدولة الأيوبية ١٢٣٠ - ١٢٤٣ م / ٦٢٧ - ٦٤١ هـ .
- موقف الامبراطور فردريك الثاني من الحملة الصليبية السابعة .

لقد لعبت الأوضاع السياسية في أوروبا دورا كبيرا في موقف
الامبراطورية الرومانية المقدسة من العصية الصليبية ، وذلك خلال
السنوات الأولى من القرن الثالث عشر الميلادي ، الى ان اعتنى
الامبراطور فردريك الثاني عرش الامبراطورية ، فنظر الى هذه
القضية نظرة أخرى تختلف عن نظرة سابقة ، ومما دعم وجهة نظره
ما حل بالشرق الاسلامي من ظروف جعلت الامبراطور فردريك يتمادي
في نظره هذه غير مهتم بما يدور من حوله بشأن هذه القضية ،
وبلاشك كان لعلاقات ذلك الامبراطور بالبابوية دور في تحريك هذا
المشروع الصليبي ، ولم يكن ذلك عن اقتناع بجدواه بقدر ما هو
خوف من سخط البابوية عليه ، حيث تردد كثيرا بشأن
اتخاذ مثل هذا القرار الصليبي حتى وصل الامر الى قطيعة بينه
وبين البابوية ، وفي النهاية خرج معاندا لها واستطاع أن يحقق
ما عجز عنه الصليبيون والبابوية ، وكان هذا بداية صفحة جديدة
من العلاقات بين الامبراطورية والدولة الايوبية ، واستمرت
قاربة ربع قرن من الزمان ، وفيما يلي تفصيل ذلك :

محاولات البابوية للضغط على الامبراطور ، للقيام بحملة على الشرق :

انتظرت البابوية الامبراطور خمس سنوات من أجل الإبحار
الى الشرق ، ولكن دون جدوى ، وكان فردريك ، رغم انه على وفاق
مع البابوية ، يخشى أطماعها ، لذلك فقد حاول استرضاء البابا باعلانه
في مجمع اللاتران Alatin ، انه « مخطئ » من لا يعتبر نفسه حاميا
حمى الكنيسة الرومانية التي تعهدت برعايته ، وفي النهاية
وبمساعدة الرب ، قام بتربيته على الشطط ، وأنا أقولها بضمير

صاف ، اذ طبقا لمجلس الامراء ، فان ابني دوق سوابيا ، اختير ملكا
لالمانية ، وهذا سوف يتم خلال غيابي حتى يمكن ممارسة حكم افضل
لمجد المسيح ، ولم تدخل في الانتخابات الكنسية الدينية ، وقد
وضعت يدي على « باتري موينوي بيتري » والماركيز اسقف تورين
Turin هؤلاء شهود عيان بانني لم اطلب تحالفا من « فيارارا »
Ferrara (١) .

ولقد كان هناك اسباب اتخذها فردريك الثاني ذريعة لعدم
خروجه بالحملة ، منها ، خشيته من خصومه داخل ألمانيا ، ووفاء
زوجته « كونستانس » Constance في ١٢٢٢ م ، في كونتاني
Contania (٢) .

وعندما شعر البابا بتسويق فردريك ، اجتمع معه في
« فيرنتو » Ferentio في عام ١٢٢٣ م (٣) ، حتى يدفعه الى
التوجه بالحملة ، فاعاد فردريك تعهده بالقيام بحملة الى الشرق ،
وقال في خطابه الى البابا « السماء والأرض شاهدان على اني ارجب
في انتصار المسيحيين ، وانني لن آلو جهدا من أجل انتصارنا في
الحرب المقدسة » (٤) .

والحقيقة أن الامبراطور رغم هذا لم يكن راغبا حقا في هذه
الحملة ، ولقد ارسل « نيقولا الأول » Nicolas I بطريق طائفة
الملكانيين في الاسكندرية الى البابا هولوفيوس الثالث سنة
١٢٢٢ م / ٦١٩ هـ ، يطلب منه حث فردريك الثاني على الاسراع
في حملته ليشارك للصليبيين ، بسبب هزيمتهم في الحملة الخامسة ،
كما أن هذا البطريق وضع لفردريك خطة ، ينصحه فيها بدخول
« النيل من فرع » رشيد حتى مدينة « فوه » لأن هذا الفرع اوسع
وأعمق من فرع دمياط ، كما أن الجزيرة مليئة بالخيرات (٥) .

وكذلك شعر « حنادي برين » بمدى تقصير الغرب الاوربي
فأجبه الى ألمانيا في سنة ١٢٢٢ م ، وأخذ يحط في المسيحيين
ويذكرهم بمآسي الأرض المقدسة (٦) .

وقد اضطر الامبراطور فردريك الثاني امام هذه الضغوط
أن يتظاهر امام البابوية بأنه مهتم بالحملة ، فجهز لها في سنة
١٢٢٤ م ، مائة « شانية » Gall eggs وخمسين ناقلة للجنود
Capable ، وذلك لحمل جنود الحملة من المشاة والفرسان (٧) .

وبالرغم من هذا التظاهر الذي قام به فردريك الثاني الا أنه
لم يقتنع حتى هذه اللحظة بفكرة القيام بحملة الى الشرق ، في
نفس الوقت الذي يخشى على نفسه من سخط البابوية ، ومن ثم
ارسل اليها سبفارة من « هيرمان أف سالزا » و « حنادي برين »
والبطريك وآخرين ، يطلب من البابوية تأجيل خروج الحملة ، وعقد
مع البابوية اتفاقية « سان جرمانو » San Germano في ٢٥ يولي
١٢٢٥ م ، ونص هذا الاتفاق على الاحترام المتبادل بين الطرفين ،
وأن ينفذ الامبراطور فردريك مشروعه الصليبي . كما دفع
الامبراطور كفالة قدرها مائة ألف أوقية من الذهب في خزينة
البابوية (٨) ، كرهينة حتى يهتم بالخروج الى الشرق . على أن
يرد اليه هذا المقدار من الذهب عند وصوله الى الأراضي
المقدسة (٩) ، وقد تعهد أيضا بارسال ألف فارس الى الشرق
فورا وقبل خروج الحملة (١٠) ، التي تعهد بالقيام بها في ١٥
أغسطس سنة ١٢٢٧ م / ٦٢٥ هـ ، كميعاد نهائي ، على أن يبقى
في الأرض المقدسة لمدة سنتين (١١) .

ومهما يكن من أمر فإنه كان لابد من وجود دوافع حيوية
وهامة ، لقيام فردريك بالحملة وفاء بوعد ، الذي أجله أكثر من

مرة ، وقد فطن إلى هذا « هرمان أف سالزا » فتقدم بمشروع يقضى
بزواج الملكة « يولاند » Holand من الامبراطور فردريك الثاني
نفسه - بعد أن ماتت زوجته كونستانس كما سبق ذكره - وسوف
تكون زيجة رائعة ومتكافئة ، وأرضت الفكرة كبرياء حنادى برين
غير أنه تردد حتى ظفر بوعد من « هرمان أف سالزا » بأنه - أى
حنادى برين - سوف يحتفظ بالوصاية على العرش حتى
وفاته (١٢) .

وقد شجع كثير من كبار شخصيات بيت المقدس الذين
استدعوا إلى إيطاليا لمهام الحرب - هذه الزيجة وباركوها لما فيها
من ضمان مساعدة فردريك الثاني لهم (١٣) ، كما أبدى الامبراطور
نفسه استعداد له لقبول « يولاند » زوجة له حتى يتولى قيادة شئون
الأرض المقدسة (١٤) . ذلك لأن يولاند عند موت والدتها كانت
هى الوريثة لعرش بيت المقدس ، بينما والدها هو الوصى عليها ،
وكان مجرد حامل اللقب الفخرى للملك . ومما يجدر ذكره أن
عمر فردريك الثانى حينئذ كان خمسة وثلاثين عاما ، وبينما
« يولاند » كانت ابنة الأربعة عشر ربيعا .

وتمشيا مع سياسة البابوية لتحقيق هدفها من هذا الزواج
فقد طلبت من الامبراطور أن يتم الزواج فى الشام نفسها (١٥) ،
إلا أن الأخير أرسل إلى عكا هنرى كونت مالطة ومعه أسطول بحرى
من اثنتى عشرة سفينة ، بهدف اصطحاب « يولاند » إليه ، وقد
تم عقد القران فى صور بطريقة يحوطها الوقار والاحترام
للإمبراطور الغائب ، وكانت لحظات دهشة للجميع ، إذ قام الأسقف
الصقلى بوضع « دبلة » الامبراطور ، فى أصبع العروس « يولاند » ،
وقد استلم العروس بالتاج الخاص بمملكة بيت المقدس ، من أيدى
بطريرك الأرض المقدسة كما قدم فرسان مملكة بيت المقدس ولاءهم

لملكهم (١٦) ، وأبحرت الملكة من صور على متن سفينة ملكية تحت
حراسة أحد الفرسان ، وبصحبتها رئيس إساقفة صور « سيمون »
موجاستيل « وابن عمها « باليان » سيد صيدا إلى الامبراطور
فردريك الثانى (١٧) ، الذى كان ينتظرها فى « برنديزى » ، وقد
قالت يولاند عند مغادرتها بلاد الشام « استودعك الله يا سوزيا
اللطيفة ، لاني لن أراك ثانية (١٨) » ، هذا وكان ينتظرها فى
برنديزى مع الامبراطور « والدها » وقد استقبلاها فى التاسع من
نوفمبر عام ١٢٢٥ م / ٦٢٢ هـ (١٩) ، حيث تم عقد القران من
جديد فى الكاتدرائية ببرنديزى (٢٠) . ويضيف البعض بأن
فردريك جلد قسمة الصليبي بالتوجه بحملة إلى الشرق (٢١) .

ويذكر بعض المؤرخين أنه بمجرد أن أعلن الزواج ، اعتبر
فردريك نفسه امبراطورا على مملكة بيت المقدس (٢٢) وكان عليه
أن يتجه إلى الشرق ليس لنداءات البابوية فحسب ولكن أيضا
لأنه أصبح زوجا لوريثة بيت المقدس ، ويضيف أحد الباحثين بأن
الامبراطور استعمل لقبه الجديد من بداية شهر ديسمبر ١٢٢٥ م ،
وبعث ريتشارد أسقف أمالفى Amalfi إلى عكا حيث حصل على
مبايعة نبلاء الصليبيين ، وعين « أودولف مونبلييه Montbeliard »
نائبا على المملكة الأسمية ، كي لا يشير أى حساسية لدى أمراء
المملكة اللاتين ، قد تنتج عن تعيين رجل غريب عنهم (٢٣) .

فضلا عن ذلك فإن الامبراطور فردريك الثانى أخذ يمارس
سلطاته الرسمية على مملكة بيت المقدس ، ويتضح ذلك من خلال
خطاباته فى ٢١ يناير عام ١٢٢٦ م ، إذ أقر فيها امتيازات للتيوتون
Theutonicorum ، حيث أعفاهم من ضرائب العقارات ،
وجميع الضرائب المعروفة فى مملكة بيت المقدس ، وعزز موقفهم
فى الشرق ، إذ أمر بأنه لا يجوز أن يدعى أحد عليهم أى حق بلون

للقضاء والمدالة ، ولا يطالبهم الغرب بأية امدادات (٢٤) ، وقد اقربت يولاند هذه الامتيازات التي اقرها الامبراطور (٢٥) .

بالاضافة الى هذا فقد طلب الامبراطور من اهل « جنوا » ان ينفذوا أوامره الخاصة باعادة ترددهم على عكا ، اذ كانوا قد امتنعوا فترة بسبب خلاف نشب بينهم وبين اهل « بيزا » (٢٦) .

وقد وصلت اخبار حملة الامبراطور فردريك الثاني المزمع قيامها الى شعوب « جورجيا » فاهتموا بامر هذه الحملة ، ويتضح ذلك من خطابات بين « روستيانا » Russtana ملكة « افوجويا » Avoguiæ والبابا هونوريوس الثالث ، اذ ان الاولى ارسلت الى البابا اعتذارا لعدم مساعدتها الصليبيين في دمياط ، لأن التتار Tartararuum منعوهم من ذلك ، كما وعدت البابا بأنها ستقدم المساعدة الى جيش الامبراطور الذي سيقدم الى الاراضي المقدسة ، وقد رد عليها البابا وأخبرها بتاريخ الرحيل من الغرب (٢٧) ، علاوة على ذلك فان « جونيس » Johannes مساعد « ساتيس » « براتيا » أرسل في ١٢ مايو عام ١٢٢٤ م ، الى البابا يخبره ان جورجى الرابع Georgii IV ، ملك جورجيا ، وعد قبل أن يتوفى بأنه سينجد الامبراطور فردريك بأربعين ألف رجل ، فرد عليه البابا بخبر الحملة وموعدها (٢٨) .

ولعل من الدوافع التي دفعت الجورجيين لاتخاذ موقف مؤيد لحملة الامبراطور فردريك ما يلى :

أولا : ما حدث من منع بعض الحجاج الجورجيين من دخول بيت المقدس الا بعد أداء الجزية .

ثانيا : ما حدث من المعظم عيسى ، اذ قام بهدم أسوار المدينة المقدسة ، لذلك أقسم الجورجيون بالثأر لأنفسهم والتعاون مع

صليبي القوقاز وضفاف بحر قزوين والقادمين من ضفاف الراين والمناوب ضد المسلمين (٢٩) .

الامبراطور فردريك الثاني يخرج بالحملة الى الشرق :

كان لمجموعة الضغوط السابقة الذكر أثر فى انتماء الامبراطور ناحية الشرق ، وأصبح بيت المقدس هدفه ، ولا يحتاج الا الى التنظيمات التي تؤهله للتوجه اليه ، فصقلية تدمه بالمال وألمانيا تقدم له الرجال ، لكنه بدأ يفرض قيودا مشددة على رجال الكنيسة ليحد من نفوذهم ، ويتنقص من حقوقهم كما أعلن فى مؤتمر « بكريمونا » سنة ١٢٢٦ م ، تمسكه بالحقوق الامبراطورية لاسيما فيما يتعلق بالمدن اللباردية ، مما أعضبها (٣٠) .

وبالرغم من ذلك فانه كان مترددا فى الخروج حتى هذه اللحظة ، وأخذ يتذرع بذرائع جديدة ، اذ تذكر بعض المصادر انه كان يفكر فى ملك الهوهنشتاوفن والفرسان فى كندرائية « بامبرج » (٣١) ، وربما أخذ بما ورد اليه من نصائح من بعض الصليبيين بالشرق لتأجيل رحيله حتى ينتهى أجل الهدنة الموقودة بينهم وبين الكامل منذ زمن الحملة الصليبية الخامسة (٣٢) . لكن تحت الضغوط البابوية بدأ فردريك الثانى يستعد جديا للاهتمام بأمر الحملة فأرسل مقسما الكونت « توماس الاكوينى » Thomas of Aquino ليقوم بمهمة الوصى على الملكة الصليبية فى الشرق (٣٣) .

فى نفس الوقت الذى كان مبعوث البابا يحبس شعوب ألمانيا على نجدة الصليبيين فى فلسطين ، كما قام البابا بتقليد قادة الحملة الصليبية لصرف عفو الكنيسة على المجرمين ، واذا بالمجرمين يأخذون

الصليب ويريدون أن يكرموا عن ذنوبهم عن طريق الحج المقدس (٣٤) .
علاوة على ذلك فإن الامبراطور فردريك الثاني بدأ يمنح الذهب
يسخاء لكل من جند في الحملة ووعد كلا من الفرسان والأمراء ومن
في دولهم ، بالنقل المجاني ، كما دفع لهم نقودا مقدما ، مما ترتب
عليه زيادة عدد المشتركين من الألمان (٣٥) . وكان أعظم هؤلاء
الأمراء أهمية هو « لاندجراف لويس أف ثورنجيا »
Landgrave Lewis of Thuringia (٣٦) .

ومما يجدر الإشارة إليه أن الامبراطور أعطى لاندجراف
لويس ، أربعة آلاف شارة صليب ، كما تبعه كونتات « ورتبرج »
Wartburg و « برندبرج » Bran Denburg ، و « مولبرج »
Molberg و « ستولبرج » Stolberg فضلا عن آلاف الآلاف
من الحجاج الانجليز ، الذين كانوا تحت قيادة الأساقفة في
و « نشستر » و « اكستر » Winchester and Exeter (٣٧) .
وعلى أية حال فقد وصل لاندجراف لويس في أغسطس عام ١٢٢٧م ،
عند الامبراطور فردريك في صقلية ، مع جيش صليبي كامل من
من الحجاج والأجناس الألمانية وقد سافروا بعد ذلك إلى ميناء
الابحار « برنديزي » Brindisi ، كما أن الفريزيين اتخذوا
الطريق البحري الطويل حول إسبانيا ، وتدفقت كثير من القوات
إلى الميناء البحري ، تحت أغراءات الكنيسة ، كما سبق القول ،
من صكوك الغفران وغيره (٣٨) .

ومن الطبيعي أن هذه القوات ساعدت على تعزيز حملة
فردريك الثاني ، ويذكر بعض المؤرخين أنه لا يمكن تقدير الأعداد
الفعلية ، إذ تكسنت حشود ضخمة في معسكر الحجاج « برنديزي » .

بشكل يفوق ما كان في جيشان الامبراطور ، ولم تكن السفن
كافية لهذه الأعداد الغفيرة ، كما فقد طعام الحجاج ،
أضربت السفن خالية من الجنود ، بسبب انتشار مرض الطاعون
بين الجنود في منتصف شهر أغسطس ١٢٢٧م . كما غادر كثير
منهم المعسكر وانتشروا على أرض إيطاليا (٣٩) ولعل السبب فيما
لحق بالمعسكر من مرض ، أن الجنود لم يتعودوا على الطعام
والطقس وأحوال الجنوب ، وقد مات عدد كبير من هؤلاء الإيطاليين
بسبب المرض ، كما أصيب الامبراطور بالمرض ، وبالرغم
من ذلك ، فقد أشرف بنفسه على إبحار أول سربين ، وأخذ هو
نفسه القسم الثالث من الأسطول الذي كان مقررا أن يأخذه هو
و « لويس ثورنجيا » وذهب إلى حليقة بجزيرة القديس « اندريا »
Andrea ، إذ أنها بعيدة عن الميناء ، وذلك بغرض الاستشفاء من
المرض ، وقد وصل الاثنان في يوم الاثنين التاسع من سبتمبر
١٢٢٧م إلا أن « لويس ثورنجيا » مات ، وقد نصح الأطباء العرب
و « جيرولد » بطريك بيت المقدس ، الامبراطور بتأجيل خروجه
على رأس الحملة مما ترتب عليه ، أن هبط الامبراطور فردريك
على اليابس في « أوترانت » Otranto ، مؤجلا بذلك رحلته لبحر
شيفائه ، ثم توجه إلى بلدة « بزل » Pozzuoli لقضاء فترة نقاهة ،
وسلم أمر القيادة الرئيسية إلى « ليدوك » من Limburg ووعد بأن
يتبعه في الربيع مع عدد من الجنود الجدد ، وذهب إلى « بوت »
Boths للبحث عن علاج (٤٠) .

وهكذا رجع الامبراطور فردريك الثاني بعد خروجه بثلاث
أيام (٤١) ، وأرسل من طرفه قاضيين من البلاط الامبراطوري إلى
البابا جريجوري التاسع Gregory IX (١٢٢٧ - ١٢٤١م) في
أناجني Anagni ليقدموا إليه الاعتذار عن رجوع الامبراطور عن

الرجيل الى الاراضى المقدسة بعد أن أفلح من برنديزي (٤٢) بسبب العوامل التي حلت بالحيلة (٤٣) ، منها المرض ووفاة صاحب ثورنجا (٤٤) . ويمكن القول بأن الامبراطور حاول تدبير الموقف أمام البابوية بالرغم من أنه يعلم أنها ستفضب عليه .

لما صدق هذا التصرف لدى البابا جريجورى التاسع ، فإنه رفض سماع المبعوثين المندزين أرسلهما الامبراطور لشرح أسباب رجوعه (٤٥) ، بالرغم من أنه كان صديقا للامبراطور قبل أن يتولى كرسى البابوية (٤٦) ، ولكن بعد أن تولى كان يريد أن يجعل من الامبراطور آلة سهلة الانقياد ، وكان يحدوه الأمل فى أن يقوم الامبراطور بحملة الى الشرق (٤٧) ، وقد أرسل له بهذا (٤٨) ، وهدده باصدار قرار الحرمان من حالة عدم قيامه (٤٩) ، على رأس حملة صليبية .

لذلك بدأ البابا بعد رجوع الامبراطور ، فى نشر الشائعات عليه واعتبره غير مطيع ، وألقى عليه مسئولية المجاعة التي حاقت بالصليبيين فى ميناء برنديزي (٥٠) ، بل اتهمه أيضا بوضع السم للويس أف ثورنجا (٥١) وأصدر ضده قرار الحرمان فى ٢٩ سبتمبر عام ١٢٢٧ م (٥٢) .

ولما كان الامبراطور فردريك ، قد تعهد على نفسه بضرورة الابحار ، طبقا لاتفاقية « سان جومانو » San Germano سنة ١٢٢٥ م ، فقد تأهبت البابوية لتنفيذ بتودها ، وتوقيع ما فيها من عقوبات على الامبراطور ، ومن أجل هذا ففي الثامن عشر من سبتمبر عام ١٢٢٧ م ، رشح البابا العديد من الكرادلة حتى يدعم بهم مركزه (٥٣) . ثم رجع الى روما وأعلن فى ١٨ نوفمبر ١٢٢٧ م ،

فى كنيسة بطرس St. Peters . ويدون تحفظه بأن الامبراطور يقع تحت التحريم لانه قسمل فى الالتزام بالميعاد المحدد لرحيل الى الشرق ، وهو أغسطس (غسطس) ١٢٢٧ م (٥٤) . ويذكر بعض المؤرخين ، أن فردريك الثانى كان يعترف دائما ، بحق البابوية فى هذا ، الا أن الأخيرة لم تكن تقدر حقيقة سبب تأخير فردريك ، وهو المرض ، كما أنها رفضت سماع شهود العيان عن مرض الامبراطور ، ولم يتحيز الكثير الى جانب فردريك وأصبح الرأى العام ضده (٥٥) .

وإذا كان البابوية قد ألقت المسئولية على الامبراطور بهذه الصورة وأصدرت ضده قرار الحرمان ، وأدعت تمارضه ، وربما يكون قد ساورها الشك فى أن الذى منعه من السفر هم الأطباء وخاصة أنهم أطباء عرب .

ولم يكن من المتوقع أن يقف الامبراطور فردريك الثانى مكتوف اليدين أمام اتهامات البابا هذه ، فقد بعث الى جميع الأمراء المسيحيين ، وكذلك الملوك والأساقفة ، ونبلاء ألمانيا يخبرهم بمخططات البابوية وفساد البلاط البابوى ، اذ كتب « نرجو أن تتم قراءة خطابنا هذا على الملأ وأن تستمعوا إليه بكل تكريم وباحترام لأن من محتويات هذا الخطاب ، سيكون التأكيد على أن براءتنا واضحة للجميع . ويتضمن أيضا العار والتمار الذى يدبر لنا ولامبراطوريتنا » (٥٦) . كما أن فردريك أخذ يفند الأساليب والاتهامات ضد البابا ، والدليل على ذلك قول بعض المعاصرين : « ونحن مع ذلك لا نشبه الكلاب الخرساء » (٥٧) . هذا وقد لاقى خطاب الامبراطور ، استقبالا ملحوظا فى روما مدينة البابوية ، وأصر كل من مجلس الشيوخ وشعب روما على أن يقوم « روفريدو Roffredo of Benevento » بقراءة خطاب الامبراطور على المجلس العام ، ولكى يسلب الامبراطور البابا أسلحته تمهيد

أمام العالم أن يبحر مبكرا في العام التالي « ما لم يكن مرضيا واقعا » وهو ما وقع الله ، بأن عنف هذا الشيطان المتوقع يمنعا وضع ارادتنا في هذه المهمة المقدسة » (٥٨) .

وهكذا اندلعت الحرب بين البابا والامبراطور وقد أبدى كل طرف من الرذ والاتهامات ، فقام الامبراطور ، وذهب الى « ضيعته » بالقرب من روما ، ثم الى « كابوا » واهتم بمزيد من الزدود على البابا » (٥٩) .

وهنا أصر الامبراطور على القيام بالحملة (٦٠) ، فأصدر البابا قرار الحرمان في الخميس ٢٣ مارس عام ١٢٢٨ م ، كما هده بطرده من صقلية (٦١) . وعلى أية حال اعتبر فردريك التحريم الكنسي بمثابة عقوبة الكنيسة الرسمية والعادية (٦٢) فلم يبال به .

هذا وقد اقترح الامبراطور استدعاء الأمراء الألمان الى مجلس تشريعي لمناقشة انقطاع العلاقات الودية مع البابوية ، وكذلك تجمعت العامة ضد البابا في عيد الفصح ، وأصبح البابا في وضع لا يحسد عليه مما ترتب عليه أن خلص نفسه وهرب الى « اللاتيران » The Lateran . إلا أن الناس ثاروا ضده في هذه المدينة ، ومن ثم ذهب الى « ريتي » Rieti (٦٣) ، بعد أن صادر الامبراطور كل ممتلكات كنيسة روما (٦٤) .

وهكذا أصبح هناك طرفان متعارضان بصدد الحملة الصليبية :

الأول : البابا الذي رفض رفع التحريم الكنسي الذي أصدره ضد الامبراطور فردريك ، بل تمادى فيه بصدور قرار آخر ضده كما سبق الذكر .

والثاني : الامبراطور فردريك الذي أصر على القيام بالحملة بالرغم من مواقف البابوية المتشديدة ضده فأرسل في ربيع ١٢٢٨ م ، المارشال فلا نجيري بخمسمائة فارس الى الأراضي المقدسة (٦٥) .

كما استعد الامبراطور نفسه للابحار الى الشرق ، فعقد مجلسا تشريعيًا بصقلية وعين على رأسه ريتودوق سبوليتو « Reynald of Spoleto » وكذلك هنري أف مورا « Henery of Morra » ، وقد أديا اليمين بالوفاء للامبراطور ، ولما كان الأخير يخشى أن يموت بالشرق مثل جده بربروسا (٦٦) ، فقد أوصى بأن يكون ابنه « هنري » من « كونستانس » امبراطورا من بعده وليه ابنه « كونراد » من يولاند (٦٧) .

ومما سبق يمكن القول بأن الامبراطور عزم نهائيًا على الخروج بحملته الى الشرق ، فأراد أن يحصل على رضا البابا - كمحاولة أخيرة - يائسة - قبل أن يخرج بالحملة ، فأرسل رئيس أساقفة « مجدبرج » ومعه اثنان من رجال القضاء في بلاط صقلية ، لكي يتوسلوا الى البابا برفع قرار الحرمان عن الامبراطور الا ان البابا رفض وأصر على موقفه (٦٨) .

وفي النهاية خرج الامبراطور في نهاية شهر يونيو ١٢٢٨ م ، من برنديزي ، قائلا « لقد تركنا في الحال برنديزي متجهين الى سورييا ، ونسرع عابرين في حضرة ربح كريمة مع قائدنا المسيح » (٦٩) وما كاد الامبراطور يغادر برنديزي حتى أصدر البابا ومن جديد قرار النحرمان (٧٠) للمرة الثالثة .

في الواقع هناك أمور دفعت فردريك الى الابحار شرقا يمكن اجمالها في الآتي :

أولا : المراسلات بينة وبين الملك الكامل الأيوبي ، التي سبق ذكرها - فقد طلب الأخير من الإمبراطور أن يساعد في حربه ضد أخيه المعظم ، الذي استعان بالخوارزمية ، وهذا ما يخشاه الجميع ، ومن ثم فضل الإمبراطور ألا تكون هناك قوى خارجية تستطيع أن تناوئ الصليبيين بالشرق ، هذا فضلا عن أنه اعتبرها نوعا من تحقيق الصداقة وربط أواصر الود بين الملك الكامل وبينه ، كما أنه قد شعر بعظم المنح التي عرضها عليه الملك الكامل (٧١) ، وهو ما لم يستطيع الإمبراطور ولا غيره أن يحققها بالطرق الحربية ، وأهم من هذا كله أن الإمبراطور فردريك كان يود أن ينهل أكثر من مصادر الثقافة الإسلامية ، وليس أدل على ذلك من مناقشاته لكثير من العلماء المسلمين بصقلية (٧٢) ، التي تربي في كنف حضارتها الإسلامية .

ثانيا : ومن الدوافع الرئيسية التي دفعت الإمبراطور فردريك الثاني إلى الشرق هو زواجه من يولانده ، والتي كانت وريثة لمملكة بيت المقدس (٧٣) ، إذ أن الإمبراطور اعتبر نفسه مسئولاً عن الشرق ، وعليه فإنه من الأهمية بمكان تواجده فيه لإدارة شئون مملكته الجديدة ، وخاصة بعد وفاة زوجته الوريثة الشرعية لبيت المقدس .

ثالثا : نداءات البابوية المتكررة له ، بالخروج بالحملة إلى الشرق والتي وعد بها في سنة ١٢١٥ م ، وقد اعتذر الإمبراطور عن الخروج أربع مرات (٧٤) ، ليؤجلها إلى ميعاد آخر في كل مرة ، فكان عليه أن يثبت حسن نواياه تجاه البابوية « ليس بالأموال ولكن بالأعمال » وخاصة بعد أن صدرت ضده قرارات الحرمان وبهذا فقط يستطيع أن يتفادى هجمات البابوية وربما تحول أسلحة البابا ضد البابا نفسه (٧٥) .

رابعا : ربما يكون الإمبراطور فردريك ، قد اعتبر نفسه مسئولاً عن فشل الحملة الخامسة ، ومن ثم أخذ على عاتقه مهمة استرداد القدس ، بأي وسيلة والتكفير عن خطاياهم .

خامسا : ما يذكره بعض المؤرخين من أنه كان على كل حاكم أن يجدد شبابه في الأرض ذات الشمس المشرقة ، ومن ثم يطود متوجا بالعظمة ، لبناء قوته الغربية (٧٦) ، ومن هذا المنطلق خرج الإمبراطور فردريك إلى الشرق .

سادسا : لاشك أن هدف الأباطرة الألمان عموما ، تحقيق إمبراطورية واسعة مترامية الأطراف ، تضم الشرق الإسلامي ، والدولة البيزنطية وغرب أوروبا وهذا ما سعى إليه كل من الإمبراطور فردريك الأول ، وهنري السادس وكذلك فردريك الثاني .

وبعد استعراض هذه النقاط مجتمعة يمكن إدراك أسباب تحرك الإمبراطور فردريك الثاني إلى الشرق .

وهكذا كان للأحوال السياسية في الشرق الإسلامي والغرب الأوربي ، دور هام في التقارب على نحو ما سبق الإشارة إليه ، فالإمبراطور فردريك الثاني استطاع أن يحصل على موافقة مبدئية من الملك الكامل على منحه الفتوح الصلاحية ، وهذا ما سعى إليه الغرب الأوربي ، ومن ورائه البابوية .

وقد لعبت الظروف أيضا دورا هاما وكبيرا في تصاعد الخلاف بين البابا والإمبراطور ، إلى حد أن أصدر الأول عدة قرارات بحرمان الإمبراطور من الكنيسة ، وبالرغم من هذا فقد صمم الإمبراطور على الإبحار إلى الشرق ، ضاربا بقرارات البابوية عرض الحائط (٧٧) .

وسوف تسرد الأحداث النجاح الذي حققه الامبراطور بالشرق ،
بعيدا عن عطف ومساعدة البابا ، وقد استطاع البابا أن يضع حدا
لنزاعه مع الامبراطور ، فحدث نوع من التقارب بينهما بعد عودة
الامبراطور الى الغرب الأوربي ، ولكن هذا التقارب ، كان الى حين ،
في نفس الوقت الذي كان فيه الامبراطور خريصا على اتصالاته
الدبلوماسية مع المسلمين بالشرق من ناحية ، والحفاظ على مملكته
الصليبية من ناحية أخرى ، على النحو الذي سيأتي تفصيله .

الامبراطور فردريك الثاني في الشرق :

دخل الامبراطور فردريك الثاني من برنديزي ، في ٢٨ يونيو
عام ١٢٢٨ ، ومعه أسطول مكون من أربعين سفينة تحت قيادة أمير
البحر « هنري أف مالطة » Henry of Malta وكذلك رئيس
الأساقفة « بيراد أف بالرمو » Berard of Palermo والياوران
الملكي ، وهو أحد أبناء صقلية - وأيضا « يعقوب الكابوي »
Jacob of Capua ، وقد صاحب الامبراطور بعض المسلمين
كاستاذ الذي كان يعلم اللغة العربية (٧٨) وقد قدر بعض المؤرخين
رجال الامبراطور فردريك بستمائة فارس (٧٩) .

أخذ الامبراطور فردريك الطريق البحري في طريقه
الى الشرق (٨٠) ، فوصل الى ميناء ليماسول بقبرص في ٢٠ يوليو
١٢٢٨ م (٨١) ، وأرسل الى « حنادي برين » رسالة (٨٢) ، يشرح له
فيها مهمته التي جاء من أجلها (٨٣) ، مما ترتب عليه أن استقبله
« توما الاكويني » و « ريتشارد فلانجييري » وباليان سيد صيدا
ورحبوا به في قبرص أيما ترحيب (٨٤) ، ومكث فيها أياما ،
لعمل بعض الترتيبات الخاصة ، التي يمكن أن تساعد في مهمته
بالشرق ، فعين نائباً صقليا عنه في قبرص ، وكذلك بعض الموظفين
الماليين بها ، لجمع الضرائب والدخل (٨٥) ، ثم تحرك الامبراطور

فردريك الثاني من قبرص في ٣ سبتمبر ١٢٢٨ م الى عكا فوصلها
في السابع من سبتمبر ١٢٢٨ م (٨٦) ، بدون قوات عسكرية (٨٧) .

وهكذا وصل الامبراطور الى عكا تنبيه لدعوه الملك الكامل
محمد سلطان مصر ، وفي هذا الصدد يحسن بنا أن نتعرض
لما كانت عليه أحوال المنطقة غداة وصوله اليها حتى تتضح الصورة
أزاء ما تتعرض له الحملة من تطورات ، وفي مقدمه هذه الأحوال
يأتي موقف البابا وما نجم عنه من آثار .

يذكر بعض المؤرخين أن البابا حاول منع الامبراطور من
القيام بالحملة الى الشرق ، بعد أن صدر ضده قرار الحرمان ،
اذ كان البابا يرى أنه لا يمكن لامبراطورا مخروما من الكنيسة أن
يقود حملة صليبية ، كما وصف هذه الحملة بأنها حملة
قراصنة (٨٨) ، ولم يكن أمام الامبراطور الا أن يستمر في هدفه
ولا يلقي بالا للبابوية ، فوصل الى عكا ، ومن هناك أرسل الى
البابا ليعلمه عن وصوله ، وكلف « دوق سيوليتو » بالقيام بالصلح
مع البابا ويتفاوض معه من أجل رفع الحرمان عنه (٨٩) ، وكان
ود فعل البابا أن شن حربا لاهوادة فيها ضيد الامبراطور (٩٠) .
في أوروبا والشرق ، وقد كلف البابا كاتبه (٩١) بأن يكتب
الى السلطان الكامل محمد ، بالألا يمنح المملكة في بيت المقدس الى
الامبراطور ، وأن يدمره ويحاربه (٩٢) ، اذ أن البابا اعتبره
شريرا ويجب قتله (٩٣) ، ويعمل بعض المؤرخين موقف البابوية
هذا ، بأنه اذا نجح الامبراطور في قصده بالشرق معناه أن الله حكم
ضد البابوية في النزاع بينهما وبين الامبراطور ، وكان من السهولة
بمكان أن يصدق الناس خيانة البابا (٩٤) .

ولم تكتف البابوية بذلك بل أرسلت رسائل الى الصليبيين
بالشرق ، حتى لا يساعدوا هذا الامبراطور المحروم من الكنيسة ،

فقد أرسلت مبعوثين من الفرنسيين إلى الصليبيين بالشرق وإلى قادتهم مثل بطريق بيت المقدس ، ولجميع المؤمنين (المخلصين) تخبرهم بأمر الامبراطور المحروم وأنه يجب عدم التعاون معه (٩٥) .

ولاشك أن هذا الأسلوب التي اتبعتها البابوية ضد الامبراطور فردريك الثاني قد أثر بشكل مباشر على موقف الصليبيين بالشرق تجاه الامبراطور ، فقد انقسموا إلى قسمين ، وقف أحدهما بجانب الامبراطور ، والآخر وقف ضده .

أما الفريق الذي وقف بجانب الامبراطور فبعضهم الذي أرسلهم من الامبراطورية الرومانية المقدسة إلى عكا ، مثل كونت « أكيرا » Acerra حتى يستعد لاستقبال الحملة ، كما وصلت قوة حوالي ثمانمائة فارس وعشرة آلاف من المشاة ، في فصل شتاء ١٢٢٧ م / ١٢٢٨ م (٩٦) كما أرسل الامبراطور ، ريتشارد الفلانجيري بحوالي خمسمائة فارس في ابريل ١٢٢٨ م (٩٧) . ولكن هذه القوات ، لم ترغب في الدخول في حرب ضد المسلمين لحين وصول الامبراطور (٩٨) ، واقتصر نشاط بعضهم على تحصين بعض المناطق ، مثل دوق « لمبيرج » الذي توجه ليعيد تحصين قيسارية ويافا (٩٩) ، وكان قد حطم الملك المعظم عيسى أسوارهما سنة ١٢٢٠ م كما اتجه جزء من القوة الألمانية أيضا ، لمساعدة الفرسان التيوتون في بناء قلاعهم الجديدة في « مونتفرا كوران » Qalat Alqurain Montfort Kurain (القرن شـمالى شرق عكا) اذ أصبحت منطقتهم الرئيسية (١٠٠) ، في الوقت نفسه الذي رجع بعضهم إلى ألمانيا ، وخاصة عندما علموا بتأجيل حملة الامبراطور فردريك (١٠١) لتوقيت تالى .

أما عن الصليبيين بالشرق الذين رحبوا بالامبراطور فردريك الثاني في البداية فمنهم فرسان القديس « يوحنا » John ، فقد ركبوا أمام الامبراطور المحروم من الكنيسة (١٠٢) ، وكذلك الفرسان التيوتون وقائدهم « هرمان أف سالزا » Herman Von Salza ، قد أبدوا ارتياحهم للامبراطور (١٠٣) ، فضلا عن تأييد « الجنوية والبيازنة » Genoese & Pisans (١٠٤) وكذلك جماهير الحجاج الذين لعنهم البابا .

أما عن الجماعات التي لم تمد له يد العون ، بل ووقفت ضده فهي تلك التي استجابت لرسائل البابوية ، والتي أرسلت خصيصا لخلق جبهة معارضة ضد الامبراطور فردريك المحروم ، حتى لا يستطيع تحقيق ما خرج من أجله ، فنصف الحجاج الصليبيين وخاصة الفرنسيين والانجليز ، قد عارضوا الامبراطور كما أن هناك بعض القوات غيرت رأيها بعد أن وصلت رسائلا من البابوية ، فرجال الدين ركزوا على هدف واحد هو اعاقة الامبراطور المحروم من الكنيسة واحباط عمله (١٠٥) ، علاوة على أن الاستتارية والدأوية قد غيروا رأيهم ، فبعد أن كانوا بجانب الامبراطور تحولوا إلى موقف حيادي امتثالا لأمر البابا (١٠٦) ، وخاصة بعد أن أرسل البابا إلى « جيرولد » Gerold بطريرك اورشليم ، يحثه فيها على الوقوف ضد الامبراطور (١٠٧) ، أما بخصوص بوهيمند أمير أنطاكية وطرابلس ، فكان أقل الأمراء قلقا واضطرابا ، لانه لم يعترف بالسيادة للامبراطور فردريك ، وأعترف بها للامبراطور البيزنطي (١٠٨) .

ومن ثم فقد اتفقت الصليبيون بالشرق ما بين مؤيد
للإمبراطور ومعارض له ، أما المؤيدين فقد كان معظمهم من أهالي
صقلية والألمان الجنوبية والبيازنة ، وبالنسبة للمعارضين الذين سبق
ذكرهم فإن الإمبراطور لم تكن لديه القدرة على إخضاعهم له (١٠٩) .

ومن أجل أن يتجنب الإمبراطور الفوضى - التي يمكن أن
تعم الصليبيين بالشرق عامة ، فقد أعطى القيادة الاسمية للسيد
الكبير « هيرمان اف سالزا » والمارشال « ريتشارد الفلانجيري »
والكندسطل (١١٠) بالملكة « أودو اف مونت بيليارد »
Odo of Montbeliard ، حتى لا يكون هناك أحد في حاجة إلى
أن يطيع إمبراطورا محروما من الكنيسة وليس هذا فحسب ، ولكن
أدعى الإمبراطور لطلب الفرسان الداوية ، بأنه يجب أن تصدر
الأوامر « باسم الله تعالى والمسيحية » وليس بالاسم
الإمبراطوري (١١١) .

هذا عن موقف البابوية بالغرب والصليبيين بالشرق عندما
وصل الإمبراطور فردريك الثاني إلى عكا ، أما بالنسبة للمسلمين
ببلاد الشام فقد سبق أن فصلت العلاقات بين الملك المعظم عيسى
سلطان دمشق والملك الكامل سلطان مصر ، وكيف أدى هذا إلى
استعانة كل منهما بحليف خارجي ، وقبل أن يستجيب الحليفان ،
مات الملك المعظم عيسى في نهاية سنة ٦٢٤ هـ / نوفمبر عام ١٢٢٧ م ،
فانتهى بذلك أمر أكبر منافس للملك الكامل .

وتولى بعد المعظم عيسى ابنه الناصر صلاح الدين داود ،
فأرسل إليه عمه الملك الكامل سنة ٦٢٥ هـ يطلب منه قلعة
الشوبك ، إلا أن الناصر رفض مما أغضب الملك الكامل (١١٢) .
فخرج من مصر في شهر رمضان ٦٢٥ هـ ، إلى الشام ونزل على
تل النجول بظاهر غزة ، وولى « ابن يوسف » على نابلس والقدس .

وغيرها من بلاد الناصر داود ، ابن أخيه (١١٣) ، وقد أرسل الملك
الناصر داود « الفخر بن بصاقه » إلى عمه الملك الأشرف موسى
ليستدعيه إلى دمشق ، ليضع حدا لأطماع الملك الكامل ، هذا وقد
حضر الأشرف إلى الناصر داود ، ونصحه بمداواة عمه الملك
الكامل (١١٤) ، وقد أخبر الملك الأشرف أخاه الملك الكامل ، بأنه
جاء لحماية دمشق من الفرنج ، إلا أن الكامل قرر الرجوع إلى مصر ،
وقال « لست بالذي يقال عني أنني قاتلت أخي أو حصرت حاشا لله
تعالى » (١١٥) ، ولكن الملك الأشرف منعه من ذلك وأقنعه بأن الوضع
في حاجة إلى وجوده ببلاد الشام (١١٦) .

هذا هو الوضع بين الأخوين ولدى الملك العادل ، عندما
وصل الإمبراطور فردريك الثاني ، إلى بلاد الشام ، فها هما
الأشرف والكامل متفقان على كلمة واحدة ، وأما عدوهما - الملك
المعظم عيسى بيت القصيد - فقد مات وتولى ابنه الناصر داود ،
وعليه فقد أصبح الموقف في بلاد الشام يتسم بالهدوء لأن ابن
المعظم عيسى ، لا يمثل خطرا على عميه (١١٧) ، في حين أن
الإمبراطور ، جاء بناء على استغاثة الملك الكامل ضد جلال الدين
الخوارزمي ، الذي استعان به المعظم ، وإذا كان الوضع أصبح
في غير حاجة إلى الحليفين ، فماذا هو موقف كل منهما إزاء الآخر ؟

**المفاوضات بين الإمبراطور فردريك الثاني والملك الكامل الأيوبي
في الشرق واتفاقية يافا :**

يذكر بعض المؤرخين أن الإمبراطور فردريك الثاني ، بمجرد
وصوله إلى عكا ، أخبر السلطان الكامل بوصوله ، وذلك عن طريق
القائم بأعمال الوصايا السورى الكونت « توما الأكويني »
Thomas of Aquino (١١٨) ، وباليان سيد ضيدا (١١٩) .

هذا وقد شعر المسلمون بداية ، أن الامبراطور فردريك ، قد جاء يحشود لا حصر لها ، وكانوا خائفين ، لكنهم اكتشفوا أن خوفهم لا أساس له ، فقد حشد الامبراطور في عكا حوالى عشرة آلاف حاج وألفا من الفرسان ، ولا يمكن أن يثق في هذه القوة الضعيفة (١٢٠) ، وعلى أية حال فقد استقبل الملك الكامل سفيرى الامبراطور فردريك ، فى نابلس وعقد معهما مقابلة • وكان على الملك الكامل أن يرد على هذه السفارة ، فأرسل من قبله سفيرين هما : الأمير فخر الدين يوسف بن حمويه ، وصلاح الدين الأربلى (١٢١) ، ومعهما هدايا ثمينة تتمثل فى قماش عربى ، وفيل (١٢٢) ، وجمال سباق « هجانة » وبغال عربية ، وقد وصلت هذه السفارة عند الامبراطور الذى كان معسكرا فى قلعة « ريكوردان » Ricordance بالقرب من نهر « بيل » Bel بنابلس (١٢٣) •

ويذكر البعض نقلا عن تاريخ هرقل مادار بين البعثة السلطانية وبين الامبراطور فردريك الثانى ، من مناقشات ، وخاصة الحديث ، بين فخر الدين والامبراطور ، والذى بدأ مندوب الكامل بقوله « سيدى ، لقد طلبتم الى السلطان أن يتخذكم صديقا وأخا ، لذلك فهو يطلب اليكم الا تطالبوه بأشياء يعجز عن اجابته ، أما اذا أردتم التقدم باقتراحات عملية فهو على أتم استعداد لمناقشتها ، وبالنسبة لما تقدم به مندوبكم ، فالسلطان يرى أنه طلب مستحيل ، ليس لقيمتها المادية ، وإنما لما قد يصاحبه من لوم وخاصة وأنكم تعلمون أن المسلمين يعتبرون المسجد الأقصى بيتا مقدسا من بيوت الله ، مثلما يعتبر المسيحيون كنيسة القيامة بيتا مقدسا ، لذلك لا يمكنه اجابتكم الى طلبكم مخافة أن ينصب عليه غضب المسلمين ، ويعتبره الخليفة خارجا عن القانون وكافرا (١٢٤) » •

ومن ثم يمكن القول بأن البعثة التى أرسلها الامبراطور حال وصوله الى الملك الكامل ، قد حملت فى جعبتها طلبات الامبراطور فردريك الثانى التى قد وعده بها الملك الكامل من قبل (١٢٥) ، ولما كان الأمير فخر الدين حريصا على استمرار العلاقة الطيبة بين وبين الامبراطور من ناحية ، وكذلك على استمرار المفاوضات بين الامبراطور والملك الكامل من ناحية أخرى ، فقد طلب الأمير من الامبراطور ، أن يرسل معه « توما الأكوينى » ثانية وكذلك باليان ، حتى يساعداهما فى الوصول الى تقدم فى المفاوضات مع الملك الكامل (١٢٦) •

وقد رجعت السفارة الكاملية وبصحبتها سفارة الامبراطور فردريك ، تطلب من الملك الكامل الوفاء بالوعود التى وعدها للامبراطور فردريك ، والتى تتخلص فى إعادة بيت المقدس ومعظم الفتوح الصلاحية (١٢٧) •

وقد حملت معها هذه السفارة رسالة الى الملك الكامل ، هذا نصها « الملك يقول لك كان الجيد والمصلحة للمسلمين أن يبذلوا كل شئ ولا أجيء اليهم ، والآن فقد كنتم بذلتكم لناثبي - فى زمن حصار دمياط - الساحل كله واطلاق الحقوق بالاسكندرية وما فعلنا ، وقد فعل الله لكم ما فعل من ظفركم واعادتها اليكم ، ومن ناثبي ؟ ان هو الا أقل غلمانى ، فلا أقل من اعطائى ما كنتم بذلتموه له » (١٢٨) •

وهكذا طلب الامبراطور من السلطان الكامل ، تسليم ما سبق أن وعده به ، ويعتبر الامبراطور نفسه ليس أقل من نائبه الذى كان بدمياط فى الحملة الخامسة ، والذى عرض عليه الملك الكامل أكثر من مرة تسليم الفتوحات الصلاحية (١٢٩) •

ومهما يكن من أمر فقد أمر الملك الكامل الأمير فخر الدين بالمماطلة في المفاوضات مع الامبراطور فردريك ، ثم تحرك الى تل العجول بغزه (١٣٠) حتى يكون بعيدا عن سفيري الامبراطور .

لكن بعد أن عرف الامبراطور فردريك أن المفاوضات بهذه الصورة لا تجدى فكر في عمل شيء يمكن أن يدفع الملك الكامل لكي ينهى هذه المفاوضات ويقي بما سبق قد وعده به ، وكان اللجوء الى القتال هو الوسيلة الوحيدة . وقد استطاعت الجموع الصليبية بادئ ذي بدء ، أن تستولى على صيدا ، التي كانت مناصفة بين الصليبيين والمسلمين وطردها منها الحاكم المسلم ، وعمرها سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ (١٣١) ، ثم خرج الامبراطور من عكا وعسكر ما بين قيصرية ويافا (١٣٢) في نوفمبر عام ١٢٢٨ م ، وقد استعد لشن حرب ضد القدس وقيصرية ويافا ، بعد أن أعلن بأن الأوامر ستصدر « باسم الله والمسيحيين » كما سبق القول ، في الوقت الذي أرسل فيه الامبراطور الى هنرى حاكم مالطة ، ليرسل له عشرين سفينة حربية (١٣٣) كما عسكر الحجاج قرب يافا (١٣٤) ، الذين وصل عددهم كما يذكر البعض - الى ثلاثة آلاف وخمسمائة فارس ، وعشرة آلاف رجل (١٣٥) انتظارا للأوامر العسكرية للتحرك .

ومما يجدر ذكره انه بالرغم من أن الاسبتارية و « المونتاي » Montaigni وبرتراند « أف سيزي » Bertrand of thessy رفضوا مساعدة الامبراطور المحروم ، الا أنهم تبعوه في الطريق من عكا الى يافا خشية هجوم اسلامي عليه (١٣٦) .

هذا وقد بدأت قوات الامبراطور في عمل تحصينات الدفاع في يافا من ٢٥ نوفمبر عام ١٢٢٨ م (١٣٧) ، وعلى أية حال فقد

قام الصليبيون الألمان بنهب كثير من القرى الاسلامية ، واشترط الملك الكامل أخذ تعويض من الامبراطور عن الخسائر التي لحقت بهذه القرى ، لدفع عملية المفاوضات (١٣٨) ، وخاصة بعد أن حدث لها نوع من الركود ، اذ أن الملك الكامل أخذ يماطل وصمم على توقفها .

وفي الواقع كانت فترة توقف المفاوضات صعبة جدا على الامبراطور فردريك ، فيذكر البعض انه كان يبكي بغيت وحزن ، وفكر في العودة الى أوروبا اذ قال « بدأت أسعى من أجل السلام واتفاقيات ثم أسرعت بالاعداد لعودتي وأنا أخفى الى خلف ملامح مبهتجة حتى لا ينتصر العدو أو يفرح » (١٣٩) ذلك لأن الامبراطور لم يأت بجيش يمكن أن يواجه به المسلمين ، كما أنه مطرود من رحمة الكنيسة التي أثرت على عدم استجابة كثير من الصليبيين بالشرق للانضمام تحت لوائه ، ولا يخفى على أحد أن الملك الكامل ، كان يعلم بكل جوانب هذه القضية ، ومن هذا المنطلق بدأ يماطل مع حليفه وصديقه ، وخاصة عندما عصفت الرياح بالسفن التي بها امدادات للامبراطور بالشرق (١٤٠) ، بالإضافة الى معرفته بأن البابا احتل بعض المدن التابعة له في الغرب (١٤١) .

وأيا كان الأمر فإن الرسائل بين الامبراطور فردريك ، والملك الكامل لم تنقطع ، فأرسل الى الملك الكامل رسالة ، يقول فيها « أنا عتيقك وتعلم اني أكبر ملوك الفرنج وأنت كاتبتي بالمجيء ، وقد علم البابا والملوك باهتمامي ، فان رجعت خائبا ، انكسرت حرمتي ، وهذه القدس هي أصل دين النصرانية وأنتم قد خربتموها ، وليس لها دخل طائل ، فان رأيت أن تنعم على بقبضة البلد ليرتفع رأسى بين الملوك وأنا التزم بحمل دخلها لك (١٤٢) » .

وفي هذا الصدد استطاع الأمير فخر الدين يوسف أن يخرج هذه المفاوضات من مرحلة الجمود التي وصلت اليها ، اذ رأى

أن مبعوث الامبراطور فردريك الى الملك الكامل لم يعد مقبولا عنده ، ومن ثم طلب الأمير فخر الدين أن يرسل « توما الاكويني » و « باليان » سيد صيدا الى الكامل ليتفاوضا معه ، في ذات الوقت الذي يقوم فيه الأمير فخر الدين بالتفاوض مع الامبراطور ، ذلك في أوائل فبراير عام ١٢٢٩ م / ربيع ٥٢٦ هـ ، وقد استطاع الطرفان أن يوصلا الى صيغة نهائية للاتفاق بينهما ، وكان لذلك دوافعه .

فبالنسبة للامبراطور فردريك الثاني ، وقعت البابوية ضده بالمرصاد ونقلت ميدان الصراع بينهما وبين الامبراطور ، من أوروبا الى الشرق ، ومن ثم أصبحت القضية عندها ، ليست قضية صليبية ، ولكنها قضية امبراطور عاق ، وعليه فكان من الضروري أن يثبت الامبراطور وينجح فيما أتى من أجله ، هذا فضلا عن أن البابوية استطاعت أن تجند كثيرا من الصليبيين بالشرق للوقوف ضد الامبراطور ، مما جعل الفرقة تسرى سير النار في الهشيم بين الصليبيين ، ولم يكن هذا يخاف على الامبراطور ، ولما قامت به البابوية من الاعتداء على ممتلكاته في أوروبا ، مما جعله في موقف قلق ، زد على ذلك انه لم يكن بإمكانه الدخول في حرب ضد المسلمين ، ذلك لأنه لم يجد من الصليبيين المساعدة الكافية ، وأهم من هذا كله ، ربما يكون الامبراطور قد عرف عن استنجاد الملك الناصر داود - ابن المعظم عيسى - بالخوارزمية (١٤٣) ، الأمر الذي سيدخله في صراع وصدام مع قوة لا قبل له بها ، لذلك نجد الامبراطور ينحاز الى جانب الناصر داود ، ويعضد سياسته العدائية ضد عمه الكامل والأشرف (١٤٤) .

أما بالنسبة للملك الكامل ، فقد اتفق مع أخيه الأشرف موسى ، على انتزاع دمشق من ابن أخيه الناصر داود ، وقام الأشرف بمحاصرة دمشق سنة ٦٢٦ هـ (١٤٥) ، الأمر الذي دفع الملك

الناصر داود ، أن يرسل الشيخ « شمس الدين الخسروشاهي » رسولا الى السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، يخبره بما تم الاتفاق عليه بين أعمامه لانتزاع الملك منه (الناصر داود) ، بسبب اتفاق والده معه ، ومن ثم يحث الناصر داود ، السلطان جلال الدين لتدارك الموقف ، ويهاجم خلاط « ليششتغل سر الملك الأشرف وليندفع عنه شره » على حد تعبير ابن واصل (١٤٦) .

وهكذا أصبح الملك الكامل في عداوة مع ابن أخيه الذي استنجد بجلال الدين - كما فعل والده من قبل - ومن المرجح أن الناصر بمفرده كان لا يشكل خطورة على الملك الكامل ، الذي كان يخشى جلال الدين فاذا أتى الأخير فلا مناص من الدخول معه في حرب ، إذ كان حينئذ في عكاز ولا يستبعد أن يهاجم المسلمين فالكامل يدرك تماما أن الامبراطور ليس معه جيش كاف لشن حرب ضد المسلمين ، لكن لم يكن يخاف عن الملك الكامل ما يمكن أن تقدمه قبرص للامبراطور من مساعدات (١٤٧) ، وخاصة بعد أن أصبحت تحت قيادته ، ومن ثم فإن الكامل إذا استمر على هذا الوضع وفي حالة السكون هذه ، يمكن أن يصبح في وضع لا يحسد عليه ، بين ابن أخيه الناصر داود من ناحية ، وجلال الدين الخوارزمي من ناحية ثانية والامبراطور فردريك الثاني من ناحية ثالثة - وعليه فقد كان لابد أن يفكر في مهادنة أخطر وأقوى هؤلاء جميعا ، وهو الامبراطور فردريك الثاني ، حتى لا يدخل في حرب معه (١٤٨) ، وخاصة بعدما أيقن الكامل أن هناك عدوا يمكن أن يستقطبه الامبراطور الى جانبه ، الا وهو السلطان جلال الدين .

ولم تكن هذه الظروف التي دفعت الكامل وفردريك لأن يلتقيا فحسب ، ولكن ما حدث من تقارب فكري وثقافي كان له أثره في تقارب وجهات النظر ، والذي يتضح من خلال العلاقة بين الامبراطور والملك الكامل طيلة سبع سنوات ، بالإضافة الى الأحداث

التي أجراها الامبراطور مع الأمير فخر الدين ، والتي كانت تتسم بالصدقة المتبادلة ، اذ حادته عن حكماء العرب والشاعر المتنبي وعن الدين الاسلامي ، وكذلك عن الجنة والنار والروح ، وعن « عين الحسود » التي يطلق عليها اللون الأزرق ، كما أنه انبسط معه وفتح له مسائل أخرى مثل « الخلافة والبابوية » (١٤٩) ، فقد سأل الامبراطور الأمير فخر الدين ، عن الخليفة ما أصله ، فقال له فخر الدين « هو ابن عم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم » أخذ الخلافة عن أبيه ، وأخذها أبوه عن أبيه ، فالخلافة مستمرة في بيت النبوة لا تخرج منهم ، فقال الامبراطور « ما أحسن هذا ، لكن هؤلاء القليلو العقول يعنى الفرنج - يأخذون رجلا من المزبلة ، ليس بينه وبين المسيح نسبة ولا سبب جاهلا منما ، يجعلونه خليفة عليهم ، قائم مقام المسيح فيهم ، وأنتم خليفتم ابن عم نبيكم ، فهو أحق الناس بمرتبته » (١٥٠) .

وكذلك تناقش الامبراطور مع الأمير فخر الدين ، في أسئلة في الحساب والمنطق والادارة والطب (١٥١) ، وفروعا أخرى من المعرفة مكنته من أن يحول أى حديث الى المجالات الفلسفية العريضة الى القلب الشرقي ، فنجح نجاحا كاملا في ذلك ، وبدأ يتحرك بين الأمراء المسلمين بلباقة اجتماعية تامة لرجل العلم الكيس (١٥٢) . ويذكر بعض المؤرخين ، أن الامبراطور بدأ بنفسه في كسب صداقة شخصية مع المسلمين فهو لم يأت بحثا عن الغزوات ، ولكن ليستولى سلميا على بعض المناطق وقد سبق قول فردريك « كان يجب أن لا أبحث عن كسب مثل هذه الاتفاقيات من السلطان لو لم أكن خائفا من فقد نفوذى بين الفرنجة » (١٥٣) .

ومن ثم فقد بدأ الامبراطور فردريك أكثر قلقا ليتعلم كل شئ عن عاداتهم واكتشافاتهم وأفكارهم ، أكبر من أخذ القلس منهم (١٥٤) ، ويؤكد هذا قول بعض المؤرخين نقلا عن المستشرق

الايطالى « فرانسيسكو جابريلى » لم يكن فردريك يقتصر على الاتصال بالعلماء المسلمين في حاشيته ، بل كان يتصل بالعلماء الشرقيين عن طريق الرسائل لحل المشاكل العلمية والرياضية والطبيعية والفلسفية وغيرها ، ومن هؤلاء علم الدين الحنفى أستاذ الرياضة المصرى الذى كان فى خدمة الملك الكامل الأيوبي ، واختير لحل المشاكل الرياضية التي تحداها بهم فردريك (١٥٥) .

ومجمل القول أن الامبراطور فردريك كان داهية ، الى الحد الذى يستطيع به أن يحقق الكثير ، بالأسلوب الدبلوماسى من خلال صداقته ، ومراسلاته السرية التي يمكن أن يحرز به ما يصعب تحقيقه بالمراسلات العلنية .

وكان الملك الكامل يقدر هذا الأسلوب ، فهو يعشق النقاش مع المتعلمين عن فلسفة التشريع ، وقواعد اللغة ، وهى أشياء يحبها العرب ، وكان هو نفسه شاعرا ، ولا تزال بعض أشعاره باقية ، وكان معه فى قلعة الجبل خمسون عالما يجلسون وينامون فى ديوان حول عرشه ليزودهم بمحادثاته المسائية ، كما أنه كان ينفق ماله بطيب خاطر فى تعزيز التعليم ، اذ أسس مدرسة فى القاهرة لدراسة الأحاديث النبوية ، وأخرج مراتب للفقهاء *Jurists* . هذا وقد كان الكامل اداريا يستحق الإعجاب ، حيث كان يراجع الدخل الحكومى من الضرائب ، بالاضافة الى انه اخترع أنواعا جديدة من الضرائب (١٦٥) .

على أية حال لم يرغب الملك الكامل فى الدخول فى صدام مع الامبراطور فردريك فى هذه الظروف ، وخاصة عندما وصلت درجة الاستعطاف بالامبراطور أن جرد نفسه من أسلحته الشخصية ، وأرسلها الى الملك الكامل ، وهى عبارة عن : الخوذة ، والسياف ودرع الرأس (١٥٧) رغم أن البعض اعتبر هذا الأسلوب ، هو أسلوبا استفزازيا من جانب الامبراطور (١٥٨) .

وفى النهاية وخلال المراسلات السرية بين الامبراطور والملك الكامل أرسل الأخير خطابا الى الامبراطور مع الأمير « فخر الدين » و « توما الأكويني » و « باليان » فى ١١ فبراير عام ١٢٢٩ م / ١٥ ربيع الأول ٦٢٦ هـ ، وبه بنود الاتفاقية (١٥٩) ، ولم يجد الكامل بدا من المهادنة (١٦٠) ، وقد وافق الامبراطور على هذه البنود فى الأحد ١٨ فبراير عام ١٢٢٩ / ٢٢ ربيع الأول ٦٢٦ هـ ، ووقعت معاهدة الصلح بين الجانبين ، حضرها من الجانب الاسلامي ممثلوا الكامل ، الأمير فخر الدين بن شيخ شيوخ ، وصلاح الدين الأربلي ، ومن الجانب الامبراطوري مقدم الفرسان التيوتون ، « هيرمان أف سالزا » وأسقف أكسترا وونشستر (١٦١) ، ثم حلف عليها الملك الكامل والامبراطور فردريك (١٦٢) وتتضمن بنود فحواها .

أولا : يسلم السلطان الكامل بيت المقدس الى الامبراطور فردريك وضباطه وحاشيته ، وينظمها وفقا لارادته (١٦٣) ، كما يسلم بيت لحم ، وكل القرى على الطريق من عكا الى القدس ومن عكا الى يافا وأرض تورن وملحقاتهم (١٦٤) ، علاوة على صيدا وقيصرية ، كما يمكن للامبراطور تحصين هذه المناطق .

ثانيا : يكون الحرم الشريف بما حواه من منطقة معبد سليمان والمسجد الأقصى ومسجد عمرو ، للمسلمين ، ولا يدخله الفرنجي الا للزيارة (١٦٥) أيا كان جنسيته ، ويمارس فيه المسلمون شعائهم ، دون اعتراض . أما مفاتيح الأبواب فى المنطقة المحيطة فتبقى فى أيدي المقيمين من المسلمين ، وذلك لصيانتها والاهتمام بالمنطقة (١٦٦) ، ويقيم الولى على المسلمين فى هذه المنطقة « بالبيرة » (١٦٧) .

ثالثا : أن يكون هناك سلام بين الامبراطور فردريك الثانى والملك الكامل محمد لمدة عشر سنوات (١٦٨) . بالتقويم الأفرنجي ،

أى عشر سنوات وأربعين يوما بالتقويم الهجرى (١٦٩) ، اعتبارا من ٢٤ فبراير عام ١٢٢٩ م / ٢٨ ربيع الأول ٦٢٦ هـ (١٧٠) .

رابعا : ان أى أفرنجي مؤمن مخلص ، يطلب دخول معبد الرب ، بقصد الصلاة ، سوف يسمح له بذلك وان لم يكون مؤمنا مخلصا فلا يسمح له بالزيارة فى أى جزء من المنطقة (١٧١) .

خامسا : تعهد الامبراطور أنه لن يقدم المساعدة لأى فرنجي ، مهما كان أو أى شرقي ، فى مخالفة النائب ، أو ضد المسلمين ، طول مدة المعاهدة وإذا قامت الحرب يتعهد الامبراطور بأنه لن يساعد أى جيش ولن يحالف أى طرف له دور فى الصراع ، لا بالرجال ولا بالمدد (١٧٢) ، وأن يمنع أية حملة أوربية من المجئ الى الشواطئ الأوربية بمصر والشام (١٧٣) .

سادسا : اذا حدث نزاع بين مسلم ومسلم آخر فى القدس ، فيحاكم أمام محكمة اسلامية أما المسيحيون فيحاكمون أمام محكمة مسيحية (١٧٤) .

سابعا : اطلاق سراح الأسرى بين الطرفين ، وبخاصة الأطفال الذين أسروا من حملة الأطفال سنة ١٢١٢ م (١٧٥) .

ثامنا : اشترط المسلمون لتسليم بيت المقدس لفردريك أن لا يحدث به أى تجديد فى سورته ، وأن يبقى كما هو على حاله خرابا (١٧٦) .

تاسعا : اذا نقض أى صليبي هذه الاتفاقية ، والموضوعات المذكورة فى هذه الهدنة سوف يحرمهم السلطان من الامتيازات الممنوحة لهم (١٧٧) .

عاشرا : طرابلس وأقاليمها ، وحصون طرطوس ، والمرقب وأنطاكية ، سوف تترك على وضعها ، والامبراطور يحذر اتباعه وقواته المقيمين في تلك المناطق من التعامل مع أمراء تلك المدن (١٧٨) ذلك لأنها لم تدخل الاتفاقية .

ويتضح من هذه البنود أن الامبراطور فردريك الثاني استطاع أن يحصل على الكثير مما لم يتيسر لسابقه من أمراء وأباطرة أوربا ، أن يحصلوا عليها بالطريقة التي لم يفكر فيها أحد من ملوك أوربا إبان الحروب الصليبية الا وهى الأسلوب الدبلوماسى .

موقف المسلمين والصليبيين والبابوية من الاتفاقية :

أما عن الموقف الاسلامى العام من الاتفاقية ، فقد أصدر الملك الكامل وأوامره للمسلمين بالانسحاب من القدس ، « ونودى فى البلد بخروج المسلمين فخرجوا ووقع الضجيج » (١٧٩) وكان لكل طرف من الأطراف موقفه .

فالملك الأشرف موسى كان على صلات طيبة بأخيه الملك الكامل ، ويذكر البعض أن الملك الكامل بعث ، إبان المفاوضات بينه وبين الامبراطور ، الأمير « سيف الدين بن قلع » بصورة رسالة الى أخيه الملك الأشرف ليقول ما عنده فيها ، وكشفت اجابة الأشرف عن تأييده المطلق لسياسة أخيه السلطان الكامل ، اذ قال الأشرف لرسول الملك الكامل « ياسيف الدين ما يقول عبد مملوك هو وجماعته ، مهما رسمه السلطان الكامل ، كان ، لأنه هو سلطان البلاد ، ولا يخرج أحد عن أمره ، بل تسأله اتفاق الكلمة ليجمع العساكر من البلاد الى خدمته ويقرر ما فيه الصلاح للمسلمين والبيت » (١٨٠) ، كما أن الملك الأشرف اجتمع مع الملك الكامل ،

وترددت الرسائل بينهما ، وبين الامبراطور الى أن استقر الوضع (١٨١) .

وهكذا يمكن القول بأن الملك الأشرف موسى كان على علم بما استحدثه الكامل مع الامبراطور فردريك ، ومن ثم فيستبعد أن يتخذ موقفا مضادا لسياسة أخيه ، وخاصة بعد أن اتفق مع الملك الكامل على نزع دمشق من الناصر داود واعطائها للأشرف وما معها من الأعمال ، وسار الأخير فعلا لحصار الناصر بدمشق أثناء المفاوضات بين الامبراطور فردريك والكامل محمد (١٨٢) ، الى أن انتهى الكامل من أمر الامبراطور فردريك ، فاستولى على دمشق من الناصر داود بن المعظم عيسى ، فى شعبان ٦٢٦ هـ ، وسلمها الى أخيه الأشرف ، مقابلا أن يترك الأخير « حران » و « الرها » و « سروج » و « رأس العين » من الجزيرة الى الملك الكامل ، وترك للناصر داود « الكرك » و « الشوبك » و « الغور » و « نابلس » (١٨٣) .

أما عن موقف المسلمين بالقدس من الاتفاقية فقد أثار توقيعها السخط بينهم (١٨٤) ، وقد حضر الأئمة والمؤذنون من الصخرة والمسجد الأقصى ، الى باب دهليز الملك الكامل وأذنوا على بابه ، فى غير وقت الأذان (١٨٥) ، وكان هذا بمثابة تذكير للسلطان ، وقد أنهموه بصراحة بالتهاون فى ديانة المسلمين ، وفتوحات صلاح الدين (١٨٦) .

أما موقف الملك الكامل من هؤلاء فقد أمر بأخذ ما معهم من الستور والقناديل الفضة والآلات وزجرهم ، وقيل لهم « أمضوا الى حيث شئتم » (١٨٧) .

أما عن أهل القدس فقد وقع بينهم الضجيج والبكاء ، وحزنوا على سلب القدس من أيديهم بهذه الصورة ، وابستشنعوا (١٨٨)

ذلك لأنهم يعلمون كيف يذل صلاح الدين النفس والنفيس من أجل استرداده ، وقبعوا في منازلهم يسبون الملك الكامل (١٨٩) .
ويذكر البعض أن الناس أنشدوا بالقدس هذه الآيات :

ان يكن بالشام قل نصيرى
وتهدمت ثم دام هلوكى

فلقد أصبح الغداة خرابى
سمة العاد فى حياة الملوك (١٩٠)

وكان موقف المسلمين بدمشق من الاتفاقية لا يقل سخطا عليها من موقف أهل القدس ، فعندما وصلت الأخبار اليهم بتسليم القدس الى الامبراطور ، هاجوا حزنا ، واشتدت العظائم ، وأقيمت المآتم ، وأمر الملك الناصر داود بالتشبييع على عمه الملك الكامل (١٩١) ، وتقدم الى الشيخ « شمس الدين يوسف سبط الشيخ » جمال الدين بن الجوزى « الواعظ » وكان الناس يحبونه ويرغبون فى الاستماع لأحاديثه (١٩٢) ، فأمره الناصر بالجلوس فى جامع دمشق ، ويذكر ما حدث لبيت المقدس ويقول ابن الجوزى « فما أمكننى مخالفته ورأيت من جملة الديانة الحمية للإسلام ، موافقته فجلست بجامع دمشق » (١٩٣) . وكذلك طلب الناصر من ابن الجوزى أن يثير الناس ضد الكامل (١٩٤) . وعلى أية حال جلس ابن الجوزى بجامع دمشق وحضر الناصر على باب مشهد « على » ، وجاء الناس الى المسجد وكان يوما مشهودا ومن الكلمات التى قالها بن الجوزى « انقطعت عن البيت المقدس وفود الزائرين ياوحشة المجاورين ، كما كان لهم فى تلك الأماكن من ركعه ، وكم جرت لهم على تلك المساكن من دمه ، تالله لو صارت عيونهم عيوننا لما وفيت ولو تقطعت قلوبهم أسفا لما شفت . أحسن الله عزاء المؤمنين ، ياخجلة ملوك المسلمين ، لئلا هذه الحادثة ،

تسكب العبرات لثلها تنقطع القلوب من الزفرات لثلها تعظم الحسرات » (١٩٥) وقد أنشد الحافظ شمس الدين سبط بن الجوزى ، قصيدة أبياتها ثلثائة ، بيت منها :

على قبة المعراج والصخرة التى
تفاخر ما فى الأرض من صخرات
مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر العرصات (١٩٦)

ويمكن القول بأن هذه الاتجاهات المضادة ضد الاتفاقية التى عقدها الملك الكامل ، قد دفعت الأخير لكى يدافع عن نفسه ، ويهون من أمر هذه المعاهدة فقال « أنا لم نسمح لهم الا بكنايس وآذر خراب ، والحرم وما فيه من الصخرة المقدسة وسائر التزارات بأيدي المسلمين على حاله ، وشعار الاسلام قائم على ما كان عليه ، ووالى المسلمين متحكم على رسائيقه وأعماله » (١٩٧) ، وكان هذا أقصى ما عند الملك الكامل أن يقوله بشأن وقوف المسلمين ضده ، لأنه أصبح فى نظر المسلمين خائنا حيث تساهل فى ترك أملاكهم (١٩٨) ، وكانت هذه من الوصمات التى دخلت على المسلمين (١٩٩) .

أما عن موقف الخليفة فى بغداد ، فقد طلب من الملك الكامل أن يقدم له بيانا بشأن هذه الاتفاقية (٢٠٠) ، فأرسل الملك الكامل اليه ، جمال الدين الكاتب الأشرفى ، وكذلك الى البلاد الشرقية ، حتى يسكن قلب الناس ويطمئنهم ، من جراء أنزعاجهم بسبب الاتفاقية (٢٠١) .

وهكذا عم السخط بلاد الشام حتى أولئك الذين ساهموا في السفارات بين السلطان الكامل والامبراطور فردريك ، ودليل ذلك ان الصلاح الأربلي ، أرسل الى الملك الكامل بعد الاتفاقية يقول :

زعم اللعين الأنبرور بأنه سلم يدوم لنا على أقواله

شرب اليمين فان تعرض ناكثا فلياكلن لذلك لحم شمائله (٢٠٢)

والشطر الأخير من البيت الثاني هي العبارة التي أقسم بها الامبراطور عند عقد الاتفاقية .

ويبدو أن الامبراطور فردريك قد شعر بمدى الموقف الذي أضحي فيه الملك الكامل بين المسلمين ، اذ يقول الامبراطور « لولا أني أخاف انكسار جاهي عند الفرنج لما كلفت السلطان شيئا من ذلك » (٢٠٣) .

وصفوة القول أن الملك الكامل قد استجاب لطلبات الامبراطور ، وأن ما أثاره المسلمون من سخط بسبب تلك الاتفاقية ، كان تصرفا طبيعيا ، لأنهم لا يلمسون بواطن الأمور ، فقد وافق الكامل على اعطاء القدس للامبراطور بشرط « خراب أسواره » وأنه بإمكانه رده في أي وقت (٢٠٤) ، وأن الظروف التي سبق ذكرها - قد دفعته الى ذلك (٢٠٥) ، وأنه قد ضحى بمنطقة قليلة الأهمية وكسب تحالفا دفاعيا مع الامبراطور (٢٠٦) ، كما أن السلطان الكامل ، أتاح لنفسه بهذه الاتفاقية فرصة مواصلة غزواته العسكرية ، دون أن تقلقه حركة صليبية جديدة قد تأتي تلو رفضه لتسليم القدس (٢٠٧) ، حتى ينصرف الى شؤون الدولة الأيوبية ، ويقف ضد الخوارزمية (٢٠٨) .

ومما سبق يمكن القول ، إن لم يتم عقد الاتفاقية بهذه الصورة ، فربما حدث صدام بين الطرفين ، ولا يسبغ نيام حملات أخرى ، وقت الشرق أحوج فيها الى السلام منه الى الحرب بسبب الصداقات بين امرائه ، والاختار المحققة به ، ومن ثم فلا يمكن الأخذ بقول البعض « لو أن السلطان قد امتنع عن تسليمها للامبراطور ، لما أمكنه الاستيلاء عليه عنوة ، خاصة وأنه لم يكن مزودا بالعدد الكافي والعدد اللازمة لفرض حصار قوى حولها ينتهي بسقوطها في أيدي اللاتين » (٢٠٩) ، اذ لو كان هذا صحيحا فيماذا نفسر ، أعمال الامبراطور العسكرية في يافا بالإضافة الى وضع قبرص تحت إدارته حتى تمده بالمال والعتاد والرجال أثناء وجوده بالشرق .

لاشك أن الامبراطور فردريك الثاني استطاع أن يفعل ما لم ينجح أحدا غيره في فعله ، وفشل في تحقيقه كل الصليبيين ، منذ معركة حطين ودخول صلاح الدين القدس .

هذا وقد سبق توضيح كيف كان موقف الصليبيين بالشرق بعد وصول الامبراطور فردريك الى بلاد الشام ، والآن وقد وقعت هذه الاتفاقية ، فإنها لم تلق الترحيب الا من فئات قليلة ، مثل الألمان والصقليين أتباع الامبراطور ، الذين اقتنعوا بالاتفاقية (٢١٠) ، من واقع ولائهم للامبراطور وانفجروا في صياح الفرح بما استطاع أن يحققه لهم امبراطورهم (٢١١) .

أما بقية الصليبيين بالشرق فإنهم عارضوا الاتفاقية (٢١٢) ، واندلعت من جديد الآلام والمتاعب بينهم (٢١٣) ، ذلك لأن الامبراطور قد قبل أن يبقى المسجد الأقصى وقبة الصخرة بيد المسلمين أمام المقدسات المسيحية ، وهذا ما أتى من أجله الصليبيون لازالة ذلك التقارب (٢١٤) ، فضلا عن ذلك فإن بعض الصليبيين كان يرى ، طالما أن الاتفاقية لم تشمل سلب الأردن والكرك ،

فانه لا قيمة لها ، وهرروا رأيهم بانه يمكن للمسلمين استرداد بيت المقدس بسهولة من خلال تلك المناطق ، علاوة على ذلك فان الصليبيين كانوا قد رفضوا ذلك العرض في دمياط ١٢٢٠ / ١٢٢١ م ، ولو كان الصليبيون يرون فيه مصلحة لرضوا بهذا عندما عرضه الملك الكامل عليهم (٢١٥) ، بالاضافة الى هذا وذاك فان الاتفاقية قطعت بمقتضاها الامدادات عن الصليبيين بالشرق (٢١٦) ، وقضت على الحرب المقدسة .

وكان « جيرولد » Gerold بطريرك القدس ، قد عرض على البابا جريجورى التاسع تفاصيل ما صنعه الامبراطور فردريك الثانى فى الأراضى المقدسة ، ووصف المعاهدة بأنها خيانة ارتكبها الامبراطور مع سلطان مصر (٢١٧) ، وذكر له كذلك نقاط الضعف ، ووصف الامبراطور بأنه أحمق ، سمح لنفسه أن يخدعه المسلمون ، كما ذكر له عدم احتواء المعاهدة كلمة واحدة بشأن استرداد الكنيسة وممتلكات الدير (٢١٨) ، وأرسل « جيرولد » أيضا الى جميع المسيحيين يخبرهم عن سلوك الامبراطور فردريك الثانى فى الأرض المقدسة ، ويتهمه بسوء معاملته مع فرسان الهيكل ، ورجال الدين واهانات كثيرة أهانها بها (٢١٩) .

وكان لهذه المراسلات نتائج على المستوى المحلى والعالمى ، أما على المستوى المحلى فقد اتبع كثير من المسيحيين البطريرك فى آرائه ، وأخلصوا له ضد الامبراطور (٢٢٠) .

أما على المستوى العالمى ، فقد استغل البابا هذا الوضع ، وبدأ يسيء الى الامبراطور فردريك ، فى الأوساط الأوربية ، ونشر ذلك فى العالم المسيحي بصورة من الحقد والضغينة ، ووصف

الأعمال التى قام بها بأنها مخجلة ، فى تفاوضه مع الكفار (المسلمين) وسمح لهم بالعبادة فى القدس ، وأهمل البابا ، ما حققه الامبراطور من نجاح فى الشرق (٢٢١) ، وأطلق عليه « مريد المحمديين » « المسلمين » بعد أن كانت تطبق عليه « ابن الكنيسة المحبوب » (٢٢٢) .

وقد حاول « هيرمان سالزا » قائد التيوتون أن يحبط الاعمال التى قام بها « جيرولد » وخاصة لدى البابا ، فأرسل فى ١٥ مارس سنة ١٢٢٩ م الى البابا جريجورى التاسع يخبره باعمال الامبراطور فردريك الثانى ، ونجاح المعاهدة الخاصة بالسلام مع سلطان مصر ، والتى تم بها إعادة مدينة القدس الى الصليبيين وبعض الأماكن الأخرى (٢٢٣) .

ورغم ما نشب بين الفئات المختلفة بالشرق من خلاف بسبب الاتفاقية ، فان الامبراطور اعتبر نفسه ملكا على بيت المقدس ، ورغب فى زيارته الا انه لم يظهر أمام المسلمين بمظهر السالم لحقوقهم ، ومن ثم فقد استعمل الأسلوب الدبلوماسى ، حتى يتسنى له زيارة بيت المقدس من ناحية ، ولكى يأمن جانب المسلمين أثناء هذه الزيارة المرتقبة من ناحية أخرى ، اذ أنه استأذن الملك الكامل فى زيارة القدس ، فلم يلب السلطان طلبه فحسب ، ولكنه كلف القاضى شمس الدين قاضى نابلس ، بملازمته خلال زيارته الى القدس (٢٢٤) ، وعندما علم أسقف قيسارية بنوايا الامبراطور فى الزيارة ، أصدر أوامره الى « جيرولد » بطريرك القدس ليصدر قرار التحريم على المدينة ويمنع الحجاج من زيارة قبر المسيح (٢٢٥) ، وعلى أية حال تقدم الامبراطور الى بيت المقدس وفى مقدمة الحجاج ، ولم ينجح البطريرك فى منعهم من الدخول ، ذلك لأن معظمهم كان من الألمان ، كما يتضح ذلك من رسالة « جيرولد » الى البابا اذ

كتب « لدى الألمان شيء واحد يفكرون فيه وهو أن يكونوا أحرارا في زيارة الضريح المقدس The Holy Sepulcher ، وكانوا الأمة الوحيدة التي رفعت أناشيد النصر والحماس واضاءت المدينة بأسيلوب مسرح » (٢٢٦) ، وجرى الاحتفال في ١٧ مارس سنة ١٢٢٩ م / رمضان ٦٢٦ هـ ، بدخول الامبراطور الى بيت المقدس ، ومعه بالاضافة الى الحجاج - الفرسان التيوتون ، وأساقفة صقلية ، ومن انجلترا بطرس أسقف ونستر ، ووليم أسقف اكستر ، الى أن وصل الامبراطور الى دار الاستبارية القديمة حيث اتخذها مقرا له (٢٢٧) .

وفي اليوم التالي لوصوله بيت المقدس ، أى في الأحد وسبيل صيام الأربعين Mid Lent ١٨ مارس عام ١٢٢٩ م (٢٢٨) ، توجه الامبراطور ليشهد القداس في كنيسة القيامة ، فلم يكن بها أحد من القسس ، فتقدم الامبراطور ، رابط الجاش ، وبالقرب من ضريح الكنيسة ظهر في ثوب كهنوتي أزرق ورجف بمفرده في عزله ، وتمتم باسم « مارية » وابنها وباسم الله ، وأخذ التاج الذهبى من على المذبح وتوج نفسه به (٢٢٩) ، وشجعه على ذلك البارونات الذين كان يتبعونه (٢٣٠) وقد قام الامبراطور بهذا دون الانتظار لبركة البابا ، هذا ونصحه رئيس الأساقفة بيرارد وهرمان أف سالزا ، بعدم القيام بأية طقوس دينية ، حتى يأخذ موافقة البابا (٢٣١) ، ومن الأرجح أن يكون القساوسة قد رفضوا تنويع امبراطور محروم من الكنيسة ، مما دفعه لكي يتوج نفسه (٢٣٢) .

وبعد التنويع خطب الامبراطور في الحجاج موضحا ، أن ما أضافه من نصر في الشرق هو من الرب ، ثم اثنى على الكنيسة والامبراطورية ، واعتبرها مثله الأعلى ، ثم قس هيرمان سالزا هذه

الخطبة للحجاج باللغة الفرنسية والإلانيه واشاد فيها بالامبراطور ، وأعماله الباهرة ، وبرر سياسته التي اتبعها في الشرق (٢٣٣) . ثم ذهب الامبراطور الى دار الاستبارية ، وعقد مجلسا عسكريا لمناقشة أمر الدفاع عن بيت المقدس ، وأصدر أمره بإصلاح برج « داود » وباب « اصطفان » وبسليم المقر الملكى الملاصق لبرج « داود » الى الفرسان التيوتون (٢٣٤) .

ولما كان الامبراطور يرغب في زيارة الاماكن المقدسة الاسلامية بالقدس ، فقد عبر اليها ومعه القاضي شمس الدين ، ودخل الحرم الشريف (٢٣٥) ، وشاهد ما فيه من المزارات ، وعندما دخل المسجد الأقصى أعجب بعمارته ، وكذلك بقبة الصخرة المقدسة ، وتقدم الى محراب المسجد الأقصى ، فأنبهر بصناعته ، وجمال المنبر وصعد على درجات المنبر ليشاهد جميل الصناعة (٢٣٦) ، وتضيف بعض المصادر انه عندما أتى وقت الظهر أذن المؤذنون فتقدم الامبراطور هو ومن كان معه فجلسوا (٢٣٧) ، ويمكن القول بأن الذى أدى الصلاة ، هم الجماعة الذين صحبوا الامبراطور من المسلمين ، وإذا كان الامبراطور قد صلى معهم ، فيكون ذلك تمثيلا مع ما يقوم المسلمين فقط ، اذ يستبعد ان يكون الامبراطور قد أدى هذه الصلاة عن ايمان راسخ بالديانة الاسلامية .

هذا وقد نظر الامبراطور بامعان الى قبة الصخرة ، ووجد كتابات ذهبية على البوابة الخاصة بالقبة ، منها عبارة نصها ، « وقد طهر هذا البيت المقدس صلاح الدين من المشركين (٢٣٨) » وذلك تخليدا لانتصاره على الصليبيين ، فسأل الامبراطور من معه من المسلمين وقال : من هم المشركون ؟ وتظاهر بأنه لم يفهم معناها ، وأصر على تفسيرها ، فأخبره المسلمون بأن المسيحيين بثالوثهم هم المشركين (٢٣٩) .

وقد كان الامبراطور منبهرا بين الآثار الاسلامية التي احبها وعشقها ، فما كاد يقابله شيئا غريب الا ويسأل عنه ، فعندما وجه الشيبانيك الشعرية الى المزيه بالاسياخ باعلى التواضع - المعاملة للبوابات في الصخرة ، فسأل لماذا صنعت بهذه الصورة ؟ فقال له المسلمون ، حتى لا تدخل العصافير الى القبة ، فابتسم الامبراطور وقال « والآن احضر الله لكم الخنازير » (٢٤٠) . يقصد بذلك الصليبيين ، وقد أطلق لفظ الخنازير على بنى جلدته ، وذلك لأن بعض المسلمين كان يطلقون هذا اللفظ على المسيحيين (٢٤١) . وقد يادر باستخدام هذه الكلمة ، لكي يشارك المسلمين في رأيهم في المسيحيين .

ولم تقف دبلوماسية الامبراطور فردريك عند هذا الحد في تعامله مع المسلمين بالشرق ، فعندما كان الامبراطور في طريقه الى خارج المسجد الأقصى - بعد أن شاهده ما فيه - وجد قسيسا وبيده الأنجيل ، يرغب في الدخول الى المسجد الأقصى ، فصاح الامبراطور في وجهه وزجره قائلا له « ما الذي أتى بك الى هنا ، والله لئن عاد أحد منكم يدخل الى هنا بغير اذن لأخذن ما في عينيه ، نحن ممالك هذا السلطان ، الملك الكامل ، وعبيده وانما تصدق علينا وعليكم بهذه الكنائس على سبيل الانعام منه ، ولا يتعدى أحد منكم طوره » (٢٤٢) ، فجرى القسيس بعيدا وهو يرتعد خوفا من عنف الامبراطور الذي عرف عنه (٢٤٣) ، وبالرغم مما في هذه العبارة السابقة من كلمات تدل على اعتراف صريح من الامبراطور بحميل السلطان الكامل ، الا انه لا يعدو أن يكون أسلوبا من أساليب الدبلوماسية التي اتبعها الامبراطور .

كما شاهد الامبراطور أيضا مجلس قضاء المسلمين ، وكذلك المضييق الوعر الذي عبر منه سيدنا سليمان ، وناقش بعض الأمور

الخاصة بالآخرة والاعتقاد بها مع الأمير فخر الدين (٢٤٤) ، حيث نزل في داره بالقدس ضيفا عنده ، وناقش على مائدة العشاء مع المسلمين عن القمر والنجوم ومع الشيخ علم الدين أستاذ الكواكب ، الذي أرسله اليه الملك الكامل ، كما شارك في مؤدبة العشاء نساء من أنطاكية (٢٤٥) .

مكث الامبراطور ليلته عند القاضي شمس الدين ، بالقدس ، وظهر من الامبراطور موقف آخر يدل على سلوكه الدبلوماسي مع المسلمين بالشرق ، ذلك أن الملك الكامل قد أمر القاضي شمس الدين قاضي نابلس ، بمنع المؤذنين من آذان الفجر ، لأن مقدمات الآذان بها آيات من القرآن مثل « قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » ، وأيضا « ما اتخذ الله من ولد » و « ذلك عيسى بن مريم » (٢٤٦) ، ونحو هذه مما يمكن أن تؤذي شعور الامبراطور فردريك وخاصة أن المؤذنة فوق بيت القاضي ، الذي ينم فيه الامبراطور ، فتذكر المصادر ، أن القاضي نسي أن يأمر المؤذنين بعدم الآذان ، ومضت الليلة على حالها ، وأذن للفجر الشيخ عبد الكريم ، وسمع الامبراطور ذلك ، وفي فجر الليلة التالية لم يؤذن للصلاة طبقا لأوامر الملك الكامل (٢٤٧) ، أغلب الظن أن مقدمات الآذان هي التي لم يذكرها المؤذن فقط ، وقد استدعى الامبراطور القاضي شمس الدين وقال « يا قاضي لم يؤذن المؤذنون على المنابر على جاري عاداتهم ؟ فقال له القاضي « ان المملوك منعهم من ذلك اعظاما للملك واحتراما له » فقال الامبراطور « أخطأت فيما فعلت ، والله انه أكثر غرضي من المبيت في القدس ان أسمع آذان المؤذنين وتسميهمهم (٢٤٨) » وتضيف بعض المصادر ان الامبراطور قال « أخطأت يا قاضي تغيرون أنتم شعائركم ، وشرعكم ودينكم لأجل ، فلو كنتم عندي في بلادى ، هل كنت أبطل ضرب الناقوس لأجلكم ، الله الله لا تفعلوا أول ما تنقصون عندنا » (٢٤٩) .

ثم قام الامبراطور بتوزيع المال على المؤذنين والمجاورين واعطى
للشيخ عبد الكريم المؤذن مائة دينار (٢٥٠) .

هذا جانب من الجوانب التي أثارت انتباه الامبراطور فردريك
الثاني خلال الفترة التي قضاها بين المسلمين في بيت المقدس ، والذي
يلفت النظر فيها هو ذلك الأسلوب الذي سلكه تجاه المسلمين ،
والذي ينم في المقام الأول وقبل كل شيء عن دبلوماسية فائقة ،
ويستبعد الشك في هذه المواقف لأنها وردت في المصادر الشرقية
والغربية على السواء مع اختلاف غير واضح لا يدعو الى الشك فيها .

والذي لا شك فيه أن الامبراطور فردريك قد حقق نجاحا
كبيرا في المجال الدبلوماسي ، ليس لامبراطوريته فحسب ، ولكن
للمسيحيين جميعا ، في الشرق والغرب ، ولكنه لقي منهم جزاء
سنمار (٢٥١) ، اذ ابلغه « قسيس » سالزا ، أثناء اجتماع
الامبراطور بمجلس الاساقفة بأن البطريرك والاسقف قد اصدرا
قرار الحرمان ضد المدينة المقدسة في يوم الاثنين ١٩ مارس عام
١٢٢٩ م ، طالما كان الامبراطور فيها (٢٥٢) ، وبصور بعض
المؤرخين الحالة التي كانت فيها المدينة المقدسة ، اذ يقول توقفت
كل حريات المعتقدات وأخذت أدوات الزينة منها من الصليبان
والصور التي بها ، ولم يسمع دقيات أجراس الكنائس ،
ولا الأناشيد الدينية ، فقد كان هناك صمت رهيب يخيم على
الكنيسة ، حيث كان القساوسة يؤدون الصلاة بصوت منخفض ،
والأبواب موصدة ، وكان الموتى يدفنون في الحقول بدون صلوات
أو حفلات جنازية ، واعتبر الجميع أن هذا انتقام من الله (٢٥٣) .

وقد أراد الامبراطور أن يدعم موقفه أمام هذه الأعمال التي
قام بها رئيس الاساقفة والبطريرك ، فأرسل الى البابا وإلى أمراء
الغرب ، يخبرهم بما حققه من نجاح في اورشليم ، بالأسلوب

الدبلوماسي (٢٥٤) ، إلا أن هذا النجاح أغضب البابوية ونصبت
حملة ضد الامبراطور المحروم حتى لا تتصل به الجيوش والهيئات
العسكرية الصليبية (٢٥٥) ، على نحو ما سبق ذكره .

ولم يرغب الامبراطور أن يمكث في القدس ، بعد أن ساءت
الأوضاع السياسية على نحو ما سبق ، ورأى من الأهمية بمكان
مغادرتها الى يافا فجمع كل رجاله (٢٥٦) حيث وصلها في ٢١ مارس
١٢٢٩ م ، ولم يمكث بها الا يوما واحدا ، انتشر فيه خبر تنويجه
بين الناس (٢٥٧) ، ثم توجه الى عكا ، وهناك أعلن الامبراطور
ملكيته للقدس أمام الناس كما بين لهم أنه سيمتلك نائبا عنه بها ،
وسيقوم بتأديب من يخالفه ، الا أن الداوية ، وقفت ضده وحاولت
قتله (٢٥٨) ، بأمر البابوية مما ترتب عليه أن سلبهم أموالهم (٢٥٩) .
وقتل جماعة منهم على مرمى بصر الناس (٢٦٠) .

وبدأ الامبراطور يمارس سلطاته الفعلية في عكا ، كملك
لبيت المقدس اذ أنه منح قائد التيوتون « هيرمان سالزا » في ٢٠
ابريل ١٢٢٩ م ، ستة آلاف واربعمائة درهم شرقي (اسلامي)
وكذلك اقطاعيات لهم (٢٦١) ، كما أنه فصل في نزاع كان قائما بين
التيوتون و « اليس » Alysa - وهي من أحفاد هونفريوس
Honfredi - حول منطقة ، اذ قدم كل طرف حجته في ملكيتها ،
وصارت عين النزاع الى التيوتون ، وأقر الامبراطور ذلك تحت
اسم « جمعية مريم للتيوتون » (٢٦٢) . ومنح الامبراطور
آل التيوتون ، ستة آلاف واربعمائة درهم بينظي كضريبة سنوية
من أموال مدينة عكا (٢٦٣) ، هذا وقد أعاد الامبراطور الى بعض
الأفراد من أهالي بيزا المقيمين بعكا أموالا كانت قد صودرت
منهم ، وذلك عرفانا بالجميل ، اذ غضبوه في موافقة منذ أن نزل
ببلاد الشام (٢٦٤) ، كما أقر حقوقهم في صور ويافا فضلا عن

امتيازاتهم (٢٦٥) ، علاوة على منحهم مقرا دائما في القدس وصرح لهم بحرية النشاط فيها (٢٦٦) .

وقد كان الامبراطور يستغل خراج عكا في الاستعدادات العسكرية ، وليس أدل على ذلك من انه منح « كونراد هونيلو » Conrado Hehenloo ستة آلاف درهم بيزنطى بشرط أن يمدّه بتسعة آلاف رجل (٢٦٧) حتى يستغلهم في الحرب .

زد على ذلك فان الامبراطور سمح لأهل جبل « بيسولاني » Pessulanis الذين كانوا متعدين في الحضور الى عكا - بالتجارة والتصرف في أموالهم واستخدام مراكب أخرى غير مراكبهم ، وذلك لبعدهم عن وطنهم (٢٦٨) تسهيلا لمهامهم التجارية .

ولم يكن الامبراطور يتصرف في عكا وأموالها فحسب ، ولكنه أيضا يتصرف في القدس كذلك ، وكان يمنح الاقطاعات كيفما شاء ، والدليل على ذلك انه في أول مايو ١٢٢٩ م منح « حنبا ديجلونو » Johonnide Begnalo ، بصور منزلا في مدينة القدس ، وكان هذا المنزل لرجل اسمه بطرس ، أما الآن فهو من أملاك البلاط ، ومنحه بكل توابعه والحمام الذي أمامه (٢٦٩) .

ومما سبق يمكن القول بأن الامبراطور فردريك الثاني كان يتصرف في المملكة ، التي استطاع أن يكسبها بالود والصلوات الطيبة . فبالإضافة الى أعماله السابقة وهو في عكا فقد استطاع أن يوطد علاقاته مع « الحشاشين » (٢٧٠) Assassins في لبنان ، حيث بادلهم السفارات ، كما أطلق على نظامهم وعرف كيف يطعمون قائدهم « حسن الصباح » طاعة عمياء (٢٧١) .

عودة الامبراطور فردريك الثاني الى الغرب الأوربي :

وصفوة القول ان الامبراطور حاول ان يخضع بلاد الشام تحت سيطرة الألمان وخاصة التيوتون (٢٧٢) سيطرة دائمة ، الا أن الاخبار جاءت من أوروبا ، تنذر بسوء وضع امبراطوريته هناك مما قرب عليه أن قرر مغادرة عكا الى أوروبا أول مايو عام ١٢٢٩ م ، وسط أعمال سيئة من أهالي عكا وخلافات لا تنذر بخير (٢٧٣) ، إذ أن الامبراطور فردريك اتهم القساوسة بأنهم يساهمون في تسليمه لأعدائه ، كما رد القساوسة على الامبراطور بأنه يريد تسليم المدن المسيحية الى سلطان القاهرة (٢٧٤) ، وفي النهاية حدثت مشاجرة بين الامبراطور والأهالي بعكا ، رماء الأهالي بالقاذورات ، وهو يأخذ طريقه الى البحر في فجر الأول من مايو ١٢٢٩ (٢٧٥) الى قبرص (٢٧٦) ، ثم اتجه الى برنديزي ، التي وصلها في العاشر من يونيه ١٢٢٩ (٢٧٧) ، وقام حين وصوله بتوزيع الحراس على الساحل حتى يحميه من منافسيه ، وقد جاء الى الامبراطور من الشرق « رينالد سبوليتو » والوردات الألمان والفرسيان من عكا ، الذين ابحروا من قبل الى الشرق ، وهم كونراد « هونلا » Hohenlohe وكونتات هيلنجبرج Heiligenberg وهيلفنشتين Helfenstein وليشتنبرج Leuchtenberg و « ديون Dewin هؤلاء جاءوا لمساعدة الامبراطور الذي كان مستعدا في بارليتسا Barletta والذي بدأ الهجوم بعد شهرين ضد البابا (٢٧٨) .

وبعد وصول الامبراطور الى الغرب كان عليه أن يتصدى للدفاع عن نفسه ضد أعدائه ، وفي مقدمة هؤلاء البابا الذي صرح بأن الامبراطور قد قتل أثناء غيابه بالشرق (٢٧٩) ، مما دفع أعداء الامبراطور الى الطمع في ممتلكاته ، وبتحريض من البابا ، وخاصة المدن اللمباردية (٢٨٠) ، كما أن البابا قد دمر « أبسوليا » Apulia (٢٨١) ، وقد شجع الصليبيين بالشرق

ليقتنوا ضد فردريك ، واثاد بموقف البطريك والاسبترارية اذ يتضح ذلك من خطاب له بتاريخ ١٣ يونيو ١٢٢٩ م . وأصدر مرسومًا في ٢٨ ديسمبر عام ١٢٢٩ م بمنح المقاتلين غفرانا (٢٨٢) .

هذا وعندما وصل الامبراطور الى برنديزي ، قام «جنا دبرين» وكاردينال كلونيا بإعلان البابا جريجوري في «بورجيا» الذي أعلن البابا بأنه لا بد أن ينفي عدو الصليب المعلن والذي يقف ضد المسيح (٢٨٣) .

وبالرغم مما فعله البابا ضد الامبراطور أثناء غياب الأخير عن مسرح الأحداث في أوربا ، إلا أن الامبراطور ما أن وصلت أقدامه الى إيطاليا ، حتى بدأ يستعد لمواجهة البابوية ليسترد ممتلكاته التي استولت عليها ، فمقصد «افيلوني» Avellino ثم ظهر في «كابوا» Capua ، لأنه أخذ «كالفي» Calvi و «ميرانو» Mariano و «اليف» Alife و «فينافرو» Venafro (٢٨٤) . وأمام تقدم فردريك الملحوظ هرب الجيش البابوي الى حدود روما ، ويبدو أن البابوية قد شعرت بأنه لا جدوى من الوقوف في وجه الامبراطور ، وأرادت أن لا تصعد الخلافات بينها وبينه أكثر من ذلك . ومن ثم فقد قررت العفو عن المجرمين وخاصة في السنتين الأخيرتين ، فحضر الناس ومعهم الأمراء الألمان الى مجلس الشيوخ ومعهم الكرادلة ، ذو الرداء الأحمر ، كذلك دوقات «النمسا» و «كارنثيا» و «ميران» و بطريك «اكوليا» Aquilia وأسقف «سالزبرج» وأسقف «رانتسبون» (٢٨٥) ، واتفقت البابوية مع الامبراطور على أن يحل السلام بينهما محل الحرب ، وذلك في ٢٣ يوليو ١٢٣٠ م «بسان جرمانو» San Germano ، وأعلنت فيه البابوية ، أن الامبراطور فردريك الثاني (امبراطور الرومان ، أغسطس ملك اورشليم وصقلية)

سيدخل في مفاوضات بشأن المدن التي وقفت ضده وبجانب الكنيسة . وحدثت سنة لمناقشة هذه الأمور ، وإن لم يتم التوصل الى شيء فالكنيسة والامبراطور يختاران نوابا عنهما لمحاولة التوصل الى تسوية ، وإذا لم يتوصل هؤلاء النواب الى اتفاق ، يختار خمسة أشخاص ويكون الاتفاق بأغلبية الأعضاء ، وقد اختار الامبراطور «توماس» كونت اكيرا Thomas Acerra ليقسم له أن الامبراطور لا يتدخل في المفاوضات بما يعيقها (٢٨٦) . وأن الامبراطور قد تعهد بأنه سيحترم أي اتفاق تقوم به الكنيسة ، وسامح الامبراطور الألمان واللمباردين والتسكان Tuscan والصقليين والفرنسيين وآخرين انضموا الى جانب الكنيسة ضده ، وتعهد الامبراطور بأنه سيحافظ على السلام الحقيقي بينه وبين الكنيسة ، ووعد بأنه لن يعتدي على أراضي الكنيسة في روما ، مثل انكونا Ancona ، وقد أنهى هذا الشرط ، بأنه في حالة فشل الامبراطور في ارسال مندوبين عنه للتباحث فسوف يقف المجلس الى جانب الكنيسة ضد الامبراطور ، وإذا رفضت الكنيسة النواب أو خدمهم فسوف لا يعتد بهذا القسم (٢٨٧) .

من الواضح أن الامبراطور قد جعل يد الكنيسة هي العليا لكي تعترف بما فعله في الشرق ، وحتى لا تدخل معه في صراع أكثر حدة مما سبق ، ولعل أهم ما خرج به الامبراطور من هذا الاتفاق ، أنه لم يرد في هذا المجلس ذكر اسمه من بين المحرومين هذه المرة (٢٨٨) ، وكتب البابا للامبراطور «افتح لي قلبك تهديا روحي ، أنا ساتذكر الماضي غير الطويل» ورد عليه الامبراطور قائلا «تعال لتبحث معي بحماس عن ابنك المخلص ، ويظهر لي انه سهل لانجاز كل رغباتي» (٢٨٩) . وعلى أية حال لم تكن تغرب شمس الثامن والعشرين من أغسطس سنة ١٢٣٠ م حتى حل السلام بين الامبراطور والبابا (٢٩٠) ، وبذا أصبح فردريك مرة

أخرى ابن الكنيسة المخلص بعد ان كان « مريد المسلمين » على حد قول بعض المؤرخين (٢٩١) .

وهكذا اعترف البابا بها حققة الامبراطور من نصر دبلوماسي في علاقته بالملك الكامل ، من خلال اتفاق « سان جرمانو » (٢٩٢) ويذكر بعض المؤرخين ، أن الامبراطور فردريك قد اخلص كثيرا لهذه الاتفاقية واحترمها (٢٩٣) . ذلك لأن الاتفاقية قد زادت من قوته في الشرق ، وليس أدل على ذلك من أنه تم اخطار البطريرك « جيرولد » بطريق بيت المقدس ، برفع الحرمان عن بيت المقدس ، كما أن الامبراطور قد حرص على تزويد مملكته في الشرق بالجنود وخاصة أنه قد أرسل اليه اتباعه من الشرق ، بما يمكن قوله بأن الحكم اللاتيني في اورشليم مهدد من قبل المسلمين ، الأمر الذي ترتب عليه أن وعد الامبراطور بارسال قوات من طرفه الى الشرق سنة ١٢٣١ م (٢٩٤) . وقد أعد الامبراطور لذلك حشدا كبيرا من الجنود يصل الى ستمائة فارس ومائة من السرجندارية وسبعمائة من الجند المسلمين ، وثلاثة آلاف ملاح ومعهم ثلاثون سفينة لكي تحملهم . واقلعت من نابلي (٢٩٥) تحت قيادة ريتشارد فلانجيري Richard Filanghieri (٢٩٦) الذي حمل لقب « مارشال » Marshal الامبراطورية ، وقد وجهت اليه الاوامر باعادة السلطة الامبراطورية في قبرس حتى يحرم « حنادي ابلين » من اقطاعه في بيروت (٢٩٧) ، وعلى أية حال فقد وصل المارشال الى عكا ، ثم استولى على بيروت ، ولم يستطع الاستيلاء على قلاعها (٢٩٨) ، وفي فبراير عام ١٢٣٢ م ، عبر « حنادي ابلين » اليها من قبرس لاغاثتها ، الا انه لم ينجح ثم لحق في الحال بالبارونات في الأرض المقدسة (٢٩٩) .

هذا وقد تمكن المارشال ريتشارد فلانجيري من الاستيلاء على صور ، ثم عقد مجلسا من الكاردينالات والبارونات في عكا (٣٠٠)

وأطلعهم على خطاب اعتماد من الامبراطور بوصفه مندوبا عنه ، ثم طالب بمصادرة جميع « آل ابلين » بالشام ، وهنا عارض الأمراء ذلك الطلب ، وانضم اليهم تجار عكا الذين ألفوا مجلسا بلديا لحكم عكا ، واختاروا حنا ابلين رئيسا لهم (٣٠١) . وعلى أية حال ، تمقّد الموقف ، وتآلفت في عكا ، طائفة اشتهرت باسم طائفة القديس « ادريان » لم تلبث برغم أنها ترجع الى أصل ديني — أن أضحت تمثل المعارضة السياسية لفردريك ، كما يدل على ذلك ، قبولها عضوية الناظر حنا ابلين أمير بيروت (٣٠٢) . ويمكن القول بأن هناك حزبين رئيسيين : حزب ريتشارد فلانجيري نائب الامبراطور ، الذي يتألف من اللباردين ، والفرسان التيوتون ، وجالية البيازنة ، وحزب حنا ابلين الذي يضم البارونات والتجار ، أما البطريرك والاسبتارية والداوية فقد التزموا الاعتدال (٣٠٣) .

وقد حاول ممثل البنادقة في الشام وقناصل جنوه عقد الصلح بين الطرفين ، الا أنهم فشلوا في ذلك وحاول « حنا ابلين » الاستيلاء على بيروت ، وعكا وصور من ريتشارد الا أنه فشل ، وكل الذي استطاع عمله هو تكوين جبهة مناوئة للامبراطور في عكا كما سبق القول (٣٠٤) ، ومن ثم فقد ساد العداء بين الطرفين ودخلا في مواجهة عسكرية ، اذ عبر ريتشارد فلانجيري الى قبرس بألفي فارس لمحاربة رجال « حنا ابلين » الا انه لم ينجح في ذلك ، وقد علم الامبراطور بهذه الأمور جميعها (٣٠٥) ، وأيقن أن ريتشارد لم يستطع أن يقوم بالمهام السياسية التي أرسله من أجلها الى الشرق ، وعلى الامبراطور أن يعمل على الاحتفاظ بمملكته الصليبية بالشرق التي لم يبق منها غير صور (٣٠٦) ، فأرسل رسائل الى عكا مع أسقف صيدا ، الذي كان في روما ، بالغاء تعيين فلانجيري نائبه ، ويحل مكانه « فيليب موجا ستيل » وهو من نبلاء سوريا (٣٠٧) . الا أن « يوحنا » سيد بيروت تدخل لمنع مراسيم تنصيب « موجاستيل » نائبا عن الامبراطور ويرر مسلكه بأن هذا

الاجراء غير قانوني ، كما أكد أن الامبراطور ليست لديه سلطة
التنصيب والعزل بهذه الصورة ، وحدث صدام مر على اثره
« موجاستيل » الى صور ، واضحى يوحنا عميدا لقومون عكا ،
والحاكم الفعلي في المملكة ، عدا صور (٣٠٨) التي تولى ريتشارد
فلانجيري حكمها من قبل الامبراطور (٣٠٩) .

ووسط هذه الأعمال ، تقرر انفاذ مبعوثين ، هما « فيليب
تروى » و « هنري الناصري » الى البابوية لشرح ما قام به
البارونات والقومون ، ولكن هيرمان سالزا قائد التيوتون أدرك أن
البابا ، لم يستجيب لطلبات المبعوثين ، اذ أن العلاقة مازالت طيبة
بين البابا والامبراطور ، والاول حريص على إعادة السلطة
للإمبراطور في الشرق ، فأرسل سنة ١٢٣٥ م ، رئيس أساقفة
« رافنا » الى عكا ، مندوبا بابويا ، وأوصى باطاعة فلانجيري ،
الا أن البارونات أرسلوا مرة أخرى الى روما « جيوفري تور »
ليعيد الأمور على البابا ، الا أن الأخير أكد ما سبق وقد ذكره
يخصوص تأكيد سلطة الامبراطور بالشرق ، على أن يساعد
فلانجيري في عمله « اودومونتيلارد » حتى شهر سبتمبر عام
١٢٣٦ م ، الى أن يتم تعيين بوهمند أمير انطاكية نائبا ، وأدان البابا
تصرف البارونات لأن مملكة بيت المقدس تعتبر ملكا شرعيا
للإمبراطور فردريك وابنه كتراد (٣١٠) وينبغي حل قومون عكا .
ويسرى البابا أن العلاج الوحيد لهذه القضية ، هو توحيد
ملكتي قبرس وبيت المقدس (٣١١) .

وبالرغم من هذه المحاولات الامبراطورية من ناحية فردريك
لفرض تبعية المملكة الصليبية بالشرق له ، والتي لاقت كثيرا من
الصعوبات كما سبق الذكر الا أنه قد حاول التحكم في هذه المملكة ،
عن طريق استمراره في مساعداته بإرسال الامدادات الى

الشرق (٣١٢) ، هذا وقد أرسلت حملة صليبية بقيادة « ثيالد ملك نافار »
Theobald King of navarre وكونت شمابنيا Count Chompagne
في سبتمبر عام ١٢٣٩ (٣١٣) ، وأغلب الظن أن الإمبراطور
لم يساهم فيها بقسط وافر لأنه لا زال على صلات طيبة مع المسلمين
بالشرق ولأن العلاقات قد ساءت بينه وبين البابوية وأصدرت ضده
قرارا بالحرمان في ٢٠ مارس عام ١٢٣٩ م (٣١٤) ، وعرضت
البابوية في ذلك عدة أسباب لحرمانها الإمبراطور من رحمة
الكنيسة ، وأهم ما في بنود قرار الحرمان هو : « نحرمة وتلعنه
لأنه أعاق استرداد الأرض المقدسة ، وردّها الى الإمبراطورية
الرومانية » (٣١٥) ، ولا شك أن البابوية قد اتضحت اتجاهاتها
ضد الإمبراطور وكان حقدّها عليه بسبب ضم الملكة بالشرق الى
إمبراطوريته ، وربما تكون هي وراء حملة « ثيالدو » لتعكير صفو
السلام بين الإمبراطور والمسلمين اذ قام « ثيالدو » بهجومه الصالح
إسماعيل بين يافا وعسقلان (٣١٦) .

ومهما يكن من أمر ، فقد رجع « ثيالدو » الى الغرب ، وأرسل
الإمبراطور فردريك ، في ١١ أكتوبر ١٢٤٠ م « ريتشارد إيرل
كورنوال » Richard Earl of Cornuall الذي كان شقيق
هنري الثالث ملك إنجلترا ١٢١٦ - ١٢٧٢ م ، وكانت
إخته زوجة الإمبراطور فردريك (٣١٧) ، وجعل له
السلطات في أن يتخذ من التدابير ، ما يرى فيه مصلحة
المملكة ، وعندما وصل الى الشرق نشب الصراع بين الداوية
بمساعدة البارونات ما عدا « والتر كونت يافا » وبين الاسبتارية
الذين شرعوا في التماس مساعدة ريتشارد فلانجيري ، وكذلك
انصار الإمبراطور فردريك ، أما التيوتون فقد القرموا الحيايد
— أما ريتشارد « إيرل كورنوال » فقد عين « والتر بنينية » ،
الذي كان ممثلا لفلانجيري في القدس حاكما على عسقلان (٣١٨) ،
ومكث ريتشارد في فلسطين حتى مايو ١٢٤١ م ذى القعدة

٦٣٨ هـ ، وسلك أثناءها سلوكا طيبا ، مما أدى الى شعور الناس بالارتياح له (٣١٩) . اذ جدد الهدنة التى عقدها الكامل مسح فردريك فى ٢٣ ابريل ١٢٤١ م (٣٢٠) .

وأرسل بعد عودته الى « بلدوين » Baldwin عن شروط السلام بالتفصيل وهى الشروط التى عقدها واتفق عليها مع الملك الصالح سلطان مصر فى ٢٣ ابريل ١٢٤١ م (٣٢١) .

وقد تعشم البارونات المحليون أن يمشوا فى اقرار الامن والنظام فأرسلوا فى ٧ مايو عام ١٢٤١ م رسالة الى الامبراطور فردريك الثانى يلتمسون فيها أن يعين أحد رفاقه ، وهو « سيمون مونتفورت » (٣٢٢) نائبا عنه الا أن فردريك أغفل طلبهم ، فى نفس الوقت الذى حاول فيه ريتشارد فلانجيري مارشال الامبراطور ، مغادرة المقر الأساسى فى صور ، ليتسلل سرا الى عكا فى ربيع سنة ١٢٤٣ م ، وقد استقبله الاسبتارية فيها (٣٢٣) ، ولكن مدينة عكا قاومته ، واشترك البنادقة والجنويون المقيمون فيها فى الدفاع عنها ، وصمدوا فى مواقفهم ، حتى جاءتهم النجدة من « باليان الثالث » Balian III حاكم ثغر جبيل (٣٢٤) ، مما اضطر ريتشارد الى الانسحاب ، وترك بلاد الشام ، اذ استدعاه الامبراطور فردريك الى ايطاليا (٣٢٥) . وترك أخاه « لوتاريو » Latario على رأس قواته فى صور (٣٢٦) فى ذات الوقت الذى بلغ فيه كنراد ابن الامبراطور فردريك ، الخامسة عشر من عمره ، وبماكانه أن يباشر سلطته الشرعية فى الأرض المقدسة ، فى حين أن والده الامبراطور فردريك كان يزاوّل سلطته الفعلية فى بيت المقدس ، وليس أدل على ذلك من أنه حوالى سنة ١٢٤٣ م ، قرر رئيس كنيسة القيامة وrehانها اقامة قلعة « القصر » بمشورة من مندوبين البابا ، فأمر الامبراطور بتحذيرهم الا يفعلوا ، والا سيصادر جميع أموالهم المنقولة وغير المنقولة فى الوطن والمملكة (٣٢٧) ، وعلى أية حال طالب البارونات بالشام ، كونراد

بالحضور الى الشرق ، الا أنه لم يذهب واكتفى بأن أرسل « توما اكيرا » نائبا عنه (٣٢٨) ، لكن هل انتظر الصليبيون وصول « توما اكيرا » ؟ فى الحقيقة ان مغادرة ريتشارد فلانجيري بلاد الشام (٣٢٩) ، قد أعطت أعداء الامبراطورية فرصة لاستمرار نشاطها ويقوة ، لطرد قوات فردريك من صور ، وطلبوا مساعدة ملكة قبرس واعترفوا بحقها فى الوصاية على بيت المقدس فأمدتهم بأسطول ، وقامت معركة فى يوليو ١٢٤٣ م ، انتهت بهزيمة جيوش الامبراطور فردريك الثانى (٣٣٠) ، وقدر لسفينة ريتشارد أن ترجع ثانية الى صور فوقع فى ايدى أعدائه هو وأخوه « لوكاريو » وشرط البارونات عليهما مقابل أن يطلق سراحهما — أن يرحلا برجالهما من الشام ، فلجأ « لوكاريو » الى طرابلس عند بوهيمند الخامس ، ولحق به « توما اكيرا » وعاد ريتشارد الى الامبراطور فردريك ليرمى به فى السجن (٣٣١) ، وبذا أمست ملكة بيت المقدس فى قبضة البارونات (٣٣٢) ، ويعلق أحد المؤرخين على هذا الوضع قائلا ان الملكة قد تمزقت بسبب الحرب بين نواب الامبراطور فى الشرق ، وأبناء الارستقراطية الصليبية حيث تم الاستيلاء على التحصينات الامبراطورية فى قبرس ، وفى أرجاء الملكة الصليبية بعد عشر سنوات من الصراع الداخلى ، وقد أدى خلق حكومة ثورية حاكمة الى ظهور طبقة اقطاعية ، وبذلك دخلت الملكة الصليبية فى طور التخلل والانهيار (٣٣٣) .

صلات الامبراطور فردريك الثانى الدبلوماسية بعواهل الدولة الأيوبية (١٢٣٠ — ١٢٤٣ م / ٦٢٧ — ٦٤١ هـ) :

سبق أن أوضحنا علاقة الامبراطور فردريك الثانى بملكته بالشرق بعد عودته الى أوربا حتى سنة ١٢٤٣ م (٣٣٤) . ونمينا يتعلق بصلاته بعواهل الشرق الاسلامى بعد عودته الى الغرب الأوربى نجد أنه ظل يكن الحب والتقدير للسلطان الكامل ولم يكن

ذلك راجعا الى استجابة الكامل لمطالبه في الشرق فحسب ، بل
ايضا الى أن الكامل انقذ فردريك من موت محقق في الشرق ، لانه
— على ما يبدو — قد أوعزت البابوية صدر الكامل ضد فردريك ،
لكن الاول لم يستجب لها ، فضلا عن أنه أبلغ الامبراطور عن
مؤامرة دبوها ضده فرسان المعبد الذين قصدوا بها قتل
الامبراطور (٣٣٥) . ومن ثم بعد عودته حرص على دوام
الصداقة مع المسلمين في الشرق .

ففي سنة ١٢٣٠ م / ٦٢٧ هـ أرسل رسالتين ، احدهما الى
السلطان الكامل وقد وصلته ، وهو في « حران » ، والأخرى الى الأمير
عمر الدين بن شيخ الشيوخ (٣٣٦) . كتب له فيها « قطع جبل
الصبر بسبيل اليأس » بعد المعارضة — انتقطع جبل الأمل »
وكتب عن المجرمين الذين ازدادت أعمالهم الشريرة ، وأوضح
الامبراطور أنه سيقف ضد هذه الأعمال (٣٣٧) ، ومن ثم فقد
كانت الرسالتان ، تحمل بين سطورها بعض أحوال الغرب الأوربي ،
وما عاناه الامبراطور من متاعب البابوية ، أثناء غيابه في الشرق
وبعد رجوعه (٣٣٨) ، ويمكن القول بأن الامبراطور كان يقصد
من تلك المراسلات أن يخبر صديقه الكامل عن حقيقة العلاقات
بينه وبين البابا ، حتى يقطع الامبراطور خط الرجعة على البابا ،
فيما اذا فكر في محاولاته للاتفاق مع الكامل على أمر بشأن
الصليبيين بالشرق ، ويؤيد هذا القول ما حدث بعد ذلك ، من
اعادة الوثام بين الامبراطور والبابا ، فترتب عليه أن أرسل
البابا جريجورى التاسع من « راتيا » Reate في ١١ أغسطس
١٢٣١ م ، الى الملك الكامل يطلب منه اطلاق سراح تجار مدينة
« انكونا » Anconailames الذين قد أمر السلطان بالقبض
عليهم ، كما طالب البابا ، برجوع أموالهم اليهم (٣٣٩) .

وفي سنة ١٢٣٢ م / ٦٣٠ هـ ، أرسل الامبراطور فردريك
بمسائل علمية الى الملك الكامل ، ويطلب منه حلها (٣٤٠) . وقد
أراد بهذه المسائل أن يختبر العلماء المسلمين ، ومنها ثلاثة :

لماذا تظهر الاجزاء القاطسة في الماء مقوسة ؟

لماذا يظهر كوكب سهيل أكبر عندما يقترب من الأفق ؟

ما هو السبب في خداع البصر ؟

ثم أرسل بعض المسائل في الرياضة والفلسفة ، يطلب لها حلا
فاختار الملك الكامل أحد علماء الرياضة الذين يعملون في حاشيته ،
وهو الأستاذ علم الدين الحنفى ، لحل تلك المشكلات بدرجة
أذهلت الامبراطور ، ثم أرسل يطلب من الكامل أن يرسل اليه
الأستاذ الحنفى لمقابلته (٣٤١) . كما أرسل ايضا الى علماء
الموصل يستفسر عن مسائل هندسية وفلكية لتجزئة تربية
الدائرة ، وقد لاقت اجابات علماء الموصل موافقة الامبراطور
وتقديره (٣٤٢) .

ولم تكن صلة الامبراطور قاصرة على الكامل فحسب ،
ولكنها امتدت ايضا الى بعض الملوك الأيوبيين المعاصرين للملك
الكامل ، والمتفقين معه فيها يخص الامبراطور فردريك ، ولعل
الآخر يقصد من ذلك مد صلاته الى أغلب الملوك المسلمين بالشرق ،
حتى يأمن جانبهم ، واذا كانوا غير ذلك فهو يحتاط لهم ، ومن
رسائل الامبراطور في هذا المضمار رسالة أرسلها الى الملك
الجواد في شعبان ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ، « فاستبشرت النفوس
بوروده ، وسرت القلوب بوفوده » (٣٤٣) ويبدو أن الملك الجواد
المقصود هو الملك « الجواد يونس بن مودود بن أخ الكامل » ،
ذلك لانه ليس هناك ، على ما يبدو ، أحد من الأمراء الأيوبيين
يحمل هذا الاسم غيره .

هذا وقد أرسل الملك الأشرف موسى في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ، الى الامبراطور فردريك آلة توضح حركات الكواكب في النظام الشمسي ، وبها أشكال ورسوم للشمس والقمر ، تبين الاوقات في دورانها المنتظم ، وكانت تقدر بمائتي ألف مارك (٣٤٤) . وقد اعجب الامبراطور بهذه الهدايا أيما اعجاب ، وكان يتفاخر بها بين أصدقائه ، ويعتبرها أغلى من أى شيء آخر فيها عدا ابنه الملك « كونراد » وريثه الوحيد (٣٤٥) .

وكان على الامبراطور أن يرد على السفارة الاسلامية ، فأرسل في سنة ١٢٣٣ م / ٦٣١ هـ رسولا ، ومعه هدايا ، فيها طاووسا أبيض ودب أبيض ، شعره كشعر السبع ينزل البحر يصطاد السمك ويأكله (٣٤٦) .

وانطلاقا من سياسة الامبراطور فردريك تجاه الشرق الاسلامي — في فترة وثامه مع البابوية — كانت صلات كل من البابا والامبراطور تقوم على قدم وساق تجاه الشرق الاسلامي ، فقد كانت البابوية تراسل قونية ، وكان سلطان الأخيرة يرد عليها ويرسل اليها السفراء ، وليس أدل على ذلك من أنه أرسل اليها رسالة في شهر مايو ١٢٣٤ م ، يذكر أنه أرسل من طرفه مندوبين منذ ثلاث سنوات لابسين الثوب الرهباني ، وحتى الآن لم يعد منهم الا اثنان ولذلك يخشى من عدم وصول الرسائل اليها ، وعليه فهو يخبرها بأنه أرسل الى الامبراطور فردريك الثاني ، رسولا ، وهو « يوحنا ديجبرا » John deGabra ويؤكد سلطان قونية للبابوية ، بأن هذا الرسول من رجاله المسيحيين المخلصين له ، وسوف يقابل البابوية بعد مقابلة الامبراطور حتى يتعرف من البابوية عن سبب تأخير المندوبين والسفراء (٣٤٧) . ويرجع تأكيد السلطان على ثقته بالامبراطور لى لا يساور البابوية الشكوك في

المبعوثين من قبل السلطان ، وخاصة أنهم يحملون موضوعات غالبا ما تكون غاية في السرية .

ولم تكن هذه المراسلات والخطابات الودية بين الامبراطور فردريك الثاني والبابوية من جهة والشرق الاسلامي من جهة أخرى مجرد كلمات معسولة ترضى خاطر الجانبين فقط ، ولكنها وصلت الى حد التعاون العسكري ، ودليل ذلك أنه عقدت اتفاقية بين الجنوبيين والملك الكامل ، ولما كانت الأولى مناوئة لقوة الامبراطور فردريك ببلاد الشام ، فقد خشي الأخير من عاقبة ذلك على علاقته بالملك الكامل ، ومن ثم أرسل سفارة من لدنه الى الكامل ، أبدي شعورا طيبا نحوه وحقق كل مطالبه وعقد الامبراطور مع الكامل اتفاقية دفاع مشترك ، أرسل بمقتضاها الكامل ، قوة عسكرية مصرية لمساعدة الامبراطور فردريك في حصاره لمدينة « برشيا » Prescia ، باقليم لمبارديا شمالي ايطاليا ، سنة ١٢٣٨ م / ٦٣٦ هـ (٣٤٨) .

وهكذا استمرت العلاقات السياسية بين الامبراطور فردريك ، والكامل الايوبي الى أن توفي الأخير سنة ١٢٣٨ م / ٦٣٦ هـ ، فأقام له فردريك حدادا كاملا وحزن عليه حزنا شديدا ، وكتب الى هنرى الثالث ١٢١٦ - ١٢٧٢ م ملك انجلترا يقول « كان من الممكن لأشياء كثيرة أن تكون مختلفة جدا لو أن صديقي الكامل كان لا يزال على قيد الحياة » (٣٤٩) .

وعلى كل فقد استمرت العلاقة طيبة بين الامبراطور فردريك ، وخلفاء الملك الكامل (٣٥٠) ، إذ تولى الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأرسل له الامبراطور فردريك سفارة لتهنئته ، وجرى استقبال السفيرين بالقاهرة بكل مظاهر التشریف والأبهة ومكث السفيران الى أوائل فصل الربيع (٣٥١) ، ورد الملك الصالح على الامبراطور فردريك بسفارة ،

كان على رأسها « الشيخ العلامة سراج الدين الأرموي » « قاضيه »
قونيه » وقد أقامت السفارة عند الإمبراطور معززة مكرمة ، وقد
ألف الشيخ سراج الدين للإمبراطور كتابا في المنطق ، ثم عاد إلى
الملك الصالح (٣٥٢) .

وهكذا استمرت المودة بين الطرفين (٣٥٣) ، إلى أن استطاع
الصالح نجم الدين وبمساعدة الخوارزمية ، من استرداد بيت
القدس نهائيا في ١١ يولية ١٢٤٤ م / ٣ محرم ٦٤٢ هـ ، من
الصليبيين وهزمهم قرب غزة — ١٨ أكتوبر ١٢٤٤ م / ١٤
جمادى الأولى ٦٤٢ هـ ، وقتلوا وأسروا الآلاف وكان هذا
— بلا شك — ضربة قوية لبقايا اللاتين وعلى رأسهم الجنوية في
بلاد الشام (٣٥٤) ، في حين أن الصالح نجم الدين . منح الأمان
في جميع مملكته إلى البنادقة على يد « ليونارد جيردونكو »
Leonardi Gradnico ، وكذلك « يوحنا بريميساني »

Johannis primarini (٣٥٥) ، وقد حاول قائد المعبد عقد
معاهدة صلح مع الصالح نجم الدين أيوب ، للحصول على
امتيازات مثل البنادقة إلا أن محاولاتهم قد فشلت (٣٥٦) ، وربما
يرجع فشلها إلى أن الأيوبيين مازالوا يبقون على شروط الصداقة
مع الإمبراطور فردريك الثاني — الذي كان حينئذ ١٢٤٤ م — واقعا
في خلاف مع البابوية ، ورفضوا الاستجابة لأية محادثات إلا مع
الإمبراطور شخصيا (٣٥٧) ، الأمر الذي ترتب عليه ، أن
أرسل البابا انوسنت الرابع Innocent IV (١٢٤٣ —
١٢٥٤ م) إلى الإمبراطور فردريك للتوسط لدى صديقه
الصالح نجم الدين لوقف هجماته ضد اللاتين (٣٥٨) ، كما بعثت
البابوية أيضا برسالة إلى الإمبراطور لمهادنته (٣٥٩) ، إلا أن
المشاكل تفاقم بين الإمبراطور والبابا ، مما جعل الأخير يعقد
مجمعا في « ليون » في ١٨ حزيران ، (يولية) ١٢٤٥ م ، ويصدر

قرار الصلح ضد الإمبراطور ، وخلصه من كرسية
الإمبراطوري (٣٦٠) .

وقد أرسل الإمبراطور بهذه الأخبار إلى الملك الصالح نجم
الدين أيوب في سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م ، عن طريق مركب وصل
إلى الاسكندرية قادما من صقلية (٣٦١) . ومن هذا المنطلق يمكن
القول بأن الإمبراطور كان حريصا على ضرورة احاطة أصدقائه
بالشرق الإسلامي بمجريات الأمور في أوربا ، وربما أرسل
الإمبراطور هذه الأخبار بقصد تهدئة شعور الملك الصالح نجم الدين
أيوب تجاه الإمبراطور وخاصة عندما أخذ الأخير يضطهد مسلمي
صقلية (٣٦٢) .

وصفة القول أن العلاقات كانت بين الإمبراطور فردريك
والملك الكامل محمد ومن بعده الصالح نجم الدين أيوب ، طيبة ،
واستقبل كل منهما سفارات الآخر بترحيب رائد ، على نحو ما سبق
ذكره ، هذا وكما تروى المصادر والمراجع أن الإمبراطور فردريك
أعترأيا اعتزاز بهذه الصداقة ، فقد شارك المسلمين بالغرب
احتفالاتهم الدينية مثل عيد الهجرة (٣٦٣) . كما كان عنده في صقلية
أنواع من الحيوانات والطيور الشرقية من أفريقيا ومصر التي
أرسلها السلطان الكامل (٣٦٤) ، كما ساهم الإمبراطور المسلمون
في مناقشة المسائل العلمية ، من خلال اتصالات بالملك
الموحدي بالمغرب (٣٦٥) ، وكذلك العلماء الذين أرسلهم الكامل
إليه مثل علم الدين الحنفى (٣٦٦) ، وأيضا المناظرات العلمية مع
الإمام ابن سبعين (٣٦٧) Ibn-Sabein .

وفي الوقت الذي كانت العلاقات بين فردريك والمسلمين على
الصورة الآتفة الذكر ، حدث الشقاق بين الإمبراطورية والبابوية من
جديد ، وحقيقة كان لا يمكن للبابوية أو الصليبيين عامة أن يستغفروا

على الامبراطور فردريك اذ انهم بدون فردريك فانهم مثل « الرمل بدون حصى ، أو الحائط بدون دهان » (٣٦٨) . وعلى أية حال بعد أن وصل الأمر الى هذه الدرجة ، حاولت البابوية كسب أصدقاء لها بالشرق ، بعدما قطعت علاقاتها بالامبراطور فردريك ، وكذلك فشلت في محاولاتها لاقامة صلات طيبة بملوك الشرق الاسلامي ، وليس أدل على ذلك من أن البابا انوست الرابع ١٢٤٣ - ١٢٥٤ م أرسل رسالة الى الملك الناصر داود ابن المعظم ، ربما بغرض منافسة بعض الأمور والمسائل السياسية ، وكذلك بهدف ترغيبه في اعتناق الدين المسيحي ، الا أن الناصر رد على البابا برسالة في ١٥ أغسطس ١٢٤٦ م ، يشرح له فيها الدين الاسلامي وفضائله (٣٦٩) ، هذا وقد حاول الملك الصالح خطب ود البابوية ، وخاصة عندما حدث أن دهم المسلمون « كنيسة القيامة » اذ أرسل اليها يعرب عن أسفه لهذا الحادث ، ويعدها بأنه سيعاقب المجرمين ، ويسلم مفاتيح الكنيسة الى أصحابها ، بحيث لا تفتح الا للحجاج ، بعد اصلاحها (٣٧٠) ، ويرجع السبب في ارسال الصالح هذه الرسالة الى البابوية في أغلب الظن الى - أنه خشي أن تثير ضده الغرب الأوربي فتأتى حملة صليبية جديدة ، وتستولى على بيت المقدس .

موقف الامبراطور فردريك الثاني من الحملة السابعة :

ومهما يكن من أمر فإن الامبراطور فردريك الثاني ، قد استمر في علاقاته الطيبة ، بالشرق ، والدليل على ذلك ، أن البابوية دعت في أوروبا لقيام حملة صليبية جديدة على الشرق ، بسبب ما حدث من استيلاء الصالح نجم الدين على بيت المقدس سنة ١٢٤٤ م ، فاستجاب لهذه الدعوة ملك فرنسا « لويس التاسع » Louisix ١٢٢٦ - ١٢٧٠ م وبدأ يستعد لهذه الحملة ، وقد كان الامبراطور فردريك امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة ، على

علم بما يجري بشأنها ، وعرف انها سوف تتجه الى مصر ، ومن منطلق علاقاته بالمسلمين أرسل في مايو ١٢٤٨ م ، الى ملك مصر (السلطان الصالح نجم الدين أيوب ليخبره عن هذه الحملة وتفصيلاتها (٣٧١) . وقد ذكر رسل الامبراطور ذلك بقوله « أرسلني الامبراطور في السر الى الملك الصالح نجم الدين لأعرفه عزم قصد رايدا فرنس على الديار المصرية ، وأحذره منه ، وأشير عليه بالاستعداد له » . وزيادة في السرية لمبعوث الامبراطور فقد لبس هذا الرسول زي تاجر (٣٢٧) ، اذ أن التجار البنادقة كثيرا ما كانوا يترددون على مصر في هذه الآونة . وهذا وقد وصل الرسول على ظهر « بسطة » تسمى « نصف الدينار » الى ميناء الاسكندرية ، وكان معه على السفينة ثلاثمائة تاجر ، وفيها من البضائع ما لا يحصى ، مثل الزيت والخمر والجبن وعسل النحل وبعض الأمتعة وغير ذلك (٣٧٣) . وقد تمت المقابلة في سرية تامة بين رسول الامبراطور والملك الصالح نجم الدين ، اذ يقول الرسول لم يشعر أحد باجتماعي بالملك الصالح خوفا من الفرنج أن يعلموا بمالأة الامبراطور للمسلمين عليهم (٣٧٤) ، على أنه حمل هذا السفير رسالة من الامبراطور فردريك الثاني الى الملك الصالح ليشرح له فيها الوضع ، وخط سير هذه الحملة ، حيث تمر في طريقها على صقلية ، وهي من أملاك الامبراطور ، كما أن الملك لويس التاسع استأذن الامبراطور فردريك في الذهاب الى الشرق على أساس أنه والسد « كونراد » الملك الشرعي للمملكة بالشرق (٣٧٥) .

ومن العبارات التي وردت في هذه الرسالة « انه قد وصل في خلق كثير وقد اجتهدت غاية الاجتهاد على رده عن قصده وخوفته ، فلم يرجع لقولى فكن منه على حذر » (٣٧٦) .

ولم يكتف الملك الصالح بما حصل عليه من معلومات عن الحملة من خلال رسالة الامبراطور ، بل طلب منه المساعدة

العسكرية في سبيل صد هذه الحملة ، حيث قد سبق عقد معاهدة تحالف ودفاع مشترك بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والبولية الايوبية وأُرسل بمقتضاها الملك الكامل قوة الى الامبراطور فردريك سنة ١٢٢٨ م ، كما سبق القول ، لمساعدته ضد أعدائه في شمال ايطاليا ، وقد جددت هذه المعاهدة في عهد الصالح نجم الدين أيوب ، ومن هذا المنطلق — كما يذكر البعض — أرسل الصالح نجم الدين يطالب الامبراطور فردريك بمقاتلة الجنوية ، ولم يكتف بذلك ، بل أرسل قوة عسكرية مصرية لمساعدته في حروبه ضدهم لشغلهم عن اتمام تلك الاستعدادات ، وبالتالي منع قيام الحملة ، أو على الأقل تأخيرها كسبا للوقت ، حتى يستعد بقواته لمواجهة عند قدومها الى مصر ، وبالفعل ساهمت تلك القوة المصرية في قتال الجنوية وحلفائهم ، أهالي مدينة « بارما » شمالي ايطاليا ، الا أن قوات الامبراطور فردريك ، ومصر المتحالفة معه ، هزمت وطردت من مدينة النصر القريبة من « بارما » عام ١٢٤٨ م / ٦٤٦ هـ (٣٧٧) .

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن ، لماذا أفشى الامبراطور فردريك ، سر هذه الحملة الى الملك الصالح نجم الدين وهي حملة صليبية ؟ وهل كان لقضاء الاتفاقية التي عقدها الامبراطور فردريك مع الملك الكامل اثر على هذا الموقف ؟

يذكر بعض المؤرخين أن سياسة الامبراطور فردريك في هذه المرحلة كانت ذات شقين :

الشق الاول : أن يظهر بصورة الصليبي والمدافع عن المسيحية ، ومن ثم فقد ساعد الحملة المزمع قيامها فمدها بالمال والجند ، حتى ينجح في سياسته الخارجية (٣٧٨) .

اما الشق الثاني : وهو خفي ، فهو أن يعمل على عرقلة جهود الحملة الفرنسية الصليبية ، ومن هذا المنطلق أرسل الملك الصالح

نجم الدين الأيوبي (٣٧٩) إذ تمنى الامبراطور فشل هذه الحملة ، لأن البابا رفض العفو عنه ، كما دبر مؤامرة لقتله لكنه نجا منها بعد أن عرف خيوطها (٣٨٠) .

ويمكن القول بأن الامبراطور امد الحملة بالموثوق حتى لا يصعد الخلافات بينه وبين البابوية فيظهر امامها وامام العالم المسيحي في صورة المتقاعس . وأما إرساله الى الملك الصالح بالأخبار عن هذه الحملة فلأنه رغب في حفظ العلاقات الطيبة مع المسلمين بالشرق ، وخاصة أنه لا يريد أن يفتح باب العداء من جديد معهم نظرا لمصالحه ومصالح أصدقائه البنادقة في الاسكندرية ، الذين عارضوا الحملة (٣٨١) ، وعلاوة على هذا فإن الامبراطور فردريك كان لا يزال يؤمن بحل قضية بيت المقدس بالطرق الدبلوماسية (٣٨٢) . وخاصة أن له باعا طويلا في هذا المضمار .

هذا وقد وصلت الحملة الى ديباط في ابريل ١٢٥٠ م / المحرم ٦٤٨ هـ (٣٨٣) ، ووقعت في مأزق ، واسر الملك لويس كما اسر جوانفيل oinville صاحب المذكرات الشهير ، فخشي على نفسه وخاصة أنه كان مريضا ، فذكر للمصريين أنه قريب من ناحية أمه « للامبراطور فردريك الثاني » ، ومن ثم أصبح جوانفيل موضع عناية خاصة ، كما استضافه أمير السفن المصرية الأيوبية حتى ٦ محرم ٦٤٨ هـ / ١٠ ابريل ١٢٥٠ م ، واصطحبه في نزهة نيلية ، ثم ذهب به الى معسكر المنصورة . ليكون بصحبة الملك لويس التاسع والبارونات الأوربيين والمحليين في الأسر (٣٨٤) .

وبعد موت الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧ هـ / نوفمبر ١٢٤٩ م تولى الأمر بعده ابنه الملك المعظم تورانشاه (٣٨٥) الذي حمل مسئولية الدفاع عن مصر على عاتقه ، الا أن الحملة

وصلت الى الوضع السابق الذكر ، وأصبح الصليبيون في وضع لا يحسدوا عليه ، مما دفعهم الى التفاوض مع السلطان الجديد المعظم تورانشاة ، وأرسل الأخير مندوبيه للتفاوض مع كـونـت « بريتانى » باعتباره من أكبر المقربين الى الملك لويس ، وأبدى المندوبون استعدادهم لاطلاق سراح كبار البارونات فقط مقابل نزولهم له عن اماراتهم ومدنهم وقلاعهم في فلسطين ، الا أن كونت « بريتانى » أجاب بأن هذه الامارات والمدن والقلاع منح اقطاعية من صاحبها الامبراطور فردريك الثانى ، صديق السلاطين الايوبيين وهو لا يزال على قيد الحياة ومن المستحيل النزول عن أية واحدة منها ، الى أية سلطة أخرى الا باذنه ، وهو ما لا يريد السلطان تورانشاة أن يطلبه من الامبراطور فردريك نفسه ، احتراماً للصدقة الفردى الكافية القديمة (٣٨٦) .

ومن ثم يمكن القول بأن المعظم تورانشاة قد حافظ وحرص على استمرار العلاقات بينه وبين الامبراطور فردريك الثانى ، في نفس الوقت الذى توسط فيه الأخير لدى المعظم تورانشاة لفك أسرى الملك الفرنسى وكبار البارونات (٣٨٧) ، حيث أن جـوانـفـيل وكان من بين الأسرى يقول في مذكراته « لم يمض وقت طويل على رحيل أخوة الملك عن عكا حتى جاءه رسل من قبل الامبراطور فردريك يحملون خطابات الاعتماد ، ويقولون : أن الامبراطور أوفدهم للعمل على اطلاق سراحنا » (٣٨٨) .

وتأكيداً لمساعى الامبراطور فردريك الثانى ، فقد أطلع الرسل ، الملك لويس على خطابات الامبراطور والموجهة الى سلطان مصر (المعظم تورانشاة) الذى كان قد قتل في مايو ١٢٥٠ م ، عند وصول الرسل ، ولم يعلم ، على ما يبدو الامبراطور فردريك بخبر موته — وقد طلب الامبراطور فردريك من سلطان مصر كما هو

موضح في الرسالة « أن يلتقى الى سماعه ما يقوله الرسل بشأن تخليص الملك » (٣٨٩) ، ومن الواضح أن وساطة الامبراطور فردريك الثانى قد وصلت متأخرة ، إذ أنه قد تم فك الأسرى ، بالإضافة الى أن أخوى الملك الفرنسى ، قد غادروا بلاد الشام الى أوروبا ، ولعل تأخير هذه الوساطة دفع بعض الصليبيين — الذين كانوا في الأسر — الى الشك في صدق هذه الوساطة ، أهى من أجل فك الأسرى ، أم من أجل إيجاد عقبات في طريقهم حتى يبقوا في الأسر ، إذ يذكر جـوانـفـيل « فقال البعض لم يكن من الخير لنا أن نجدنا الرسل في الأسر ، ظناً من هذا البعض أن الامبراطور قد أوفد رسله لمضايقتنا ، أكثر من إفادته أياهم لاطلاق سراحنا (٣٩٠) » .

ويمكن استبعاد أن رسل الامبراطور فردريك قد جاءت لمضايقة الأسرى والعمل على اعاقه فك أسرهم ، حقيقة أن الامبراطور كان يتمنى لهذه الحملة الفشل إذا أرسل الى الصالح نجم الدين تفصيلاتها ، كما سبق القول ، وإذا كان قد وقع الملك لويس وكبار البارونات في الأسر فمعنى ذلك أن الحملة لاقت المصير الذى كان يتمناه ، بل ويتوقعه الامبراطور فردريك . ومن ثم أصبحت لا حول لها ولا قوة ، فسمى الى تخليصهم من الأسر ، لأن فك أسرهم لا يؤثر على موقفهم العسكرى في الشرق الاسلامى ، وخاصة أنهم خاضوا تجربة مريرة ، وإذا فكروا في عمل عسكرى فإن هذا سوف يحتاج الى وقت يمكن للمسلمين أن يكونوا قد استعدوا فيه . ومن هنا يظهر الامبراطور فردريك أمام العالم المسيحى في صورة المدافع عنهم ، ويظهر أمام الملك لويس بأنه صديق حميم له ، إذ سبق أن توسط لويس التاسع لدى البابا لرفع قرار الحرمان عن الامبراطور فردريك ، ويكون ذلك بمثابة رد الجميل للملك الفرنسى . وبإدراك هذه الجوانب مكتملة ، يمكن القول بأن سفارة الامبراطور كانت مهمتها فك الأسرى الفرنسيين من يد المسلمين . ويذكر بعض

المؤرخين أن « آمال الفرنسيين في مساعدة ملكهم قد تبخرت بموت
الامبراطور الألماني » (٣٩١) .

وقد تركت بعثة الامبراطور فردريك عكا اذ مروا في طريقهم
على الملك الناصر يوسف الأيوبي صاحب حلب ، ليتعرفوا منه على
تفاصيل الموقف السياسي في بلاد الشام ومصر منذ مقتل السلطان
تورانشاة (٣٩٢) .

أما عن الملك لويس التاسع (٣٩٣) ، فإنه أقام في عكا فترة
من الزمن من أجل اصلاح الوضع الصليبي ، الذي على شفاها
جرف هار ، فقام ببعض الاتصالات بالسلطين المسلمين مثل سلطان
دمشق ، الذي شكاه من أعمال أمراء مصر ضد تورانشاة ، ويذكر
جوانفيل ، أن سلطان دمشق أبدى استعدادا لتسليم مملكة بيت
المقدس الى لويس التاسع اذ ساعده ضد الأمراء المنشقين
عليه (٣٩٤) ، وبذلك تجددت عروض الصلح التي سبق أن عرضها
الكامل ، إلا أن الشخصيات قد تغيرت فقد مات الملك الكامل الذي
عقد هذه الاتفاقية مع الامبراطور فردريك الثاني ، الذي مات
هو الآخر في سنة ١٢٥٠ م .

الهوامش

- (١) Wiegler (P.) : The Infidel Emperor and his struggles
against the pope., p. 102.
- (٢) Kantorowicz (E.) : Fredrick The Second, p. 138.
وايضا سعيد عاشور : فردريك الثاني والشرق الغربي ، ص ١٩٨ .
Lamb (H.) : The Crusades, p. 256. (٣)
- (٤) Michoud. Historia des croisades, Tome 3., p. 3.
- (٥) محمد عبد العزيز : المرجع السابق ، ص ٩٨ .
Ibid., p. 3. (٦)
- وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٥١ .
Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 439. (٧)
- Ibid., p. 440. (٨)
- (٩) عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص ١٧٠ .
Ibid., p. 440. (١٠)
- (١١) عبد القادر اليوسف ، نفس المرجع ، ص ١٧٠ .
(١٢) ستيفين رنسيان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ .
Cf. Cam-Med. Hist., Vol. VI, Cam., 1929, p. 144.
- (١٣) Michoud : Op. cit., Tome 3., p. 2.
- (١٤) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 138.
- (١٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٥١ .
Ibid., p. 139. (١٦)
- Ibid., p. 139. (١٧)
- Permoud (R.) : The Crusades, p. 225. (١٨)
- Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 442. (١٩)
- (٢٠) ستيفين رنسيان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٣١٢ .
(٢١) مكسيموس مونروند : المرجع السابق ، م ٢ ، ص ٢٧٠ .
King (E.J.) : Op. cit., p. 202. (٢٢)

- (٢٢) محمد عبد العزيز عزيز : المرجع السابق ، ص ١١٦ .
- (٢٤) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 974, p. 256.
- (٢٥) Ibid., No. 975, p. 256.
- (٢٦) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 1025, p. 268.
- (٢٧) Ibid., No. 967, p. 255.
- (٢٨) Ibid., No. 968, p. 255.
- (٢٩) Michoud : Op. cit., Tome 3, pp. 5 F.
- (٣٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٥٢ .
- (٣١) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 133.
- (٣٢) ستيفين رنسيان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .
- (٣٣) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 168.
- (٣٤) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 8.
- (٣٥) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 168.
- (٣٦) لانديراف : كلمة مشتقة من اللغة الألمانية ، وتعني كونت الأرض ، وقد استعملت للدلالة على بعض أمراء الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، التي تقع مقاطعتهم في الأماكن الحدودية ، ويتمتعون بصلاحيات أوسع من غيرهم .
- Cf. : Michoud ; Op. cit., Tome 3, p. 4.
- (٣٧) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 130.
- (٣٨) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 168.
- هذا وقد احتال أحد القساوسة على الحجاج ، ووقف عند بوابة القديس « بيتر » Peter على أنه ممثل البابا ، وجرد الحجاج من ثوبهم ، ولم يسمع البابا بهذه الحادثة إلا بعد أسابيع حيث أنه كان في « اناجني » Anagni وقد أسرع البابا بفصله من الخدمة ، انظر :
- Cf. Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 169.
- (٣٩) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 169.
- يذكر بعض المؤرخين أن عدد الجنود حوالي ٤٠.٠٠٠ جندي . انظر :
- Cf. Com. Med. Hist., Vol. VI, p. 146.
- (٤٠) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 169 F.
- وانظر : مكسيموس مونروند : الحرب المقدسة في الشرق ، م ٢ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .
- (٤١) Archer (T.A.) : The Crusades, p. 380.
- (٤٢) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 170.
- Cf. Hayward (F.) : A History of the Popes, p. 199.
- (٤٣) مكسيموس مونروند : نفس المرجع ، م ٢ ، ص ٢٧٢ .
- (٤٤) Rene Grousset : Hist Des Croisade, Tome 3., p. 289. (٤٤) Paris, 1936.
- (٤٥) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 171.
- (٤٦) Ibid., p. 170.
- (٤٧) Michoud : Op. cit., tome 3., p. 9.
- وانظر : مكسيموس مونروند : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .
- Cf. Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 170.
- (٤٨) Lamb (H.) : The Crusades, p. 258.
- وانظر : ستيفين رنسيان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .
- (٤٩) Duggan (A.) : The Story of the Crusades, p. 222.
- (٥٠) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 171.
- Cf. Michoud : Op. cit., Tome 3., p. 10 F.
- وانظر : مكسيموس مونروند : المرجع السابق ، م ٢ ، ص ٢٧٢ .
- (٥١) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 172.
- (٥٢) Cam-Med.-Hist., Vol. VI, p. 146.
- Cf. Rene Crosset : Op. cit., Tome 3, p. 289.
- (٥٣) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 171.
- (٥٤) Ibid., p. 171.
- (٥٥) Ibid., p. 171.
- (٥٦) Ibid., p. 175.
- Cf. : Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 10.

- (٢٢) محمد عبد العزيز عزيز : المرجع السابق ، ص ١١٦ .
- (٢٤) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 974, p. 256.
- (٢٥) Ibid., No. 975, p. 256.
- (٢٦) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 1025, p. 268.
- (٢٧) Ibid., No. 967, p. 255.
- (٢٨) Ibid., No. 968, p. 255.
- (٢٩) Michoud : Op. cit., Tome 3, pp. 5 F.
- (٣٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٥٢ .
- (٣١) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 133.
- (٣٢) ستيفين رنسيان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .
- (٣٣) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 168.
- (٣٤) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 8.
- (٣٥) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 168.
- (٣٦) لانديراف : كلمة مشتقة من اللغة الألمانية ، وتعني كونت الأرض ، وقد استعملت للدلالة على بعض أمراء الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، التي تقع مقاطعتهم في الأماكن الحدودية ، ويتمتعون بصلاحيات أوسع من غيرهم .
- Cf. : Michoud ; Op. cit., Tome 3, p. 4.
- (٣٧) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 130.
- (٣٨) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 168.
- هذا وقد احتال أحد القساوسة على الحجاج ، ووقف عند بوابة القديس « بيتر » Peter على أنه ممثل البابا ، وجرد الحجاج من ثوبهم ، ولم يسمع البابا بهذه الحادثة إلا بعد أسابيع حيث أنه كان في « اناجني » Anagni وقد أسرع البابا بفصله من الخدمة ، انظر :
- Cf. Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 169.
- (٣٩) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 169.
- يذكر بعض المؤرخين أن عدد الجنود حوالي ٤٠.٠٠٠ جندي . انظر :
- Cf. Com. Med. Hist., Vol. VI, p. 146.

Richard (J.) : Le Royaume Latin De Jerusalem, p. 187. (٧١)
Cf. Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 13.

وأيضا : مكسيموس مونروند : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

Frederic (II) : Question Philosophiques, Journal Asia- (٧٢)
tique, Paris, 1853, Tome 1, p. 240 F.

Tout (T.F.) : The Empire and Papcy, p. 366. (٧٣)
Cf. Hulme (E.M.) : The Middle Ages, p. 495.

وأيضا : يوشع براور : عالم الصليبيين ، ص ٨٥ .

Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 447. (٧٤)

Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 176. (٧٥)

Ibid., p. 167. (٧٦)

Rine Grossett : Hist. Des Croisades, Tome 3., p. 289. (٧٧)

Kantorowicz (E.) : Fredrick The Second, p. 179. (٧٨)

Cf. Slaughter (G.) : The Amazing Fredrick, London, 1937
pp. 109 F.

Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 14. (٧٩)

(٨٠) لقد مر الامبراطور في طريقه البحري الى الشرق بعدة جزر وموانئ

مثل « أوترانت » Otranto احدى مدن « أبوليا » ثم « أوترونس » Othronus

ثم قلعة « كورفو » Corfu ثم ميناء « جويسكارد » Guiscardo ثم جزيرة

« ثيفالونيا » Cephalonia ، حيث مون منها ثم الى « مودون » Modon

ثم الى ميناء « كالبيه » Caylie وبعد ذلك الى جزيرة « سيرجو » Cergio

ثم الى جزيرة كبريت ورسا على مكان بها يسمى

« سودا » Sudo ، ثم الى مدينة « كاندى » Candie ، ومن كريت

الى « رودس » ثم الى « باتارا » Patara ، ثم الى ميناء « فينيسيا »

Phinicia . انظر : محمد عبد العزيز عزيز : المرجع السابق ، ص ١٨٠ - ١٨١ .

Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 170. (٨١)

(٨٢) حنا ابلين John of Ibelin هو القائم بالوصاية على الملك

الذى يبلغ من العمر اثني عشر عاما ، وهو نبيل سورى ذو سمعة كبيرة في كل

الشرق السيجى ، فهو دارس للقانون ومثقف ومشهورا بدهائه وبلاغته .

Cf : Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 181.

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 1. 31. (٥٧)

Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 175. (٥٨)

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 131. (٥٩)

Ibid., p. 132. (٦٠)

Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 173. (٦١)

Cf. Wiegler (P.) : Op. cit., p. 132, Also : Thompson (J.) :
Middle Ages, Vol. I., p. 593.

Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 173. (٦٢)

Ibid., p. 174. (٦٣)

وانظر : سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .

وأيضا : عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٧١ .

Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 12. (٦٤)

لقد أورد « كنتروفتش » تحليلا جميلا من العلامة بين البابوية والامبراطورية

انظر :

Cf. Kantorowicz (E.) : Op. cit., pp. 170-175.

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 133. (٦٥)

Cf. Richard (J.) : Le Rayume Latin De Jerusalem,
p. 188.

Also : Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 176.

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 133. (٦٦)

Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 451. (٦٧)

مما يجب ذكره ان « يولاند » السورية زوجة الامبراطور فردريك ، ووريثة

بيت المقدس ، قد ماتت في ابريل عام ١٢٢٨ م ، باندريه Andrea

Cf. Wiegler (P.) : Op. cit., p. 133.

Lec. cit. (٦٨)

Cf. Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 12.

Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 176 (٦٩)

Cf. Grousset (R.) : Hist-des croisades, Tome 3, p. 289.

(٧٠) فيشر : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

Cf. Bryce (J.) : The Holy Roman Empire, p. 205.

Also : Duggan (A.) : The Story of the Crusades, p. 225.

- (٨٣) محمد عبد العزيز عزيز : المرجع السابق ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .
- (٨٤) Wiegler (P.) : The Infedel Emperor, p. 134. .
- (٨٥) سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ، ص ٤١ - ٤٢ .
- (٨٦) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 451. .
- (٨٧) Richard (T.) : Le Rayume Latin De Jerusalem, p. 188. .
- (٨٨) Michiud : Op. cit., Tome 3, p. 14. .
- (٨٩) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 450. .
- (٩٠) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 177. .
- (٩١) كاتب البابا هو « باجيلوس جيد نوس » .
- Cf. Wiegler (P.) : Op. cit., p. 137. .
- Lec. cit. (٩٢)
- وانظر : سعيد عاشور : فردريك الثاني والشرق العربى ، ص ٢٠٤ .
- (٩٣) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 998, p. 262. .
- وانظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٦٤ .
- وايضاً : محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٤٣١ .
- (٩٤) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 184. .
- (٩٥) Michoud : Op. cit., Tome 3., p. 15. .
- Cf. King (E.J.) : Op. cit., p. 206. .
- Also : Conder (C.R.) : The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 312. .
- King (E.J.) : Op. cit., p. 203. (٩٦)
- Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 451. (٩٧)
- Ibid., p. 448. (٩٨)
- King (E.J.) : Op. cit., p. 203. (٩٩)
- King (E.J.) : Op. cit., p. 203. (١٠٠)
- Cf. Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 448. .
- وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٦٠ .
- Stevenson (W.B.) : The Crusaders in the east, p. 308. (١٠١)
- Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 182. (١٠٢)
- وانظر مصطفى الحناوى ، الاستبارية ودورها فى الصراع الصليبي الاسلامى رسالة ماجستير غير منشورة ، الاسكندرية ١٩٨٠ ، ص ٢٩٧ .
- King (E.J.) : Op. cit., p. 206. (١٠٣)
- Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 182. (١٠٤)
- وانظر : سامى سلطان سعد : أسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأدنى الجمهوريات الايطالية ، ص ٤٩ .
- Ibid., p. 182. (١٠٥)
- Cf. Wiegler (P.) : Op. cit., p. 135. .
- Tout (T.M.) : The Empire and the Papacy, p. 368. (١٠٦)
- وانظر مصطفى الحناوى : المرجع السابق ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .
- Stevenson (W.B.) : Op. cit., p. 309. (١٠٧)
- Cf. Painter (S.) : 8 History of the Middle Ages, p. 217. .
- (١٠٨) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .
- Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 15. (١٠٩)
- (١١٠) الكندسطليل : Constable اكبر موظفى المملكة ، فهو قائد الجيش من دولة انغمست فى حروب مستمرة ، ويحمل لواء الملك فى حملة تنويجه ، ويقود الجند فى المعركة فى حالة غيبة الملك ، وفى الحملات يعتبر الكندسطليل قاض عسكر ويفصل فى قضايا الفرسان والطبقة الوسطى ، وينظر فى أمور الجند المأجورة ، وفى القضايا الخاصة بالأرزاق . انظر السيد الباز العرينى : الاقطاع الحربى عند الصليبيين بمملكة بيت المقدس فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، حاشية ٢٠ ، ص ٢٢ .
- Wiegler (P.) : Op. cit., p. 135. (١١١)
- Cf. Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 182. .
- (١١٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
- (١١٣) الحنبلى : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٤٠٥ .
- Cf. Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 16. .
- وانظر ايضا : امارى : المكتبة العربية المنقولة ، ص ١٠ .
- (١١٤) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، القسم الثانى ، ج ٨ ، ص ٦٥٤ .
- (١١٥) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٩٨ .

- (٨٣) محمد عبد العزيز عزيز : المرجع السابق ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .
- (٨٤) Wiegler (P.) : The Infedel Emperor, p. 134. .
- (٨٥) سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ، ص ٤١ - ٤٢ .
- (٨٦) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 451. .
- (٨٧) Richard (T.) : Le Rayume Latin De Jerusalem, p. 188. .
- (٨٨) Michiud : Op. cit., Tome 3, p. 14. .
- (٨٩) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 450. .
- (٩٠) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 177. .
- (٩١) كاتب البابا هو « باجيلوس جيد نوس » .
- Cf. Wiegler (P.) : Op. cit., p. 137. .
- Lec. cit. (٩٢)
- وانظر : سعيد عاشور : فردريك الثاني والشرق العربى ، ص ٢٠٤ .
- (٩٣) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 998, p. 262. .
- وانظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٦٤ .
- وايضاً : محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٤٣١ .
- (٩٤) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 184. .
- (٩٥) Michoud : Op. cit., Tome 3., p. 15. .
- Cf. King (E.J.) : Op. cit., p. 206. .
- Also : Conder (C.R.) : The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 312. .
- King (E.J.) : Op. cit., p. 203. (٩٦)
- Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 451. (٩٧)
- Ibid., p. 448. (٩٨)
- King (E.J.) : Op. cit., p. 203. (٩٩)
- King (E.J.) : Op. cit., p. 203. (١٠٠)
- Cf. Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 448. .
- وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٦٠ .

- (١١٦) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .
 وانظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٢٢ .
 Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 184. (١١٧)
 Ibid., p. 183. (١١٨)
 (١١٩) ستيفين رنسيان : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .
 Ibid., p. 182. (١٢٠)

(١٢١) الصلاح الأربلي : هو أبو العباس أحمد بن عبد السيد بن قحطان الأربلي ، ولد في أبريل عام ٥٧٢ هـ ، وتوفي عام ٦٢١ هـ ، بالرها ، وقد عمل لدى صاحب أربل حتى عام ٦٠٣ هـ ، ثم انتقل لخدمة الملك الكامل محمد ووصل منه إلى مالم يصل إليه غيره ، واختصه بخلواته وجعله أميرا ، انظر : ابن خلكان : وفیات الاعيان ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

(١٢٢) هذا الفيل أحضره السلطان الكامل من مصر ، وقد كان الملك المسعود صاحب اليمن والحجاز قد أتى به ضمن مجموعة فيله من اليمن ، ولم يكن قد بقي منها سوى هذا الفيل ، إذ ماتت كلها . انظر : أماري : المكتبة العربية الصقلية ، ص ٢٢٤ .

(١٢٣) Wiegler (P.) : The Infidel Emperor, p. 135. (١٢٤)
 محمد عبد العزيز عزيز : المرجع السابق ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 453. (١٢٥)

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 135. (١٢٦)

Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 454. (١٢٧)

Cf. Rohricht (R.) : Regesta Regni No. 992, p. 267.

(١٢٨) القريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٦ .

Cf. Lamb (H.) : The Crusades, p. 261.

(١٢٩) عبد الشافي غنيم : حالة المسلمين الثقافية والاجتماعية بجزيرة صقلية

ص ١١٤ - ١١٥ .

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 135. (١٣٠)

- تل المعجول : قرية في غزة : انظر :

هيئة القدس العلمية : كشاف البلدان الفلسطينية ، القاهرة ١٩٧٣ ،

ص ٤٩ .

٣٦٠

(١٣١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٩٧ .
 ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ ، وانظر ابن الوردي : تنمة المختصر في أخبار البشر ، ج ١ ، ص ٢٢٢ . وأيضا الحنبلي : شفاء القلوب ، ورقة ٨٥ .

Michoud : Historie des croisades, Tome 3, p. 16. (١٣٢)

Cf. Wiegler (P.) : The Infidel Emperor, p. 135.

Setton (K.M.) : A History of the Crusades, Vol. 2., (١٣٣)
 p. 454.

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 136. (١٣٤)

(١٣٥) محمد عبد العزيز عزيز : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

Setton (K.M.) : Op. cit., p. 454. (١٣٦)

وانظر مصطفى الحناوي : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .

Stevenson (W.B.) : Op. cit., p. 309. (١٣٧)

(١٣٨) ستيفين رنسيان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ .

وانظر : نظير حسان : الحرب والسلام ، ص ٩٣ .

Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 185. (١٣٩)

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 135. (١٤٠)

Cf. Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 184.

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 136. (١٤١)

Cf. Slaughter (G.) : The Amazing Fredrice, p. 112.

Also : Archer (T.) : The crusaders, p. 381.

(١٤٢) الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٥ ، ص ١١٨ .

Cf. Wiegler (P.) : Op. cit., p. 136.

Also. Michoud Op. cit., Tome 3, p. 18.

وانظر : سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .

(١٤٣) ابن واصل : مفروج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ٤ ، ص ٢٤٠ .

(١٤٤) نظير حسان : الحرب والسلام ، ص ٩٠ .

(١٤٥) الحنبلي : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .

وانظر : ابن الوردي : تنمة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

٣٦١

- (١٦٠) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .
 (١٦١) رنسيان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .
 (١٦٢) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٢ .
 وانظر : عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٧٨ .
 Breholles (H.) : *Historia diplomatica Friderici Secundi*, Tome 3, Paris, 1852-1861, p. 86.
 وانظر الحنبلي : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .
 وايضا ابن دقماق : الجوهر الثمين في سير الملوك والسلطين مخطوط ، ورقة رقم ٥٧ ب .
 (١٦٤) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 19.
 Cf. Slaughter (G.) : Op. cit., p. 114.
 Also : Poole (S.I.) : *History of the Egypt in The Middle Ages*, p. 227.
 وكذلك انظر : بدر الدين العيني : عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، ج ١٢ ، مخطوط ورقة ٧٤ .
 (١٦٥) ابراهيم الحنبلي : شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، مخطوط ، ورقة ٨٥ .
 Cf. Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 20.
 وانظر : ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٩٩ .
 Breholles (H.) : Op. cit., Tome 3, p. 86. (١٦٦)
 (١٦٧) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٤١ .
 وانظر ابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .
 Rohricht (R.) : *Regesta Regni*, No. 997, p. 262. (١٦٨)
 (١٦٩) القريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٨ .
 Stevenson (W.B.) : Op. cit., p. 312. (١٧٠)
 Breholles (H.) : Op. cit., Tome 3, p. 86. (١٧١)
 Ibid., p. 70. (١٧٢)
 Cf. Hulme (E.M.) : *The Middle Ages*, p. 496.
 وانظر محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٤٢٢ .
 (١٧٣) نظير حسان سعداوي : الحرب والصلام ، ص ٩٤ .

- (١٤٦) مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٤٠ .
 (١٤٧) يذكر بعض المؤرخين ان الامبراطور فردريك الثاني ، عندما احتاج في شهر فبراير ١٢٢٩ م ، الى جند ورجال بذل في خدمة عشر فرسان نحو سبعة آلاف (٦٠٠٠) بيزنطة ، اى بمعدل ستمائة (٦٠٠) بيزنطة للفارس الواحد انظر :
 السيد الباز العريني : الاقطاع الحربي عند الصليبيين لملكة بيت المقدس في القرنين ١٢ ، ١٣ ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٠ .
 (١٤٨) Lamb (F.) : *The crusades*, p. 261.
 ولنظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٦٣ .
 وايضا اسامة زكي زيد : الخوارزمية ودورهم في الصراع الصليبي الاسلامي في عصر بني ايوب ، ١٢٢٥ - ١٢٤٦ م / ٦٢٢ - ٦٤٤ هـ ، مقال بمجلة كلية الاداب جامعة الاسكندرية ، العدد ١٩٨٢/٣٠ - ص ٢٥٥ .
 (١٤٩) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 136.
 وانظر : اماري : المكتبة الصقلية ، ص ٩٤ .
 (١٥٠) ابن واصل : نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٢٥٩ .
 Cf. Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 192.
 Slaughter (G.) : Op. cit., p. 112. (١٥١)
 Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 185. (١٥٢)
 Ibid., p. 186. (١٥٣)
 Slaughter (G.) : Op. cit., p. 112. (١٥٤)
 (١٥٥) عبد الشافي غنيم : حالة المسلمين الثقافية والاجتماعية بجزيرة صقلية ، ص ١٨٦ .
 Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 186. (١٥٦)
 Wiegler (P.) : Op. cit., p. 136. (١٥٧)
 Cf. Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 18.
 Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 192. (١٥٨)
 Wiegler (P.) : Op. cit., p. 136. (١٥٩)
 وانظر : رنسيان : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

Breholles (H.) : Op. cit., Tome 3, p. 70. (١٧٤)

(١٧٥) عبد الغنى محمود عبد العاطى : صليبية الاطفال ، مقال بندوق

التاريخ الاسلامى ، والوسيط ، مجلد ٢ ، ص ١٦٨ .

وانظر : رنسيما : المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

وايضا محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ٤٢٢ .

وكذلك عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٧٨ .

(١٧٦) ابن واصل : مفروج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٤١ .

وانظر : ابن الوردي : قنمة المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

وايضا ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٤١ .

وكذلك المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٨ .

Ibid., p. 70. (١٧٧)

Ibid., p. 70 F. (١٧٨)

Cf. Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 20.

Also : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 456.

لزيد من التفاصيل عن الاتفاقية ، انظر :

سعيد عاشور : فريديك الثانى والشرق العربى ، ص ٢٠٦ - ٢٠٨ .

وايضا محمد عبد العزيز : المرجع السابق ، ص ٢١٤ - ٢١٧ .

Cf. Poole (S.L.) : History of the Egypt in the Middle Ages, p. 227.

(١٧٩) الحنبلى ، شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ، مخطوط ، ورقة ٨٥ .

(١٨٠) نظير حسان : الحروب والسلام ، ص ٩١ - ٩٢ .

(١٨١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٩٩ .

حوادث ٦٦٦ هـ .

(١٨٢) ابن واصل : مفروج الكروب في اخبار بنى ايوب ، ج ٤ ، ص ٢٣١ .

وانظر ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٤١ .

وايضا سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، القسم ٢ ، ص ٦٥٤ .

(١٨٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

وايضا ابو الفدا ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

وكذلك ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

King (E.J.) : The Knights Hospitallars, p. 208. (١٨٤)

(١٨٥) امارى : المكتبة العربية الصقلية ، ص ٥١٤ .

(١٨٦) Michoud : Histoire des croisades, Tome 3, p. 19.

(١٨٧) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٩ .

Cf. Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 188.

(١٨٨) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٢ .

(١٨٩) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 20.

وانظر مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في الشرق ، م ٣ ،

ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(١٩٠) بدر الدين العيني : عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، ج ١٨ ،

ورقة ٨٢ وسبط بن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٦٥٥ .

(١٩١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ٦٥٤ .

(١٩٢) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

(١٩٣) سبط بن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٦٤٥ .

(١٩٤) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

وانظر : ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب في مناقب بنى ايوب ، ورقة ٨٥ .

(١٩٥) سبط بن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٦٥٤ .

وانظر ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٤٦ .

(١٩٦) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٧٢ .

والحنبلى : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٤٠٧ .

وانظر ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٤٢ .

وايضا نظير حسان : الحرب والسلام ، ص ٩٧ .

(١٩٧) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٢ .

وانظر رنسيما : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ .

Cf. Lamb (H.) : The Crusades, p. 262.

(١٩٨) عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٧٨ .

وانظر محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ٤٢٢ .

(١٩٩) ابو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١٥٤ .

Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 188. (٢٠٠)

(٢٠١) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ق ٢٧١ .

وانظر : نظير حسان : الحرب والسلام ، ص ٩٨ .

- (٢١٩) Rohricht (R.) : Op. cit., No. 1015, p. 266.
- (٢٢٠) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 457.
- (٢٢١) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 188.
- (٢٢٢) Ibid., p. 209 & Slaughter (G.) : Op. cit., p. 116.
- (٢٢٣) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 999, p. 262.
- Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 456.
- (٢٢٤) ابن واصل : مفروج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ٤ ، ص ٢٤٤ .
وانظر المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٤٦٩ .
- (٢٢٥) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 20.
- (٢٢٦) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 188.
- (٢٢٧) رنسيماي : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .
- Cf. Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 20.
- (٢٢٨) Archer (T.) : The crusades, p. 381.
- وانظر مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة في الشرق ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ .
- (٢٢٩) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 138.
- Cf. Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 21.
- Also : Stephenson (C.) : Medieval History, p. 276.
- (٢٣٠) Lamonte (J.L.) : John D. Ibalin, The Lord of Beirut, 1177-1236, Byzantion, vol. 12, 1937, p. 433.
- وانظر يوشع براور : عالم الصليبيين ، ص ٨٦ .
- (٢٣١) Slaughter (G.) : Op. cit., p. 114.
- (٢٣٢) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٨٦ .
- (٢٣٣) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 138, & Slaughter (G.) : Op. cit., p. 115.
- وايضا رنسيماي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .
- (٢٣٤) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 458.
- وانظر رنسيماي : نفس المرجع ، ص ٢٢٤ .

- Cf. Ibid., p. 192. • ٦٢٤ : المكتبة العربية الصقلية ، ص ٦٢٤ .
- (٢٠٢) الحنبلى : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، ورقة ٨٥ .
- (٢٠٤) ابن واصل : مفروج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ .
- (٢٠٥) انظر : في ذلك : حنين لتيب : مختصر تاريخ العصور الوسطى .
الطبعة الثانية ، ١٩١٩ ، ص ٤٢ .
- وايضا : اسامة زكى زيد : الخوارزمية ودورهم في الصراع الصليبي الاسلامي (١٢٢٥ - ١٢٤٦) ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .
- Poolé (S.L.) : History of the Egypt in the Middle Ages, (٢٠٦) p. 227.
- Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 188. (٢٠٧)
- (٢٠٨) محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر ، ص ٦٩ .
- (٢٠٩) جوزيف نعيم يوسف : لويس التاسع في الشرق الأوسط ، ص ٢٥٢ .
- Setton (K.M.) : A history of the crusades, Vol. 2., (٢١٠) p. 456.
- Kantorowicz, (E.) : Frederic The Second, p. 187. (٢١١)
- Thompson (J.W.) : Middle Ages, Vol. 1., p. 593. (٢١٢)
- Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 20. (٢١٣)
- (٢١٤) مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة في الشرق مجلد ٢ ، ص ٢٧٦ .
- (٢١٥) باركر : الحروب الصليبية ، ص ١٤٦ .
- وانظر رنسيماي : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ .
- وايضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٦٦ .
- Poolé (S.L.) : History of the Egypt In the Middle Ages, p. 227. (٢١٦)
- وانظر حسن ابراهيم حسن وأحمد صادق طنطاوي : تاريخ العصور الوسطى في الشرق والغرب ، ص ١٨٢ .
- Rohricht R. : Regesta Regni, No. 1001, p. 263. (٢١٧)
- Cf. Painter (S.) : A history of the Middle Ages, p. 214.
- Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 188. (٢١٨)

Wiegler (P.) : Op. cit., pp. 138 F. (٢٣٥)

وانظر ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٤ .

(٢٣٦) ابن واصل : نفس المصدر ، ص ٢٤٤ .

وانظر المقرئى ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٩ .

ولزيد من التفاصيل ، انظر :

Cf. Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 192.

(٢٣٧) الدوادارى : الدر المطلوب فى اخبار بنى أيوب ، ج ٧ .

ص ٢٩٤ .

وانظر سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٦٥٦ .

wiegler (P.) : Op. cit., p. 139. (٢٣٨)

وانظر سبط بن الجوزى : نفس المصدر ، ص ٦٥٦ .

Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 191. (٢٣٩)

wiegler (P.) : Op. cit., p. 139. (٢٤٠)

وانظر سبط بن الجوزى : نفس المصدر ، ص ٦٥٩ .

(٢٤١) رنسيان : المرجع السابق ، ص ٣٣٥ .

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 139. (٢٤٢)

وانظر ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ، ص ٢٤٤ .

وايضاً المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٩ .

تذكر بعض المصادر أن هذا القسيس كان بقية الصخرة ، فقدم اليه الامبراطور ، واعتقد القسيس أن الامبراطور جاء يطلب منه الدعاء إلا أن الأخير ضربه ورماه على الأرض ، انظر :

سبط بن الجوزى : نفس المصدر ، ص ٦٥٥ ، وايضاً المقرئى : السلوك

ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٩ وأغلب الظن أن هذا القسيس كان خارج المسجد كما تذكر

بعض المصادر الغربية والشرقية المعاصرة ، وعلى أية حال فإن الذى يهمنى هو

موقف الامبراطور فردريك الثانى من هذا القسيس سواء كان داخل الصخرة أو

خارج المسجد .

Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 190. (٢٤٣)

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 139. (٢٤٤)

Ibid., p. 139. (٢٤٥)

Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 190. (٢٤٦)

وانظر سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٦٥٦ .

(٢٤٧) سبط بن الجوزى : نفس المصدر ، ص ٦٥٦ .

(٢٤٨) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ . وانظر : ابراهيم الحنبلى :

شفاء القلوب ، ق ٨٦ . Cf : Wiegler (P.) : Op. cit., p. 140.

(٢٤٩) سبط بن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٦٥٧ .

Cf : Wiegler (P.) : Op. cit., p. 140.

(٢٥٠) الدوادارى : الدر المطلوب ، ج ٧ ، ص ٤٩٢ .

Cf : Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 190. & Also : Lamb (H.) :
The Crusades, p. 264.

(٢٥١) مثل يضرب لمن يقابل الاحسان بالاساءة . انظر :

الشيرازى : القاموس المحيط ، الطبعة الثانية ، مصر ١٣٤٤هـ/ج ٢ ،

ص ٥٣ .

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 140. (٢٥٢)

Cf. Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 1000, pp. 262 F.

وايضاً رنسيان : المرجع السابق ، ص ٣٣٦ .

Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 22. (٢٥٣)

(٢٥٤) مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة فى الشرق ، مجلد ٢ ،

ص ٢٧٦ - ٢٧٧ . Cf. Slaughter (G.) : Op. cit., p. 115.

(٢٥٥) يوشع براور : عالم الصليبيين ، ص ٨٦ .

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 140. (٢٥٦)

وانظر رنسيان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٣٦ .

Rohricht (R.) : regesta Regni, No. 1000, p. 262. (٢٥٧)

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 141. (٢٥٨)

Cf. : King (E.J.) : Op. cit., p. 209.

وانظر العيني : عقد الجمان ، ج ١٨ ، ورقة ٨٤ .

العلاقات - ٣٦٩

- Pornoud (R.) : The Crusades, p. 232. (٢٧٥)
- وايضا رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٢٢٨
- وكذلك سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٧١ - ٩٧٢
- (٢٧٦) سامي سلطان سعد : أسس العلاقات الاقتصادية ، ص ٥٠
- (٢٧٧) رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٢٩
- Wiegler (P.) : The Infidel Emperor, pp. 143 F. (٢٧٨)
- Ibid., p. 143. (٢٧٩)
- Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 24. (٢٨٠)
- Tout (T.F.) : The Empire and The Papacy, p. 369. (٢٨١)
- CF. : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 461.
- CF. : Hulme (E.M.) : The Middle Ages, Vol. I., p. 469.
- Also : Thompson (J.W.) : Middle Ages, Vol. I., p. 593.
- (٢٨٢) مصطفى الحناوي : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ - ٢٠١
- Wiegler (P.) : Op. cit., p. 143. (٢٨٣)
- Ibid., p. 145. (٢٨٤)
- Weigler (P.) : Op. cit., p. 146. (٢٨٥)
- Thatcher (O.J.) : & McNeal (E.H.) : A Source Book for (٢٨٦)
- Medieval History, Treaty of San Germano, 1230, p. 241.
- Ibid, p. 242, San Germano. (٢٨٧)
- وانظر نص الاتفاق ملحق رقم ١٠ ، ١١
- Weigler (P.) : Op. cit., p. 146. (٢٨٨)
- Tout (T.F.) : Op. cit., p. 369. (٢٨٩)
- Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 461. (٢٩٠)
- Ibid., p. 461. (٢٩١)
- (٢٩٢) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٨٧
- وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٧٢
- وايضا محمد مصطفى زيادة : حملته لويش التاسع على مصر ، ص ٦٥
- وكذلك وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٢ ، ص ٥٨١

- Rohricht (R.) : Op. cit., No. 998, p. 262. (٢٥٩)
- Cf. King : (E.J.) : Op. cit., p. 210.

Michoud : Op. cit., Tome 3, pp. 22 F. (٢٦٠)

• وانظر رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٣٢٧

Rohricht (R.) : Op. cit., No. 1002-1003, p. 273. (٢٦١)

Ibid., No. 1003, pp. 263 F. (٢٦٢)

Ibid., No. 1004, p. 264. (٢٦٣)

Rohricht, (R.) : Regesta Regni, No. 1005, p. 264. (٢٦٤)

Ibid., No. 1006, p. 264. (٢٦٥)

Ibid., No. 1007, p. 264. (٢٦٦)

Ibid., No. 1008, p. 264. (٢٦٧)

Ibid., No. 1014, p. 266. (٢٦٨)

Ibid., No. 1016, p. 266. (٢٦٩)

(٢٧٠) تنسب الاسماعيلية الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وفي احدى فرق الامامية وتعتبر المؤسسة للباطنية والتأويل ، وقد لرب الاسماعيلية دورا خطيرا في عصر الحروب الصليبية في بلاد الشام ، تمثل هذا الدور في مقاومتهم للمذهب السني والعمل على الفتك بامله وزعمائه وقادته ومقاومة الصليبيين والفتك بهم • انظر :

عثمان عبد الحميد محمد عثري : الاسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية ، دكتوراه القاهرة ١٩٧٥ المقدمة ، وايضا : زكن النقاش : الحشاشون وأفكرهم في السياسة والاجتماع دكتوراه ، القاهرة ١٩٥٣ •

Kantorowicz, (E.) : Op. cit., pp. 193 F. (٢٧١)

Parnoud (R.) : The Crusades, p. 231. (٢٧٢)

Cf. : Stevenson (W.B.) : Op. cit., p. 314.

Wiegler (P.) : Op. cit., p. 141 & Stevenson (W.B.) : (٢٧٣)

Op. cit., p. 314.

Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 23. (٢٧٤)

- Smail (R.C.) : The Crusader in Syria and The Holy Land p. 32. (٢١٢)
- King (E.J.) : Op. cit., p. 225. (٢١٢)
- Cf : Stevenson, (W.B.) : Op. cit., p. 317. (٢١٤)
- Cam. Mer. Hist., Vol. 6., p. 102. (٢١٤)
- Thatcher (O.J.) : & McNeal (E.J.) : Op. cit., No. 144, pp. 254-256. The Excommunication of Frederick II, 1239, والترجمة الكاملة لهذا القرار ، انظر سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٧١٧ ، ملحق رقم / ١٤ .
- ستيفين رنسيماي : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٧٩ . (٢١٦)
- محمد محمد أمين : السلطان الصالح نجم الدين ، ماجستير جامعة القاهرة ، ص ١٠١ . (٢١٧)
- وانظر محمد مصطفى زياده : حملة لويس التاسع على مصر ، ص ٧١ .
- رنسيماي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ . (٢١٨)
- رنسيماي : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ . (٢١٩)
- Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 557. (٢٢٠)
- Rohricht (R.) Regesta Regni, No. 1101, p. 286. (٢٢١)
- كان سيمون زوجا لأخت ريتشارد وابن عم لسيد تبينين ، انظر : ستيفين رنسيماي : نفس المرجع ، ص ٢٨٢ . (٢٢٢)
- King (E.J.) : Op. cit., p. 225. (٢٢٣)
- سامي سلطان سعد : المرجع السابق ، ص ٥٢ . (٢٢٤)
- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٩٤ . (٢٢٥)
- سامي سلطان سعد : المرجع السابق ، ص ٥٣ . (٢٢٦)
- Rohricht (R.) : Op. cit., No. 1105, p. 297. (٢٢٧)
- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٩٤ . (٢٢٨)
- في الحقيقة أن ريتشارد فلانجيري كان ممثلا بالفعل للامبراطور فردريك الثاني بالشرق ، والدليل على ذلك أنه منح « بنيابنديس » Pennapedis اربعمئة درهم (٤٠٠) بيزنطي ، يستخرجها من خزانة أورشليم سنويا ، وذلك في ١٧ مايو عام ١٢٤٢ م ، صور .
- Cf. Rohricht (R.) : Op. cit., No. 1107, p. 286.

- Tout (T.F.) : Op. cit., p. 369. (٢٩٢)
- Amonte (J.L.) : John d'Abelin, Byzantion, Tome 12, 1937, p. 436. (٢٩٤)
- ستيفين رنسيماي : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ . (٢٩٥)
- Stevenson (W.B.) : Op. cit., p. 315. (٢٩٦)
- King (E.J.) : Op. cit., p. 212. (٢٩٧)
- Amonte (J.L.) : John d'Abelin, p. 436. (٢٩٨)
- لقد مر المارشال في طريقه الى الشرق ، على قبرص . لمزيد من التفاصيل انظر : رنسيماي : نفس المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٥ .
- King (E.J.) : Op. cit., p. 212. (٢٩٩)
- Amonte (J. L.) : Op. cit., p. 436. (٣٠٠)
- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٧٤ . (٣٠١)
- باركر : الحروب الصليبية ، ص ١٤٩ . (٣٠٢)
- وانظر رنسيماي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ .
- ستيفين رنسيماي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ . (٣٠٣)
- سامي سلطان سعد : أسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأدنى والجمهوريات الإيطالية ، ص ٥٠ - ٥١ . (٣٠٤)
- انظر رنسيماي : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٥٠ - ٣٥٥ . (٣٠٥)
- وايضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٧٥ .
- باركر : المرجع السابق ، ص ١٤٩ . (٣٠٦)
- انظر رنسيماي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٦ . (٣٠٧)
- نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٣٥٦ . (٣٠٨)
- وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٧٧ .
- Stevenson (W.B.) : Op. cit., p. 314. (٣٠٩)
- انظر : رنسيماي : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٥٧ . (٣١٠)
- وايضا سعيد عاشور : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٧٧ وكان حنا ابلين قد مات سنة ١٢٣٦ م .
- Duggan (A.) : The Story of the Crusades, n. 227. (٣١١)
- Cf. Amonte (J.L.) : John d'Abelin, Byzantion, Tome 12, p. 444.

- (٢٤٩) Ibid., p. 195, p. 557.
- (٢٥٠) تولى بعد الكامل محمد ابنه العادل الصغير ، الا أنه قبض عليه وقبلى بعده الملك الصالح نجم الدين أيوب .
- (٢٥١) ستيفين رنسيان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٢٨٢ .
- وانظر محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر ، ص ٧٢ .
- (٢٥٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٤٧ .
- (٢٥٣) العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ج ١٨ ، ورقة ٨٢ .
- (٢٥٤) لمزيد من التفاصيل عن التعاون بين الخوارزميين والصالح نجم الدين انظر :
- سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٥٥ - ١٠٠٢ .
- (٢٥٥) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 1118, p. 298.
- (٢٥٦) Ibid, No. 1119, p. 298.
- يتضح ذلك من خطاب « هيرمان بيتراجورسينس Hermanus Petrgoricenis قائد المعبد الى « روبرت دي سنفورديا Roberto de Sanfordie في انجلترا ، انظر : Cf. Ibid., No. 1119, p. 298.
- (٢٥٧) Stevenson (W.B.) : Op. cit., p. 223.
- (٢٥٨) يضيف البعض أن السلطان نجم الدين ، رفض توسط رجاله بشأن فك أسر الصليبيين من الاستبارية وأمر على اتباع سياسة أكثر تشددا مع الصليبيين ، لكن الاستبارية نصحب البعض باللجوء الى الامبراطور فردريك ليتوسط لدى السلطان الصالح ، الا ان الاستبارية رفضوا ذلك : انظر : مصطفى الحناوي : الاستبارية ودورهم في الصراع الصليبي الاسلامي ، ماجستير غير منشور ، الاسكندرية ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .
- (٢٥٩) مصطفى الكنانى : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ .
- (٢٦٠) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في الشرق مجلد ٢ ، ص ٢٩٣ .
- وانظر (حسن حبشى : الشرق العربي بين شقى الرخى ، ص ٢٦ .
- وايضا : رافت عبد الحميد : المشكلة الايطالية في السياسة اللاتينية ، ص ٢٨٦ .
- (٢٦١) امارى : الكتبة العربية الصقلية ، من جامع التواريخ لليافى ، ص ٥١٦ - ٥١٧ .

- (٢٦٠) سامى سلطان سعد : المرجع السابق ، ص ٥٢ - ٥٤ .
- (٢٦١) رنسيان : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .
- (٢٦٢) باركر : الحروب الصليبية ، ص ١٥٠ .
- (٢٦٣) يوشع براور : عالم الصليبيين ، ص ٨٦ - ٨٧ .
- (٢٦٤) Painter (S.) : A history of the Middle Ages, p. 213.
- (٢٦٥) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 189.
- (٢٦٦) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٧٦ .
- وانظر : عبد الشافى غنيم عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٧٢ .
- (٢٦٧) Wiegler (P.) : The Infidel Emperor, p. 144.
- (٢٦٨) نظير حسان : الحرب والسلام ، ص ٩٩ - ١٠٠ .
- Cf. Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 206.
- وانظر : سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .
- وايضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٦٥ - ٩٦٦ .
- (٢٦٩) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 1025, p. 268.
- (٢٧٠) Rtchard (J.) : La Ryaume Latin De Jerusadem, p. 191.
- (٢٧١) عبد الشافى غنيم : المرجع السابق ، ص ١٩٤ .
- (٢٧٢) عبد الشافى غنيم : نفس المرجع ، ص ١٩٦ .
- (٢٧٣) القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج ٨ ، ص ١١٧ .
- (٢٧٤) عبد الشافى غنيم ، المرجع السابق ، ص ١٩٦ .
- (٢٧٥) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 19٤.
- (٢٧٦) سبط بن الجوزى : مراة الزمان ، ق ٢ ، ج ٨ ، ص ٦٨٥ .
- وانظر عبد الشافى غنيم : المرجع السابق ، ص ١٩٦ .
- Cf. Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 196.
- وايضا : نظير حسان : الحروب والسلام ، ص ١٠٠ .
- (٢٧٧) Rohricht (R.) : Regesta Regi, No. 1053, p. 275.
- (٢٧٨) انظر مصطفى حسن محمد الكنانى : العلاقات بين جنوه والشرق الامنى الاسلامى (١١٧١ - ١٢٩١ م) - (٥٦٧ - ٦٩٠ هـ) .
- الهيئة العامة للكتاب ١٩٨١ ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .
- Cf : Kantorowicz, (E.) : Op. cit., 195.

(٣٦٢) لقد أرسل الامبراطور فردريك رسالة الى مسلمي صقلية يقول فيها
« كيف تقبل عليكم وجولتكم ان تعيشوا وسط هذا الذل وهذه العبودية في بلاد

لستم منها » انظر عبد الشافي غنيم - ارجع السابق ، ص ٢٨٢ .
(٣٦٣) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 195.

(٣٦٤) Wiegler (P) : Op. cit., p. 153.

(٣٦٥) عبد الشافي غنيم عبد القادر : نفس المرجع ، ص ٢٢٠ .

(٣٦٦) Ibid., p. 154.

(٣٦٧) عبد الشافي غنيم : نفس المرجع والصفحة .

ابن سبعين : هو أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم العكي المرسى الأندلسي
تلقب بقطب الدين ، كان فقيها جليلا حائقا فصيحا بارعا في العلوم والآداب ،
درس في الأندلس وانتقل الى « سبته » وانتحل التصوف على قواعد الفلسفة ،
وله كلام في العرفان وتصانيف ، وله اتباع ومريدون يعرفون بالسبعية ، ثم رحل
الى المشرق ، وكان يعرف الكيمياء ، والسيما ، وخرج من وطنه ابن ثلاثين
سنة ومع اتباع وشيوخ وله اشياء في الرياضة وله كتاب اسمه « لايد للعارف
منه » وكتاب الاحاطة وكتاب صغير في الجوهر ، وله عدة رسائل بلغة
فصيحة ، وكان يكتب عن نفسه ابن ه يعني الدار الذي في كالمصر وهي في
بعض طرق المغاربة في حسابهم سبعون ، وشهر لذلك بابن داره ، وجزى بيته
وبين اعلام المشرق والمغرب خطوب كثيرة لانتقاد الفقهاء عليه في بعض اموره
وشعره رائق وكانت ولادته سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ، ووفاته في ٩ شوال ٦٦٩ هـ /
١٢٧٠ م انظر : البستاني : دائرة المعارف ، مجلد ١ ، طبعة بيروت ، ١٨٨٠ م ،
ص ٥٠٦ - ٥٠٧ .

(٣٦٨) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 556.

(٣٦٩) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 1143, p. 302.

(٣٧٠) Ibid., No. 1144, p. 302.

(٣٧١) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 1163, p. 306.

وانظر بن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٤٧ .

وايضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠٠٧ .

وكذلك سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ١٢٤ .

زبيدة عطا : الشرق الاسلامي والدولة البيزنطية ، ص ١٩٢ .

(٣٧٢) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٤٧ .

وايضا سعيد عاشور : فردريك الثاني والشرق العربي ، ص ٢١٢ .

(٣٧٣) اماري : المكتبة العربية الصقلية ، من كتاب سير الابهاء البطارقة ،

ص ٣٢٦ ، ص ٥١٧ .

(٣٧٤) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٧ .

(٣٧٥) انظر محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر ،

ص ٩٠ .

(٣٧٦) الدوداري : الدر المطلوب في اخبار بني أيوب ، ج ٧ ، ص ٣٦٦ .

(٣٧٧) مصطفى الكناشي : العلاقات بين جنوه والشرق الأدنى الاسلامي ،

ص ٢٤٩ .

(٣٧٨) حسن حبشي : الشرق العربي بين شقي الرعي ، ص ٣٠ .

وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠٠٦ .

(٣٧٩) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠٠٦ .

(٣٨٠) حسن حبشي : الشرق العربي بين شقي الرعي ، ص ٣١ .

(٣٨١) انظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٠٠٧ .

(٣٨٢) انظر محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر ، ص ٩١ .

(٣٨٣) لمزيد من التفاصيل انظر : محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع

على مصر .

وكذلك جوزيف نسيم يوسف : لويس التاسع في الشرق الأوسط .

وعن موقف المسلمين من الحملة : انظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية

ج ٢ ، ص ١٠٠٧ - ١٢٠٩ الفصل الخاص بالحملة السابعة .

وانظر ايضا : الدوداري : المصدر السابق ، ص ٣٦٦ .

(٣٨٤) محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٣٨٥) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٨ .

وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠١٥ .

(٣٨٦) محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

وانظر حسن حبشي : الشرق العربي بين شقي الرعي ، ص ٩٩ .

وايضا عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٨٦ .

- (٢٨٧) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في الشرق ، م ٢ ،
 ص ٢٣٤ .
 (٢٨٨) حسن حبشي : مذكرات جوفنيل ، القديس لويس ، رقم ٤٤٢ ،
 ص ٢٠٠ .
 (٢٨٩) المصدر السابق والصفحة .
 وانظر : محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .
 (٢٩٠) حسن حبشي : مذكرات جوفنيل ، ص ٢٠٠ .
 (٢٩١) انظر جوزيف نسيب يوسف : لويس التاسع في الشرق الاوسط ،
 ص ٩٧ .
 (٢٩٢) محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .
 (٢٩٣) انظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، الباب السادس عشر
 الفصل الأول ، ص ١٢٣ - ١٠٥٩ .
 (٢٩٤) حسن حبشي : مذكرات جوفنيل ، رقم ٤٤٤ ، ص ٢٠٠ .

الخاتمة

لقد استطاعت الدولة الايوبية بسياستها التي اتبعتها ، ان
 تدفع الامبراطورية الرومانية المقدسة ، والبابوية لكي يسعيا الى
 مد يد العون للصليبيين بالشرق لا بالحملة فحسب ، ولكن
 بالوسائل الدبلوماسية .

اذ ان صلاح الدين قد تلقى من البابوية والامبراطورية
 الرومانية المقدسة رسائل بشأن العمل على تسهيل المهام الخاصة
 بالصليبيين في الشرق ، هذا وقد استطاع صلاح الدين ان يكسب ود
 كل من البابا والامبراطور غردريك الاول ، وحاول استغلال هذه
 الصداقة لاجلاء الصليبيين عن بيت المقدس ، الا ان هذه المحاولات
 باءت بالفشل مما دفع السلطان صلاح الدين الى شن هجوم شامل
 على الصليبيين فاسترد بيت المقدس .

ومرة اخرى حاولت الامبراطورية الرومانية المقدسة ،
 بالدبلوماسية رد بيت المقدس الى حوزة الصليبيين ، الا انه لم يكن
 من السهولة بمكان على الشرق الاسلامي ان يتنازل عن المكاسب
 التي حققها بالكفاح المسلح ، مما دفع الامبراطورية الرومانية

المقدسة ، أن تضرب بسهمها الى الشرق ، من خلال جيش أعدده
الامبراطور فردريك الأول ، وأحكم تنظيمه ، من أجل تحقيق ما حاول
أن يحققه بالطرق الدبلوماسية ، الا انه قدر لفردريك الاول أن
لا يقابل صلاح الدين وجها لوجه شاهرا سيفه ضده ، اذ أن الأول
قد مات ، وتولى قيادة الحملة ابنه فردريك السوابي ، الذي لم يكن
على قدر كاف من السياسة فلم يستطع أن يحقق شيئا لا عسكريا
ولا سياسيا بالشرق ، وكل ما خلفته الحملة الألمانية هو « فرقة
التوتون » التي لعبت دورا في الحروب الصليبية فيما بعد .

ومهما كان الأمر فلقد كان لهذا التقارب السياسي بين الدولة
الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة ، أثر — على ما يبدو —
في تغيير سياسة الامبراطورية الرومانية المقدسة ، تجاه الشرق ،
والدليل على ذلك أن الامبراطور هنري السادس حاول أن يتحرك
عسكريا — كبديل عن الطرق الدبلوماسية من خلال مشروع أعدده
لضم الشرق لامبراطوريته ، الا أن فكرته لم يكتب لها النجاح ،
لأنه هو الآخر قد مات .

وبعد أن فشلت هذه المحاولات الدبلوماسية والعسكرية لضم
الشرق ، أضحت الامبراطورية الرومانية المقدسة ، تنأى بفكرتها
عن غزو الشرق الاسلامي اذ أنها حاولت — ربما عن غير قصد —
الى تغيير خط سير الحملة الصليبية (الرابعة) الى القسطنطينية ،
أفضل للجميع من الاتجاه الى مصر .

وقد استفادت الامبراطورية الرومانية المقدسة من هذه
الأخطاء جميعها ، اذ فكر أباطرتها في عدم الخروج عسكريا ضد
الشرق الاسلامي ، فاكففى الامبراطور فردريك الثاني بإرسال
الأمادات الى الصليبيين بدمياط سنة ١٢٢٠ م ، تحت الحاح
البابوية ونداءات الصليبيين بدمياط .

ولا شك أن لهذه المواقف السابقة للامبراطورية الرومانية
المقدسة اثرا في أن العلاقات بين الدولة الأيوبية والامبراطورية
قد أخذت شكلا جديدا ، فتم تبادل السفارات بين الطرفين على
مستوى عال ، وبصور ملفته للنظر ، ووصلت الى أن استعان
الملك الكامل محمد سلطان مصر بالامبراطور فردريك الثاني ، ضد
أخيه المعظم عيسى وجمال الدين الخوارزمي ، وان دل هذا على شيء
فإنما يدل على مدى الصداقة التي ربطت بين الطرفين .

ولما لم يصبح الكامل في غير حاجة الى محالفة صديقه عسكريا ،
لم يشأ أن يكسر جاهه أمام الغرب الأوربي ، فحقق له المطالب ،
التي طلبها منه الامبراطور بشأن بيت المقدس ، بعد مفاوضات
استمرت قرابة سبعة شهور ، ولم ينتطح فيها عنزان .

ولما كان الامبراطور فردريك الثاني حريصا على صداقته
بالمسلمين ، فلقد داوم على المراسلات مع الملك الكامل وكذلك الملك
الجواد الأيوبي ، وأيضا الأمير فخر الدين ، كما كان الامبراطور يزاول
مهامه الرئيسية في المملكة الصليبية بالشرق كملك عليها من خلال
نواب له .

ووصلت الصلات بين الطرفين الى حد أن تم عقد تحالف
دفاعي استعان بمقتضاه كل من الطرفين بجنود من الطرف الآخر ،
وكان الامبراطور فردريك عند وعده مع المسلمين ، وطبقا لتنفيذ بنود
اتفاقية يافا أخبر صديقه السلطان الصالح نجم الدين أيوب
عن حملة لويس التاسع على مصر ، حتى يحتاط لها ، وأعتمد
الامبراطور على هذه الصداقة ، في الوساطة لفك أسرى الصليبيين
لدى المسلمين بعد هزيمتهم في الحملة الصليبية « السابعة » .

وهكذا لم يحدث أن التقى امبراطور من إباطرة الامبراطورية الرومانية المقدسة بملك من ملوك بيت أيوب شاهرا سيفه في وجههم ، وهذا ما دعم العلاقات بينهما ، وحلت السفارات الدبلوماسية محل الحملات الحربية ، وأقيم للسفراء الاستقبال الحار ، بدلا من السهام القاتلة .

وإذا كان موضوع « العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والدولة الأيوبية » (١١٥٢ - ١٢٥٠ م / ٥٤٧ - ٦٤٨ هـ) قد درس على هذا الوجه فهو بمثابة قطرة من محيط الموضوعات التي يمكن أن تدرس حول هذه الفترة ، والتي لا شك سوف تضيف الى المكتبة العربية الكثير عن تاريخ أوربا العصور الوسطى ، وتوضح غموض نقاط كثيرة ، ومن أمثلة هذه الموضوعات :

- ١ - العلاقات بين البابوية والامبراطورية الرومانية المقدسة .
- ٢ - دور فرنسا في الصراع الصليبي الاسلامي .
- ٣ - العلاقات بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والدولة البيزنطية .
- ٤ - دور إنجلترا في الصراع الصليبي الاسلامي .
- ٥ - الحياة الاجتماعية في الامبراطورية الرومانية المقدسة .
- ٦ - الحياة الاقتصادية في الامبراطورية الرومانية المقدسة .
- ٧ - العلاقات بين الامبراطورية الرومانية المقدسة وكل من إنجلترا وفرنسا .
- ٨ - الوضع السياسي داخل الامبراطورية الرومانية المقدسة .

٦ - العلاقات بين الدولة البيزنطية والمجر إبان الحروب الصليبية .

ولا شك أن دراسة الموضوعات الأتفة الذكر قد تلقى مزيدا من الضوء على الامبراطورية الرومانية المقدسة في الفترة المعنية بالدراسة ، ولكن يلزم أن تسعى المكتبات العربية في الحصول على مزيد من الوثائق الخاصة بهذه الفترة ، والتي يمكن الحصول عليها من مكتبات وارشيفات أوربا ، التي تحوى العديد مما كتب عن هذه الفترة .

كما انه يجب أن يسعى علماءنا في ترجمة الوثائق والمصادر الخاصة بتاريخ أوربا العصور الوسطى من اللغة اليونانية واللاتينية ، والفرنسية القديمة ، الى لغات أخرى كالفرنسية وغيرها مثل الانجليزية والعربية .

وإذا تحقق هذا فسوف يكشف النقاب عما خفى من تاريخ أوربا العصور الوسطى ، وما ينتج عن ذلك من معرفة التأثيرات العربية والاسلامية على أوربا سياسيا واقتصاديا وحضاريا . والوقوف على جوانب العلاقات السياسية بين الشرق والغرب في الحاضر .

★★★

الملاحق

أولا : الوثائق :

- ١ — المفاوضات التمهيدية بين البابا اسكندر الثالث والامبراطور فردريك الأول .
- ٢ — رسالة من العادل سيف الدين الى البابا لوكيوس الثالث .
- ٣ — رسالة من صلاح الدين الى البابا لوكيوس الثالث .
- ٤ — رسالة من صلاح الدين الى الملك بلدوين الرابع .
- ٥ — رسالة من بيت المقدس الى الغرب الأوربي بعد حطين .
- ٦ — رسالة من البابا جريجورى الثامن الى المسيحيين بأوربا بعد حطين .
- ٧ — رسالة من الامبراطور فردريك الأول الى السلطان صلاح الدين .
- ٨ — رسالة من السلطان صلاح الدين الى الامبراطور فردريك الأول .

٩ — تعهد الامبراطور فردريك الثانى امام البابا بالتنازل عن صقلية
سنة ١٢١٦ م .

١٠ — الوثيقة التحضيرية لاتفاقية سان جرمانو .

١١ — اتفاقية سان جرمانو .

١٢ — خطاب البابا بشأن زيارة الامبراطور فردريك الثانى له بعد
سان جرمانو ١٢٣٠ م .

ثانيا : الخرائط :

١ — الامبراطورية الرومانية المقدسة أيام أسرة هوهنشتاوفن .

٢ — الدولة الايوبية زمن صلاح الدين .

٣ — خط سير حملة فردريك الاول من الامبراطورية المقدسة
حتى أدرنه .

٤ — خط سير حملة فردريك الاول من أدرنه الى هكا .

ملحق رقم ١ /

المفاوضات التمهيدية للمعاهدة التى بين البابا اسكندر الثالث
والامبراطور فردريك الاول اناجنى ١١٧٦ م (١)

ان المعركة بين البابا والامبراطور زادت في العداء ، وفي
نفس الوقت فان المدن الايطالية تمردت ضد فردريك وانضمت
الى البابا وتشكلت اتفاقية اللبارد وفي لجنانو ١١٧٦ م هزم
الامبراطور تماما ، وبعد ذلك بعث سفراءه الى البابا في اناجنى
لكي يناقش شروط اتفاقية سلام في البندقية والمعاهدة الأخيرة
ابرمت سنة ١١٨٣ م ، وتسمى معاهدة كونستانس .

١ — اذ ان الامبراطور والامبراطورة وأولادهم ، الملك
هنرى ، وكل الامراء يوعدون بقبول البابا اسكندر الثالث كبابا
كاثوليكي عام ، ويظهروا له الاحترام على نقيض أسلافهم .

٢ — الامبراطور يعد بالمحافظة على السلام باخلاص مع البابا
اسكندر الثالث وخلفائه وأتباعه مع الكنيسة الرومانية .

Thatcher (O.J.) & McNeal (E.H.) : Op. cit., No. 108, (٧)
pp. 196 FF.

٣ - كل الحقوق وامتيازات وممتلكات القديس بطرس ، التي أقرتها الكنيسة الرومانية في عهد البابا أنوسنت الثاني التي استولى عليها الامبراطور أو خلفائه، هذه الممتلكات سوف ترد للبابا اسكندر الثالث وللكنيسة الرومانية ، والامبراطور يتعهد للكنيسة بالاحتفاظ بوضعها .

٤ - الامبراطور يعيد الى البابا وللكنيسة الرومانية التحكم في مدينة روما ، والبابا يتعهد بأن العدالة سوف تأخذ مجراها في البحث عن حقوق الامبراطور في المدينة في الوقت المناسب .

٥ - كل الانفصال في الكنيسة الذين جذبهم الامبراطور الى جانبه اثناء النزاع الاخير ، سوف ينسلخوا من ولاءهم له ويرجعوا للبابا والكنيسة الرومانية .

٦ - الامبراطور سوف يعيد الى البابا والى الكنيسة الأرض من زوجة الكونت «ماتيليدا» كما أقرت بذلك الكنيسة في عهد الامبراطور « لوثير » والملك كونراد والامبراطور الحالي فردريك .

٧ - البابا والامبراطور سيتبادلان المساعدة في حفظ الشرف والحقوق للامبراطورية والكنيسة .

٨ - كل شيء أخذ بغير حق من الكنيسة اثناء الانفصال سوف يرد اليها .

٩ - الامبراطور سيدخل في سلام مع اللهبيرديين على شروط متفق عليها بواسطة ممثلين وسيتفق على تحديد ممثل لهذا الهدف بواسطة الامبراطور والبابا واللببارديين ، وفي أى حالة تظهر

صعوبات في المفاوضات ، التي لا يستطيع الممثل تلاشيها فانها سوف تقرر بواسطة الاغلبية من المفوضين الخاصين والذين يعينوا من قبل الامبراطور والبابا بالتساوى .

١٠ - الامبراطور سيدخل في سلام مع ملك صقلية ، والامبراطور في القسطنطينية ، ومع كل أحلاف البابا ، ولن ينتقم لآى أخطاء التي يمكن أن ترتكب من مساعدة الكنيسة الرومانية .

١١ - ٢٢ - البنود التي تشير للأفراد والتفاصيل الدقيقة .

٢٣ - البابا اسكندر والكرادلة بدورهم سيعملون سلام مع الامبراطور والاباطرة وأولادهم، الملك هنرى وكل أطرافهم ، وسوف لا يكون هناك انتقاص للحقوق في السيطرة والتحكم الكنسي للبابا ، الذى استسلم للبابا وللكنيسة الرومانية ، ولا حقوق الكنيسة الرومانية في أراضى القديس بطرس ، والتي يدعمها الآن أشخاص آخريين ولا الاستثناءات الخاصة التي تمت في هذه الوثيقة في صالح الباب والكنيسة الرومانية في جانب واحد من جهة والامبراطور والامبراطورية من جانب آخر .

٢٤ - البابا والكرادلة سوف يقسموا بالمحافظة على هذا السلام ، وهذا القسم يبرم كتابة ويوقع عليه الكرادلة .

٢٥ - البابا سوف يستدعى في الحال المجلس كله بقدر الاستطاعة ، ومع الكرادلة والاساقفة ورجال الدين الآخرين الذين يمكن أن يكونوا موجودين وسوف يقرر الحرمان ضد من يحطم أو يخل هذا السلام وسيكون قرار الحرمان في مجلس عظيم من الاساقفة والكاردينالات وآخرون .

٢٦ — كثير من النبلاء في روما والأفصال الكبار في « كمبرانيا »
سوف يقسمون بالحفاظ على هذا السلام .

٢٧ — الامبراطور والامراء في الامبراطورية سوف يقسمون
للمحافظة على هذا السلام والقسم سوف يدون كتابة ويوقع عليه
الامبراطور والامراء .

٢٨ — اذا مات البابا أولا ، فالامبراطور وابنه الملك هنري
والامراء سراعوا بنود السلام مع خلفائه ، وكذلك كل الكرادلة
والكنيسة الرومانية واللبارد وملك صقلية واذا مات الامبراطور
اولا ، فان البابا والكرادلة والكنيسة المسيحية سوف ترعى تلك
الاتفاقية مع الامبراطورة (بيتريس) زوجة الامبراطور ، وابنها
الملك هنري مع كل الناس الألمان ومعاونيهم كما كتب سابقا .

٢٩ — في الوقت نفسه فالامبراطور لا يهاجم أرض القديس
بطرس سواء أقر البابا ذلك شخصا ، أو ملك صقلية وأفصال
البابا الآخرين .

٣ — حددت فترة ثلاثة أشهر قبل اعلان الانسحاب في حالة
فشل المفاوضات بين الطرفين قبل استكمالها .

واذا نقضت مفاوضات السلام من أي الطرفين قبل اكتمالها
(لا قدر الله) فان الهدنة سوف تستمر لمدة ثلاث شهور بعد اعلان
الانسحاب .

ملحق رقم / ٢

رسالة من العادل سيف الدين الأيوبي إلى البابا « لوكيوس الثالث »
بتاريخ ٣١ مارس ١١٨٣ م / ٥٧٨ هـ (١)

« إلى أعز صديق في المسيحية جمعاء ، إلى لوكيوس بابا
المسيحية بأسرها . بنعمة الله الذي له تخضع المسيحية كلها » .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

لقد تسلمنا رسائلكم كأنها من أحسن صديق لنا في المسيحية
والذي يطاع له فوق الجميع ، تسلمنا الرسائل بواسطة مندوبيكم
« جان داندلو » Jeani danduli الذي أمرنا بأن يمثل أمامنا ، وقد
أكرمناه واطلعنا بعناية على رسائلكم ، وقد فهمنا كل الأقوال التي
قالها مندوبيكم على لسانكم .

ومما قاله علمنا رغبتكم في الإبقاء على الخطوات التي قررها
سلفكم بخصوص الاتفاق بين المسيحيين والمسلمين لفدية الأسرى
الذين وقعوا في أيدينا .

Jean (M.) & Brial (J.) : Recueil Des Historins des Gaules (١)
et de la France, Vol. 17, p. 623 F.
CF. : Rohricht (R.) : Regesta Regni hierosolymitani, No. 626, p. 166.

وقد فهمنا في رسالتكم أن المسيحية جمعاء تطيعكم ، ولن يستطيع ايا منها أن يخالف لكم أمرا وإن ماتقروونه ينفذ على جميعهم ، وإذ علمت برغبتكم فعلى أن أعرض الأمر على اخينا الملك المنتصر الحافظ لوعوده ومصدر العدالة صلاح الدين سيد المسلمين ، وذلك لكي أدرس رغبتكم وأعمل على تنفيذها .

وعند وصول رسالتكم كان اخونا الملك المظفر في نواحي صور حيث أخضع أعداءه ولقد حقق الله رغبته فأخضع البلاد في دمشق الى «نينوى» بحيث تطيع سلطانه كل الشعوب المجاورة وكل الناس المسلمين «الشرقيين» وأراد الله له أن تخضع له الأمم بسحق أعدائه وفاق كل سلف في هذا المضمار .

وقد عرضنا عليه مطالبكم فوافق على أنه يجب على المسيحيين في أورشليم وصور أن يخضعوا لأوامركم فيما يتعلق باقامة السلام ، وأن ينفذوا مطالبنا في شأن اخلاء الأسرى الذين هم تحت أيدينا واحلال السلام بيننا ، أما اذا خالفكم المسيحيون ، ولم يطيعوا أوامركم فنحن أبرياء من كل إجراء نقوم به معهم لاحلال العدل وليعطى الله كل منا حسب أعماله .

ليعطنا الله جميعا أن نتصرف فيما هو لصالح المسلمين والمسيحيين .

٥٧٨ هـ .

والحمد لله وحده ومحمد رسول الله العظيم . .

☆☆☆

ملحق رقم / ٣

رسالة من صلاح الدين الى البابا لوكيوس الثالث
بتاريخ ١١٨٣ م / ٥٨٧ هـ (١)

« لقد عرضت علينا رسالة قداستكم ، نحن نعلم ونؤمن أنكم في مسئولية عظمى في هذا العالم ، وأن الله انعم عليكم بنعمة كبرى جعلتكم تصلون الى هذه الرفعة ، ونعلم أيضاً أن جميع المسيحيين يخضعون لكم مطيعين وانهم يتبعونكم .

لقد تسلمنا رسالتكم بيد مندوبكم « اوليفريوس فيتاليس » Olivei Vitalis وقد أكرمناه نظراً لما لكم من شرف ووقار ، ولقد قمنا بعمل كل ما في وسعنا أن نعمله ، واستمعنا بعناية الى كل ما قاله من طرفكم ، وسررنا بكل ما جاء في رسالتكم وتلقيناها بروح طيبة وشغف بالغ وعلينا مقدار الحب الذي تتمتعون به لدينا ، وتؤكدنا من عظم الصداقة التي تربط بيننا ، ولقد سررنا أيضاً بما قاله مندوبكم عن تحقيق السلام من جميع المسيحيين وعن اطلاقنا سراح جميع الأسرى الذين عندنا . وعندكم رأى أن يطلق المسيحيون الاسرى الذين عندهم ونحن نطلق الاسرى الذين عندنا .

Jean (M.) & Brialé (J.) : Op. cit., p. 623.
Cf : Rohricht (R.) Op. cit., No. 635, p. 168.

وليكن معلوما لدى قداستكم أن الأسرى المسيحيين الذين هم تحت أيدينا هم رجال نبلاء وفي مستوى رفيع ، أما جنودنا الأسرى عند المسيحيين فهم من طبقة العامة .

فإن طاب لكم ليقدر كل طرف أسرى الطرف الآخر وإن الطرف الذي لديه أسرى أقل قيمة ، يعرض الفرق للطرف الآخر ، والله يعلم مقدار فرحنا وسرورنا برسالتكم ومندوبكم وكم شكرناه تعالى على ذلك .

ولقد أودعنا « أوليفريوس » مندوبكم الأمور الباقية الأكثر سرية إذ وثقنا فيه وتأكدنا من حسن نواياه واستعداده بشأنها ولذا يمكننا اعتبار أن ما يقوله لسيادتكم هو على لساننا وملء أراقتنا .

ملحق رقم / ٤

رسالة السلطان صلاح الدين إلى الملك بلدوين الرابع
(١١٧٤ - ١١٨٥ م (١))

كتب القاضي الفاضل عن السلطان « صلاح الدين يوسف بن أيوب » إلى برديول أحد ملوك الفرنج ، وهو يومئذ مستول على بيت المقدس وما معه ، معزيا له في أبيه ومهننا له بجلوسه في الملك بعده ، ما صورته :

أما بعد — خص الله الملك المعظم حافظ بيت المقدس بالجد الصاعد ، والسعد الساعد ، والحظ الزائد ، والتوفيق الوارد ، وهناه من ملك قومه ما ورثه وأحسن من هداه فيها أتى به الدهر وأحدثه ، فإن كتابنا صادر إليه عند ورود الخبر بما ساء قلوب الاصادق (٢) ، والنعمى الذى وددنا أن قائله غير صادق بالملك

(١) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٧ ، طبعة ١٩١٥ ، ص ١١٥ - ١١٦ .
إذ أن عموري الأول الذى حكم المملكة (١١٦٢ - ١١٧٤ م) قد تولى فى ١١ يولية ١١٧٤ م ، انظر :

سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٧٠٧ .
(٢) جمع جمع لصديق مفردة اصداقاء .

العادل الأعز الذي لقاه الله خير ما لقي مثله ، وبلغ الأرض سعادته كما بلغه محله ، معزيا بما يجب فيه العزاء ، ومتأسف لفقده الذي عظمت به الأرزاء ، إلا أن الله سبحانه قد هون الحادث ، بأن جعل ولده الوارث ، وأنسى المصاب بأن حفظ به النصاب ، ووهبه النعمتين : الملك والشباب ، فهنيئا له ما حاز وسقيا لقبر والده الذي حق له الفداء لو جاز ، ورسولنا الرئيس العميد مختار الدين آدام الله سلامته قائم عنا ، باقامة العزاء ، من لسانه ، ووصف ما نالنا من الوحشية لفراق ذلك الصديق وخلو مكانه ، وكيف لا يستوحش رب الدار لفرقة جيرانه ، وقد استفتحننا الملك بكتابنا وارتيادنا ، وودنا الذي هو ميراثه عن والده من ودادنا ، فليلق التحية بمثلها وليأت الحسنة ليكون من أهلها ، وليعلم أن له كما كنا لأبيه : مودة صافية ، وعقيدة وافية ومحبة ثبت عقدها في الحياة والوفاء ، وسريرة حكمت في الدنيا بالموافاة ، مع ما في الدين من المخالفات ، فليسترسل إلينا استرسال الواثق الذي لا يخجل وليعتمد علينا اعتماد الولد الذي لا يحمل عن والده ما تحمل ، والله يديم تعميره ويحرس تأميره ، ويقضى له بموافقة التوفيق ، ويلهمه تصديق ظن الصديق .

ملحق رقم ٥

رسالة القدس الى الغرب الأوربي للاستغاثة ضد المسلمين بالشرق . سنة ١١٨٧ م (١)

الى الأب والمحترمين في المسيحية :

من بطريرك كنيسة القيامة المقدسة بنعمة الله ومن « أرنادو » مدير الهيكل ومن روجر Roger مدير بيت الضيافة بالقدس ، ومن بلدوين Balduinus ملك اورشليم العامل لخلاصها وللغوز الدائم .

ان صلاح الدين في اليوم التاسع ، او العاشر من يوليو دخل أراضى المسيح ، وأقتحم لمدة ثلاثة أسابيع حدودها معتديا واستولى على ما فيها من مؤن وعتاد .

وعشية عيد القديس بطرس المقيد بالسلاسل دخل مدينة المسيح واستولى على حصنها وحاصرها أربع أسابيع وأقام أربعة عشر حصنا حجرياً ، وعند علمه بقدومنا قام بحرق الحصون الحجرية ، والطرق التي أتلفها ، ثم ذهب الى نابلس Naplouse

(١) Jean (M.) & Brial (J.) : Recueil, Tome, 17, p. 624.

وأحرق ما تستطيع النيران حرقه معتديا على المدينة فهرع
الرجال والنساء واحتبوا في الحصن ونجوا ثم سار إلى مدينة
سبسطية وفر الأهالي هاربين إلى « فيلام » Villam لا للمقاومة
ولكن لعدم وجود سبيل آخر للنجاة ، وأزاء هذا استسلم أسقف
المدينة بشروط صلاح الدين وأتخذ « الفيلام » والكنيسة ، مقبضا
ثمانين أسير وأفسح له الطريق ، ثم ذهب إلى مذن أخرى ودمرها ،
وأسر النساء والرجال ، ثم ذهب إلى « جيرنيوم » Gerinum
الكبير وقتل من قتل ، وأسر من أسر وأحرق الفيلام بينما هرب
الأهالي محتمين في الحصن ، ثم ذهب إلى « جيرونيوم » الصغير
فقدم الهيكل واعتدى مدمرا وذهب إلى حصن الضيافة المسمى
« بيلفيوريوم » Belverium وأسر من أسر وعاد إلى مقره .

ملحق رقم ٦

رسالة البابا جريجورى الثامن Gregorius VIII إلى
المسيحيين بأوربا بعد حطين (١)

من البابا جريجورى الثامن ، الأسقف خادما خدام الله ، سلام
وبركة رسولية إلى جميع الموجهة إليهم رسالتى هذه من المؤمنين
بالمسيح .

سمعنا فساد الحكم الذى أرادته يد الله للقدس وأمتلأنا رعبا
أنا وزملائى والحزن جعلنا لا ندرى ماذا نفعل أو ماذا نقول .

وبسبب الشر والانقسام الذى حل في العالم بخبث الناس
بايعاز الشيطان ، أتى صلاح الدين بجيش كبير ، واعتدى على
الأماكن المقدسة ، والملك والاساقفة والجنود وأهل الهيكل
والضيافة وصليب المسيح ، منقذ البشر .

وإذا كان متفوقا جندا واعتادا أسر من أسر وقتل من قتل ،
ولم ينج إلا القليل ولا نستطيع شرح المأسى التى حدثت إذ هاجم
وسلب ونهب كل شيء في كل مكان .

ولن تنجو من كل هذا إلا إذا رجع الناس إلى الله بالتوبة
والبكاء والندم ..

(١) Jean (M.) & Brial (J.) : Op. cit., Tome 17, p. 474.

وباسم « يسوع » حيث لا تعتقد أنك تجهل ذلك والتي تبررها كل الكتب القديمة ولا تذكر أن كل من سكسيا وبارثيا وآرلما وماريكنا وساماريا وجودا وكاليا حيث لقي جنرالنا ماركوس كراسوس الموت المفاجيء .

وكذلك مصر ، حيث كان أنطونيو وكيلوباترا ، وهل تدعى عدم معرفتك أن أرمينيا وبلاد أخرى لا تحصى ولا تعد كانت تحت سيطرتنا .

كل هذا معروف لدى الملوك .

وقد التحقت بقواتنا أمم كثيرة التي تبعت المانيا وهي :

شاطيء الدانوب ، والبافاريين ، وسوايبيا الناهضة ، وفرانكونيا وسكسونيا ، وسرنجيا . Thuringia ووستفاليا والبرابرة واللورنيين Larrainer ، وبرجنديا ، والبين Alps والفريين Friar وبوهيمين ، وبولينا واستريا وبيريا وريشا Rowennis وركونفيا Rocunphis ، واليريا ، ولبارديا ، وتسكانيا ، وانكونا Ancona والفينين ، والبيزيين .

كل ذلك من أجل المسيحية .

ملحق رقم / ٧

رسالة الامبراطور فردريك الاول الى السلطان صلاح الدين
فبراير ١١٨٨ م / ٥٨٤ هـ (١)

من الامبراطور المظفر فردريك امبراطور الرومان ، قاهر اعداء الامبراطورية والحاكم لها الى حاكم الشرق الشهير صلاح الدين عليه يأخذ التحذير من الفرعون ولا يمس اورشاليم .

وبعد فان الخطابات التي اخلصت فيها لنا منذ وقت طويل بشأن تلك المسائل المهمة والعظيمة الشأن بيننا ، والتي افادت بأن الثقة التي كانت تحملها كلماتك الينا قد اعتبرت وسيلة للاتصال بعظمتكم ، ولكنك الآن قد دنست الأرض المقدسة التي توليت حكمها كأوصياء (حراس) لكل من « جودا » Joda والسامريين وفلسطين ، فكان علينا مواجهة مثل هذه الجرائم بشجاعة فعليك ارجاع الأرض التي استوليت عليها ، كذلك اعطاء البلاد تعويضا كاملا والتي تقضى بها القوانين المقدسة . ونحن نعطيك مهلة اثنا عشر شهرا من بداية نوفمبر ، والا هاجمناك في مصر ، لاحياء الصليب

Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 87 F.

Cf : Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 671, p. 179.

ملحق رقم ٨ /

رد السلطان صلاح الدين على رسالة الامبراطور فردريك الاول
بتاريخ ٥٨٤ هـ / ٢ مارس ١١٨٨ (١)

الى الملك العظيم ، ملك المانيا الشهير فردريك باربروسا ،
صاحب الملك العريض .

بسم الله الرحمن ، الواحد ، القاهر ، الذى نقدم له
الصلوات شكرا على نعمه التى تغطى العالم اجمع والذى يؤمن
بدياناته جميعا ، وخاصة الديانة الاسلامية فقد ارسل محمدا
« ﷺ » ليعلمنا الديانة الاسلامية والتى ستبقى فوق كل التشريعات .

ولكى يكون معلوما لديكم ان رجلا يسمى « هنرى » اتى الينا
وسلمنا الخطاب وقال : ان ذلك الخطاب مرسل من قبلكم ، وقراه
علينا ، وكان ردنا عليه مناسبا لما رايناه ، وهذا هو الرد على
خطابكم .

Vinsofs (G.) : Op. cit., Ch. XVIII, pp. 88 F.

Cf : Rohricht (R.) : Regesta Regni, No., 672, p. 179.

فقد اخصيت كل اولئك الذين اتحدوا معك ليكونوا جميعا
ضدنا فقد سميتهم قائلا بملك هذه المنطقة ، وملك تلك الاخرى ،
وهذا كونت ، وذلك آخر ، ورؤساء الاساقفة ، والماركيز والفرسان ،
واذا اردنا حصر اولئك الذين فى خدمتنا والذين يجيبون « يلبون »
اوامرنا الذين سوف يحاربون فى صفوفنا فسوف يكون قائمة ، لا يمكن
تسجيلها وحصرها ، او لو كان ذلك سجلا للمسيحيين فان المسلمين
الشرقيين اكثر عددا ، كما كانوا فى كثير من الاحيان بالنسبة
للمسيحيين (الذين تدعى بأنهم مسيحيين) وهناك بحر
فيما بينهم ، الذين تسعهم بالمسيحيين . فانه لا بحر يفصل
بين الشرقيين المسلمين ، الذين لا حصر لهم سوف يكون عند الحاجة ،
فمعنا البدو الذين هم على استعداد لرد العدو بمفردهم وكذلك
الأتراك الذين يقدرسون على تدمير العدو ، وكذلك الفلاحين الذين
سوف يحاربون بشجاعة ضد هذه الأمم التى تسول لها نفسها غزو
بلادنا ، وليس من جانبنا - لدينا - من هو غير مولع بالحرب ،
فجنودنا فتحنا بهم الممالك واستردنا بهم الاراضى وطردنا بهم
اعدائنا ، وكذلك فملوك الأمم سوف لا تتوان (لا تتأخر) عن دعوتنا
اذا ما دعوناهم فسوف يكون تحت تصرفنا « خدمتنا » وعندما تجتمع
جيوشنا طبقا لما ورد فى خطابكم فانك سوف تقود تلك الحملة ،
وكما اخبرنا رسولكم فسوف نلقاك بقوة الله - ونحن لن نقنع
بالاراضى التى تقع على ساحل البحر ، ولكن سوف نعبر بقدرة الله
ونستولى على كل ما تملكه من اراضى ، وذلك بقدرة الله ، واذا قدمت
فانك تأتى بكل رجالك وقواتك ونحن نعلم انه لم يبق هناك أحد
للدفاع عن انفسهم وبلادهم ، وسوف ننتصر عليكم بعون الله ، ولم
يبق لنا شيء الا الاستيلاء على اراضيك بتوفيق الله .

ولقد نزل الينا المسيحيون مرتين فى بابلين ، فكانت الاولى فى
دمياط والثانية فى الاسكندرية ، وكذلك كان شاطئ اراضى اورشليم
اذ كان فى ايدي المسيحيين ، وفى اراضى دمشق ، وفى اراضى

المسلمين ، وكان في كل مقاطعة ، وكل إقليم أمير يعرف ويضلع بمهامه — فأنت تعلم كم رجع المسلمين ولماذا أتوا ، وقد تجمعت شعوبنا يحوطها الله بعنايته ، ووحدهم على اتساع أراضيهم تحت رايتنا ، فمصر بكل ملحقاتها ودمشق وأورشليم والجزيرة بكل قلاعها وأراضي « روسيا » Roasia ، وأراضي الهند ، وملحقاتها ، بنعمة الله فكل ذلك في متناول أيدينا وبقية ملوك الشرق في دولتنا ، فإذا دعونا الملوك أصحاب الشهرة من المسلمين الشرقيين ، فسوف يكون عندنا في خدمتنا ، وإذا دعونا الخليفة العباسي يحفظه الله ، لمساعدتنا ، فسوف يتنازل عن عرشه ويأتي لمساعدتنا .

وكما استولينا بقدرة الله على أورشليم وتوابعها ، فسوف نستولى على صور طرابلس وانطاكية ، وهى الثلاث الباقية ، ولكن إذا أردت الحق فإن الله سوف يحوطنا برعايته ، وسوف نستولى على كل الأراضي المسيحية ، وسنلقاك بقدرة الله .

كذلك أسجل لك من خطابى ، وإذا طلبت السلم فسوف تأمر حراس المدن الثلاث السابقة بتسليمهم لنا ، دون مقاومة ، وسوف نعيد اليك الصليب المقدس ونطلق سراح جميع المسيحيين المأسورين الذين بداخل امبراطوريتنا ، وعندها سندخل معك في السلام ، سندسمح لك بقسيس واحد ، ونعيد اليك الأديرة التى كانت تستخدم للديانة المسيحية ، ونحسن اليهم ، ونكون في حالة سلم معك ، وإذا كان ذلك الخطاب الذى سلم باليد « عن طريق هنرى » هو خطاب الملك فقد كتبنا هذه الرسالة ردا عليه وندعو الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه .

وندعو الله أن يحفظ المسلمين ، ويحتاط برعايته الملك المظفر ، موحد المسلمين ، وناصر الحق ومصلح العالم ، سلطان المسلمين والوثنيين وخادم الحرمين الشريفين والبيت المقدس في أورشليم . وأبو المنتصرين جميعا يوسف بن يعقوب .

ملحق رقم ٩ /

الامبراطور فردريك الثانى في سنة ١٢١٦ م يتعهد باعادة صقلية الى البابوية بعد تتويجه امبراطورا (١)

نجح البابا في تثبيت ملكه في صقلية بصعوبة ، والآن هددته خطر جديد اذ خشى أن يسيطر عليها الامبراطور ، فان ذلك سوف يؤدي الى اعادة الامن (الحياة) الى الامبراطورية ولكي يمنع هذا اقنع فردريك الثانى أن يوعد بمجرد تتويجه كأمبراطور ، سوف يعيد صقلية الى ابنه الصغير هنرى .

الى الأب المقدس انوسنت — قسيس الكنيسة الرومانية المقدسة ، عرض فردريك الطاعة في كل شيء تحت رحمة الرب ، وانوسنت ملك روما — وأغسطس ملك صقلية ، وأشار الى الأمور الهامة .

ورغبة في الرضاية لكل الكنيسة الرومانية ومملكة صقلية ، وعدنا بكل حزم بأنه بمجرد تتويجنا امبراطورا سوف (نخفف) من سلطتنا الجزئية ونتخلى عن مملكة صقلية من كل الاتجاهات ، من

(١) Thatcher (O.J.) & McNeal (E.H.) : Op. cit., No. 135. pp. 232 F.

مسينيا ، ليكون تحت رحمته وسيطرة الكنيسة الرومانية تماما ، كما كنا نديرها ، ومن هذا الوقت سوف لا نعتبر أنفسنا ملوكا لصقلية ، وكذلك اننا في الفترة التي سيدير الملكة شخص مناسب سوف يكون منتميا بكل جوارحه الى الكنيسة الرومانية وذلك لأن حكومة الملكة معروفة وتنتمي الى الكنيسة .

وهذا الوعد سوف يتحقق ، لاننا لو أصبحنا امبراطورا ، وفي نفس الوقت ملوكا لصقلية ، سوف يكون هناك محذور ، وهو أن مملكة صقلية تخص الامبراطورية ومثل هذا دلالة على حدوث انقسام في الكنيسة الرومانية ، وكذلك في مملكتنا ، ولكي ينفذ هذا الوعد ويكون له تأثيره ، ولكي يؤكد هذا الوعد سوف يعطى ذهباً رهناً .

ملحق / ١٠

الوثيقة التحضيرية لاتفاقية سان جرمانو (١)

« بسم الرب » و « يرتلولد » بطريك « اكويليا »
و « ابيرهارد » رئيس أساقفة « سالزبرج » و « سيجفيلد »
أسقف « رجنسبرج » و « ليبولد » دوق « استريا » و « النمسا »
و « برنارد » دوق « كارنثيا » و « أوتو » دوق « ميران » وبفضل
الله فان أمراء الامبراطورية يعرفون كل الناس بهذه الكتابة بأن أمنا
الكنيسة الرومانية المقدسة ، وأميرنا فردريك امبراطور الرومان ،
أغسطس ملك اورشليم وصقلية ، اتفقوا على الدخول في مفاوضات
بغرض اتخاذ بعض الوسائل التي يمكن بها — لمدن « جتيا »
و « سانت أجاتا » ومدن أخرى في صقلية التي اتجهت للكنيسة —
استعادتها للامبراطورية بدون التخلي عن شرف الكنيسة ، والوقت
الذي سوف تتم فيه هذه المفاوضات وقت محدد بسنة واحدة
والكنيسة تعد بأن تبذل ما في وسعها لاتخاذ التدابير لترتيب
الانتقال في حدود هذا الوقت واذا مع ذلك — لم تبرم اتفاقية في
خلال العام فان الكنيسة والامبراطور يتحتم عليهما أن يعينا ممثلين

(١) Thatcher (O.J.) & McNeal (E.H.) : Op. cit., no. 140.
p. 241, San Germano, 1230.

الذين سوف يحاولان الوصول الى تسوية ، ولو كانوا غير قادرين على الاتفاق فسيختاروا خمسة أشخاص ، والأغلبية سوف تتخذ القرار ، وقد أوعد الإمبراطور الى « توماس كونت اكيرا » ، « بأن يقسم بأن الإمبراطور لن يمس الأراضى المذكورة والأشخاص ، والا يسمح لهم بأن يمسوا بسوء ، خلال سير المفاوضات وبأنه سوف يقبل الشروط الموافق عليها بواسطة الكنيسة الرومانية المقدسة ، والإمبراطور وممثلهم ، ويعرف أيضا بان الإمبراطور اعفى الألمان والليبارديين والتسكان والصقليين والفرنسيين وكل الآخرين الذين انضموا الى جانب الكنيسة ضده ، وأوعز الى كونت اكيرا بأن يقسم ألا يمسهم أو يسمح لهم أن يمسوا على حساب المساعدة التى تعطىها الكنيسة ضده ، ولكنه سوف يحفظ السلام الحقيقى معهم ومع الكنيسة ، والإمبراطور أيضا سوف يتفاضى عن كل الأحكام والمراسيم والنواهى التى أصدرها ضد أى شخص آخر بسبب هذه الخصومة ، وهو يعد أيضا انه لن يغزو أو يفرط فى أراضى الكنيسة فى روما أو « انكونا » كما ذكر من قبل فى الوثائق الأخرى التى وقعتها الإمبراطورية ، وقد عاهدنا أنفسنا على الكتاب المقدس ونتيقن بأن الإمبراطور لا ينتهك هذه الشروط ، ولو فعل ذلك بعد أن يسمح لنفسه بوقت معين ليحصل على اكتفاء (جدير بالذكر ثلاث شهور فى صقلية وأربعة شهور فى ايطاليا وخمسة خارج ايطاليا) وسوف تساعد الكنيسة فى محاولاتها ضده حتى يعمل على أرضائها .

وإذا الإمبراطور فشل فى تعيين ممثلين أو منعهم من الذهاب الى المؤتمر سوف ترتبط بمساعدة الكنيسة ، كما ذكر آنفا ، ولكن اذا الكنيسة رفضت تعيين ممثلين أو منعهم من حضور المؤتمر سوف لا ترتبط بهذا القسم .

★★★

ملحق رقم / ١١

اتفاقية سان جرمانو شروط البابوية من أجل السلام فى سان جرمانو (١)

بعون الرب ، نرى نحن كبير الاساقفة ، أسقف (سابين) وتوماس « قسيس كنيسة (سابين) » نرى بتفويض من البابا ، عرض المطالب على الإمبراطور .

١ — الا يعوق الانتخابات الحرة وسلطات الكنائس والأديرة فى المملكة .

٢ — يعمل على ارضاء الكونتات فى « سيلاثو » وكذلك أبناء « رينالد » فى « افيرسا » كذلك طبقا لبنود الاتفاق ، وهذه البنود تؤدى الى أمن الكنيسة واستقلالها .

٣ — كذلك عليه ارضاء الداوية والاسبترارية ورجال الكنيسة ، وذلك برد الاملاك التى كان قد استولى عليها منهم ورد الخسائر التى سببها لهم . وأن تؤكد هذه البنود بعد ذلك على طريق الكنيسة .

(١) Thatcher (O.J.) & MmNeal (E.H.) : Op. cit., no. 141.
pp. 242 F.

٤ — كذلك بالمثل عليه ومن يوم الاتفاق أن يوفر الأشخاص الذين يقسموا بالولاء للكنيسة ، وعلى الكنيسة تسمية هؤلاء الأشخاص ما بين الأمراء والكونتات والبارونات من المانيا والكوماتات اللبارديين وتسكانيا و « رومانولوا » والمركيزات والكونتات والبارونات في هذه المقاطعات وهؤلاء عليهم أن يوفر الأمن للكنيسة ومن أجل الامبراطور ، وإذا لم يحقق هذه المطالب بالنسبة للكنيسة ، أو يخرق السلام أو يستولى على أراضي الكنيسة أو التابعين لها فانهم سوف يساعدون الكنيسة للوقوف ضده وكذلك سوف تقف الكنيسة ضده في حالة ارتكابه أى خطأ في خلال ثمان شهور وفي حالة مملكة صقلية يكون أمامه ثلاث شهور فقط ، بالنسبة لاطاليا أمامه ، أربعة شهور ، بالنسبة لخارج ايطاليا ، أمامه خمس شهور في خلالها يصحح أى خطأ ، ربما قد يرتكب ، وأولئك الذين في خدمة الامبراطور عليهم أن يعطوا الكنيسة وثائق موقعة تشتمل على وعدهم لمساعدتها .

وعلى الامبراطور في خلال خمسة عشر يوما أن يرسل رسولا الى المحكمة البابوية لتسلم أسماء أولئك الذين تطلبهم الكنيسة لحمايتها ، وكل ما سبق قد تم الاتفاق عليه ، ولكننا نترك له تحقيق كل ما وعد به من أجل الصليب وكذلك عليه طاعة الكنيسة ، وإذا نسينا أى شرط كان علينا الالتزام به أو تضمينه من الشروط السابقة فسوف يكون للبابا الحق في اضافته .

وكذلك أعلنوا أن البابا قد أراد أن تعود اليه أملاكه ، التي خارج سلطة الكنيسة من المملكة ، وحفظ حريتها ووقف كنيسة القديس بطرس ، وكذلك قد أعلن صدور قرار الحرمان ضد الامبراطور في حالة عجزه عن تحقيق أى من الشروط السابقة .

ملحق رقم / ١٢

خطاب البابا بشأن زيارة الامبراطور فريديك الثاني له
بعد سلام سان جرمانو ١٢٣٠ م (١)

البابا جريجورى : حيث أننا ندرك أنك ابن عزيز علينا بصفة خاصة فقد سررنا عند سماعنا بتلك الاخبار السارة بالنسبة لنا ، فقد قررنا أن نخبركم في خطاب عن النجاح الطيب الذى حققتموه في الأيام القليلة الماضية . ومن ناحية أخرى في اليوم الأخير من سبتمبر حيث قام الابن الاعز الخادم للمسيح الامبراطور الرومان فريديك الثانى بزيارتنا ، فقد أدان لنا بالولاء واخلاصه الصادق وكذلك تواضعه أمامنا كقس للكنيسة القديس بطرس ، كان كل ذلك بمثابة ولاءكمما فعل السابقون ، وخير دليل على ولائه واتجاهه نحونا ، ففى اليوم الثانى من زيارته قام برؤيتنا في بيتنا ، بدون المظاهر الرسمية ولكن بكل بساطة كشخص عادى ، وقد تناول العشاء معنا وكنا في غاية الدهشة والسرور من طيبته واخلاصه ، ولقد مر اليوم غاية في البهجة ، كما أنه سيظل في الذاكرة للسرور الذى استقبل به كلانا الآخر وتناولنا للعشاء معا .

(١) Thatcher (O.J.) & McNeal (E.H.) : Op. cit., No. 142, p. 244.

وبعد العشاء تحدثنا ، وعبرنا عن سرورنا تجاه كل المسائل واكتشفنا أنه كان مستعدا تماما أن يطيع أوامرنا بكل احترام ، فيما يخص المسائل الدينية ، وما يخص أوقاف كنيسة القديس بطرس ، وبذلك اتحدنا من أجل الرب كما اعتقدنا أنه علينا أن نترك أولا وقبل كل شيء أن نشارك سعادتنا وسرورنا ونحن نأمل أن يكون ذلك معلوما لدى كل من حولك ، ونسعدك بأن نذيع ذلك للرأى العام في « كباتيا » وأن تشجعهم على أن يبقوا مخلصين للقديس بطرس ولنا ، وعليك بتقويتهم على قدر الامكان وتحثهم على أن يكونوا شجعان ، وكما أخبرناك بوعود الامبراطور فردريك فسوف نحيطك علما بالطريقة التي سيتم بها تحقيق ذلك .

خريطة رقم (١)

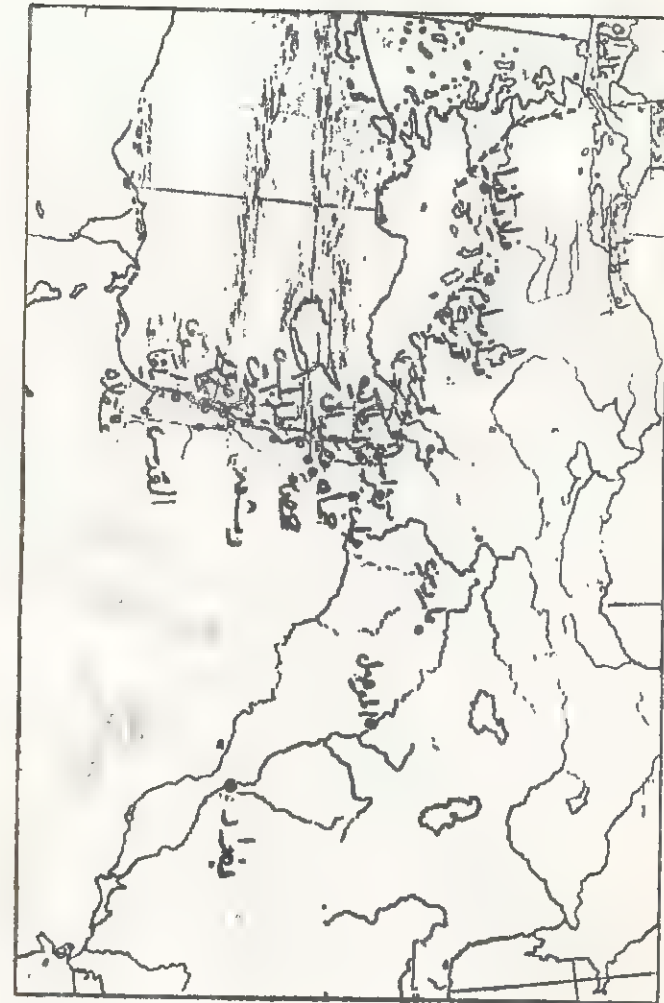


الامبراطورية الرومانية المقدسة أيام أسرة هوهنشتاوفن
من كتاب ل. م. هارتمان ، ج. باراكلاف : الدولة والامبراطورية في العصور
الوسطى ، ادار المعارف ، الاسكندرية/ ١٩٦٦

المصادر والمراجع

اولا : المصادر والوثائق الاجنبية :

- Ambroise :
The crusade of Richard Lion-Heart, Translated from. The old French by Merton Jerome Hubert, with Notes and Documentation By John, L. Lamonte, New York, 1941.
- Ashour (Said) & Rabie (Hassanen) :
Fifty Documents Medieval history, Cairo, 1971.
- Choniata (Nicetas) :
Corpus Scriptorum historiae Byzantinae Scrib. Berolini, XXXV. 1834.
- Frederic II (L'Empereur) :
Questions Philosophiques Adresses Aux savants Musulmans. Journal Asiatique, Recueil au monnoires, tome I, Paris, 1853.



خريطة دلم (٤)

- Promise of Frederick II to resign sicily after his coronation of emperor.
- Treaty of san Germano 1230.
- Rohricht (Reinhold) :
 Regesta Regni Hierosoly mitani (MXCV II. MCCXVI). Berelini. 1892.
- A letter from Saladin to Frederick I, 1182, No. 598.
- A letter from Saphadin to the Pope. 1183. No. 626.
- A letter from Saladin to the Pope. 1183. No. 635.
- A letter from Jurusalem to Frederick I. 1185. No. 646.
- A letter from the crusaders in the East to Frederick I. 1187. No. 658.
- A letter from Fratres Hospitalis to 1187. No. 661.
- A letter from terricus to king of Engliae, 1188, No. 669.
- A letter from Frederick I to Saladin, 1188. No. 671.
- A letter from Saladin to Frederick I. 1188. No. 672.
- A letter from Sibylla to Frederick I. 1189. No. 681.
- A letter from Azzed-din Kilidsch Arsalan to Frederick I. 1189. 686.

- Henderson (Ernest-F.) :
 Select Historical Documents of The Middle Ages, London, 1892.
- Letter of Adrian IV to Barbarossa, Sept. 20th, 1157.
- Manifesto of the Emperor. Oct. 1157.
- Jean (Michel) & Brial (Joseph) :
 Recueil Des Historiens Des Gaules et De la France, Tome. Paris, Mdcc LXXVIII.
- A letter from Saladin to the Pope.
- A letter from El Adel Saphadin to the Pope.
- A letter from Crusaders in the East to The European West.
- A letter from The Pope to the Western Christians.
- Thatcher (Oliver. J.) & McNeal (Edgar Holmes).
 A source Book for Medieval History, America, 1905, Selected Documents illustrating, The History of Europe in the Middle Ages.
- The Preliminary Treaty of Anagni Between Alexander III and Frederick I.
- Treaty Between Phillip King of Germany and Phillip II, King of France, 1198.
- Promise of Frederick to Innocent III, 1213.

- A letter from Malik el-Nasir-Sonal Muazzam to the Pope. 1246. No. 1143.
- A letter from Malik El Salih to the Pope 1246 No. 1144.
- A letter from Frederick II to Malik El Salih, 1248. No. 1169.
- Select Documents the crusades (800-1492).
- The treatise of Jaffa-February. 1229.
- Vinsovfis (Geoffery) :
Itinerary of Richard I and others to the holyland
London. 1848, New York. 1969.
Ch. II-Ch. III-Ch. IV-Ch. V-Ch. VI-Ch. VII-Ch,
VIII-Ch. IX-Ch. X-Ch. XI-Ch. XII-Ch. XIII-Ch,
XIV-Ch. XV-Ch. XVI-Ch. XVII-Ch. XVIII. Barbaros-
sa, sepistle to Saladin's reply to the Emperor. Ch.
XIX-Ch. XXI-Ch. XXII-Ch.
XXV-Ch. XXVI-Ch, XXVII-Ch.
XXIII-Ch. XXIV-Ch.
XXVIII-Ch. XXX.
- Wiegler (Paul) :
The Infidel Emperor and his struggles Against the
Pope.
A chronicle of the Thirteenth Century, London,
1930
- William of tyre :
A history of Deeds Dome Beyond the Sea. Vol. 2.
Translated and Annotated by Babcock (E.A.) New
York, 1943.

- A letter from the Crusaders about the treaty
between Saladin and the Byzantine State. 1189. No.
688.
- A letter from Catholicus Armeniorum to Saladin,
1190. No. 694.
- A letter from Russutana to the Pope. 1224. No.
967.
- A letter from Johennes, Constabularius Bratieae to
the Pope. 1224. No. 978.
- A letter from Frederick II to theutonicorum, 1228.
No. 974.
- A letter from Isabella to theutonicorum. 1226. No.
975.
- A letter from the Pope to Hospitalis and templi.
1229. No. 998. and A letter from the Pope to Sultan
Egypt.
- A letter from Hermanus to the Pope 1229. No. 999.
- A letter from Hermanus. 1224. No. 1000.
- A letter from Geroldus to the Pope. 1229. No. 1001-
1229. No. 1002-1003-1004-1005-1006-1007-1008-1009
1010-1012-1014-1015- 1016-1917.
- A letter from the pope to Sultan Malik el-Kamel-
1231. No. 1025. 1234. No. 1052.
- A letter from Sultan Iconii to the Pope. 1243. No.
1053-1241. No. 1101-1242. No. 1107-1243. No. 1115-
1244. No. 1118-1119.

- Atiya (Aziz3) :
The crusade in the later Middle Ages, London, 1938.
- Brand (Charles. M.) :
The Byzantines and Saladin (1185-1192).
Speculum, A Journal of Mediaval Studies, Vol. 37,
America, 1962.
- Bryce (James) :
The Holy Roman Empire, London, 1907.
- Cambridge Medieval history :
Vol. 4, Cambridge, 1948
Vol. 5, Cambridge, 1929.
Vol. 6, Cambridge, 1929.
- Conder (C-R) :
The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1897.
- Deer (Josef) :
Der Kaiseronat Friedrichs II, Speculum, Vol. 29,
April, 1954.
- Diehl (Charles) :
History of the Byzantine Empire, Princeton, 1925
- Duggan (Alfred) :
The story of the crusades (1097-1291) London, 1963.
- Ehren Kreutz (Andrew-s) :
Saladin, Speculum, Vol. 49, New York, 1972.
- Glubb (John) :
The last conturis (1145-1453), Speculum, Vol. 44.
July. 1969.

ثانيا : المصادر الأجنبية المترجمة :

- Joinville :
Hist de Saint Louis, Paris, 1874.

ترجمة حسن حبشي : القاهرة ١٩٦٨ .
- Robert of clary :
La Conquete de constantinopll, Paris. 1924.

ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٤ .
- Vilehardouin (G.) :
Conquete de constantinople, Paris, 1882.

ترجمة حسن حبشي ، جدة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

ثالثا : المراجع الأجنبية :

- Anthemy (J-C) :
The Crusades, Exeter, 1966.
- Archer (T-A) :
The crusades : The story of the latin kingdom of
Jerusalef, London, 1919.

- Michoud (J-F) :
Historia des Croisades
tome 2-3, Paris, 1816-1822.
- Nau (F.) :
My marty rologes et menologes orientoux, IXIII.
Un mortyrolologe et Douze menologes, Syriaques,
Paris, 1912.
- Nicholson (Robert Lawrence) :
- Joscelyn III and the fall of the crusader states
(1134-1199). Leiden, 1973.
- Joscelyn, III and the fall of the Crusader State, Speculum, Vol. 51, 1976.
- Ostrogorsky (G.) :
The Byzantine State. Translated from The Germany
by Hussy (J.) Oxford, 1956.
- Painter (Sidney) :
A History of the Middle Ages (284-500), New York,
1954.
- Poole (Stanley Lane) :
- History of Egypt in the Middle Ages, London, 1925.
- Sadadin and the fall of the Kingdom of Jurusalem, London, New York, 1898-1926.
- Pornoud (Regine) :
The History of Making the Crusades, London, 1960.
- Ramasay (W-H) :
The Historical and Geography of the Asia Minor,
Amsterdam, 1962.

- Grosset (R.) :
Histoire des croisades et du Royaume France de
Jerusalem, Tome. 3 Paris, 1936.
- Hayward (Fernand) :
A History of the Popes, translated from the French
by Monks, London, 1939.
- Hayes (T-H) :
History of Europe, Vol. I, New York, 1959.
- Hiberno (Luca Waddingo) :
Annales Minorum Seu Trium ordinum as. Francisco
institutorum, Tonus T (1208-1220) Quaracchi, 1931.
- Hulme (Edward Maslin) :
The Middle Ages, New York, 1929, 1938.
- Kantorowicz (Ernst) :
Frederick the Second (1194-1250) translated. by :
Lorimer (E-O), London, 1931.
- King (E-J.) :
The Kinghts Hospitallers in the Holy Land, London,
1931.
- Lamb (Harold) :
— The Crusades
Iran men & Saints, London, 1930.
- The Crusades
The Flame of Islam, London, 1931.
- Lamonte (J.L.) : Joh d'Iblin. The Lord of Beirut.
(1177-1236), Byzantion Tome 12. 1937.

رابعاً : المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة :

— ابن الأثير : ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٠ م
— الكامل في التاريخ . الجزء الحادى عشر والثانى عشر
المطبعة الكبرى القاهرة ١٢٩٠ هـ .

— أحمد بن على الحريرى : ت فى القرن السابع الهجرى / الثالث
عشر الميلادى

— الاعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين على بلاد
المسلمين ، مخطوط بجامعة الدول العربية ، نسخة
مصورة بالفوتوغراف عن نسخة باريس ، ١٩٤٨ م /
١٣٦٨ هـ .

— الاسحقاقى : (ابن على) . ت فى القرن الحادى عشر الهجرى /
السابع عشر الميلادى .

— أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من ارباب الدول
القاهرة ١٣١٠ هـ .

— الاصطخرى : ت ١٣٠٩ هـ / ٩٥١ م
مسالك الممالك ، بالجامعة الامريكية ١٨٧٠ م .

— ابن ابيك الدوادارى ت ٧٣٣ هـ / ١٣٢١ م
كنز الدرر وجامع الغرر ، الجزء السابع ، الدر المطلوب
فى اخبار بنى أيوب .
تحقيق سعيد عاشور القاهرة ١٩٧٢ م .

- Reinoud (M.) :
Notice sur la vie de Saladin Sultan d'Eghypte et
Syrie, Journal Asiatique, tome. 5, 1824.
- Richard (J.) :
— An account of the Battle of Hattin Referring to
The frankish Mercenaries in oriental. Moslem States,
Speculum, Vol. 27, America, 1952.
— Le Royaume Latin de Jerusalem, Paris, 1953.
- Setton (K.M.) :
— A History of the crusades.
Vol-I, New York, 1955.
Vol. 2, London, 1962.
- Slaughter (Gertrude) :
The Amazing Frederic, New York, 1937.
- Smail (R.C.) :
— Crusading Warfare (1097-1193). Cambridge,
1956.
- The Crusaders in Syria and the Holy land, London,
1973.
- Stephenson (Carl) :
Medieval History, Ne York, London, 1935, 1943.
- Stevenson (W-B) :
The Crusaders in The East, Bierut, 1968.
- Thompson (James Westfall) :
Middle Ages, Vol. I, London, 1931.
- Tout (T-F) :
The Empire and the Papacy (1198-1273). London,
1924.
- Vasiliev (A-A) :
History of the Byzantine Empire (324-1453) Madi-
son, 1958.

— ابن أيوب (الملك المنصور محمد بن الملك المظفر عمر بن شاهنشاه) ت ٦١٧ هـ / ٢٠ — ١٢٢١ م .

مضمار الحقائق وسر الخلائق ، مخطوط بجامعة الدول العربية وحققه حسن حبشى سنة ١٩٦٨ م .

— البندارى : (الفتح بن على)

— سنا البرق الشامى ، تحقيق / فتحة النبراوى ، القاهرة ١٩٧٩ م .

— بنيامين التطيلي الاندلسى (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م)

— رحلة بنيامين (٥٦١ - ٥٦٩ هـ / ١١٦٥ - ١١٧٣ م) ترجمها من العبرية عزرا حداد ، بغداد ١٩٤٥ .

— ابن تفرى بردى : (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م

— النجوم الزاهرة من ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الخامس والسادس القاهرة ١٩٢٣ م .

— الحنبلى : (قاضى القضاة أبو اليمى مجير الدين) ت ٩٢٧ هـ / ١٥١٩ م .

— الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، الجزء الاول

تقديم / محمد بحر العلوم العراق ١٩٨٦ م .

— شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، مخطوط .

— الحنبلى : (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد) ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م .

— شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، الجزء الخامس القاهرة ١٣٥١ هـ .

— ابن خرداذبه : (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله) ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م .

— المسالك والممالك .

— ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى المغربى) ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ هـ .

— العبر وديوان المبتدا والخبر ، الجزء الخامس بيروت ١٩٧٩ م .

— ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر) ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م .

— وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، المجلد الثانى ، تحقيق / احسان عباس بيروت ١٩٦٩ م .

— الجزء السادس تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٨ م .

— ابن دقماق : (برهان الدين ابراهيم) ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ هـ — ١٤٠٧ م

— الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين ، مخطوط بجامعة الدول العربية .

— الذهبى : (الحافظ شمس الدين) ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ هـ — ١٣٤٨ م)

— دول الاسلام ، تحقيق / فهيم محمد شلتوت القاهرة ١٩٧٤ م

— سبط ابن الجوزى : (شمس الدين بن المظفر يوسف بن قزاوغلى
التركى) ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م .

— مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ، القسم الثانى الجزء
الثامن ، الهند ١٩٥١ م .

— ابن سعيد : (أبو الحسن على بن موسى المخرمى)

— الروض المهبوب فى حلى دولة بنى أويب ، مخطوط
بدار الكتب .

.. أبو شامة : (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن
اسماعيل) ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م .

— الروضتين فى اخبار الدولتين لبنان ١٨٧١ م .
— الذيل على الروضتين ، الطبعة الثانية ، لبنان
١٩٧٤ م .

.. ابن شداد : (بهاء الدين) ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م

— النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية أو سيرة
صلاح الدين ، تحقيق / جمال الدين الشيال ، الطبعة
الاولى — القاهرة ١٩٦٤ م .

— الشيرازى : (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز اباى)
ت فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى .
— القاموس المحيط ، الطبعة الثانية ١٣٤٤ هـ الجزء
الثانى .

— عماد الدين الاصفهانى : (أبو عبد الله محمد بن محمد) ت
٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م

— الفتح القسى فى الفتح القدسى ، الطبعة الاولى
القاهرة ١٣٢٢ هـ .

— ابن العبرى : (غريغورس الملطى) ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م
— تاريخ مختصر الدول ، الطبعة الثانية ، بيروت
١٩٥٨ م .

— العينى : (بدر الدين محمود) ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م

— عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان ، القسم الاول
الجزء الثامن عشر ، مخطوط بدار الكتب .

— المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ الحمودى / تحقيق
نسيم محمد شلتوت مراجعة / محمد مصطفى زياده ،
القاهرة ٦٦ — ١٩٦٧ م .

— أبو الفدا : (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماه)
ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م .

— المختصر فى أخبار البشر ، الجزء الثالث ، القاهرة
١٣٢٥ هـ

— ابن القلانسى : (أبو يعلى حمزة بن أسد الدين على التميمى)
ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م .

— ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ م .

— القلقشندي : (الشيخ أبو العباسي أحمد) ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م :
— صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ، القاهرة ١٩٥١ م .

— ابن كثير : (الحافظ الدمشقي) ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م
— البداية والنهاية ، الجزء الثانى عشر ، والثالث عشر
بيروت ١٩٦٦ م .

— مجهول المؤلف :
— تاريخ الأمم والملوك ، مخطوط بدار الكتب رقم ٢٥٨١ /
ت تيمور .

— المقرئى : (تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م
— السلوك لمعرفة دول الملوك ، القسم الاول ، الجزء
الاول ، نشر محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٠ م .
— المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء
الثانى والثالث ، بيروت ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م .

— ابن الميسر : (محمد بن على بن يوسف بن جلب) ت ٦٧٧ هـ /
١٢٧٨ م
— أخبار مصر ، الجزء الثانى ، المعهد الفرنسى
١٩١٩ م .

— النسوى : (محمد بن أحمد) .
— سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، نشر وتحقيق ،
حافظ أحمد حمدي القاهرة ١٩٥٣ م .

— ابن واصل : (جمال الدين محمد بن سالم) ت ٦٩٧ هـ /
١٢٩٨ م

— مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، الجزء الثالث
تحقيق ، جمال الشيال الاسكندرية ١٩٦٠ م ، الجزء
الرابع تحقيق / حسنين ربيع ومراجعة/ سعيد عاشور
دار الكتب القاهرة ١٩٧٢ م .

— ابن الوردي : (زين الدين عمر) ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م
— تنمية المختصر فى أخبار البشر ، تحقيق / أحمد
رفعت البدرأوى بيروت ١٩٧٠ م .

— ياقوت الحموى : (شهاب الدين أبو عبد الله) ت ٦٢٦ هـ /
١٢٢٩ م
— معجم البلدان ، بيروت ١٩٨٤ م .

خامسا : المراجع العربية والمترجمة :

— أحمد بيللى : حياة صلاح الدين الايوبى القاهرة ١٩٢٢ م
— ارنست باركر : الحروب الصليبية ترجمة السيد الباز العرينى
القاهرة ١٩٦٠ م .
— اسامه زكى زيد : الخوارزمية ودورهم فى الصراع الصليبي
الاسلامى فى عصر بنى أيوب (١٢٢٥ — ١٢٤٦ م /
٦٢٢ — ٦٤٤ هـ) مقال بمجلة كلية الآداب — جامعة
الاسكندرية — العدد ٣٠ سنة ١٩٨٢ م .
— اسحق عبيد : روما وبيزنطة القاهرة ١٩٧٠ م
— أسد رستم : الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم
وصلاتهم بالعرب ، بيروت ١٩٥٦ م .

العلاقات السياسية — ٤٣٣

— اومان : الامبراطورية البيزنطية ترجمة / مصطفى طه بدر
القاهرة ١٩٦٠ م .

— اوميرا انجليريت : حياة القديس فرنسيس الاسيزى . عريه
بتصرف : أحد الأباء الكبوشيين اللبنانيين . بيروت ١٩٦٧ م .

— بطرس البستاني : دائرة المعارف ، بيروت ١٨٨٠ م .
— جوزيف نسيم يوسف :

الدولة البيزنطية الاسكندرية ١٩٨٤ م
— لويس التاسع في الشرق الاوسط ، قضية فلسطين
في عصر الحروب الصليبية .

الطبعة الثانية — الاسكندرية ، ١٩٥٩ م .

— حامد زيان غانم : الامبراطور فردريك بربروسا والحملة
الصليبية الثالثة — القاهرة ١٩٧٧ م .

— حسن ابراهيم حسن ، وأحمد صادق طنطاوى :
تاريخ العصور الوسطى في الشرق والغرب — الطبعة
الثانية — القاهرة ١٩٣٣ م .

— حسن الباشا :

— الالقاب الاسلامية في التاريخ ، القاهرة
١٩٥٧ م — الفنون الاسلامية ، والوظائف على الآثار
العربية الجزء الثانى القاهرة ١٩٦٦ م .

— حسن حبشى :

— الشرق العربى بين شقى الرعى ، حملة
القديس لويس على مصر والشام القاهرة ١٩٤٩ م .
— نور الدين والصليبيون القاهرة ١٩٤٨ م .

— حسنين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية
القاهرة ١٩٨٣ م .

— حسين ليبب : مختصر تاريخ العصور الوسطى في أوروبا الطبعة
الثانية ١٩١٩ م .

— درويش النخلى : السفن الاسلامية على حروف المعجم
الاسكندرية ١٩٧٤ م .

— ديفز (ه — و) : أوروبا في العصور الوسطى ترجمة :
عبد الحميد حمدى محمود ، الاسكندرية ١٩٥٨ م .

— رافت عبد الحميد :

— المشكلة الايطالية في السياسة الالمانية
في العصور الوسطى ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية
المجلد / ٣٠ — ٣١ سنة ١٩٨٣ / ١٩٨٤ م .

— الملكية الالمانية بين الوراثة والانتخاب في العصور
الوسطى ، مقال بندوق التاريخ الاسلامى والوسيط
المجلد الثانى . القاهرة ١٩٨٣ م .

— زبيدة محمد عطا : الترك في العصور الوسطى — القاهرة
١٩٧٦ م .

— ستيفن رنسيما : تاريخ الحروب الصليبية ، ثلاثة اجزاء
ترجمة : السيد الباز العرينى بيروت ١٩٦٩/٦٨ م .
— سعيد أحمد برجوى : الحروب الصليبية في المشرق — الطبعة
الاولى بيروت ١٩٨٤ م .

— سعيد عبد الفتاح عاشور :

— أضواء جديدة على الحروب الصليبية القاهرة
١٩٦٤ م .

— الامبراطور فردريك الثانى والشرق العربى ، مقال
بالمجلة التاريخية المصرية المجلد الحادى عشر سنة
١٩٦٣ م .

— أوربا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، الطبعة

السادسة القاهرة ١٩٧٨ م .

— الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، الطبعة الثانية

القاهرة ١٩٧٦ م .

— الحركة الصليبية ، جزءان ، الطبعة الثالثة القاهرة

١٩٧٦ م .

— قبرس والحروب الصليبية القاهرة ١٩٥٧ م

— الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب القاهرة

١٩٦٥ م .

— سوسن محمد نصر : بنو أيوب مع الخوارزمية والمغول والمماليك

في شمال الشام ، والجزيرة ، مقال بالمجلة التاريخية

المصرية ، المجلد ٣٠ / ٣١ القاهرة ١٩٨٤ م .

— السيد الباز العرينى :

— الاقطاع الحربى عند الصليبيين لمملكة بيت المقدس

في القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين القاهرة

١٩٦٢ م .

— الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، الجزء الاول

القاهرة ١٩٦٣ م .

— مصر في عصر الايوبيين ، القاهرة ١٩٦٠ م .

— مؤرخو الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٦٢ م .

— سيد على الحريرى : الاخبار السنية في الحروب الصليبية

الطبعة الاولى ١٨٩٩ م .

— عبد الرحمن الرافعى وسعيد عبد الفتاح عاشور :

مصر في العصور الوسطى . القاهرة ١٩٧٠ م .

— عبد الفنى محمود عبد العاطى :

صليبية الاطفال ، مقال بندوق التاريخ الاسلامى والوسيط

المجلد الثانى — القاهرة ١٩٨٣ م .

— عبد الفتاح عباده : سفن الاسطول الاسلامى وأنواعها ومعدات

في الاسلام ، القاهرة ١٩١٣ م .

— عبد القادر أحمد اليوسف :

— الامبراطورية البيزنطية بيروت ١٩٦٦ م .

— علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادى

عشر والخامس عشر بيروت ١٩٦٩ م .

— عبد المنعم ماجد :

— المصريون وحدهم ، استردوا بيت المقدس من

الصليبيين ، مقال بالموسم الثقافى للجمعية التاريخية

المصرية ١٩٧٨ م — ١٩٨٣ م .

— الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي القاهرة

١٩٥٨ م .

— عبد الله ناصح علوان :

صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من

الصليبيين — بيروت ١٩٨٣ م .

— عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة

فيليب صابر يوسف ، مراجعة : أحمد خاكي ، الطبعة

الاولى القاهرة ١٩٧٢ م .

— عطية القوصى :

— صلاح الدين واليهود ، مقال بالمجلة التاريخية

المصرية المجلد ٢٤ القاهرة ١٩٧٧ م .

— معركة حطين ووحدرة الصف العربى ، القاهرة
١٩٦٢ م .

— عمر كمال توفيق :

— تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، الاسكندرية ١٩٦٧م
— الدبلوماسية الاسلامية والعلاقات السلمية مع
الصليبيين ، دراسات تحليلية وثائقية فى التاريخ
الدبلوماسى ، الاسكندرية ١٩٨٦ م .

— العمري : الرسالة ، روما ١٨٨٣ م .

— فشر : (هـ - ا - د) : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، الجزء
الاول ، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز
العربى القاهرة ١٩٦٦ م .

— قاسم عبده قاسم : الشعر والتاريخ ، دراسة تطبيقية على
شعر الحركة الصليبية ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية
المجلد ٢٨ — ٢٩ القاهرة ٨١ / ١٩٨٢ م .

— محمد شفيق غربال : ضبط وتحقيق الالفاظ الاصطلاحية
التاريخية الواردة فى كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمى ،
مقال بالمجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث ، العدد
الثانى القاهرة ١٩٥٠ م .

— محمد العروسى المطوى : الحركة الصليبية فى المشرق والمغرب ،
تونس ١٩٥٤ م .

— محمد كرد على : خطط الشام ، الجزء الثانى ، دمشق ١٩٢٥م .

— محمد مصطفى زيادة :

— حملة لويست التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة
الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٦١ م .

— مصر والحروب الصليبية ترجمة ، محمد سعيد
السيد منصور . نادى الاتحاد الانجليزى المصرى
١٩٤٢ م .

— محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، الاسكندرية
١٩٧٨ م .

— محمود ياسين الحموى : دمشق فى العصر الأيوبي — دمشق
١٩٤٦ م .

— مصطفى حسن محمد الكنانى : العلاقات بين جنوه والشرق
الأدنى الاسلامى (١١٧١ — ١٢٩١ م) ج ٢ ، القاهرة
١٩٨١ م .

— مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة بين الشرق ترجمة ،
مكسيموس مظلوم اورشليم ١٨٦٥ م .

— ميخائيل آمارى : المكتبة العربية الصقلية ، بغداد ١٨٥٧ م
— نظير حسان سعداوى :

— التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين
الأيوبي ، القاهرة ١٩٥٧ م .

— ثلاثة من مؤرخى الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٥٧م
— الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي ، القاهرة
١٩٦١ م .

— نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية ترجمة ، حسين مؤنس
القاهرة ١٩٥٠ م .

— هارتمان (ل . م) وباراكلاف (ج) :

— الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى ، ترجمة ،
جوزيف نسيم يوسف الاسكندرية ١٩٦٦ م .

— هسى (ج — م) : العالم البيزنطى ، ترجمة وتعليق ، رافت
عبد الحميد ، القاهرة ١٩٧٧ م .

— هيئة القدس العلمية : كشاف البلدان الفلسطينية القاهرة
١٩٧٣ م .

— ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة ، محمد بدران القاهرة
١٩٦٥ م .

— وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ترجمة محمد مصطفى
زيادة ، القاهرة ١٩٥٦ م .

— يوشع براور : عالم الصليبيين ترجمة وتعليق : قاسم عبده
قاسم ومحمد خليفة حسن ، الطبعة الأولى ، القاهرة
١٩٨١ م .

سادسا : الرسائل :

— حسنين عبد الرحيم حسين عليه :
السلاح المعدنى للمحارب المصرى فى عصر المماليك
دكتوراه آداب القاهرة ١٩٧٤ م .

— زبيدة محمد عطا : الشرق الاسلامى والدولة البيزنطية زمن
الايوبيين ماجستير آداب القاهرة ١٩٦٨ م .

— زكى النقاش : الحشاشون واثريهم فى السياسة والاجتماع .
دكتوراه آداب القاهرة ٥٢ / ١٩٥٣ م .

— سامى سلطان سعد : أسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق
الآدننى والجمهوريات الإيطالية ، ماجستير آداب
القاهرة ١٩٥٨ م .

— سوسن محمد نصر ابراهيم : الاخوة الملوك أولاد العادل الايوبى
(الكامل ، المعظم ، الاشرف) دكتوراه دار العلوم
١٩٧٧ م .

— عبد الشافى غنيم عبد القادر :
حالة المسلمين الثقافية والاجتماعية بجزيرة صقلية فى
العصر النورمندى (٤٨٤ — ٦٦٧ هـ / ١٠٩١ —
١٢٦٨ م) دكتوراه آداب القاهرة . د . ت .

— عثمان عبد الحميد محمد عثرى :
الاسماعيليون فى بلاد الشام على عصر الحروب
الصليبية (٤٩١ — ٦٩١ هـ / ١٠٩٧ — ١٢٩١ م)
دكتوراه آداب القاهرة ١٩٧٥ م .

— محمد محمد أمين على : السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب
(١٢٤٠ — ١٢٤٩) ماجستير آداب القاهرة ١٩٦٨ م .

— محمد عبد العزيز عزيز : حملة فردريك الثانى الصليبية على
بلاد الشام (١٢٢٨ — ١٢٢٩ م / ٦٢٥ — ٦٢٦ هـ) .
رسالة ماجستير جامعة بيروت العربية ١٩٨٤ م .

— مصطفى محمد عبد المقصود الحناوى :
جماعة الاسبتارية ودورها فى الصراع الصليبي الاسلامى
فى عصر الحروب الصليبية ١٠٩٩ — ١٢٩١ م / ٤٩٣ —
٦٩٠ هـ ماجستير آداب الاسكندرية ١٩٨٠ م .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
المقدمة	٧
التمهيد	٣٩
الهوامش	٤٧

الفصل الأول

الوحدة الاسلامية في الشرق وأثرها على الامبراطورية
الرومانية المقدسة والبابوية
(٥٤٧ - ٥٨٤ هـ / ١١٥٢ - ١١٨٩ م)

- دور الامبراطورية الرومانية المقدسة في الحملة
الصليبية الثانية وموقف الشرق الاسلامي منها ٥٣
- دور نور الدين محمود في الوحدة الاسلامية ٦٣
- صلاح الدين والوحدة الاسلامية ٧٢

- صدى وحدة الشرق الاسلامى على الامبراطورية
الرومانية المقدسة والبابوية ٧٦
- الوضع السياسى فى بلاد الشام قبيل الحملة الصليبية
الالمانية ٨٧
- الهوامش ١٠١

الفصل الثانى

سياسة الامبراطورية الرومانية المقدسة تجاه الدولة الايوبية

٥٨٤ - ٥٨٦ هـ / ١١٨٨ - ١١٩٠ م

- استغاثة صليبي الشرق بأوروبا وخاصة الامبراطورية
الرومانية المقدسة ١٢٩
- اتصالات الامبراطور فردريك الأول الدبلوماسية . . . ١٣٥
- الترتيبات العسكرية للحملة ١٤٤
- تحرك الحملة الالمانية بقيادة فردريك الأول . . . ١٤٥
- علاقة الامبراطور البيزنطى بالمسلمين ١٥٠
- وفاة الامبراطور فردريك وتولية ابنة فردريك السوابى
قيادة الحملة ١٦٦
- موقف المسلمين من الحملة الالمانية ١٧٢
- الهوامش ١٨١

الفصل الثالث

الأوضاع السياسية فى الامبراطورية الرومانية المقدسة والدولة الايوبية واثرها على العلاقات بينهما

(١١٩٠ - ١٢٠٨ م / ٥٨٦ - ٦٠٥ هـ)

- العادل الايوبى والوحدة الاسلامية بعد صلاح الدين . . ٢٠٥
- محاولات الامبراطور هنرى السادس للسيطرة على
الشرق ٢١١
- الامبراطورية الرومانية المقدسة ودورها فى الحملة
الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤ م ٢٢٣
- الوضع السياسى فى الامبراطورية بعد هنرى السادس
حتى سنة ١٢٠٨ م ٢٢٩
- الهوامش ٢٣٢

الفصل الرابع

سياسة الامبراطورية فردريك تجاه الدولة الايوبية

(١٢٠٩ - ١٢٢٧ م / ٦٠٦ - ٦٢٥ هـ)

- الوضع السياسى فى المانيا بعد وفاة الملك السوابى . . ٢٤٥
- تمهد فردريك الثانى بالقيام بحملة على الشرق . . . ٢٤٩
- الوضع السياسى فى الدولة الايوبية واثره على
العلاقات الخارجية ٢٦٢
- الهوامش ٢٧٣

الفصل الخامس

الحملة الصليبية السادسة على الشرق وأثرها على العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والدولة الأيوبية

(١٢٢٧ - ١٢٥٠ م / ٦٢٥ - ٦٤٨ هـ)

٢٨٥	- محاولات البابوية للضغط على الامبراطور للقيام بحملة على الشرق
٢٩١	- الامبراطور فردريك الثاني يجهز الحملة ويخرج الى الشرق
٣٠٠	- الامبراطور فردريك الثاني في الشرق
٣٠٥	- المفاوضات بين الامبراطور فردريك الثاني والملك الكامل محمد واتفاقية يافا
٣١٦	- موقف المسلمين والصليبيين والبابوية من الاتفاقية
٣٣١	- عودة الامبراطور فردريك الثاني الى الغرب الأوربي
٣٣٩	- صلات الامبراطور فردريك الثاني بعواهل الشرق الاسلامي (١٢٣٠ - ١٢٤٣ م / ٦٢٧ - ٦٤١ هـ)
٣٤٦	- موقف الامبراطور فردريك من الحملة الصليبية السابعة
٣٥٣	- الهوامش
٣٧٩	- الخاتمة
٣٨٥	- الملاحق
٤١٣	- الخرائط
٤١٧	- المصادر والمراجع

صدر في هذه السلسلة

١٢ - أكتوبية الاستعمار المصري للسودان: رؤية تاريخية، د. عبدالمعطي رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٤.	١ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ، د. عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٤.
١٤ - مصر في عصر الدولة، من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، د. محمد إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.	٢ - علي ماهر، د. عثمان محمد جاب الله، ١٩٨٧.
١٥ - المستشرقون والتاريخ الإسلامي، د. علي حلي الخوري، ١٩٨٨.	٣ - ثورة يرايو والنطقة العاملة، عبد السلام عبد العليم عامر، ١٩٨٧.
١٦ - قصص من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعي في مصر: دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٩٥٢-١٩٩٢)، د. علي أحمد شامي، ١٩٨٨.	٤ - التيارات الفكرية في مصر المعاصرة، د. محمد نصير جلال، ١٩٨٧.
١٧ - القضاء الشرعي في مصر في العصر العثماني، د. محمد نور فرحات، ١٩٨٨.	٥ - غارات أوروبا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى، د. حايمة عبد السميع الجنزوري، ١٩٨٧.
١٨ - الجوارى في مجتمع القاهرة المملوكية، د. علي السيد محمد، ١٩٨٨.	٦ - هزلا لرجال من مصر جـ، د. محمد سليم، ١٩٨٧.
١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين، د. أحمد محمد صابر، ١٩٨٨.	٧ - صلاح الدين الأيوبي، د. عبد الحليم ماجد، ١٩٨٧.
٢٠ - دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩: المراسلات السرية بين سعد زقزل وعبد الرحمن فهمي، د. محمد أمين، ط ١، ١٩٨٨.	٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية، د. علي بركات، ١٩٨٧.
٢١ - اكتشاف في مصر إبان العصر العثماني جـ ١، د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.	٩ - صفحات مقوية من تاريخ للأزهر مصطفى كامل، د. محمد أمين، ١٩٨٧.
	١٠ - توفيق دياب ملحة للصحافة الحزبية، محمد قري، ١٩٨٧.
	١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية، تكري القاضي، ١٩٨٧.
	١٢ - هدى شعراوي ومصر التكوينية، د. خليل واهب، ١٩٨٨.

- ٢٧ - نظرات في تاريخ مصر، جمال بدوي، ١٩٨٨.
- ٢٢ - للتصوف في مصر إبان العصر العثماني، د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.
- ٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩-١٩٣٦)، د. نجوى كامل، ١٩٨٩.
- ٢٠ - المجتمع الإسلامي والقرب، تأليف: هاملتون جب وهارولد بورين، ترجمة: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٨٩.
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوي في مصر الحديثة، د. سيد إسماعيل علي، ١٩٨٩.
- ٣٧ - فتح العرب لمصر ج١، تأليف: ألفريد ج. بلتر، ترجمة: محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ج٢، تأليف: ألفريد ج. بلتر، ترجمة: محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.
- ٢٩ - مصر في عهد الإخشيديين، د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩.
- ٣٠ - المؤلفون في مصر في عهد محمد علي، د. حلمي أحمد شابي، ١٩٨٠.
- ٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية، شكرى القاضي، ١٩٨٩.
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج٢، لى المطمى، ١٩٨٩.
- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الأفريقي: نظرة على الأوضاع الراهن ورؤية مستقبلية، د. خالد مسعود لكوس، ١٩٨٩.
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية القبرية، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢، د. وبيدات لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠.

- ٣٥ - أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة، عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٠.
- ٣٦ - المجتمع الإسلامي والقرب ج٢، تأليف: هاملتون بورين، ترجمة: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٩٠.
- ٣٧ - الشيوخ على يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحرية الوطنية في ربع قرن، تأليف: د. سليمان صالح، ١٩٩٠.
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ١٩٩٠.
- ٣٩ - قصة احتلال محمد علي لليونان (١٨٢٤-١٨٢٧)، د. جميل عبيد، ١٩٩٠.
- ٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨، د. عبدالمعظم الدسوقي الجمسى، ١٩٩٠.
- ٤١ - محمد فريد: الموقف والأمانة، رؤية عصرية، د. رفعت السيد، ١٩٩١.
- ٤٢ - تكوين مصر عبر العصور، محمد شفيق غريال، ط٢، ١٩٩٠.
- ٤٣ - رحلة في عقول مصرية، إبراهيم عبد الحزيز، ١٩٩٠.
- ٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر، في العصر العثماني، د. محمد عفيفي، ١٩٩١.
- ٤٥ - الحروب الصليبية ج١، تأليف: وليم المسورى، ترجمة وتقديم: د. حسن حبشي، ١٩٩١.
- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩: ١٩٥٧)، ترجمة: د. عبدالرزاق أحمد عمرو، ١٩٩١.

- ٤٧ - تاريخ القضاء المصري الحديث، د. لؤلؤة محمد سالم، ١٩٩١.
- ٤٨ - الفلاح المصري بين العصر القبطي والعصر الإسلامي، د. زينة عطا، ١٩٩١.
- ٤٩ - العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨-١٩٧٩)، د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٩-١٩٥٤)، د. سوير سكندر، ١٩٩٢.
- ٥١ - تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، (أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، في إبريل ١٩٩١)، أحمدما للشر: د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٥٢ - مصر في كتابات الرحالة والقناصل انفرنسيين في القرن الثامن عشر، د. إيهام محمد علي فخري، ١٩٩٢.
- ٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجارية، د. محمد كمال الدين عز الدين علي، ١٩٩٢.
- ٥٤ - الأقباط في مصر في العصر العثماني، د. محمد عفيفي، ١٩٩٢.
- ٥٥ - الحروب الصليبية ج٢، تأليف: وليم المسورى ترجمة وتطبيق: د. حسن حبشي، ١٩٩٢.
- ٥٦ - المجتمع الريفي في عصر محمد علي: دراسة من إنكيز أنثولوجية، د. حلمي أحمد شابي، ١٩٩٢.
- ٥٧ - مصر الإسلامية وأهل اللغة، د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢.
- ٥٨ - أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة، د. إبراهيم عبدالله المسلمي، ١٩٩٢.
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية في مصر، من

- التصوير إلى التأميم (١٩٥٧-١٩٦١)، د. عبد السلام عبدالمعظم عامر، ١٩٩٢.
- ٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية، عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٢.
- ٦١ - تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث، د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج٢، لى المطمى، ١٩٩٢.
- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية، تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أحمدما للشر: د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٦٤ - مصر وحقوق الإنسان، بين الحقبة والإقتراء: دراسة وثائقية، د. محمد نيمان جلال، ١٩٩٢.
- ٦٥ - مواقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧-١٩١٧)، د. سهام نصار، ١٩٩٢.
- ٦٦ - المرأة في مصر في العصر الفاطمي، د. نوريان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٢.
- ٦٧ - مصاعى السلام العربية الإسرائيلية: الأصول التاريخية، (أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، في إبريل ١٩٩٢)، أحمدما للشر: د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٦٨ - الحروب الصليبية ج٢، تأليف: وليم المسورى، ترجمة وتطبيق: د. حسن حبشي، ١٩٩٢.
- ٦٩ - نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية (١٨٨٩-١٩٥١)، د. محمد أبو الإسدا، ١٩٩٤.

- ٧٠ - أهل الذمة في الإسلام،
تأليف: أ. س. كركوت
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي، ط ٢، ١٩٩٤.
- ٧١ - مذكرات اللورد كلين (١٩٣٤-١٩٤٦)،
إعداد: تريفور ليفانز، ترجمة: د. عبد الرؤوف
أحمد عبود، ١٩٩٤.
- ٧٢ - رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية
في العصر الفاطمي (١٠٧٧-١٠٩٨)،
د. أمينة أحمد إمام، ١٩٩٤.
- ٧٣ - تاريخ جامعة القاهرة،
د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤.
- ٧٤ - تاريخ انطب والصيدلة المصرية، ج ١، في
العصر الفرعوني،
د. مسير يحيى الجمال، ١٩٩٤.
- ٧٥ - أهل الذمة في مصر، في العصر الفاطمي
الأول،
د. سالم شافعي محمّد، ١٩٩٥.
- ٧٦ - دور التعليم المصري في النضال الوطني
(زمن الاحتلال البريطاني)،
د. سيد إسماعيل علي، ١٩٩٥.
- ٧٧ - العرب الصليبية ج ٤،
تأليف: وليم السوربي، ترجمة وتعليق: د.
حسن حبشي، ١٩٩٤.
- ٧٨ - تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣-١٨٩٩)،
نصحت أحمد عثمان، ١٩٩٥.
- ٧٩ - تاريخ الطرق الصوفية في مصر، في
القرن التاسع عشر،
تأليف: فريد دي بولج، ترجمة: عبد الحميد
فهمي الجمال، ١٩٩٥.
- ٨٠ - لقاء السويديين والفنانيين الإسلاميين
الأوروبيين (١٨٨٢-١٩٠٤)،
د. السيد حسين جلال، ١٩٩٥.
- ٨١ - تاريخ السواصة والصحافة المصرية من
هزيمة يونيد إلى نصر أكتوبر،
د. رمزي ميخائيل، ١٩٩٥.
- ٨٢ - مصر في فجر الإسلام، من النتائج الثمينة
إلى قيام الدولة الطولونية،
د. سيد إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤.
- ٨٣ - مذكراتي في نصف قرن ج ١،
أحمد شوقي باشا، ط ٢، ١٩٩٤.
- ٨٤ - مذكراتي في نصف قرن ج ٢ - القسم
الأول،
أحمد شوقي باشا، ط ٢، ١٩٩٥.
- ٨٥ - تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية
(١٩٣٤-١٩٥٢)،
د. علي أحمد شافعي، ١٩٩٥.
- ٨٦ - تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية
الاقتصادية (١٨٤٥-١٩١٤)،
د. أحمد الشربيني، ١٩٩٥.
- ٨٧ - مذكرات اللورد كلين، ج ٢، (١٩٣٤-
١٩٤٦)،
إعداد: تريفور ليفانز، ترجمة وتعليق: د.
عبد الرؤوف أحمد عبود، ١٩٩٥.
- ٨٨ - اللحن الموسيقي وتاريخ الموسيقى
المصرية،
عبد الحميد توفيق زكي، ١٩٩٥.
- ٨٩ - تاريخ المعاني المصرية في العصر
العثماني،
د. عبد الحميد حامد سليمان، ١٩٩٥.
- ٩٠ - معاملة غير المسلمين في الدولة
الإسلامية،
د. نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٦.
- ٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،
تأليف: بيتر مانفريد، ترجمة: عبد الحميد فهمي
الجمال، ١٩٩٦.
- ٩٢ - الصحافة القبطية والقضايا الوطنية
(١٩١٩-١٩٣٦)،
ج ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦.

- ٩٣ - قضايا عربية في البرلمان المصري
(١٩٢٤-١٩٥٨)،
د. نبيل بيومي عبدالله، ١٩٩٦.
- ٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية
(١٩٤٦-١٩٥٤)،
د. سمير إسكندر، ١٩٩٦.
- ٩٥ - مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات
الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ
والأثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع
معهد للبحوث والدراسات الأفريقية بجامعة
القاهرة)،
إعداد: د. عبد العظيم رمضان
- ٩٦ - عبد الناصر والحرب العربية الباردة
(١٩٥٨-١٩٧٠)،
تأليف: مالكوم كير، ترجمة: د. عبد الرؤوف أحمد
عبود.
- ٩٧ - العريان ودورهم في المجتمع المصري
في النصف الأول من القرن التاسع عشر،
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.
- ٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية،
د. محمد سيد محمد.
- ٩٩ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية
(العصر اليوناني - الروماني) ج ٢،
د. مسير يحيى الجمال
- ١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور:
تاريخ مصر القديمة،
أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار،
أ. د. محمد إبراهيم بكري، أ. د. إبراهيم نصمي،
أ. د. فاروق القاضي، أعدوا للنشر: أ. د.
عبد العظيم رمضان
- ١٠١ - ثورة يوليو والعقيدة النفاذية،
للواء/ مصطفى عبد المجيد نصير، اللواء/
عبد المجيد كفاي،
للواء/ سعد عبد الحفيظ، السفير/ جمال منصور
- ١٠٢ - المقام جريدة الاحتلال البريطاني في
مصر ١٨٨٩-١٩٥٧
د. تيسير أبو حرجة
- ١٠٣ - رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره
د. علي بركات
- ١٠٤ - تاريخ الصقال الزراعيين في مصر
(١٩١٤-١٩٥٧)
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد
- ١٠٥ - السلطة السياسية في مصر وقضية
الديمقراطية ١٨٠٥-١٨٨٧
د. أحمد فارس عبد السلام
- ١٠٦ - الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد
(تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن).
د. سليمان صالح
- ١٠٧ - الأصولية الإسلامية.
تأليف: تايوب ميرز، ترجمة: عبد الحميد فهمي
الجمال.
- ١٠٨ - مصر للمصريين ج ٤.
سليم النقا
- ١٠٩ - مصر للمصريين ج ٥.
سليم النقا
- ١١٠ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية
(عصر سلاطين المماليك) ج ١.
د. البيومي إسماعيل الشربيني.
- ١١١ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية
(عصر سلاطين المماليك) ج ٢.
د. البيومي إسماعيل الشربيني.
- ١١٢ - إسماعيل باشا صدقي
د. محمد محمد الجواندي.
- ١١٣ - الزبير باشا ودوره في السودان (في
عصر الحكم المصري)
د. عز الدين إسماعيل.
- ١١٤ - دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي
تأليف: أحمد رشدي صالح

- ١١٥ - مذكراتي في نصف قرن ج. ٢.
أحمد شفيق باشا.
- ١١٦ - أديب اسحق (عاشق للحرية)
علاء الدين وحيد
- ١١٧ - تاريخ القضاء في مصر العثمانية
(١٥١٧ - ١٧٩٨)
- عبد الرزاق إبراهيم عيسى
- ١١٨ - النظم المالية في مصر والأشغال
د. الليثي اسماعيل للشريبي
- ١١٩ - النقابات في مصر الرومانية
حسين محمد أحمد يوسف
- ١٢٠ - بومات من التاريخ المصري الحديث
لويس جرجس
- ١٢١ - الجلاء ووحدة وادي النيل (١٩٤٥ - ١٩٥٤)
د. محمد عبد الحميد الحناوي
- ١٢٢ - مصر للمصريين ج٢
سلام خليل النشاش
- ١٢٣ - السيد أحمد النبدوي
د. سيد عبد الفتاح عاشر
- ١٢٤ - العلاقات المصرية الباكستانية في
نصف قرن
د. محمد نصان جلال
- ١٢٥ - مصر للمصريين ج٢
سلام خليل النشاش
- ١٢٦ - مصر للمصريين ج٢
سلام خليل النشاش
- ١٢٧ - مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ - ١٩٥٨)
إبراهيم محمد محمد إبراهيم
- ١٢٨ - معارك صحفية
يقيم جمال بدوي
- ١٢٩ - الدين العام وتأثيره في تطور البنوك المصرية
(١٨٧٦ - ١٩٤٣)
د. يحيى محمد مصطفى

- ١٣٠ - تاريخ نقابات الفنانين في مصر
(١٩٨٧ - ١٩٩٧).
سمير فريد.
- ١٣١ - الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ م.
ترجمة/ د. عبدالمعز محمد أحمد عمر.
- ١٣٢ - دار المندوب الساسي في مصر ج١.
د. ماجدة محمد حمود.
- ١٣٣ - دار المندوب الساسي في مصر ج٢.
د. ماجدة محمد حمود.
- ١٣٤ - لحظة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط
علماني للباروندي.
- يقدم/ عزت حسن أنقضي للفرندلي
ترجمة/ جمال سعيد عبد الفتاح.
- ١٣٥ - اليهود في مصر المملوكية
(في ضوء وثائق الجيزة)
(١٩٢٣ - ١٩٢٥ / ١٥١٧ م) د. محاسن
محمد الرقاد
- ١٣٦ - أوراق يوسف صديق
تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمضان
- ١٣٧ - تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي
د. محمد عبد الفتاح الأشقر
- ١٣٨ - الإعراب المملوكي وجذور التطور الديني
والإرهاب في مصر
السيد يوسف
- ١٣٩ - موسوعة الغناء المصري في القرن العشرين
يقدم محمد قابيل
- ١٤٠ - مباحث مصر في البحر الأحمر في النصف الأول
من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ - ١٢٦٥ هـ /
١٨١١ - ١٨٤٨ م.
- طارق عبد المولى غنم بريس
- ١٤١ - رسائل العرق في عصر سلاطين المماليك.
لطفى أحمد نصار
- ١٤٢ - مذكراتي في نصف قرن ج٢
أحمد شفيق باشا ١٩٩٩ - ١٩٩٩.

- ١٤٣ - مباحثات البطالة في القرنين الثاني والأول ق. م.
د. منيرة محمد الهنشري
- ١٤٤ - كشاف مصر الأثرية في عهد الخديوي
اسماعيل
د. عبدالمعز محمد حمود
- ١٤٥ - النظام الإداري والاقتصادي في مصر في عهد
دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م).
د. منيرة محمد الهنشري
- ١٤٦ - المرأة في مصر المملوكية
د. أحمد عبدالرازق
- ١٤٧ - حسن الباشا... كيف.. ولماذا؟
د. رفعت السيد
- ١٤٨ - القديس مرقس وتأسيس كنيسة
الاسكندرية
تأليف / د. محيى فزنى
ترجمة / نسيم مجلى
- ١٤٩ - العلاقات المصرية الحجازية
في القرن الثامن عشر
حسام محمد عبد المولى
- ١٥٠ - تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى لجمال
- ١٥١ - جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة
السيد يوسف
- ١٥٢ - الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية
(١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
د. محاسن محمد الرقاد
- ١٥٣ - الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)
د. عالية عبد السميع الجوزى
- ١٥٤ - هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر
الإسلامية في العصر الوسطى
د. عالية عبد السميع الجوزى
- ١٥٥ - مصر محمد على ونهضة مصر في القرن التاسع
عشر
(١٨٠٥ - ١٨٨٢ م)
د. عبد الحميد البكري

- ١٥٦ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الثالث
في العصر الإسلامي
د. سمير يحيى لجمال
- ١٥٧ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الرابع
في العصر الإسلامي والحديث
د. سمير يحيى لجمال
- ١٥٨ - نائب السلطنة المملوكية في مصر
(١٢٤٨ - ١٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
د. محمد عبد الفتاح الأشقر
- ١٥٩ - حزب الوفد (١٩٣٦ - ١٩٥٢)
الجزء الأول
د. محمد فريد حشيش
- ١٦٠ - حزب الوفد (١٩٣٦ - ١٩٥٢)
الجزء الثاني
د. محمد فريد حشيش
- ١٦١ - السيف والشار في السودان
تأليف / سلاطين باشا
- ١٦٢ - السياسة المصرية تجاه السودان ١٩٣٥ - ١٩٥٣ م.
د. تمام تمام تمام
- ١٦٣ - مصر والحملات الفرنسية
المستقبل / محمد سيد المشماوي
- ١٦٤ - الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ
(أعمال لجنة للتاريخ والآثار بالمجلس الأعلى
للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات
الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠٠٠ - ٢١ ديسمبر
١٩٩٧.
- إعداد / د. عبد العظيم رمضان
- ١٦٥ - التعليم والتغير الاجتماعي في مصر
(في القرن التاسع عشر)
سامي سليمان محمد السهم ١٩٩٧ - ١٩٩٨

- ١٦٦ - مذكرات معتقل سياسي (مجموعة من تاريخ مصر)
 السيد يوسف
 ١٦٧ - الحركة العلمية والأدبية في القسطنطينية منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الأيوبية
 د. صفى على محمد عبدالله
 ١٦٨ - مؤرخون مصريون من عصر المماليك
 يسرى عبد الفتاح
 ١٦٩ - مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى نهاية عصر الفاطميين (٢١ - ٥٦٧ هـ / ٦٤٢ - ١١٧١ م)
 د. صفى على محمد عبدالله
 ١٧٠ - القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
 محمد عبد الرشيد بحر
 ١٧١ - تاريخ الجالية الأرمنية في مصر القرن التاسع عشر
 تأليف / محمد رفعت
 ١٧٢ - تاريخ أهل اللغة في مصر الإسلامية (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي) الجزء الأول
 تأليف / فاطمة مصطفى عامر
 ١٧٣ - تاريخ أهل اللغة في مصر الإسلامية (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي) الجزء الثاني
 تأليف / فاطمة مصطفى عامر
 ١٧٤ - مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق م
 د. أحمد عبد الحامد دراز
 ١٧٥ - محمد توفيق نعيم باشا ودوره في الحياة السياسية
 هادي إبراهيم الطويل
 ١٧٦ - الملاحاة البلية في مصر العثمانية ١٥١٧ - ١٧٩٨ م
 د. عبد الحامد حامد سليمان

- ١٧٧ - سياسة مصر العسكرية
 ازاء حروب الشرق الأوسط
 نواف دكتور / صلاح سالم
 ١٧٨ - العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر
 د. سمير على حنفي
 ١٧٩ - دور الجالية العثمانية في تاريخ مصر (١٥٩٤ - ١٦٠٩ م)
 د. عطف محمد السيد العبد
 ١٨٠ - الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس
 بقلم / د. عبد العظيم رمضان
 ١٨١ - الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريثه)
 ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشي
 ١٨٢ - الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريثه)
 ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشي
 ١٨٣ - شاهد على العصر
 مذكرات محمد لطفي جمعة
 ١٨٤ - المتوفية في القرن الثامن عشر
 يامر عبد المنعم محاريق
 ١٨٥ - تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري
 د. أحمد أحمد سيد أحمد

- ١٨٦ - العقائد الدينية في مصر الإسلامية (بين الإسلام والتشوف)
 د. أحمد صبحي منصور
 ١٨٧ - نيلية حلب في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
 ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ (١ - ١)
 د. عادل عبد الحافظ حمزة
 ١٨٨ - نيلية حلب في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
 ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ (١ - ٢)
 د. عادل عبد الحافظ حمزة
 ١٨٩ - يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠ م
 عرفه عبده على
 ١٩٠ - العلاقات السياسية بين مصر والعراق ١٩٥١ - ١٩٦٣ م
 د. عبد الحميد عبد الجليل أحمد شلبي
 ١٩١ - اليهود في مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر ج ١
 د. محسن علي شومان

- ١٩٢ - اليهود في مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر ج ٢
 د. محسن علي شومان
 ١٩٣ - الإمام محمد عبده (بين المنهج الديني والمنهج الاجتماعي)
 د. عبد الله شحاته
 ١٩٤ - تاريخ الآلات الموسيقية الشعبية المصرية
 د. فتحي الصنفاوي
 ١٩٥ - مجتمع أفريقية في عصر الولاة
 د. نريمان عبد الكريم أحمد
 ١٩٦ - تاريخ تطور الري في مصر (١٨٨٢ - ١٩١٤ م)
 عبد العظيم محمد سعودي
 ١٩٧ - القدس الخالدة
 د. عبد الحميد زايد
 ١٩٨ - العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية
 د. عادل عبد الحافظ حمزة

١٨١ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٨١
 ١٨٢ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٨٢
 ١٨٣ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٨٣
 ١٨٤ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٨٤
 ١٨٥ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٨٥
 ١٨٦ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٨٦
 ١٨٧ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٨٧
 ١٨٨ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٨٨
 ١٨٩ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٨٩
 ١٩٠ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٩٠

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩١ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٩١
 ١٩٢ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٩٢
 ١٩٣ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٩٣
 ١٩٤ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٩٤
 ١٩٥ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٩٥
 ١٩٦ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٩٦
 ١٩٧ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٩٧
 ١٩٨ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٩٨
 ١٩٩ - *الديانة المصرية القديمة* - ١٩٩
 ٢٠٠ - *الديانة المصرية القديمة* - ٢٠٠

رقم الايداع بدار الكتب ٢٠٠١/٢٩٤٣

ISBN — 977 — 01 — 7131 — X

هذا الكتاب عن (العلاقات السياسية بين الدولة
الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة)، هو فى الأصل
رسالة علمية وينقسم إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: فيتناول الوحدة الإسلامية فى الشرق
وأثرها على الامبراطورية الرومانية المقدسة.

الفصل الثانى: فيتناول سياسة الامبراطورية الرومانية
المقدسة تجاه الشرق الإسلامى.

ويتناول الفصل الثالث: تأثير الأوضاع السياسية فى
الامبراطورية الرومانية وفى الشرق الإسلامى على
العلاقات بينهما.

أما الفصل الرابع: فيتحدث عن سياسة الامبراطور
فردريك تجاه الشرق الإسلامى (٦٠٦ - ٦٢٥ م).

وأخيراً يتناول الفصل الخامس الحملة الصليبية
السادسة، وأثرها على العلاقات السياسية بين الامبراطورية
الرومانية والدولة الأيوبية (٦٢٥ - ٦٤٨ م).